وَقَفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ

مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللّهِ العَزِيز

عبد المنعم مصطفى حليمة

أبو بصير الطرطوسي

وَقَفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللهِ العَزِيز

عبد المنعم مصطفى حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

وبعد، هذه مجموعةٌ من الوقفَاتِ والتأمّلات معَ آيَاتٍ مِن كتَابِ اللهِ العَزيز، كُتِبَت في أوقاتٍ متفرِّقَةٍ، رأينا أن تُجمَعَ في كتَابٍ مُستقِلٍّ، ليسهل الوقُوفُ عليها .. أسميناه " وَقفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللهِ العَزِيز "، معَ التَّنبيهِ أنَّ الآيَةَ الواحِدَة قَد أُعِيد النَّظَرَ والتَّأمُّلَ فيها، والوقوفَ عِندها أكثرَ مِن مَرَّة، بحسْبِ ما يَظْهرُ لي من المعَاني والدَّلَالاتِ الإضَافيَّةِ الجديدة عِندَ إعَادَةِ تِلاوَتِها .. فنحنُ نتعامَلُ معَ كِتَابٍ عَظِيمٍ؛ هو كتَابُ اللهِ؛ كَنْزُه مَهْمَا استُخْرِجَتْ مِنْه الفَوائِدُ، والحِكَمُ، والعِبَرُ .. لا يَنْضَبُ أَبَدَاً .. فهو قُرآنٌ يمشي معَ الناسِ في حياتِهِم، ومعَ هُمُومِهم، ومشَاكِلِهم، وقضاياهم الخاصَّةِ والعَامَّةِ، يَعيشُ معهم في واقِعِهم، ينيرُ لهم دُرُوبَ الخَيرِ والشَّرِّ، والحَقِّ والبَاطِلِ، ويكشِفُ لهم الغَامِضَ، ومَا أشْكَلَ، ومَا غُمَّ عليهم، ويُلبِّي جميعَ حاجياتِهم وعلى مَرِّ الأزْمِنَةِ والعُصُورِ .. هو الكتَابُ الوحيدُ في الأرضِ الذي يُحفَظُ في الصُّدُور، سَهَّلَ اللهُ حِفظَهُ وتِلاوتَه .. لَا يملُّه قَارِئُه .. كلَّما قرأتَه تَعلَّقتَ به أكثَر، وازْدَدْتَ له حُبَّاً، وإقبَالاً، ورغبَةً في إعادَةِ قِراءتِه وتِلَاوتِه مِن جَدِيد .. وتَكَشَّفَ لكَ جَديدٌ لم تكُنْ تَعرِفُه مِن قَبل .. والكافرُ تراهُ يَهوَى أن يُجَرِّبَ كُلَّ شَيءٍ، وكلَّ محجُوبٍ، وممنُوعٍ .. إلَّا قِراءةَ القُرآنِ؛ فإنَّه يَتَهَيَّبُ أن يَقتربَ مِنه بخيرٍ، أو أن يَقرأَ بعضَ آياتِه؛ خَشيةَ أن يتعلَّقَ بهِ، ويَنقَادَ لَه، وهو لَهُ كَارِه!

ونُشِيرُ إلى أنَّ جميعَ الأحَادِيثِ الوارِدَةِ في هَذا الكتَابِ، والتي لَمْ نُشِرْ إلى تخرِيجِها ـ تَفَادياً للإطَالَةِ ـ هي صَحيحَةٌ، قَد شَهِدَ لها أهْلُ العِلْمِ والاختصَاصِ بالصِّحَّةِ .. سَائِلاً اللهَ تعالى القُبولَ، وأن يجعلَ مِن عملي هذا مفتَاحَ خَيرٍ، مِغلاقَ شرٍّ، إنه تعالى سَميعٌ قَريب .. وصلى اللهُ على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.[1].

" أبو بصير الطرطوسي "

1443/9/27 هـ . 2022/4/28 م

[1] الكتَابُ قابل للإضَافةِ والتَّحْدِيثِ .. والعمَلُ ـ بإذن الله تعالى ومشيئته وتوفيقه ـ جارٍ به إلى أن يَقعَ القَلمُ من يَدِي!

إِيَّاكَ نَعْبُدُ . وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

1- [إِيَّاكَ نَعْبُدُ]؛ نخصُّك وحدَكَ بالعِبادِةِ الظَّاهِرةِ والباطِنة، الخاصّةِ والعَامَّة، فلا نَعبُدُ غَيرَك، [وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ]الفاتحة:5. على [إِيَّاكَ نَعْبُدُ].

* * * * *

اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ

2- [اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ]الفاتحة:6. طلَبٌ جاءَ بعدَ تمجيدٍ، وتَعظيمٍ، وتَوحيدٍ للخالِقِ سُبحانه وتعالى .. وهو أدْعَى للإجابةِ والقُبُولِ من اقتحَامِ الدُّعاءِ مجرَّداً عن التَّعظيمِ، والتمجِيدِ، والتَّوحيدِ، والصَّلاةِ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم .. وخُصَّ الطَّلَبُ والدُّعاءُ بأمرٍ جامعٍ مَانِعٍ؛ جَامعٌ لجميع معَاني الخَيرِ، مانعٌ لجميع معاني الشَّرِّ؛ وهو الهِدايَةُ إلى الصِّراطِ المسْتقِيم؛ لأنَّ مَن هُدِيَ إلى الصِّراطِ المستقيم، فقد تَحَصَّل له خَيرَي الدُّنيا والآخِرَةِ، واندَفَعَ عنه كُلُّ شَرٍّ .. والصِّراطُ المستقيم؛ هو دِينُ اللهِ الإسلام .. مَا كانَ عليه النبيُّ محمد صلى الله عليه وسلم، وصَحْبُه الكِرام رضي اللهُ عنهم أجمعين من اعتِقَادٍ، وقَولٍ، وعَمل.

3- [اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ]الفاتحة:6. بصيغَةِ الجمْعِ لا الإفْرادِ؛ ليتَحقَّقَ الشُّعورُ بالانتماءِ إلى الجماعَةِ، ويتحقَّقَ الشُّعُورُ بالأخوَّةِ الإيمانيَّةِ؛ على اختلافِ الأمْصَارِ، والأجنَاسِ، واللغاتِ، والألوانِ .. فيَشعرُ المسلمُ وهو يَقرأ هذه الآية الكريمةِ أنَّه جزءٌ مِن كُلٍّ، وأنَّهُ لَبِنَةٌ في بناءٍ شامِخٍ ضَخْمٍ لا يَنفَصلُ عنه، وأنَّه بدعائِه، وطَلَبِه [اهدِنَا] يَشملُ جميعَ إخوانِه وأخواتِه من المؤمنين والمؤمِناتِ، في أيِّ مكانٍ، ومن أي قَومٍ أو جِنْسٍ كانوا .. وهو كما يَقلَقُ مِن أجلِ هدايتِهم، ويَهتمُّ لذلك، ويَسألُ اللهَ لهم الهِدايَةَ، فإنه كذلك يَقلقُ ويَألمُ لكلِّ مَا يُؤذِيهم، ويَصدُّهم عن الهِدايَةِ .. أو يَقفُ عقبةً في طريقِ هِدايتِهم ..

هذا الشُّعُور العظيمُ النَّبيلُ يَتكرَّرُ ويتجدَّدُ معَ تِكرارِ قِراءةِ الفاتحَةِ في كلِّ ركعَةٍ من الصَّلاةِ؛ كانت فرضَاً أم نافلةً .. أمَّا مَن لا يَقلقُ ولا يهتمُّ لما يُصيبُ المسلمين من أذَى في دِينِهم، وهِدَايَتِهم .. فهو يُناقِضُ قولَهُ ودعاءَهُ في كُلِّ ركعةٍ مِن صَلاتِه [اهدِنَا]، ولم يحقِّقْ المعنَى والمرَادَ مِن دُعائِه [اهدِنَا]!

* * * * *

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ

4- [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ]؛ مِن النَّبيين، ومَن سَارَ على نَهجِهم، واقتَفَى أثَرَهُم، مِن الصِّدِّيقِين، والشُّهدَاءِ، والصَّالحين، [غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ]؛ اليهودُ الذين عَرَفُوا الحقَّ؛ فتَعَالَوا وتكَبَّرُوا عليه، وعَدَلُوا عنه إلى غَيرِه، ولم يَعْمَلُوا به .. وكلُّ مَن اتصَفَ بِصفتِهم هذه، أيَّاً كانت مِلَّتُه؛ فهو من المغضُوبِ عليهم .. فكان كُفْرُهم مِن جهةِ الكبرِ والتَّعَالي على الحقِّ، وليسَ من جهةِ الجهْلِ بالحقِّ، [وَلاَ الضَّالِّينَ]الفاتحة:7. النَّصَارى الذين ضَلُّوا الحقَّ، فأحْدَثُوا في دينِهم مَا ليسَ فِيه، وعَمِلوا وتَعَبَّدُوا بغيرِ عِلمٍ، وكلُّ مَن اتصفَ بصفَتِهم هذه، أيَّاً كانَت مِلَّتُه؛ فهو من الضَّالِّين .. فكانَ كفرُهم وضَلالهم مِن جهَةِ الجهلِ بالحَقِّ .. ومَن كانَ كفرُه وضَلالُه مِن جهَةِ الجهْلِ بالحقِّ، فهو أقرَبُ للحقِّ، وأهلِه، وأقَل عدَاوةً ممَّن كان كُفرُه من جهةِ الكِبر، والتَّعالِي على الحقِّ .. وتُرجَى له الهِدايَةُ لو بلغَه العِلمُ، أكثر من المتكبِّرِ المتعَالي على الحقِّ .. والواقعُ المُشَاهَد شَاهِدٌ على ذَلك .. وفي الحديث:" اليهودُ مَغضُوبٌ عليهم، والنَّصَارَى ضُلَّالٌ ".

* * * * *

ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

5- [ذَلِكَ الْكِتَابُ]؛ أي هذا القُرآنُ الكَريمُ ـ وليسَ سواه ـ هو الكِتَابُ الحَقُّ؛ الذي لا يَأتِيه البَاطِلُ مِن بَين يَدَيه ولا مِن خَلْفِه .. المحفُوظُ بِحِفْظِ اللهِ .. هو الكِتَابُ الحَقُّ؛ الذي ليسَ كَمِثْلِهِ كِتَابٌ؛ لا مِن قَبلُ ولا مِن بَعْدُ .. هو الكِتَابُ الحَقُّ المُعْجِزُ؛ الذي أعْجَزَ الإنْسَ والجِنَّ ـ على مَدَارِ الأزْمَانِ وإلى قِيَامِ السَّاعَةِ ـ على أن يَأتُوا بسُورَةٍ مِن مِثْلِه .. هو الكِتَابُ الحَقُّ؛ المهيمِنُ على مَا سِوَاهُ مِن الكُتُبِ .. هو الكِتَابُ الحَقِّ؛ الذي مِنْهُ يُلتَمَسُ النُّورُ، والهُدَى، وسَبيلُ الرَّشَادِ .. بِهِ يُعرَفُ الحَقُّ مِن البَاطِلِ .. ويَمِيْزُ الخَبيثُ مِن الطَّيِّب .. هو حَبْلُ اللهِ الممدُود مِن السَّماءِ إلى الأرضِ .. به تَتَّصِلُ الأرْضُ بالسَّماءِ .. هو الكِتَابُ الحَقُّ، وما يُخالِفُه، ويُعارِضُه فهو البَاطِلُ، وهو ليسَ بِكِتَابٍ ذِي بَال، [لاَ رَيْبَ فِيهِ]؛ لا شَكَّ فيهِ أنَّهُ كذلك في جَميعِ ما تَقَدَّم [هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]البقرة:2. لأنَّهم آمَنُوا وعَمِلُوا به، أمَّا مَن لا يُؤمِنُ ولا يَعمَلُ بِه، فَأنَّى يَسْتَفيدُ مِنْه، أو يَكونُ لَهُ هُدَىً ..؟!

6- تأمّلتُ أسماءَ وأنواع الحيواناتِ والدّواب المذكورةِ في القرآنِ الكريم، فوجدتُها معلومةً بعينها لجميع النّاسِ على اختلافِ أمصارِهم، وأجناسِهم، ولغاتِهم، على مدارِ العصورِ والأزمان؛ لأنه كتابٌ أُنزِل للعالمين بشيراً ونَذيراً .. ولأنه الكتاب الخاتَم الذي ليس بعده كتابٌ سماوي .. وحتى لا يقول شعبٌ من الشّعوب، في مصرٍ من الأمصار، وفي زَمنٍ من الأزمنة: مالهذا القرآن يذكر أسماءَ دواب وحيوانات لا نعرفُها في واقعِنا ولا حياتِنا .. صدَق اللهُ العظيم:[ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]البقرة:2. [هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]؛ على اختلافِ أجناسِهم، وألوانِهم، ولغاتِهم، وأمصارِهم، وأزمنتهم ...!

7- [ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]البقرة:2. في هذا الكتاب؛ وهو القُرآن الكريم؛ هُدَىً لجميع المنافعِ الماديَّةِ والمعنويَّةِ .. إلى جميع مَا يَنفعُ الإنسانَ في دينِه

ودُنياه .. وخصَّ المتَّقُون بهذا الانتفاع لإيمانِهم بالكتابِ وامتِثالِهم لأوامِره، وانتهائهم عمَّا نَهى عنه .. أمَّا مَن لا يُؤمنُ بالكتابِ .. ويُعرضُ عمَّا فيه مِن هُدىً ونُورٍ، أنَّى له أن يَنتفعَ مِن هذا الكِتابِ العَظِيم .. وهو مثَلُه كمَثَلِ مَن يُعرَض عليه الدَّواءُ لمرضٍ ألمَّ به، ثم يُعرِضُ عنه ولا يتَناوَله .. فأنَّى له أن ينتَفع من هَذا الدَّواءِ .. وفيه أن المرءَ كلَّما كان أتْقَى .. والتزمَ جادَّةَ التَّقوَى أكثَر .. وأعْطَى القُرآنَ مِن نَفْسِه .. انتفَعَ من هذا الكتابِ العَظيم، وتَكَشَّفَت له مِن معَانِيه وأسرارِه مَا لم تتَكَشَّفْ لغيرِه.

* * * * *

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

8- [الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ]البقرة:3. لا يَكونُ المؤمنُ مؤمناً إلَّا إذا آمنَ وصَدَّق بالغَيبِ، وهو كلُّ ما تَعجَزُ الحواسُّ عن إدراكِه مِن عالَمِ الغيب، كالإيمانِ باللهِ، وملائكتِه، وبالبعْثِ، والنُّشُورِ، والجنَّةِ، والنارِ، وغَيرِها .. أمَّا مَن لا يُؤمنُ إلا بما تُدْرِكُه حواسُّه، ويرَاهُ بعينِه، فهذا لا يكونُ مُؤمناً، فما تُدرِكُه الحواسُّ لا يحتاجُ إلى جهْدِ وجِهادِ الإيمانِ .. ويَستَوي في تَصديقِه جميعُ الخلَقِ الكَافِرُ والمؤمِنُ سَواء .. فَلا يتَمَايزُ حِينئذٍ المؤمنُ عنِ الكافِرِ .. ويغيبُ من الحياةِ الاختبَارُ، والاختِيَارُ، والبَلاءُ .. وتغيب الحكمةُ والغايةُ مِن خَلْقِ الخلْقِ والوجُود .. ومِن جِهةٍ أُخْرَى فهو يُكَذِّبُ نَفْسَه؛ إذْ تَراهُ يُقِرُّ ويُصدِّقُ بوجودِ مخلوقاتٍ عديدَةٍ تَعجزُ حواسُّه عن إدراكِها ومُشاهَدَتِها .. فعَلامَ يُصدِّقُ بِها، ويكفُرُ بالخالِقِ سُبحانَه، وكلاهمَا بالنسبةِ له غَيْبٌ؟!

* * * * *

قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

9- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ]البقرة:11. هَذا جَوابُ وإدِّعاءُ كُلِّ مُفْسِدٍ في الأرضِ على مَرِّ العُصُورِ والأزمَانِ .. لَا يَعترفُ بإفسَادِه وفسَادِه .. بَل يَعتقِدُ أنَّه هو المصْلحُ، ومَا يقومُ به هو الإصْلاحُ .. ومَا يخالِفُه هو الفَسَادُ، وصَاحِبُه هو المفْسِدُ .. والفَيْصَلُ بينَ مَعرفَةِ المُصْلِح مِن المفْسِدِ، ومَا يّدَّعيه كُلٌّ مِنهما، رَدُّ المصْلِح ومَا يَصْدُرُ عنه، والمفْسِدِ ومَا يَصدُرُ عنه إلى الميزَانِ الحَقِّ؛ إلى كتَابِ اللهِ تعالى، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ

10- [صُمٌّ]؛ لا يَسمعُون الحقَّ، ولا يُطيقُون، [بُكْمٌ]؛ عن قولِ الحقِّ والخيرِ، مع قدرتِهم على الكلامِ، [عُمْيٌ]؛ عن طريقِ الحقِّ، والهدايَةِ، رَغْم أنَّ لهم أعينٌ يُبصرُون بها .. فبسبَبِ كُفْرِهم، وحِقْدِهم، وكبرِهِم، قد تعطَّلَت لدَيهم جميعَ وسائلِ الفَهم والتَّلَقي، فلم تَعُدْ تُؤدِّي وظيفتَها الحقِيقيَّةِ التي خُلِقَت لأجْلِها، [فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ]البقرة:18. فهُم ماضُون في غيّهم وضَلالِهم إلى أقصَى حَدٍّ يَقدِرُون عليه .. لا يَرجعُون عن ضلالِهم مهمَا بان لهم الحقُّ، ونزلَت فيهم القوارِعُ والعقُوبَات الإلهيَّةِ .. والسَّبب أن وسائلَ التَّلَقِّي الآنِفَة الذِّكْرِ عندهم معطُوبةٌ؛ لم تَعُدْ تُؤدِّي وظيفَتَها المنُوطَة بها!

* * * * *

إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

11- [إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة:20. على مَا يَشَاءُ قَدِير، وهو ـ مهْمَا تَعاظَمَ أمرُه ـ عليه هَيِّنٌ، لا يَمتَنعُ عَليهِ شَيءٌ مِن خَلْقِه، أو يُريدُهُ في خَلْقِه.

12- [إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة:20. أعجَبُ لامرِئٍ يُصابُ باليأسِ والقُنُوطِ وهُو يَعلَمُ أنَّ له رَبَّاً لا يُعجِزُه شَيء .. ولا يَعْظُمُ عليه شَيء .. ولا يَكْبُرُ عليه شيء .. ولا يَعلُو عليه شيء .. ومَهما كان الأمْرُ صَعْباً وشَدِيداً وكَبِيراً ومُسْتَحِيلاً، فهو عليه هَيِّنٌ وسَهْلٌ .. وهو على كُلِّ شَيءٍ قَدِير!

* * * * *

فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

13- [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً]؛ شُرَكاءَ للهِ في صِفَةٍ مِن صِفاتِه، وخاصِيَّةٍ مِن خصُوصيَّاته، تَعبدونَهم مِن دُونِ الله، ليسَ فِيهم مِن الخصائِصِ والصِّفاتِ مَا يؤهِّلُهم لأن يكونُوا أكفَاءً وأندَاداً للهِ، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:22. أنَّ هؤلاءِ الذين اتخذتموهُم أندَاداً مخلوقُون مَربُوبُون للهِ، اللهُ خَلقَهم، وأوجَدَهم، وأنْشَأهُم .. وهم لَا يَستطيعون أن يخلُقُوا شَيئاً .. ولَا أن يجلبُوا لكم نفْعَاً، ولا أن يَدفَعُوا عنكم ضرَّاً إلَّا مَا شَاءَ اللهُ .. فكَيفَ تجعَلُون الضَّعيفَ العاجِزَ المخلوقَ، مَن لَا يَقْدِرُ على أنْ يخلُقَ شَيئاً، نِدَّاً وشَريكَاً لمن يخلُق، والوجُودُ كُلّه مِن مُلكِه وخَلْقِه .. وهو على كُلِّ شيءٍ قَدير؟!

14- [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:22. تأملتُ كلمةَ " ندّ " في القرآنِ الكريم، فلمْ ترِدْ إلا بصيغةِ الجمْعِ " أندَاداً "؛ لأنَّ الأندادَ الذين يزعمُون لأنفُسِهم - أو تُنسَب إليهم - صِفَات، وخصائص الربوبيَّة، والألوهيَّة هم - عبر جميع الأزمنةِ من حيث النَّوعِ والكَم - كُثُر جداً، قد يتعَدَّى عدَدُهم المئات، ولربما الآلاف .. وهذا العدَد يتكاثَرُ ويتَضخَّم معَ فشُو الجهْلِ، والشِّرْكِ بين الناسِ .. وكلما ابتعَدَ الناسُ عن عَقيدَةِ التوحِيدِ!

* * * * *

وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ

15- [وَلَهُمْ]؛ للمؤمنين الذين عَمِلُوا الصَّالحاتِ، [فِيهَا]؛ في الجنَّة، [أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ]البقرة:25. مُطَهَّرة مِن كلِّ عَيْبٍ ونَقْصٍ، في الخَلْقِ والخُلُقِ.

* * * * *

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً

16- [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً]البقرة:30. يُستَخْلَفُ على أمْرِ اللهِ، ويُنظَرُ هل سَيَعمُرُ الأرضَ وفْقَ أمْرِ اللهِ وشَرْعِه، أمْ لا .. وقَولُ البَعضِ أن " خَلِيفَةً "؛ تعني مَن ينوب عن اللهِ، ويَخلُفُه في الأرض .. قَولٌ بعيدٌ عنِ الصَّوَاب .. أنَّى للمخلُوقِ الضَّعيفِ والجَّاهِلِ، ذي القُدرَات المحدُودَةِ، أن يكونَ نائباً عن الخَالقِ سُبحانه وتَعالى، الذي له الأسْماء الحُسْنَى، والصِّفات العُلْيَا .. ويُقالُ كذلك: أنَّ الخليفةَ الذي يَنوبُ عمَّن استخلَفَهُ، لا يكونُ خَليفةً إلا في حالِ غِيابِ مَن استخلَفَهُ .. وهذا مَعنى لا يجوزُ، ولا يَليقُ أن نصرفَهُ للهِ عزَّ وجَل!

* * * * *

سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

17- [قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ]البقرة:32. أن تعترِفَ ـ إذا ما سُئلتَ عن مسألةٍ ـ إذا كنتَ لا تَعْلمُ، بأنَّك لا تَعلَمُ .. خَيرٌ ألفَ مرَّةٍ مِن أن تُجيبَ عمَّا لا تَعلمُ، بما لا تَعْلَمُ .. فتَضِلَّ، وتُضِلَّ .. وتَتَشبَّع بما لم تُعْطَ .. يكفيكَ قدوةً تَقتدي بهم في ذلك مَلائِكة الله.

* * * * *

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

18- [وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ]البقرة:36. من ذلك الوقت الذي أمرَ اللهُ فيه آدمَ عليه السلام، وإبليسَ اللَّعين، بالهبُوطِ إلى الأرضِ .. بَدَأت العَداوةُ .. وبَدَأ الصِّراعُ والتَّدافعُ بين قِوَى الخَيرِ وقِوى الشَّرِّ .. بين قِوَى الحقِّ وقِوَى الباطِل .. هذا الصِّراعُ مستمرٌّ ـ شئنا أم أبينا ـ استمرارَ الحياةِ على هذهِ الأرض .. واستمرارَ وجود الخيرِ والشَّرِّ .. وإلى أن تقومَ السَّاعَة.

والذين يُحاولُون ـ من خِلال مؤتمراتِهم، ومُؤامَراتِهم ـ أن يُوقِفُوا هذا الصِّراعَ، أو يُلغُوه، تحت عنوانِ وزَعْمِ إبطالِ فِكرَةِ صِراعِ الحضَارَات .. فإنَّهم واهِمون؛ يُحاولُون عَبَثاً .. ثم أنَّهم يُصادِمُون الواقعَ المُعَايَشَ والمُشَاهَد، الماضِي مِنه، والحاضِرُ الذي يَعيشُه الإنسانُ في هذهِ الأرض!

* * * * *

إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

19- [إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ]البقرة:37. صِيغَةُ مُبالَغة، كثير وعظيمُ التَّوبِ على مَن تَابَ .. مهمَا عَظُمَ الذَّنْبُ .. وكَثُرَت الذُّنُوب .. وكَثُرَ عدَد المذْنبين .. فاللهُ تعالى أعظَمُ، وأعْلَى، وأكثَرُ تَوبَةً .. ومِن عَظيمِ تَوبَتِه أن بابَها يّظلُّ مفتوحاً على مَدارِ الوَقتِ أمامَ تَوبةِ العَبْدِ .. ولمن يُريدُ أن يَلجَهُ من التَّائبين .. لَا يُحيلُ بينَه وبينَ التَّوبةِ حَائِلٌ إلا الموت!

* * * * *

وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

20- [وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ]؛ لو جَاءَ الباطِلُ سَائغاً، واضحاً، صَريحاً .. لاستهجَنَتْهُ النفوسُ، ورفضَتهُ .. لِذا يُشابُ، ويُزيّن ببعضِ الحقِّ ليرُوجَ أمرُهُ على النَّاسِ ..

وهذا صَنيعُ أهلِ الكُفْرِ، والأهوَاءِ، الذين يُدْخِلُون كلاماً حَقَّاً في كلامٍ باطِلٍ، ويكونُ مُرَادُهم الأسَاس الجانِب الباطِل من كلامِهم؛ ليصْعُبَ على الناسِ رَدُّ كلامِهم وباطلِهم، [وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ]؛ أي ولا تخفُوا الحقَّ، ولا تُمَايِزُهُ عن البَاطِل، وبَراءتَه منه، ومفاصَلَتَه له، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:42. فيكونُ الوزرُ عليكم مُضَاعَفَاً، والحجةُ عليكُم قائمةً؛ لأنَّكم ترتكبُون هَذا الوزْرِ العظيم عن سَابقِ عِلمٍ، وإصْرارٍ .. بخلافِ مَن يقَع بشيءٍ من ذلك عن جَهْلٍ؛ فهذا يُعَلَّم، وقد تكونُ له شُبهةُ عُذرٍ وتَأوِيلٍ!

* * * * *

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ

21- [أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ]؛ يَشملُ كلَّ مَن يأمرُ بطاعةٍ ثمَّ هو لا يأتيَها، وكلَّ مَن يَنهى عن مَعْصيةٍ ثم هو يأتِيَها .. وفي هذا السُّؤال التَّقْرِيعي التوبيخي أن أوْلَى الأنْفُسِ بالوعْظِ، والنُّصح، وحُسْنِ المتابعَةِ والمرَاقبَةِ، والتَّأدِيبِ، هي نَفْسُك التي بينَ جنبَيْكَ أوَلاً، فإن استقَامَت لك، وخَضَعَت، كانَ ذلك عونَاً لكَ على نُصْح ووعْظِ الآخَرين .. فَلا تُعطِ لنفْسك الأولويَّةَ في الدِّرْهمِ والدينارِ، بينما تُعطِي الآخَرين الأولويَّةَ في النُّصح، والوعْظِ، والتَّعليمِ؟! [وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ]؛ أي تَفعلونَ ذلك وأنتم تَتلونَ كتَابَ اللهِ المنزّل عليكُم الذي ينهاكُم عن هَذا الخُلُقِ الشّنيعِ .. فهل التِّلاوةُ لمجرَّدِ التِّلاوَةِ، أم للتدَبُّرِ، والاتعاظِ، والعمَل؟! [أَفَلاَ تَعْقِلُونَ]البقرة:44. أفلا تَسْتَحُون مِن كتَابِ اللهِ، ومِن كلامِ اللهِ الزَّاجِرِ عن هذا الخُلُق الرَّديء .. وتعلمون أن ما تفعلُونه لَا يَليقُ بِذَوِي العقُول السَّليمَةِ؟!

وهذه الآيَةُ وإن قِيلَت في اليهودِ الذين كانُوا يأمرُون النَّاسَ بالبرِّ وينسونَ أنفُسَهم، إلَا أنَّها تَشملُ كُلَّ مَن يتخلَّقُ بأخلاقِهم مِن المسلمين .. فليسَ لهم كلّ مُرَّةٍ، ولنا كُل حُلوَةٍ!

* * * * *

فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ

22- [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ]؛ مِن بَنِي إسْرَائيل، [يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ]؛ إلهاً ومَعْبُوداً مِن دُونِ اللهِ، [فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ]؛ إلى خالِقِكُم من عبادةِ العِجْلِ الذي صَنعتمُوه مِن الحلي والذَّهَبِ بأيدِيكم .. ومِن علامَةِ صِدقِ تَوبتِكُم، [فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ]؛ طَهُوراً لكم .. وكَفَّارَةً لذَنبِكم، وجرْمِ عبادَتِكم للعجْلِ .. فَقَتَلَ الذين لم يَعْبدُوا العِجلَ من الذين عَبَدُوا العِجلَ سَبعينَ ألفاً .. وكانوا قَد عبدُوا العجلَ أربعينَ يَوماً؛ المدة التي ذهَبَ فيها موسى عليه السلام لمِيقَاتِ ربِّه .. [ذَلِكُمْ]؛ قتلُكُم لأنفُسِكم، [خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ]البقرة:54. لأنه سَببٌ في توبتِهِ عليكم .. عاقَبَهُم اللهُ هذا العِقابِ الشَّديد لِعِبَادَتِهم العِجْلَ أربَعِين يوماً .. وفي زَمانِنَا ما أكثَرَ العُجُول التي تُعبَدُ من دُونِ الله .. وما أكثر الذين يَعبدُونَها من دُونِ اللهِ، ثم يَحْسَبُون أنَّهم يُحسِنُون صُنْعَاً .. وأنَّهم على خَيرٍ .. ومِنها مَن ظَلَّ النَّاسُ عَاكِفين على عبادَتِها وتعظِيمِها لأكثرِ مِن أربعينَ سَنَةٍ .. ولا يَزالُون .. ثمَّ إذا نزَلَ بهم بلاءٌ يُطهرُهم اللهُ به مِن عبادَتِهم للعجلِ، ومما اقْتَرفَت أيديهم .. عسَى أن يَأوبُوا، ويتُوبُوا إلى ربِهم .. أسرَعُوا الشَّكْوى، والامتِعَاضَ، والاعتراضَ .. نَسألُ اللهَ تعالى السلامَةَ، والعفْوَ، والعَافِيَة.

* * * * *

قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ

23- [قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ]البقرة:67. أي مِنَ المسْتَهْزِئِين، وكُلُّ مَن اسْتَهْزَأَ بِالنَّاسِ، أو تَعَاطَى مَعَ مَسَائِلِ الدِّينِ عَلى وَجْهِ التَّنَدُّرِ، والهُزْءِ، فَهُو مِنَ الجَّاهِلِين.

* * * * *

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

24- [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ]البقرة :73. فتَرَوْنَ الحَقَّ حَقَّاً فتَتَّبِعُونَه، وتَرَوْنَ البَاطِلَ بَاطِلاً، فتَجْتَنِبُونَه.

* * * * *

فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ

25- كُلُّ مَن يفتي بِفَتْوَى بخلافِ مُرادِ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم، يَبتغي بها وجهَ النَّاسِ، وعَرَضَاً من الدُّنيا، له نصيبٌ وافِرٌ من قولِه تعالى:[فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ]البقرة:79.

26- [فَوَيْلٌ لهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ]؛ مِن كَذِبٍ، وزُورٍ [وَوَيْلٌ لهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ]البقرة:79. بسبَبِ مَا يَكتُبُون!

27- [فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ]؛ في زَمانِنَا لَا يَستطيعُ الكفَّارُ، والمنَافِقُون، وأهلُ الأهواءِ، والبِدَعِ الذين يُحْدِّثُون في دِينِ اللهِ ما ليسَ فِيه .. أن يقُولُوا عن كُتُبِهم ومؤلفَاتِهم أنَّها مِن عندِ اللهِ، فالقُرآنُ الكريمُ لهم بالمرصَادِ، يُكَذِّبُهم، ويُبطِلُ زَعمَهُم .. ولكن يقُولُون عن كتُبِهم المليئةِ بالبِدَعِ والخرَافاتِ،

والأهواءِ، والكَذبِ على دينِ اللهِ: أنَّها تُوافِقُ مُرَادَ اللهِ، ومستَمِدَّةٌ مِن كتابِ اللهِ، ومِن شَرعِ اللهِ المنزَّلِ، وهي ليسَت كذلك، وهم يَعلمُون أنَّها ليسَت كذلك .. يقولُون ذلك: لترُوجَ كتبُهم على العوَامِّ مِن الناسِ، ومَن ليسَ له إطلاعٌ وعِلمٌ بكتابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ رسولِه صلى اللهُ عليه وسلم .. و[لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً]؛ ولكي تُبَاعَ كُتبُهم، وتَنْفَقَ، ويكسَبُوا المالَ ببيعِها .. وبعضُهم يفعَلُ ذلك ليتودَّدَ بما يكتبُ إلى الطُّغاةِ الظَّالمين، طمَعاً بما عِندَهُم مِن عَطَاءٍ، [فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ]البقرة:79. وهؤلاء تكرَّرَ لهم الوعيدُ الأليمُ بالوَيلِ ثَلاثَ مَرَّات في آيةٍ واحدةٍ لبيانِ عِظَمِ وشنَاعَةِ ذَنبِهم وجُرمِهم .. والويلُ هو العذابُ الأليمُ في نَارِ جَهنَّمَ، وقِيل: هو وادٍ في جهنَّمَ يَهوِي فيهِ الكافِرُ أربعينَ خريفاً قبل أن يبلُغَ قَعْرَه .. مليءٌ بصَدِيدِ وقَيحِ أهلِ جهنَّمَ؛ مِنه يَشربُ هؤلاءِ الذين يَنسِبونَ للهِ كذِباً ما يكتبونَه بأيدِيهم!

* * * * *

وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً

28- [وَقُولُواْ لِلنَّاسِ]؛ كُلُّ النَّاسِ؛ كافِرِهم ومؤمنِهم، [حُسْناً]البقرة:83. أعلى درَجَاتِ الرُّقِي في الخِطابِ؛ الذي يجمعُ بين الحقِّ، والعدْلِ، والصِّدْقِ، والرِّفقِ، والأدَب .. وبخاصَّة في موضعِ الدَّعوةِ إلى هذا الدِّين.

* * * * *

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ

29- [أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ]؛ هذا سُؤالٌ يُفيدُ الإنْكارَ والتَّقْريعَ، والوَعيدَ لكلِّ مَن يُبَعِّضُ الدِّينَ؛ فيأخُذُ مِن الدِّينِ ما يَهواه، ويَدع مِنه مَا لا يَهوَاه .. يأخُذُ مِنه مَا يُنَاسِبُه، ومَا يَلامِسُ مَصْلحَتَهُ الشَّخْصِيَّة، ويَدَعُ مِنه مَا ليسَ له فيهِ

مَصْلحَة، ولا يُناسِبُه .. يؤمِنُ بقوانين الأحوَالِ الشَّخْصيَّة التي جاءَ بها الإسلامُ، ويكفرُ بالقوانين الجنائيَّةِ .. يأخُذُ بالأمرِ بالمعروفِ، ويتركُ النَّهي عن المنْكَرِ .. يأخذُ مِن الدِّينِ الحُبَّ في اللهِ، ويَترَكَ البُغضَ في اللهِ .. يأخذُ الولاءَ ويتركُ البراءَ .. يؤمنُ بجهَادِ النَّفْسِ، ويتركُ جهادَ الأعداءِ .. يأخذُ مِن الدِّينِ الطقُوسَ والشَّعائرَ التي تتعلقُ بالسلوكِ الفَرْدِي، ويَترَكُ الدِّينَ ذِي العَلاقَة بالسياسَةِ، والدولَةِ، وسؤونِ الحُكمِ والحياةِ .. هؤلاءِ كلُّهم مَعنيُّون مِن قولِه تعالى:[أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]؛ في الحيّاةِ الدُّنيا له الذِّلُّ، والهوَانُ، والصَّغَار، والعَيشُ الضَّنْكُ،[وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ]؛ يُفيدُ أنَّهم بفعلِهم الآنِفِ الذِّكرِ أعلاه كُفَّارٌ؛ إذْ لا يُرَدُّ إلى أشدِّ العَذَابِ إلا كافِرٌ، [وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ]البقرة:85. مِن تَبعيضِهم للدِّينِ؛ وأخذِهم ببعضِه، وتَركِهم لبَعْضِه الآخَر.

* * * * *

وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ

30- [وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ]البقرة:102. فيه أنَّ السِّحْرَ، وتَعْلِيمَه، وتَعَلُّمَه كُفْرٌ .. وأنَّ السَّاحِرَ الذي يتَعَاطَى السِّحْرَ كافِرٌ؛ لاستعانَتِه بالشَّياطِين، وطاعَتِه لهم فِيما يُريدُونه من الكُفْرِ .. ولادِّعائِه عِلْمَ الغَيْبِ .. وأنَّه قادِرٌ على التَّأثِير في حَقيقَةِ الأشْياءِ وتَغيير صُورَتِها .. وأنَّهُ بالسِّحرِ يَضُرُّ وينْفَع!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا

31- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا]؛ حيثُ كان المؤمنُون يَسْتَخْدِمُون هذا المُصْطَلَح " رَاعِنَا "، في مُخاطبتِهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو من الرِّعايةِ والمرَاعاة .. لا حرجَ فيه .. لكن لَمَّا كان في لغةِ اليهودِ، يُمكن صَرفُهُ وتحريفُه إلى معنى خاطِئ " الرُّعونة "، وكانوا يُخاطِبُون النبيَّ صلى الله عليه وسلم بهذا المصطلح، على هذا القَصْدِ .. وفرحوا بأنَّهم كانوا يَشتمون النبيَّ صلى الله عليه وسلم سراً، فأصبحُوا يَشتمونَه عَلانيةً، ولا أحَدَ يَتَنبَّه لهم .. لكنّ الله تعالى لا يَخفى عليه شيءٌ، يَعلم ما في نفوسِهم، وما تُكنُّ صُدُورهم .. فأوحى إلى المؤمنين بأن لا يَستخدِمُوا هذه الكلمة " رَاعِنَا " في مخاطبتِهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وأن يَحذَرُوا ويُعَاقِبُوا كُلَّ مَن يَسْتَخْدمها .. ثم دلَّهم على البديلِ عنها، وما هو خير منها؛ على كلمةٍ مُحْكَمَةٍ لا يُمكنُ التَّلاعبُ بها، ولا صَرفُهَا إلى معنى خاطِئ، [وَقُولُواْ انظُرْنَا]البقرة:104. أي انتَظِرْنا، وأمْهِلنَا، حتَّى نفهمَ، ونَحفظَ عنك .. ويُقاسُ على كلمةِ راعِنَا وانْظرْنا كل مُصطلحٍ مُعاصر مُحْدَث حمّالُ أوجُهٍ ومَعَانٍ؛ يُمكنُ حَمله على معنى صَائب، كما يُمكُنُ حمله على معنى خاطِئ .. أن نَجْتَنبه، ونتخَلَّى عن استخادمِه؛ حتى لا يُفهم خطابنا للناسِ خطأ، وحتى لا يَصِلُهم مُشَوَّشاً .. ونَستبدلُه بالمصطلَح المُحْكَمِ الذي لا يحتملُ إلا معنَى صَائباً وحَقّاً .. مثال ذلك: مُصطلحُ " الديمقراطية "، فنَسْتبدلُه بمصطلح مُحْكَم ـ للتَّعبيرِ عن المرادِ، لا يُمكنُ صَرفه إلى معنى خاطِئ ـ " الشُّورَى ". والأمثلةُ والمصطلحات التي تحتاجُ إلى ضَبْطٍ ومُراجَعَةٍ أكثَرُ مِن أن تُحصَر في هذا الموضع .. فالمؤمنون يَنبغي أن يَتَمَايَزُوا عن الكافرين حتى في مفاهيمِهم، ومُصْطَلَحَاتِهم!

* * * * *

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

32- [أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]البقرة:106-107. كل من استكثرَ شيئاً، واستَصْعَبَه، مِمَّا كانَ، ومِمَّا يكونُ، ومِمَّا سيكُون .. يُقالُ له:[أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]؟! وكلُّ مَن غابَت عنه الحِكمةُ مِن شَيء قَدَّرَهُ اللهُ، أو سَألَ عن الحكمةِ مِن شيءٍ قَدَّرهُ اللهِ .. يُقال له:[أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]؟! ومَن كانَ له مُلْكُ السَّماواتِ والأرضِ، له أن يفعلَ في خَلْقِه، وفِيما يملكُ مَا يَشاءُ، سَواءٌ فَهمتَ الحِكمةَ مِن فعلِه، وفِيمَا قَدَّرَه .. أَمْ لَمْ تَفهَمْ .. فليسَ للمملُوكِ أن يسألَ الملِكَ المالِكَ عمَّا يَفعلُ في خَلقِهِ ومُلْكِه، أو لماذَا فعَلَ، ولماذَا لم يَفعَلْ ...؟!

* * * * *

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً

33- [وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ]؛ اليهودُ، والنَّصارَى، [لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً]؛ إلى أيِّ مِلَّةٍ مِن مِلَلِ الكُفْرِ، سوَاءٌ إلى مِلَّتِهم ودينِهم، أو أيِّ مِلَّةٍ مِن مِلَلِ الكُفرِ الأخْرَى .. المهم عندَهم أن تكفرُوا، وأن تَرتَدُّوا عن الإيمانِ باللهِ، وبدينِه الإسْلام، وبرسولِه محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إلى أيِّ مِلَّةٍ أخرَى مِن مِلَلِ الكُفْرِ والإلحادِ .. وتُصبحُون معهم سَواء في الكفْرِ والشِّرْكِ .. هذا التمنِّي، وهذه الرَّغبَةُ الجامحَةُ في أن يَردُّوا المسلمينَ عن دِينِهم إلى الكُفرِ، يُنفِقُون في سَبيلِها الأموالَ الطائلَةِ .. ويُسَخِّرُون لها جميعَ ما يملكُون من الطَّاقاتِ والوسَائلِ .. يجسِّدُون هذا التَّمني أحياناً بالتَّرغيبِ، وبالترويجِ للحداثَةِ، والليبراليَّةِ، وبمطالِبِ التَّحرُّرِ والانفلاتِ مِن قِيودِ الدِّينِ .. وتَقبيحِ كُلِّ ما يتَعارَضُ معَ هذَا التوجُّه المتميِّع المتفلِّتِ من قيودِ القِيَمِ والدِّين .. وأحياناً بالتَّرهيبِ، والبطْشِ،

والتَّعذيبِ، والحِصَارَات .. لا يحملُهم هذا التَّمني وهذا الحِرصُ على أن تَرتَدُوا عن دِينِكم رغبةً مِنهم بالخيرِ لكم، لَا؛ بَل [حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم]؛ ما يحملُهم على هذا البَغْي والكَيدِ سوى الحسَد، مِن تِلقَاءِ أنفُسِهم، وما تُضْمرُه مِن حِقدٍ وحسَدٍ وسُوءٍ .. والرِّغْبة الجامحَة في أن تزولَ عنكم نعمةَ الإيمانِ؛ الإيمانُ الذي هداكم اللهُ إليه .. بينمَا هم ضَلُّوه، وجحدُوه، ونبذُوه .. ونعمَةَ التَّوحيدِ، وعبادَةِ اللهِ، بينما هم يَعبدُون أهواءَهم، وشَهواتهم، والطاغُوتَ، والشيطانَ، [مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ]البقرة:109. يَفعلُون هذا الحسَدَ، وهذا الكَيدَ، والكفرَ، ليسَ عن جَهْلٍ .. لَا؛ بَل يَفعلُون ذلك عن عِلمٍ، وبعد أن تيقَّنوا وعَلِمُوا أن الإسلامَ حقٌّ .. وأن محمداً رسولُ الله؛ والإيمانَ به حقٌّ وواجِبٌ .. وهو مكتوبٌ عِندهُم في التوراةِ والإنجيلِ!

* * * * *

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا

34- [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ...]البقرة:114. مِن صُوَرِ المَنْعِ؛ المنعُ مِن أن تُقام حَلقاتُ الفِقْهِ والعِلمِ في المسَاجِد .. وأن تَقْتَصِرْ فقَطْ على الصَّلاةِ .. يَشترِكُ في هذا الوِزْرِ طُغَاةُ الحُكْمِ والظُّلْمِ .. والمشَايخُ القَائمون على إدَارَةِ تلك المسَاجِدِ؛ الذين يحملُهم التَّعَصُّبُ لانتماءاتِهم الحِزبيَّةِ، والمذْهَبيَّةِ، والقِطْرِيَّةِ على احتِكَارِ المساجِدِ لأنْفُسِهم، ومَنعِ غيرِهم مِن الدُّعاةِ والعُلماءِ مِن أن يَستخْدِمُوا تِلكَ المسَاجِد في الدَّعوةِ إلى اللهِ، أو أن يُقِيمُوا فِيها أيَّ نشَاطٍ دَعوي وعِلْمِي ...!

وممَّن يَدخلُون في هذا الظُّلمِ الأكبَرِ، اليهودُ في فلسطِين؛ الذين يمنعون المسلمين مِن الصَّلاةِ في المسجدِ الأقصَى، ويَشتدُّ أذَاهُم ومنعُهم للمسلمين ـ حَسَداً مِن عندِ أنفسِهم ـ في

شهرِ رمضان المبارَك مِن كُلِّ سَنَة .. وبخاصَّة في لَيلَةِ القَدْرِ .. يُغيظُهم مَا يَرون مِن إقبَالٍ واسعٍ للمسلمين على العِبادَةِ في هذا الشَّهرِ المبارَك!

ومِن صور الخَرَابِ للمسَاجِدِ، مَا نَشهدُه في زمَاننا من تدميرٍ متعمَّدٍ لمئاتِ المساجِدِ في سوريا على يَدِ العصابةِ النصيريَّةِ الأسديَّةِ الحاكمةِ .. ظُلمٌ فوقَ ظُلمٍ، يَعلو بعضُه بَعضَاً!

* * * * *

يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ

35- [يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ]البقرة :121. حَقُّ التِّلاوَةِ؛ هي التِّلاوَةُ التي تَجمَعُ بينَ حُسْنِ الأدَاءِ، وحُسْنِ الفَهْمِ والتَّدَبُّرِ، وحُسْنِ العَمَل.

* * * * *

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً

36- [وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ]؛ فلمَّا أتمَّهُن، ونفَّذَ جميعَ مَا أُمِرَ به، ونجحَ فِيما اختبَرَهُ بِهِ ربُّه، وكان مِن أشَدِّ ما اختبَرَه به أن يَذبَحَ ولدَه الوحِيد اسماعِيل، لمَّا بلَغَ من العُمرِ مَبلغاً يَسعى معَهُ في خِدمَتِه .. ويَا لَهُ من اختبَارٍ شَدِيدٍ .. لم يُختبَر به في الأرضِ كلِّها، وإلى يومِ القيامَةِ إلا رَجلٌ واحِدٌ، وهو نبيُّ اللهِ إبراهيم عليه السَّلام، [قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً]البقرة:124. إمَاماً في الدِّينِ والتَّوحِيدِ، وقُدوَةً للناسِ أجمَعِين .. فالمِنَحُ تَأتِي بَعدَ المِحَنِ، والصَّبرِ عليها .. وهي سنَّةٌ مِن سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه؛ أنَّ الإمَامَةَ في الدِّينِ لا تُمنَحُ إلَّا لِمَن كانَت له سَابقَةُ اختبارَاتٍ وبَلاءاتٍ في اللهِ .. فصَبرَ عليها، ونجَحَ فِيمَا قَد اخْتُبِرَ به .. وأيُّما رَجُلٍ تَرونَه يتوسَّدُ مَنْصِبَ الإمَامَةِ في الدِّينِ مِن غَيرِ بَلاءٍ في اللهِ .. ولَا صَبْرٍ على البَلاءِ .. فاعلمُوا أنَّه ليسَ على شَيءٍ!

* * * * *

قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ

37- [قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ]البقرة:124. ابتدَاءً لا يجوزُ أن يُولَّى ولايةً عامَّةً على المسلمين ظالمٌ بَيِّن الظُّلم، مجروحُ العَدَالةِ .. فالكافرُ من بابٍ أوْلَى .. لكن إن قَهرَ المسلمُ الظَّالمُ على الولَايةِ والإمَامَةِ العَامَّةِ .. فهذا له تفصِيلٌ؛ تُقَدَّرُ مصَالحُ عَزلِه ـ ولو بالقوَّةِ ـ ومَصَالحُ بقائِه في الحُكْمِ .. ويُعمَلُ بالرَّاجِحِ منهما.

* * * * *

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ

38- [وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ]؛ يترُكُ مِلَّةَ إبراهِيمَ عليه السلام ويَذهبُ إلى غَيرِها من المِلَلِ الكُفْريَّةِ والشِّرْكيَّةِ .. ومِلَّةُ إبراهِيمَ عليه السلام؛ هي التَّوحِيدُ، والبرَاءَةُ من الشِّركِ، والمشركِين، [إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ]البقرة:130. لا يُقْدِمُ على هذا التركِ والاستبدَالِ إلَّا السَّفيهُ؛ الذي لَا يَعرفُ مَصْلحتَه، ولا يُحسِنُ تقديرَ عوَاقِبَ ومآلَات أفعَالِه!

* * * * *

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

39- [إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]البقرة: 133. جميلٌ بالإنسانِ أن يتخذَ من نبيِّ اللهِ يَعقُوب عليه السلام مَثَلاً وقُدوةً؛ فيُوصِي بنِيه من بعْدِه إذا حضَرَه الموتُ، واشتدَّت علامَاتُه .. بأن يَعبُدُوا اللهَ تعالى وحدَه، ولا يُشرِكُوا به شَيئاً .. وبالتَّقْوَى، وإقَامِ الصَّلاةِ، وبما فيه صَلاحهم وعمَار آخِرَتِهم .. إذْ جرَت العَادَةُ

وللأسَفِ عندَ كثيرٍ مِن النَّاسِ إذَا حَضَرَ أحدَهُم الموتُ أن يُوصِي بنِيه من بَعْدِه بأمُورِ الدُّنْيا وزينَتِها .. هذا لفُلان، وهذا لعِلَّان .. ويفُوتُه أن يأمرَهُم ويُوصِيهم بأمرِ الآخِرَةِ، وبما فيه صَلاحهم ونجاتهم في الآخِرَةِ!

وقوله:[وَإِسْمَاعِيلَ]؛ إسماعيلُ لم يكُنْ مِن آبَاءِ يعقُوب عليه السلام .. وإنَّما كان عمَّهُ .. ولمَّا كانَ العمُ بمقامِ الأبِ، أُدْرِجَ اسمُه في قائمةِ الآبَاءِ، [آبَائِكَ].

* * * * *

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ

40- [تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ]البقرة:134. هذا التوجيهُ الربَّاني يُقَال لجميع الأجيالِ عبرَ الأزْمنَةِ والعصُورِ .. لا ينَبغي للجيلِ الحاضِرِ أن يتَصَدَّرَ مجالسَ القضَاءِ؛ ليُصدرَ الأحكامَ على الجيلِ والأجيالِ السَّابقَةِ .. ويتحرَّى دَقائِقَ المواقِفِ، والأحدَاثِ، وينَشغِلَ - ويُشْغِلَ غيرَه - في إصدَارِ الأحكامِ عليها، وعلى أصحابِها .. على بُعدِ الشقَّةِ بينَه وبينَهم .. والتي قَد تُؤدّي إلى خِلافَاتٍ، وتفَرقٍ، وصِرَاعَاتٍ .. الجيلُ الحاضِرُ بغنى عَنها .. إذْ يكْفيه أن ينَشغِلَ بإصْلاحِ نَفْسِه، وزمَانِه، ومكَانِه، ليكونَ قُدوةً حسنَةً لمن يأتي بعدَه .. وليُسْلِم الأمانَةَ إلى مَن بعدَه كاملةً غير منقوصَةٍ .. واللهُ تعالى لن يسألَه عمَّا هو ليسَ مَسؤولاً عنه .. وعمَّا كانَ في الأمَمِ السَّالِفَةِ .. جلُّ الصِّرَاعاتِ المعَاصِرَةِ بينَ الملِلِ، والفِرَقِ، والشُّعوبِ مَرَدُّها إلى الغفْلةِ عَن هذا التوجِيهِ الرَّبَّاني الوارِدِ أعْلَاه!

* * * * *

فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ

41- [فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ]. خِطَابٌ لأهلِ المِلَلِ، والأدْيانِ جميعُها .. ولأهلِ البدَعِ والأهواءِ مِن أهلِ القِبلَةِ .. ولكلِّ مَن يَنشدُ الهِدايَةَ واتّبَاعَ الحقِّ .. ويَنشدُ النَّجاةَ .. هذا هو الطَّريق، وبكلِّ وضُوحٍ .. هو مَا كان عليه النبيّ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم، وصحبُه الكِرَام مِن دِينٍ وإيمانٍ، ونَهْجٍ .. فإن آمَنتُم بمثلِ مَا آمَن بهِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وآمنَ به صَحبُه الكِرام .. فقد اهتديتُم إلى الحقِّ والإيمانِ الصَّحِيح .. وليسَ وراءَ ذلك إلا الضَّلال، والشِّقَاق، [وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ]البقرة:137. وفيه أنَّ الصَّحابةَ رضي اللهُ عنهم هم الأَعْلَمُ، وأنَّ فهمَهَم لنُصُوصِ التَّنزِيلِ هو الأسْلَمُ، والأَحْكَم.

* * * * *

قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ

42- [قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ]البقرة:140. في كلِّ قَضيَّةٍ يُعَارِضُ فيها الإنسانُ حُكمَ اللهِ الكَوْنِي، أو الشَّرعِي .. ويخوضُ في الكُلِّيّاتِ وحَقِيقَةِ الوجُودِ، والغَايَةِ منه فِيما لا سُلطَانَ له بِه .. أو يُقَبِّحُ مَا حَسَّنَه اللهُ .. أو يحسِّنُ مَا قَبَّحَهُ اللهُ .. أو يَردُّ حُكمَ اللهِ لأيِّ سَبَبٍ مِن الأسبَابِ .. أو يَلْتَمِسُ المصلحَةَ بخلافِ حُكمِ اللهِ .. يُقَال لهم:[أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ]؛ ولمَّا كانَ الجوابُ معلوماً بالنَّقْلِ، والعَقْلِ، والفِطْرةِ بأنَّ الأعْلَمَ هو اللهُ سُبحانه وتَعالى .. فإن العقْلَ، والأدَبَ يَقتضيانِ أنْ يَنصَاعَ مَن لا يَعلَمُ إلى حُكْمِ وشَرْعِ مَن يَعْلم، وإلى مَن هو الأعْلَم .. ويُسَلِّمُ له تَسْلِيماً.

* * * * *

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا

43- [قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ]البقرة:144. أحياناً قَد تَشعرُ أنَّ اللهَ تعالى قَد اختارَ لكَ شَيئاً .. وفي نفسِك رِغْبَة في غيرِه .. هو مُباحٌ ليسَ حرَاماً .. فالأدَبُ حِينئذٍ يَقتَضِي مِنكَ أن لا تَرفعَ يدَكَ بالدُّعاءِ تَسألُ اللهَ أن يُبدِّلَ اختيارَه لك، باختيارِكَ الذي تَرغبُه وتُريدُه .. إذْ يَكْفِي أن يَعلمَ اللهُ ذلك من نفْسِك .. عَسَاه سُبحانه أن يبدِّلَه إلى ما تُحب وتَرضَى .. ويُبارِكَ لكَ في اختيارِكَ الذي تُحبّه .. وهذا الذي حصَلَ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ كان يَتوجَّهُ في صَلاتِه، ومعه المسلمون ـ بأمرٍ من اللهِ تعالى ـ نحوَ بيتِ المقْدِس .. وظلَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يصلي نحوَ بيتِ المقدسِ سنَةً وأربعَةَ أشهرٍ .. وكان يحبُّ أن يتوجَّه في صلاتِه نحو الكعبة بيت اللهِ الحرَامِ؛ قِبْلة أبي الأنبياءِ إبراهيم عليه السلام .. ومع ذلك تأدُّباً لم يَسأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم ربَّهُ ذلك .. وإنما كان يكتفِي أن يُقَلِّبَ وجهَهُ ونظرَهُ في السَّماءِ .. يُكثِرُ من النظرِ في اتجاهاتٍ عِدَّةٍ من السَّماءِ .. عسَاهُ يَرَى جبريلَ عليه السلام يتنزلُ ومعَه آيةٌ من ربِّه يأذَنُ له فِيها أن يجعَلَ من بيتِ اللهِ الحرَامِ قِبْلَةً له وللمسلمين .. وهذا مِن جميلِ أدَبِه صلى الله عليه وسلم في دعائِه، ومُناجَاته لربِّه .. والنبيُّ صلى الله عليه وسلم هو خليلُ اللهِ .. واللهُ تعالى يعلمُ ما في نفْسِ خَلِيلِه وحبيبِه وإن لم يتكلّم، ويَسْأَل .. فأنزلَ اللهُ تعالى عليه:[قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ]البقرة:144.

* * * * *

وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

44- [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]البقرة:146. لا تكفي المعرفةُ لتحقيقِ الإيمانِ .. لا بدَّ معَ المعرفةِ مِن تَصْديقٍ، وانقيادٍ، ومتابَعةٍ، ليَتحقَّق بعد ذلك الإيمانُ .. فالكفارُ ـ وبخاصة أهل الكتاب ـ كانوا يَعلمون ويَعرفُون أن محمَّداً صلى الله عليه وسلم حَقٌّ .. وأنه رسولُ الله .. كما يَعرفون أبناءَهم، وأشَد .. وأنَّه مذكورٌ باسمِه وصفاتِه في التَّوراةِ والإنجيلِ .. لكن صَدَّتهم حُظوظُ النَّفسِ .. وصَدَّهم الكِبْرُ، والتَّعالي، والعنَادُ عن تَصديقِ الحقِّ ومتابَعتِه .. فكانُوا بذلك كافِرين .. ولو كانَت مجرَّد المعرفَةِ تنفعُ لنفَعَت إبليسَ اللَّعين!

* * * * *

فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ

45- [فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ]البقرة:148. لَا تَدَعُوا غيرَكُم يَسبقكُم في المبادَرَةِ إلى فِعْلِ الخَيرَاتِ .. فكُونُوا أنتم الأسْرَع، والأسْبَق إلى فِعلِ الخَيرَات .. قَبلَ أن تُوَدِّعَ، وتُغْلَق الأبوَابُ دُونَها .. فكَثيرٌ مِن الخيرَاتِ موسِمِيَّةٌ، وفُرَص ـ ومِنْها مَا قَدْ لا يَتَكَرَّر ـ مُرتَبِطةٌ بزمَانٍ ومَكانٍ سُرعَان ما تُودِّعُ وتَذْهَبُ، ممَّا يَسْتَدْعِي نَوعَ مُسَابَقَةٍ ومُسَارَعَةٍ لاغتنامِها قَبلَ فَواتِها.

* * * * *

أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً

46- [أَيْنَ مَا تَكُونُواْ]، في البرِّ أو البَحرِ .. أو في السَّماءِ .. وفي أيِّ بلدٍ أو بُقعَةٍ مِن الأرضِ .. وأيِّ مخبأ ومَلْجأ .. ولو كنتم في قُصورٍ مُشَيَّدَة، [يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً]؛ لا مَفرَّ، ولا مَلجأ، ولا مَنْجَا مِن اللهِ .. لا توجدُ بقعةٌ ـ مهمَا صَغُرَت أو كبُرَت ـ في

السَّماواتِ وفي الأرضِ خَارِجةٌ عن سُلطَانِ، وحُكمِ، ومُلكِ اللهِ .. فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعُون، فانظُرْ بما ترجعُ به إلى ربِّك، [إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة:148.

* * * * *

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

47- [فَاذْكُرُونِي]؛ باللسّانِ، والقَلْبِ، وبالجوارِحِ؛ بامتثالِ مَا أمرَ اللهُ به، وبانتهاءِ عَمّا نَهى عنه .. اذكروني ذِكْرَ التَّأمُّلِ، والتَّفكُّرِ، والتَّدبُّرِ .. والنَّظَرِ في الآياتِ القُرآنيَّةِ المقروءةِ، وفي الآياتِ الكونيَّةِ المرئيَّةِ في السماواتِ، والأرضِ، [أَذْكُرْكُمْ]؛ فالجزاءُ مِن جِنسِ العمَلِ، فكما تذكرونَ اللهَ، فاللهُ تعالى يُقابلُكم بِذِكْرٍ أحْسَن، وأكمَلٍ، وأجمَلٍ؛ فإن ذَكَرتُموه في أنْفُسِكم، ذَكَرَكُم اللهُ في نفْسِه، وإن ذَكَرْتموه في مَلأٍ، ذَكَرَكُم اللهُ في مَلأٍ خيرٍ مِنهم، [وَاشْكُرُواْ لِي]؛ اشكرُوا فضْلي ونِعَمِي السابِغَةِ عليكم؛ اشكرُوهَا باللسَّانِ، والقَلبِ، والعمَلِ، وبجميلِ الثنَاءِ على الله تعالى، يَزِدْكُم اللهُ مِن فَضْلِه ونَعَمِه .. والشُّكرُ كلمَا كانَ من جِنْسِ النِّعمَةِ كان أحْسَن، [وَلاَ تَكْفُرُونِ]البقرة:152. فضْلي ونِعَمِي عليكم، فتُحْرَمُوهَا، وتَفْتَقِدُوها .. وكُفرَانُ النِّعَم يكونُ بعدَمِ شُكْرِهَا .. ورَدِّهَا للنفسِ مِن دونِ اللهِ!

وفي الحديث القدسي:" يقولُ اللَّهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ .."متفق عليه. الوَقْتُ الذي يَمْضِي مِن غَيرِ ذِكْرٍ للهِ؛ يَمْضِي بغَيرِ حَقِّه.

48- [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ]البقرة:152. إذَا وجَدْتَ في نَفْسِكَ نَشَاطاً لِذِكْرِ اللهِ؛ فاعلمْ أنَّ اللهَ تعالى يُريدُ أن يَذْكُرَكَ.

* * * * *

اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ

49- [اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ]البقرة:153. [اسْتَعِينُواْ]؛ على قضاء حوائجكم، والقيام بواجباتكم، وصرفِ ما أهمّكم وأغمّكم، ومواجهةِ المخاطرِ والتحديات التي تواجهكم [بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ] . وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم " إذا حزَبَهُ أمرٌ صَلَّى "؛ أي إذا نزل به ما أهمّه وأغمّه فزعَ إلى الصلاة. ومن ذلك أن فاطمة عليها السّلام، دخلت على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهي تبكي، فقال: ما يُبكيكِ يا بُنَيَّةِ؟! قالت: يا أبتِ مالي لا أبكي، وهؤلاءِ الملأُ من قريشٍ في الحِجْرِ يتعاقدونَ باللَّاتِ والعُزَّى ومناةَ الثالثةَ الأخرى، لو قد رأوكَ لقاموا إليك فيقتلوكَ، وليس منهم إلا من عَرَفَ نصيبَهُ من دَمِكَ، فقال:" يا بُنَيَّةِ، ائتني بوُضُوءٍ ... "! يقول لها ذلك، وكأنه يقول لها: يا بُنَيَّةِ، ائتني بالسّلاح ...!

وكان صلى الله عليه وسلم يقول:" يا بلالُ، أقِمِ الصَّلاةَ؛ أرِحْنا بها "؛ أرِحْنا بها من نَصَبِ الدنيا، ومشاغِلها، وكدِرِها، وهمومِها. ويقول صلى الله عليه وسلم:" جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيني في الصلاةِ ".

فهل الصَّلاةُ بالنسبة لنا، هي كذلك .. أم هَمٌّ نُلقيهُ عن ظهُورِنا؟!

50- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ]؛ لأنَّ مَا بعدَ هذا الخِطابِ يَعني المؤمنين دُونَ غَيرِهم، ولا يَقدِرُ عليه إلا المؤمنُون، [اسْتَعِينُواْ]؛ على قضاءِ حوائِجِكُم، ودَفْعِ مَا أهَمَّكُم، [بِالصَّبْرِ]؛ الذي يَمدُّ صاحِبَهُ بالطَّاقةِ والقدرَةِ على التَّحمُّلِ، مِن غيرِ استعْجَالٍ، [وَالصَّلاَةِ]؛ التي تَصِلُ العَبدَ بخالِقِه، فتزيدُه إيماناً، ويَقيناً، وثَباتاً .. وقدْرَةً على تَحمُّلِ الشَّدَائِدِ .. الصَّلاةُ التي من خِلالها يَرفع العَبدُ حاجَتَهُ، وما أهمَّهُ، وأغَمَّه إلى اللهِ .. فالصَّلاةُ ـ وبخاصَّة مِنها السُّجُود ـ هي الموْعِدُ الأفْضَلُ للقَاءِ العَبدِ بربِّهِ، وهي اللِّقَاءُ الأمْثَلُ الذي فيه يَرفَعُ العَبدُ

شَكْوَاهُ، وحَاجَتَهُ إلى رَبِّه، [إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]البقرة:153. ومَن كان اللهُ معهُ فَلا خَوْفَ ولا ضَيْعَةَ عَليه.

51- [اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ]البقرة:153. قُدِّم الصبرُ على الصّلاةِ؛ لأنَّ الصّلاةَ، والمحافظَةَ عليها بواجِباتِها وشُروطِها، تحتَاجُ إلى صَبرٍ .. فالصَّبرُ بالنسبةِ للطَّاعاتِ كالوقُودِ بالنّسبَةِ للمحرِّكاتِ؛ لا حَرَكَةَ لها مِن غَيرِ وَقُود .. كذلك الطَّاعَات لا قِيامَ لها ولا وجُودَ مِن غَيرِ الصَّبرِ.

* * * * *

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ

52- البَلاءُ أنواعٌ، أشدُّها وَطْأً وأثَراً على الإنسانِ وحياته بلاءُ الخوفِ، لذا خُصَّ بالذِّكر أوّلاً في قولِه تعالى:[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]البقرة:155. مفهوم المخالفة يقتضي أنّ أفضلَ نعمةٍ بعد نعمةِ الإيمانِ، نعمةُ الأمْنِ والأمَان.

53- [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ]البقرة:155. الخَوفُ مِن عَدوٍّ دَاهِمٍ، أو شَرٍّ قَادِمٍ .. هَذا الشَّرُّ قَد يَكُونُ مَصدَرُه كونيّاً؛ كالزَّلازِلِ، والبراكينِ، والعَواصِفِ، والخَسْفِ، أو وبَاء، وغَيرها .. وخُصَّ بَلاءُ الخوْفِ بالذِّكْرِ أوَّلاً لخطورَتِه، وشِدَّتِه، وأثَرِهِ الكبير على حياةِ واستِقرارِ الناسِ، ولأنَّه سَببٌ لبلاءاتٍ أُخْرَى، وأنَّ كثيراً مِن البلاءاتِ الأخْرَى مُرتبَطةٌ بهِ؛ كالجوعِ، والنَّقصِ في الأموالِ، والأنْفُسِ والثمرَاتِ، وغَيرِها .. ولتُعرَف قِيمةُ نِعمَةِ الأمْنِ فتُشْكَر .. فالمرءُ يَغلِبُ عليه ـ للإلفَةِ ـ الغَفْلَةُ عَن قِيمَةِ نِعمَةِ الأمنِ، فَلا يَشكرُهَا .. بَل يَكْفُرُها، ولا يَعُدُّهَا مِن جملَةِ النِّعَم .. فيَبتليهُ اللهُ بشَيءٍ من الخوفِ؛ ليَعْرِفَ قِيمَةَ نِعمَةِ الأمْنِ، وليَشْكُرَ اللهَ على نِعمةِ الأمْنِ.

وقوله تعالى:[بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ]؛ يُفِيدُ التَّبْعِيضَ؛ أي ببعضِ الخوفِ، وليسَ كُلُّه، ولو كانَ البَلاءُ بالخوفِ كُلِّهِ؛ لأُصِيبَ الإنسانُ بالشَّلَلِ والعَجْزِ، ولتَعَطَّلَت جَميعُ مَصالحِه الدِّينِيَّةِ، والدنيَوِيَّةِ .. لِذا كانَ مِن فَضْلِ اللهِ تَعَالى ونِعَمِه على عِبادِه أن يَبتَلِيَهم بِبَعضِ الخوفِ الذي يتخلَّله ويُشارِكُه بَعضُ الأمْنِ، ليَقْتَاتُوا بِبَعضِ هذا الأمْنِ، ولتَسْتَمرَّ بهم ـ وبهذا البَعضِ مِن الأمْنِ ـ الحيَاة!

* * * * *

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

54- [وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]البقرة:155. بالظَّفْرِ، والأَجْرِ.

* * * * *

إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون

55- إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .. هُناكَ الموعِدُ، وهناك المُلتَقَى؛ يومَ تَبيَضُّ وجوهٌ، وتَسوَدُّ وجُوهٌ .. يومَ تَتطايرُ القلوبُ مع تَطايرِ الصُّحُف؛ الدَّالّة على فوزِك أو رسُوبِك .. فيُقال لك: [اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً]الإسراء:14. لا يَغيبَنَّ ذلك عن ذِهْنِك يا ابنَ آدَم، وأنتَ مُنغمسٌ في دُنياك، ومتَاعِهَا!

56- [إِنَّا لِلّهِ]؛ وَحْدَهُ، وليسَ لأحَدٍ سِواه، فنَحْنُ عَبِيدُه، ومِن مُلْكِه، وخَلْقِه، والمالِكُ لهُ الحَقُّ في التَّصَرُّف فِيما يَمْلِكُ ويَخْلُقُ ـ ابتلاءً وإنْعَامَاً ـ مِن دُونِ أدْنَى تَعْقِيبٍ أو اعتِرَاضٍ مِن المَمْلُوكِ، [وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ]البقرة:156. للوقُوفِ بين يَدَيه سُبحانَه للحِسَابِ؛ على مَا كانَ مِنَّا مِن عَمَلٍ؛ فمن عَمِلَ خيراً يجد خَيراً، وحُسْنَ مآبٍ، ومَن عَمِلَ شَرّاً يجد شَرَّ مآبٍ، ولا يَلُومَنَّ إلا نفْسَه.

* * * * *

وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

57- [وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً]؛ كلُّ خَيرٍ زائد عنِ الواجِباتِ؛ سَواءٌ كان هذا الخيرُ المتَطوَّعُ به في العِبادَاتِ، أَمْ في الصّدَقَاتِ، أَمْ في المعَامَلاتِ، أَمْ في الخدَمَاتِ، [فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ]؛ يَشْكُرُ هذَا الخَيرِ المتَطوَّعِ به، ويُكَافِئُ عليه العَطاءَ الكثيرِ في الدُّنيَا، والآخِرَةِ، [عَلِيمٌ]البقرة:158. بهذا الخَيرِ الذي تتطوَّعُون به .. فإن لَمْ يعلمُه النَّاسُ، لا تتوقَّفُوا عن التَّطوعِ بالخيرِ .. يكفي أنَّ اللهَ يَعْلَمُه .. وهَذا يَستدعِي من المتَطوِّعين أن يحافِظُوا على صِدْقِ الإخْلاصِ، وسَلامَةِ النيَّةِ.

* * * * *

أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ

58- [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]البقرة:159. هذه الآيةُ الكريمةُ وإن نزلَت في أهلِ الكتابِ الذين يكتمُون حقيقَةَ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم في التَّورَاةِ والإنجيلِ، وأنه نبيٌّ مُرسَلٌ يجبُ الإيمانُ به .. إلا أنَّها أيضاً تَشملُ علماءَ السُّوءِ مِن المسلمين الذين يكتمُون تَأويلَ التَّنزِيلِ، ومعانيَه، وأحكامَه ابتغاءَ عَرَضٍ مِن الدُّنْيَا .. أو تَقَرُّباً إلى طاغِيَةٍ متَسَلِّطٍ .. يكتمُون ـ رَهْبَةً أو رَغبةً ـ ما يجبُ بيانُه، والصَّدْعُ بِه، في زَمَانِه ومكانِه المنَاسِبَين .. أولئك الذين يَقعُون في هذا الوزْرِ العَظِيم،[يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]؛ مِن الملائكةِ، والنَّاسِ، وجميعِ المخلُوقاتِ مِن الدَّوَابِ، والحيواناتِ، والنَّباتاتِ، التي تتأثَّرُ سَلْباً من كتمانِهم لما أنزَلَ اللهُ!

* * * * *

إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ

59- الخَطَأُ الخَاصُّ ـ وهو غَالِباً يكونُ متعلقاً بالشَّهواتِ ـ تُجزئة التوبَةُ الخاصَّةُ، وفي السِّر، بين العَبْدِ وربّهِ .. بينما الخَطَأ العَامُّ، وعلى الملأ ـ وهو غَالِبَاً يكونُ مُتعَلّقاً بالشُّبُهاتِ ـ لا تُجزِئه إلا التوبَةُ العَامّة، وعلى الملأ، كما قال تعالى:[إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]البقرة:160.

60- [إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]البقرة:160. مَن كانَ خطأه عامَّاً ومَعروُضاً على النَّاسِ، ومِن جِهةِ الأهوَاءِ والشُّبُهاتِ .. لا يُؤمَنُ على النَّاسِ الوقُوع في شِباكِه، وشَرِّه .. لتوبتِه ثَلاثَة أركانٍ:

1- النَّدَمُ، والإقْلاعُ عن الذَّنْبِ، والعَزْمُ على عدَمِ العودَةِ إليه .. وهو المرادُ من قولِه تعالى:[تَابُواْ].

2- أن يُصْلحَ ما أفْسَدَ، ومَا تَرتَّبَ على قولِه، وشُبْهتِه مِن ضَرَرٍ وفسَادٍ في دِينِ النَّاسِ، وعقولِهم، ومَعَاشِهم .. وهو المُرادُ مِن قَولِه تَعالى:[وَأَصْلَحُواْ].

3- أن يُبيِّنَ أينَ أخطَأَ، وفِيمَا أخطَأَ، والصَّواب فِيما أخطَأَ فِيه .. وبِقَدْرٍ من التَّفْصِيلِ الذي يُزيلُ به اللبسَ عن النَّاسِ، الذي كان هو سَببُه .. وهو المرادُ مِن قولِه تعالى:[وَبَيَّنُواْ].

[فَأُوْلَئِكَ]، الذينَ تَجتمعُ في تَوبَتِهم الأركانُ الثَّلاثَةِ الآنِفَةِ الذِّكْرِ، [أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ].

أمَّا أنْ يقولَ: أخطَأْتُ .. ثمَّ يمْضِي .. ويَبقَى خطَأه مَنْشُوراً ومَعروُضَاً على النَّاسِ .. ومِن غيرِ إصْلاحٍ، ولا تَحديدٍ، ولا بيَانٍ لِمَا قَد أخْطَأَ فِيه .. فهذه تَوبَةٌ هي أقرَبُ إلى تَوبَةِ الزَّنَادِقَةِ الذين لا يَثْبُتُون على قَرَارٍ!

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ

61- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ]البقرة:161-162. علَّقَ الوعيدَ الشَّديدَ، واللَّعنَ ـ وهو الطردُ مِن رحمةِ الله ـ على الخاتمةِ، والموَافَاةِ على الكُفْرِ .. أمَّا قبلَ الموافَاةِ على الكُفْرِ، لا يجوزُ لعنُهم ـ إلَّا مَن اشتدَّت أذيَّتُه، على تفصيلٍ مَعلُومٍ ـ ولا الحكمُ عليهم بالخلُودِ في النَّارِ، لاحتمَالِ هِدايتِهم، وإيمانِهم.

لَعْنُ مَن يَستحقُّ اللعنَ من الأَحياءِ، دعاءٌ يُفيدُ الطَّلَب، قَد يُستجَابُ، وقد لا يُستَجَاب .. ولَعْنُ مَن يَستحقُّ اللعنَ من الأمواتِ، دعاءٌ يُفيدُ التَّحقِيقَ؛ وأن يَزيدَهم اللهُ تعالى من العَذاب .. والمسلمُ ليسَ بطعَّانٍ ولَا لَعَّانٍ.

* * * * *

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

62- [وَإِلَهُكُمْ]؛ معبودُكم الذي تتألَّهُونَه، وتَعبدُونَه .. ويجبُ أن تَصرفُوا له العبادَةَ وحْدَه، [إِلَهٌ وَاحِدٌ]؛ مَألوهٌ ومَعْبودٌ واحِدٌ لا شريكَ له؛ واحِدٌ في ذاتِه، وواحِدٌ في أسمائِه الحُسْنَى، وصفاتِه العُلْيَا، لا نظيرَ، ولَا مَثيلَ، ولَا شَبيهَ لَه، [لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ]؛ لَا مَألُوهَ ولا مَعبُودَ بحقٍّ في الوجُودِ إلا اللهُ، الذي من أسمائِه الحُسْنَى وصِفَاتِه العُلْيَا، أنَّه [الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ]البقرة:163. بعبَادِه.

* * * * *

وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للهِ

63- [وَمِنَ النَّاسِ]؛ هم المشْرِكُون، [مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً]؛ شُركاءَ؛ يَصرِفُون لهم العِبادَةَ، ويَصِفُونَهم بصفاتٍ هي مِن صِفاتِ وخَصَائِصِ اللهِ تَعالى وحْدَه، مِن ذلك أَنَّهم [يُحِبُّونَهُمْ]؛ يُحِبُّون هؤلاءِ الأندادِ لِذَوَاتِهم؛ فيُحِبُّون ويَبغَضُون، ويُوالُون ويُعَادُون، ويُعطُون ويَمنَعُون فِيهم، ولَهم؛ فَمَن وَالَى هَؤلاءِ الشُّركاءِ والأَنْدَادِ والَوْهُ ووصَلُوه، ومَنْ عَادَاهم عَادَوْهُ وقَطَعُوه، بعيداً عن مِعْيارِ الحقِّ والبَاطلِ، والعَدْلِ والظُّلْمِ، وهذهِ محبَّةُ شِرْكٍ، [كَحُبِّ اللهِ]؛ كما يَنبغي ويجِب أنْ يُحَبَّ اللهُ؛ فهذا الحبُّ الذي يَصرفونَهُ للأَنْدَادِ والشُّركَاءِ، يُصرَفُ للهِ تَعالى وحْدَه؛ فاللهُ تعالى وحْدُهُ هو المألُوه المَحْبُوبُ لِذَاتِه؛ الذي يُحَبُّ ويُبْغَضُ فِيه، ويُوالَى ويُعَادَى فِيه، ولَهُ؛ لأَنَّه هُو هو، ولأَنَّه رَبُّ العالمين، وخَالِقُ الخلْق، ولا يَصدرُ عنه إلا حَقّاً، وعَدْلاً، وما سواهُ يُحَبُّ لهُ وفِيه، [وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للهِ]البقرة:165. أما المؤمنون الموحِّدُون المباينُون للشِّركِ والمشرِكين، ولطريقتهم في المَحَبَّة، هم شَديدو التَّمَسُّكِ بهذا المعنَى التَّوحِيدِي لمحَبَّةِ اللهِ سُبحانه وتعالى .. وما سِواهُم، حتى لو كانُوا يُحِبُّون اللهَ، فإنَّهم يُحِبُّونَ معه أَنْداداً وشُركاءِ، يَصرِفُون لهم من المحبَّةِ مَا يَصرِفُونَه للهِ .. وهذه محبَّةُ شِركٍ، تُردِي صَاحِبَها، واللهُ تَعالى بَريءٌ مِنها؛ لا يَقبَلُها، ولا يَصِلُه مِنها شيءٌ سُبحانه؛ لأنَّ اللهَ تعالى أَغْنَى الشُّركاءِ عن الشِّركِ، لا يَقبلُ عَمَلاً ولا مَحبَّةً أُشْرِكَ فِيها مَعَهُ غَيرُه.

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً

64- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ خطابٌ لكلِّ الناسِ مُؤمنِهم، وكافِرِهم، [كُلُواْ]؛ مِن غيرِ إسْرافٍ، ولا تَبذيرٍ [مِمَّا فِي الأَرْضِ]؛ مِمَّا تُنْتجهُ الأرضُ ـ بإذنِ رَبِّها وخَالِقِها ـ مِن

طعَامٍ، وشَرابٍ، [حَلاَلاً]؛ ممَّا أحَلَّ اللهُ لكم مِن الأطعمَةِ والأشْرِبَةِ، في كُتُبِه المنزَّلةِ، وعلى لسَانِ أنبيائِه ورسُلِه، [طَيِّباً]؛ وهو كلُّ ما أحلَّه اللهُ، فاللهُ تعالى لا يحلُّ إلا الطَّيبَ من الطَّعامِ، ولا يحرِّمُ إلا الخبيثَ، [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ]؛ في تحليلِ ما حرَّمَ اللهُ، وتحريمِ مَا أحَلَّ اللهُ من الأطعِمَةِ والأشربةِ، فتَضُلُّوا .. فليسَ للشيطانِ ولا لأتباعِه الحقّ في أن يُشَرِّعُوا فِيما لا يخلقُون، وأن يَقولُوا لكم هذا حَلالٌ، فأحِلُّوه، وهذا حرامٌ، فحرِّمُوه، [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]البقرة:168. ظاهِرُ العَداوَةِ، لا تخفَى عداوتُه على أحَدٍ، لا يَهديكُم إلا إلى الشَّرِّ، ومَا فيه ضَرَر لكُم .. ومَن كان عَدوًّاً لكم موقِعُه مِنكم أن تُعَادُوه لا أن تُطِيعُوه!

* * * * *

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

65- [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]البقرة:168. قد لا يَستطيعُ الشيطانُ ابتدَاءً أن يَنقلَ المرْءَ إلى الباطِلِ والمُنكَرِ دَفعةً واحِدةً .. فيتَدَرَّجُ معه خُطوَةً خُطوة؛ فيُزَيِّنُ له أوَّلاً التَّوسُّعَ في المُباحِ، باعتِبَارِ أنَّ الأصْلَ فِيه الإبَاحَةُ والحِل .. فإن تابَعَهُ هَوَّنَ عليه الخُطوَةَ التي تَلِيها؛ وهي استِحْسَانُ المكرُوهَاتِ، والمحتَمَلات، واقتِحَامُ المتَشَابِهات، والتَّهوينُ مِن شَأنِها، على اعتِبارِ أنَّها ليسَت حَراماً، قَولاً واحداً .. فإنْ تابَعَهُ سَهُلَ عليه أن يَنقلَهُ إلى الخُطوةِ التَّاليةِ؛ وهي الوقُوع في المحظُورِ والحَرام .. فإنْ تابَعَهُ سَهُلَ عليه أن يَنقلَهُ إلى الخُطوةِ التَّاليةِ والأخِيرَةِ، الأشَدّ خَطَراً؛ وهي استِحْسَانُ المنْكرِ واسْتِحلالُه، واعتِبَارُه حَقّاً ومَعْرُوفاً .. فَما مِن مُنْكَرٍ إلَّا وللشيطانِ فِيه مُقدّماتٍ وخُطواتٍ يُزَيِّنُ فيها المنكرَ، والوقُوعَ في المُنكَرِ .. فمَن تابَعَه في المُقدّماتِ والخُطواتِ، وقَعَ في المنكَرِ

الصَّرِيح .. لِذَا جاءَ النَّهي ابتداءً [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ]. وفي الآيةِ دَليلٌ على قاعِدةِ " سَدِّ الذَّرائِع "، وأنَّ مَا يُؤدِّي إلى مُنكَرٍ فهو مُنْكَر.

66- [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ]؛ ليوقِعَ الشَّيطانُ فَريسَتَه في شِباكِهِ .. ويأتِي به إلى صَفِّه .. يَسْلُكُ خُطواتٍ عديدَةٍ يَستدرجُ بها فريسَتَه .. وليس خُطوة واحدة؛ فيتكشَّفُ حينئذٍ أمرُه .. فيأتيه أولاً مِن جِهةِ التَّوسُع في المبَاحات .. ثم يَنقلُه إلى استِحْسَان المكرُوهَات .. ثمَّ إلى استسَاغَةِ المتشَابهَات؛ على اعتبارِ أنَّها ليسَت حرَاماً قَوْلاً واحداً .. فإن طَابَ المقامُ لفريسَتِه في المتشَابِهات .. سَهُلَ على الشيطانِ حينئذٍ حملَه للوقوعِ في المحظُوراتِ والمحرَّمات!

مِثَالٌ آخَر على خطواتِ الشَّيطان: عِندما يَشغل فَريستَه بالمباحَاتِ، والمندوباتِ على حسابِ الواجِباتِ .. فيقَعُ التَّقصيرُ في الواجِباتِ .. ومعَ الزَّمَنِ والاسترسَالِ، والانشغَالِ بالمباحاتِ والمندُوباتِ .. يتركُ الواجبَاتِ .. ويتحقَّقُ للشيطانِ مُناهُ ومطلَبُه!

مِثالٌ آخَر على خُطواتِ الشَّيطان: أولاً يهوّن الشَّيطانُ على فريستِه ارتكابَ صغَائِرِ الذُّنوبِ؛ على اعتبارِ أنَّها مغفُورَةٌ، وتُكفِّرُها الحسَنَات .. فإن أدْمَنَت فريسَتُه صغائرَ الذُّنُوبِ، واستَطْعَمتها .. نقلَها إلى الخُطوةِ الثَّانية، وهي ارتكابُ كبَائِرِ الذُّنوبِ .. فإن هانت كبَائرُ الذُّنوبِ على فريستِه .. هانَ على الشيطانِ أن يَأخُذَ بيدِ فريسَتِه إلى الخطوةِ الثالثةِ؛ وهي الوقوعُ في الكُفْرِ والشِّركِ .. واستحسَانِ الكُفرِ .. ثم إلى ما هو أغْلَظ مِن ذلك؛ عندما تتحوَّلُ الفريسةُ إلى جندٍ من جنُودِ الشَّيطانِ، وداعيةٍ مِن دُعاته .. وإلى عدوٍّ ظَاهرِ العَدَاوةِ للهِ، ولرسولِه، وللمؤمنين .. فيتحقق للشيطانُ مُناهُ ومطلبُه، ويَفْرحُ بفريستِه فرحَاً شَديداً .. فالصغائرُ ـ مع التّهاون والاسترسَالِ ـ بريدٌ إلى الكبائرِ .. والكبائر ـ مع التَّهاونِ والاسترسالِ ـ بريدٌ إلى الكُفْرِ، والشيطانُ يَعرفُ هذا كُلِّه، [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]البقرة:168. فعدَاوَةُ

الشَّيطانِ لكم ظاهِرةٌ بينةٌ .. لا ينَبغي أن تخفَى عليكم، كما لا ينَبغِي أن تخفَى عليكم وسائِلُه وخُطواتُه .. وهذا يَستدعي التنبُّهَ واليقظَةَ .. كما يَستدْعِي التَّفقُّهَ بخطواتِ الشيطانِ القابلةِ للتَّحدِيثِ، والتَّجْدِيد!

* * * * *

قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا

67- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ]؛ للكفَّارِ، ومِن أيِّ مِلةٍ كانوا، [اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ]؛ على محمدٍ صلى الله عليه وسلم مِن التَّوحيدِ، والتَّحليلِ، والتَّحريمِ، [قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا]؛ الركونُ إلى التقاليدِ ومَا ورثُوه مِن الآباءِ، مِن اعتقاداتٍ، ومفاهيم، وتَصورَاتٍ، وطريقةٍ في العيشِ، والحياةِ .. يتَرَّسُون بإرثِ الآباءِ الجَّاهِلي، ويَردُّون به دعوةَ الحقِّ .. يفعلُ ذلك جميعُ الكافرين، وفي جميعِ الأزمِنَةِ، والأمكنَةِ .. الذين يعيشُون منهم في الكهُوفِ والغاباتِ، والذين يَعيشون مِنهم في المدُنِ، وفي المبانِي الشَّاهِقةِ، في ظلِّ الأنظمةِ التي تدعُو إلى الحداثَةِ، والتَّحررِ، والليبراليَّةِ، والديمقراطيةِ .. كلُّهم يردُّون دَعوةَ الحقِّ بقولِهم: هكذا وجدْنَا آباءنا يفعلُون، فنحنُ على إثرِهم نفعلُ ما فَعلَوا .. كيف نردُّ ونستبدِلُ طريقةَ آبائنا في العيشِ والحياةِ، التي أَلْفَناها دَهْراً، بطريقةٍ لا تخضعُ لبيئتِنَا ولتقاليدِنا، وثَقافتِنَا، ولا لطريقتِنا في العيشِ والحياةِ؟! [أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً]؛ سؤالٌ يفيدُ التوبيخَ والتَّقريعَ، والإنكارَ .. كيفَ يُرَدُّ الحقُّ بمتابعَةِ وتقليدِ آباءٍ جُهَّالٍ لا يَعرفون شيئاً عن الدِّينِ الحقِّ .. وطريقةُ حياتِهم كلها قائمةٌ على اتباعِ الشَّهواتِ والأهواءِ، ومناكفَةِ ومخالفَةِ الحقِّ، [وَلاَ يَهْتَدُونَ]البقرة:170. سَبيلاً لمعرفةِ الدينِ الحقِّ؟!

* * * * *

وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

68- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ]؛ خِطابٌ للمؤمنين؛ لأنَّ ما بَعدَه يَعني ويخصُّ المؤمنِين، [كُلُواْ]؛ مِن غَيرِ إسْرَافٍ، ولا تَبذيرٍ، [مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ]؛ لا يَكْفِي أن تتحرَّى المبَاحَاتِ مِن الطَّعامِ، وإنما يَنبغي أيضاً أن تَتحرَّى الطّيبات مِن الطّعامِ؛ الطيباتُ في الطّعْمِ، وفي المحتوى، والأثَرِ على الصّحّة .. لتضمن ـ بإذنِ الله ـ جَسَداً سَليماً من الأمرَاضِ، قَوِيّاً على أدَاءِ العِبَادَاتِ، وممَارَسَةِ الطَّاعَاتِ، [وَاشْكُرُواْ لِلّهِ]؛ واحمدُوا اللهَ على النِّعَم، وعلى مَا رَزَقَكم مِن الطّيباتِ، وهو كلُّ ما أحلَّ اللهُ لكُم من طعام وشراب، ورُدُّوا الفضلَ إليه وحده فِيما أنتم فِيه مِن نِعَمٍ وخَير، [إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ]البقرة:172. تخصُّونَه بالعِبَادَةِ وحدَه دونَ أحَدٍ سِوَاه.

* * * * *

أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ

69- يكتمون الحقَّ، ويُجَارُون الباطلَ، خوفاً على مستقبلِهم السّياسِي، والمهني، والوظيفِي، أو خَشيةَ أنْ يُصنّفَهم العدو .. وهؤلاء لهم حظٌّ وافِرٌ من قولِه تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]البقرة: 174.

70- [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]البقرة 174. وعيدٌ شَديدٌ مغَلَّظٌ مخيفٌ بحقِّ مَن يتجرأُ على كتْمَانِ ما أنزلَ اللهُ من الآياتِ في كتابِه العَزيز .. ويَقتَاتُ بهذا الكتْمَان، ويَعْتَاشُ عليه .. والكتمانُ بصورتِه القديمةِ الذي أصابَ التوراةَ والإنجيلَ .. لم يعد موجُوداً، ولا ممْكناً بحقِّ القرآنِ الكريمِ؛

لأنَّ اللهَ تعالى تكفَّلَ بحفظِه، ولم يترُكْ حِفظَهُ لعِبادِه .. ولمَّا علم المنافِقُون ومَرْضَى القلوبِ ذلك تَرَكُوا التنزيلَ؛ لعلمِهِم أن لا سُلطانَ لهم على تحريفِهِ وكتمانِه .. وانصرَفُوا إلى تأويلِه .. فحرَّفُوا وكتَمُوا في تأويلِه .. فكتمُوا مِن معانِيه ما يجبُ أن يظهرَ .. وفي الزَّمانِ والمكانِ الذي يجبُ أن يظهَرَ .. وأظهَرُوا من المعَانِي والأقوالِ ما لا يحتمِلُه النَّصُّ المنزَّلُ .. فأدخَلُوا فيهِ من المعَانِي والتأويلاتِ ما ليسَ مِنه، وممَّا هو مِنه براء .. اتّباعاً للهَوَى .. وابتغاءَ مَرضَاةِ الناسِ .. وانتصَاراً للباطِلِ .. مُقَابل عَرَضٍ من الدُّنيا .. أو فُتَاتٍ ـ أو راتب شهريٍّ ـ يَرميه إليهم الطُّغاةُ الظَّالمُون .. فهؤلاءِ بنصِّ الكتابِ:[أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]. [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]البقرة:159.

* * * * *

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

71- في القِصَاصِ الشَّرعي يموتُ القليل؛ ليحيى الكَثير، ويُستأصَل الجزءُ؛ ليبقى الكُلُّ، وهو من هذا الوجه حياةٌ آمنة وعظيمةٌ لو كانوا يَعلمُون، كما قال تعالى:[وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]البقرة:179. وهو حياةٌ مِن جِهةِ كونِه قُوَّةً رَادِعَةً؛ تَرْدَعُ المجرِمَ مِن مجرَّدِ التَّفكيرِ بالجرِيمَةِ؛ لعِلْمِه أنَّه سيُؤخَذ بجريمتِه، وسيُقَامُ عليه القِصَاص والحَدُّ الشَّرْعِي .. فيُكْتَب له، ولمن كانَ سيعتَدِي عليهم الحيَاة!

* * * * *

وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

72- [وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:184. خَيْرٌ لكُم في الدُّنْيَا؛ لِعَظِيمِ الفَائِدةِ التي تَرْتَدُّ على صَحَّةِ الصَّائِمِ، وخَيرٌ لَكُم في الآخِرَةِ؛ لِعَظِيمِ الأَجْرِ الذي يُعطَاه الصَّائِم.

* * * * *

هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ

73- قوله تعالى: [هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ]البقرة:187. يُفيد معانٍ عدة:

منها: شدة العلاقة، والتداخل، والتقارب بين الزوجين، فكما أن اللباس أقرب وألصق شيء بصاحبه، كذلك أحد الزوجين بالنسبة للآخر.

ومنها: حاجة أحدهما للآخر، فكما أن الإنسان يحتاج إلى اللباس، لا غِنى له عنه، كذلك حاجة أحد الزوجين للآخر.

ومنها: السِّتر، فكما أن اللباس ستر يستر عورات صاحبه، كذلك الزّوجين، فكل منها ستر للآخر، يستر عورات صاحبه، لا يجوز لأحدهما أن يُظهر ما حقه السّتر من عورات الآخر، وبخاصة بعد أن يفضي بعضهما إلى بعض.

ومنها: الزِّينة، فكما أن اللباس زينة لصاحبه يتزين به للرائين، كذلك الزوجين، فكل منها ينبغي أن يتزين للآخر باللباس، وبكل ما هو جميل، مما يُدخل السرور على قلبيهما معاً.

* * * * *

وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

74- [وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ]؛ بالحرَامِ؛ كالرِّبا، والسَّرقةِ، والغشِّ، والرَّشْوةِ، وبيعِ الخُمُورِ والمخدَّراتِ، وغيرها مِن المعامَلاتِ والوسائلِ المحرَّمَةِ .. فالمالُ؛ هو

مالُ اللهِ، وأنتَ مستأمَنٌ ومستخلَفٌ عليه، ومَسؤولٌ عنه؛ فيمَ اكتسبتَه، وفيمَ أنفقتَه؟ [وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ]؛ ولَا أن تُقدِّموا الأموالَ رَشْوة للحكامِ ـ ولو كان بصورةِ إهداءٍ! ـ ليحكمُوا لكُم ظُلماً وعدواناً فِيما لا تَستحقونَه، [لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ]؛ بالحرامِ .. وهؤلاء الناس يُعتدَى على أموالهم وحقّهم إمَّا لضعفِهم، وفَقْدِهم الإمكانيات والقُدْرَة على مواجهَةِ قوَّةِ الفَريقِ المقابلِ؛ الرَّاشي والحَاكم المرتَشِي، وإمَّا لأنَّ أخلاقَهم تأبى عليهم أن يرشُوا الحكَّامَ كما فعلَ الفريقُ المقَابِلُ لهم، وبما يَزيدُ عنهم .. لأن الحاكمَ الذي يقبلُ الرشوةَ، ويَرتضي لنفْسِه أن يُرتَشَى؛ غالباً حُكمه يُدورُ مع مَن يزيدُه في الرَّشوةِ والعطَاءِ، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:188. أنَّ هذه الأموال التي اقتَطعَها لكم الحكّامُ المرتَشُون مِن أموالِ الناسِ، هي حرَامٌ، وظلمٌ، وعُدوانٌ، مَا كنتم ستأخذُونَها، وتأكلونَها، لولا أنكم رشوتم الحكامَ ببعضِ المالِ، فحكموا لكم ظُلماً بما تريدُون، وبما هو ليسَ لكُم!

* * * * *

وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ

75- [وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ]البقرة:190. وحَتَّى يكونَ القِتالُ قِتَالاً في سَبيلِ اللهِ، يجب أن يتحقَّقَ فيه شَرطان: أولهمَا أن يكونَ القِتالُ خالِصَاً لوجهِ اللهِ تعالى، لا يُبْتَغَى مِنه سُمعة ولَا رِياء .. وأن يكونَ القِتالُ والمُقاتَلُ دُوْنَه مَشْروعاً ومَأذُوناً بهِ مِن اللهِ تعالى .. والقِتَالُ دُونَ الحقُوقِ والحرُمَاتِ أحياناً يَتعيَّنُ ويجب، ومَأذُونٌ بهِ مِن الله .. ولا يُقالُ حِينئذٍ نُقاتِلُ في سَبيلِ الحقُوقِ والحرُمَاتِ .. وإنما يُقال: نُقاتِلُ دُونَ الحقُوقِ والحرُمَاتِ؛ أي نُدَافِعُ ونَذُودُ عَنها، في سَبيلِ اللهِ .. كما جاءَ في الحديثِ:" مَن قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهو شَهِيدٌ " متفق عليه. وفي رواية:" مَن قُتِلَ دُونَ مالِه مظلومًا فله الجنَّةُ ". وفي رواية:" مَن قُتِل دُونَ أهلِه فهو شَهيدٌ، ومن قُتِلَ دُونَ دينه فهو شَهيدٌ، ومن قُتل دُونَ دَمِه فهو

شهيدٌ ". فتأمَّل قولَه:" دُونَ .. دُونَ "؛ أي دِفَاعاً وذَوْداً .. ولم يقُلْ في سَبيلِ مالِه .. وهذا مَعنَى دَقِيقٌ له عَلاقَةٌ بالتَّوحِيدِ قَلَّ مَن يَتَنَبَّه لَه.

* * * * *

وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ

76- [وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ]البقرة:195. كُلُّ ما خَالفَ أمْرَ اللهِ، وأمْرَ رسولِه صلى الله عليه وسلم، فمآلُه إلى التَّهْلُكَةِ.

77- [وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ]البقرة:195.[التَّهْلُكَةِ]؛ هي تركُ الأمر، وفعل المنهي عنه؛ فالله تعالى أمر بالصلاة، والزكاة، والجهاد، والإعداد، والأخذ بأسباب القوة، والعدل، والإحسان، والرفق، والإنفاقِ في سبيل الله، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر .. فمن ترك شيئاً من ذلك يستطيعه، فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة.

ونهى عن الفواحش والمنكرات، والشح، والظلم، والبغي، والغلو، والتشدد، والانتحار، وتعريض النفس للفتن من غير طائل، كما نهى عن استشراف مواطن البلاء من غير فائدة أو مصلحة راجحة .. فمن فعل شيئاً من ذلك فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة، وحُملت عليه الآية الكريمة؛ فالآية يُستدل بها على المعنيين معَاً؛ ترك الأمر، وفعل المنهي عنه، فكلاهما تهلكة، ومن التهلكة، ويؤديان إلى التّهلكة.

* * * * *

وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

78- [إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]البقرة :195. الإِحْسَانُ؛ هو الفَضْلُ؛ وهو كُلُّ ما زَادَ عن الحَقِّ، والوَاجِبِ، والعَدْل!

79- انظُرُوا ماذا يَقُولُ الرَّبُّ سُبحَانَه وتعالى في الإحْسَانِ والمُحْسِنِين:[وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]البقرة:195. [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]آل عمران:134. [وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ]البقرة:58. [جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ]المائدة:85. [إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ]الأعراف:56. [مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ]التوبة:91. [إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ]التوبة:120. [وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ]الحج:37. [وَإِنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ]العنكبوت:69. أليسَ هَذا كَافٍ لِأَن نكُونَ مِن المُحْسِنِين ...؟!!

* * * * *

وَتَزَوَّدُواْ

80- [وَتَزَوَّدُواْ] ؛ زَادَ الدُّنْيَا للدُّنْيَا .. وزَادُ التَّقْوَى خَيرٌ، [فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى] البقرة:197. وخَيريَّةُ زَادِ التَّقوى تَشملُ الدُّنيا والآخِرَة.

يُوشِكُ أن تُغَادَى ... وما اتَّخَذْتَ زَادَا

* * * * *

وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ

81- [فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ]البقرة:200. كثيرٌ هم الذين يجعلونَ همَّهم الأكبَر والأسَاس دُنيَاهم، ويَصرفُون أدعيتَهم لما فيه صالِح دُنياهم، ومعَاشِهم، دونَ آخرَتِهم، وليس لهم في الآخرَةِ من نَصيبٍ .. فيُكثرون مِن الدُّعاء: اللهمَّ ارزقني .. ووسِّعْ عليَّ في الرزقِ .. اللهم وفقني في دِراسَتِي وعمَلِي .. وتجارَتِي .. اللهمَّ أسعدِني في دُنيَاي .. واعطِني وزِدْني .. وغيرُها من الأدْعيَةِ ذَاتِ الصِّلةِ بدُنيَاه .. جيد يا عبدَ الله .. هَلَّا جعَلتَ جزءاً مِن اهتماماتِك، وأدعيتِك

لآخِرتِك، وسألتَ اللهَ العفوَ والعافيةَ، وأن يُصلحَ آخِرَتك كما يُصلح دُنياكَ .. وأن يؤتيك اللهُ في الدُّنيا حسَنةً، وفي الآخرَةِ حَسَنَة؟!

* * * * *

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

82- [وِمِنْهُم]؛ وهو الفريقُ المحمودُ مِن الناسِ، [مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً]؛ وهي الزَّوجَةُ الصَّالحةُ للزوجِ الصَّالح، والزوجُ الصَّالح للزوجةِ الصالحةِ، [وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً]؛ وهي نعيمُ الجنَّةِ، [وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]البقرة:201. جنِّبنَا عذابَ النَّارِ، وأبعدْنا عنها.

* * * * *

أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ

83- [وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ]؛ أمْسِكْ عن الذَّنبِ خَوفاً من اللهِ، [أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ]؛ اشتَطَّ غَضَباً، وتمادَى في غَيِّهِ وذَنبِه .. وتَعَالى على الأمْرِ، والآمِرِ .. وعَدَّ ذلك تَدَخُّلاً في خصُوصيَّاته، وتَعَدِّياً على حقُوقِه الفَرديَّة، [فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ]البقرة:206. فهذا تكفِيه جهنَّمُ عقُوبَةً له!

* * * * *

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ

84- [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ]؛ هم الذينَ يَبذلُون أنفُسَهم، وأعزَّ ما يملِكُون في سبيلِ اللهِ، وفي طاعةِ اللهِ .. فإذا حصَلَ الاختيَارُ بين الدُّنيا وزينَتِها وبينَ مَرضَاةِ اللهِ، اختارُوا اللهَ، وآثَروا طاعَتَه ورِضَاه .. وعلى رأسِ هذه الشريحةِ من المؤمنين؛ الشهدَاءُ الذين يَبذلُون أنفُسَهم ـ أعزّ ما يملكُون ـ في سبيلِ الله، [ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ]؛

ما حملَهم على البذْلِ، والتضْحيةِ مَغْنَمٌ أو غرَضٌ من أغرَاضِ الدنيَا .. وإنما الذي حملَهم على البذْلِ، والتضحيةِ شيءٌ واحِدٌ؛ طلَبُ مَرْضَاةِ اللهِ تعالى، ولا شيءَ غيرَ مرضَاةِ اللهِ، [وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ]البقرة:207. إذْ هدَاهُم لما يحبُّه ويَرضَاه .. ووفَّقَهم إلى ما يحبُّه ويرضَاه .. وأعانَهم على ما يحبُّه ويَرضَاه.

* * * * *

وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

85- [وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ]؛ مَن يُبَدِّل مِن إسْلامِي ـ وبَعْدَ أنْ هَدَاه اللهُ إلى الإسلامِ، وبَيَّن له الآيات العَظِيمَةِ الدَّالَّةِ على عَظَمَةِ الإسلامِ ـ إلى قَوْمِي .. أو إلى عِلمَانِي .. أو حَدَاثِيٍّ لِيبرَالِيٍّ، [فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ]البقرة:211. وكان من أدعية النبي صلى الله عليه وسلم، التي عَلَّمَنا إيَّاهَا:" اللهمَّ إني أعوذُ بِكَ من الْحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ "مسلم. أي مِنَ النُّقْصَانِ بعدَ الزِّيَادَةِ، ومِن الضَّلالِ بعدَ الهُدَى، ومِن النُّكُوسِ والرجوع بعد التَّقدُّم والإقْدَام، أو أن أسْتَبدِلَ الذي هو أدْنَى بالذي هو خَير!

* * * * *

فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ

86- [فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ]البقرة:213. هدَاهُم اللهُ تعالى بعلمِه ومَشيئتِه إلى التَّوحيدِ عِندَ فشُو الشِّركِ .. وهَداهُم إلى السُّنَّةِ عِندَ فُشُو البِدَعِ، والأهْواءِ.

87- [فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ]البقرة:213. ليسَ كلُّ اختِلافٍ مُسْتَساغاً .. وليسَ كُلُّ اختِلافٍ مُسْتَسَاغٍ يَعني أنَّ الحقَّ فِيما اختُلِفَ فِيهِ

مُتَعدِّدٌ، عَدَدَ المختلفين فِيه .. فأيُّما اختِلاف ـ عَدَا اخْتِلافِ التَّنوّع ـ مهمَا كانَ مُسْتَسَاغاً فالحقُّ فيهِ واحِدٌ لا يَتَعَدَّد.

المجتهدُ الذي يختَارُ الخَطَأ، والمرجُوحَ، والضَّعيفَ فِيمَا اختُلِفَ فيه .. له أجرٌ على اجتهادِهِ .. لكن لا يجوزُ تَصويبُ وتَرجيحُ اجتهادِه الخَاطِئ، والضَّعيفِ، والمرجُوح لكونِه مجتهِداً .. فضْلاً عن تَقليدِه ومُتابَعتِه فِيمَا أخْطَأَ فيهِ اجْتِهادَاً.

* * * * *

وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ

88- [وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً]؛ في حَاضِرِكُم، مِمَّا لا تَميلُ إليه نفوسُكُم، ولا تَرغَبُه، [وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ]؛ في دِينِكم ودُنْيَاكُم، باعتِبَارِ المآلِ، وأنتم لا تَعلمُون، [وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً]؛ في حاضِرِكُم، ممَّا تَميلُ إليه نفُوسُكُم وتَرْغَبُه، [وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ]؛ في دِينِكُم ودُنْياكُم، باعتِبَارِ المآلِ، وأنتم لا تَعْلَمُون، [وَاللهُ يَعْلَمُ]؛ الغَيْبَ، وكُلَّ ما خَفِيَ عن الأَعْيُنِ، ويَعْلَمُ ما يَنفعُ النَّاسَ وما يَضرُّهُم، وهو وَحْدُه القَادِرُ على أنْ يَجْلِبَ لهم مَا يَنفَعهم، ويَدْفَعَ عنهم ما يَضُرهم، [وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]البقرة:216. لاَ تَعْلَمُونَ الغَيبَ، ولا تَعْلمونَ أينَ يَكْمُنُ الخيرُ، وأينَ يَكْمنُ الشَّرُّ .. فقد تَميلُون إلى شَيءٍ، ويكونُ عليكم شَرّاً، وقد تَكرهُون شَيئاً، ويكونُ لكم خَيراً .. ومَن لا يَعْلَمُ جَديرٌ به أن يَرضَى ويُسَلِّمَ بِحِكْمَةِ وحُكْمِ وخِيْرَةِ مَن يَعْلَمُ .. ويتوكَّلُ على العَلِيمِ القَدِير.

89- [وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً]؛ مِن جِهَةِ الهَوَى، [وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ]؛ مِن جِهَةِ العَقْلِ، والمآلِ، [وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً]؛ مِن جِهَةِ الهَوَى، [وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ]البقرة:216. مِن جِهَةِ العَقْلِ، والمآلِ.

* * * * *

وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ

90- الكافرُ يُكذّبُ القرآن بلسانه، ويُصدّقه بأفعالِه ومواقفِه، فقال تعالى عن الكافرين:[وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ]البقرة:217. وقال تعالى:[وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ] البقرة:120. وقال تعالى:[وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء]النساء:89. وقال تعالى:[إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا]آل عمران:120. وهكذا تجد الكافرين في أفعالهم، ومواقفِهم، وواقعِهم، لا يَتَخَلّفُ لهم وصفٌ عمّا وردَ في كِتابِ اللهِ تعالى .. وهم بذلك ـ أرادُوا أم لم يُريدوا ـ يَشْهدُون أنَّ القُرآنَ حقٌّ.

91- [وَلاَ يَزَالُونَ]؛ تُفيدُ الاستمرَارَ على مَدارِ الوقتِ مِن غيرِ توقُّفٍ، [يُقَاتِلُونَكُمْ]؛ على جميعِ الجبهاتِ والمستَوَيات: العَسْكَريَّةُ، والاقتصاديَّةُ، والإعلاميَّةُ، والثَّقافيَّةُ، والأخلاقِيَّةُ .. مَا غرَضُهم مِن هذا القِتالِ، ومِن هذا الضَّغْطِ، وماذا يُريدُون؟ [حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ]؛ يَردُّوكم عن الإسلامِ إلى الكُفْرِ .. أيّاً كانَ هذا الكُفر، وكانت صِفَتُه، وكان اسمُه .. المهم أن تَتْركُوا دِينَكم الإسلام، وتَخرجُوا من دائرةِ الإيمانِ إلى دائِرَةِ الكفْرِ والإلحادِ .. هذا هدَفُهم الأكبَر، والنِّهائي .. وإن جَعلُوا بين يَدَي هذا الهدَفِ أهدَافاً صوريةً أخرَى، اقتصاديَّة، وسياسِيَّة، وغيرها ليغطُّوا على حقيقَةِ هدَفِهم الأكبر، [إِنِ اسْتَطَاعُواْ]؛ وهم لا يَتردَّدُون أن يَصرفُوا جلَّ طاقَتِهم وقُدْرَتِهم، وما يملِكُون في سَبيلِ هذه المعركةِ .. وهو ما يَستَدعِي مِن المؤمنين مَزيداً من الحذَرِ، والانتباهِ، والوَعي، والإعدَادِ لمواجهةِ هذا العُدْوَان السَّافِر والمستمِر، [وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ]؛ فيطاوعُهم إلى ما أرادُوا .. ويَرتَدَّ عن دينِه الإسلام، إلى الكُفْرِ، وهو كُلُّ دِينٍ ومِلَّةٍ غير ملَّةِ ودِينِ الإسلام، [فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ]؛ لأن الوعيدَ مُعلَّقٌ بالموافَاةِ على الكُفرِ، أمَّا مَن

تابَ مِن كُفْرِه قَبل موته، فالتوبةُ تجبُّ ما قَبْلَها، والوعيدُ لا يطالُه، [فَأُوْلَئِكَ]؛ الذين يموتُون على الكُفْرِ والارتدَادِ عن الدينِ الحَقّ،[حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ]؛ بطُلَت حسَناتُهم التي فعلُوها قبلَ وقوعِهم في الكُفْرِ والرِّدةِ، [فِي الدُّنْيَا]؛ فلم تعُدْ تعصمُهم من القصَاصِ، والمحاسَبَةِ، والمساءلةِ، [وَالآخِرَةِ]؛ لهم عذابٌ أليمٌ، [وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:217. خالدون في النَّارِ لكُفْرِهِم ومَوتِهم على الكُفْرِ؛ إذْ لا يُخلدُ في النَّارِ إلا مَن يموتُ على الكُفْرِ.

* * * * *

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ

92- [إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ]البقرة:222. هم الذينَ تتَكَرَّرُ منهم الذُّنُوبُ، وتتكرَّرُ منهم التَّوبَةُ .. وهو مَا يُفهَم مِن صِيغةِ المبَالَغَة [التَّوَّابِينَ]. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:" خِيَارُكُم كُلّ مُذْنِبٍ تَوَّاب ".

* * * * *

وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

93- [وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ]البقرة:225. مِن أسماءِ اللهِ تعالى الحُسْنَى " الحَلِيم "؛ ومِن دَلَالَاتِ ومُقتضياتِ هَذا الاسمِ العَظِيم، أنَّه تعالى لَا يَسْتَعْجِلُ عقوبَةَ المذْنبين مِن عِبَادِه .. يُمْهِلُ، ولَا يُهْمِل .. يُمْلِي ويَسْتَدْرِجُ .. يُعْطِيهم فُرصةً للتوبَةِ مَرَّاتٍ، وَمَرَّاتٍ .. ثم إذَا أَخَذَ فَأَخْذُه أَلِيم .. يَأْخُذُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِر!

* * * * *

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

94- [وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء]؛ الطَّلاقُ للرجالِ، والخُلع للنساءِ، [فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ]؛ أجَل الطلاقِ، وقارَبت عِدَةُ الطَّلاقِ على الانتهاءِ؛ وهي ثَلاثةُ قُرُوء، أو ثَلاثَةُ أَشْهرٍ لمن يئِسْنَ مِن المحيضِ، [فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ]؛ فأعيدُوهُن إلى ذِمَّتِكم، مِن غيرِ ضَررٍ، ولا أذَى، وعلى نيةِ إصلاحِ مَا فَسَد، [أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ]؛ أو فارقُوهُنَّ بإحسانٍ، مِن غَيرِ ضَررٍ، وَلَا أذَى .. فالرجلُ بين هذين الخيارَين؛ لا ثالِثَ لهمَا: إمَّا الإمسَاكُ بمعرُوفٍ، أو التَّسريحُ والفراقُ بمعرُوفٍ، [وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً]؛ ولا تُرجعوهُنَّ إلى ذمَّتكم، وإلى بيتِ الزوجيّةِ، على نيةِ الأذَى والإضْرَارِ، [لِّتَعْتَدُواْ]؛ عليهنَّ بأنواعٍ مِن الأذَى، والضَّرَرِ، والهجْرِ، والتَّعنيفِ، حتى تضطروهُنَّ لأن يتنازَلْنَ عن حقُوقِهنَّ، وعن المهرِ، ويفدِينَ أنفسَهنَّ، ويَطلبْنَ الخلُع، [وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ]البقرة:231. فقد تعرَّضَ لغضبِ اللهِ تعالى وعذابِه .. وهو بظلمِهِ لزوجتِه يُسيء لنفْسِه قبل أن يُسيءَ لها .. وظلمهُ لها يَرتَدُّ عليه وعلى عَيشِه وحياتِه في دُنيَاه .. قبلَ آخِرتِه .. ويجعلُ للمحاكِمِ الشرعيةِ سُلطاناً عليه؛ يأخذُون على يدَيه، ويمنعونَه ـ وأمثالَه ـ عن هذا الظُّلمِ؛ الذي أصبحَ ظاهرةً متفشيةً عند كثيرٍ مِن رجَالاتِ هَذا العَصْرِ، وللأسف .. وقد أُثِرَ عن بعضِ السَّلفِ، قوله:" لَا يكبرن عليك ظلمُ مَن ظَلمَك؛ فإنَّه يَسعَى إلى مضَرَّتِه، ويَنفَعُك "!

* * * * *

وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

95- [وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ]البقرة:237. لأنَّهُ يُوجَدُ ـ على مَدَارِ الأزْمَانِ ـ مَن يَنْسَى الفَضْلَ، ولأنَّ صِفَةَ نسيَانِ الفَضْلِ غَائِرَةٌ في النُّفُوسِ، جَاءَ هَذا التَّذْكِيرُ الرَّبَّانِي! لا يُوجَدُ في القُرآنِ أو السُّنَّةِ نَهْيٌ مُجرَّدٌ؛ مِن دُونِ أن يُوجَدَ مُقْتَضَاهُ في الواقعِ.

* * * * *

وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ

96- [وَقُومُواْ]؛ في صلاتِكم، [لِلّهِ قَانِتِينَ]البقرة:238. خَاشِعين، ساكنِين، خاضِعين، نتدبَّرون التلاوةَ، والأدْعيةَ، والأذكارَ، وتَستَشعرون عظمةَ الموقفِ وأنتم واقفين بينَ يدَي اللهِ سُبحانه، تناجُونَه .. فَلا تَناجُوه باللسانِ، بينمَا في قلُوبِكم تَنصرفُون عنه إلى مشَاغِل الدُّنيا وعَوَالقِها .. فاللهُ تعالى ينظرُ إلى قلوبِكم .. ويَصلُه مِن صَلاتِكم الإخلاصُ، والخشُوعُ، والتدبرُ، ومَا عقلتم مِنها .. وليس للمرءِ مِن صَلاتِه إلا ما عَقِلَ مِنها.

* * * * *

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ

97- [وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ]البقرة:254. مِن جهاتٍ ثَلاثٍ: مِن جهةِ ظُلْمِهم لحقِّ اللهِ عليهم؛ فجَحَدُوا أمْرَه، وعبَدُوا غيرَه .. ومِن جهةِ ظُلمهم لأنْفُسِهم؛ فالنَّفْسُ لا تَتَأذَّى ولا تَتضرَّر بشيءٍ كما عِندما تحملها على الكُفرِ والشِّركِ .. ومن جهةِ ظُلْمِهم لغيرِهم؛ فالكافِرُ لا يَرضَى، ولا تَهدأ نفْسُه حتى يحملَ غيرَهُ على ما هو عليه من الكُفْرِ والشِّركِ، ويتَّبعُوا ملَّتَه!

* * * * *

لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

98- [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]البقرة:256. لا إكْرَاهَ الكافِر على الإيمانِ، ولا إكرَاهَ المسلم على اخْتِيَارٍ فِقْهِي يحتَمِلُ الخَطَأ والصَّواب، يَحتَمِلُ أن يكونَ رَاجِحاً أو مَرجُوحاً، أو أن يكونَ من قَبِيلِ خِلافِ التنوُّعِ؛ يجوزُ ويجوزُ غيره.

99- [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]البقرة:256. يُرادُ به معنيان: لا إكراه لغيرِ المسلمِ على أن يكون مسلماً. والثاني: خاصٌّ بالمسلمين، فلا يُكرَه مسلمٌ على اختيارٍ فقهي محدّد من جملة الخيارات المسْتسَاغة والمعتبرَة.

فإن قيل: لماذا ...؟

أقول: لأنّ مِن مُقتضيات أسماءِ الله الحسنى، وصفاتِه العُليا أن لا يقبَل من العبادة إلا ما كان على وجهِ المحبّةِ، والرّضا، والاقتناع، وأيما عِبادة لا تَصدرُ عن محبّةٍ ورضا، واقتناع لا يريدُها اللهُ تعالى، ولا يقبلُها .. فاللهُ تعالى يُحِبُّ ويُريدُ مِن عِبادِه أن يَعْبدُوه اخْتِيَارَاً، لا كَرْهاً .. ويُقال أيضاً: لأنّ الإكراهَ يولّدُ النّفاق، واللهُ تعالى لا يُحبُّ المنافقِين، ولا عِبادَةَ المنافقِين.

* * * * *

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ

100- [فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ]البقرة:256. الكُفْرُ بالطَّاغُوتِ مُقَدَّمٌ على الإيمانِ باللهِ؛ لأنَّه لو وافَقَ الإيمانُ باللهِ إيماناً بالطَّاغُوتِ، لا يَنفَعُ صَاحِبَهُ شَيئاً .. لا يجتمع إيمان بالله وإيمان بالطاغوت أبداً؛ لذا كان لزاماً إخراجُ الإيمان بالطاغوت من القلب أولاً؛ ليحل محله الإيمان بالله .. فَمَن فعَل ذلك يكونُ حَقَّاً وحَصْراً قد استمسَكَ بالعُروةِ الوثْقَى، التي لا انفصامَ لها، والتي هي شَهادَة التَّوحيدِ أن " لا إله إلا الله ".

101- [فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ]؛ بالاعْتِقَادِ، والقَوْلِ، والعَمَلِ، [وَيُؤْمِن بِاللهِ]؛ بالاعْتِقَادِ، والقَوْلِ، والعَمَلِ، [فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ]البقرة:256. بلا إله إلَّا الله

.. وقُدِّم الكُفْرُ بالطَّاغُوتِ على الإيمانِ باللهِ؛ لأنَّ الإيمانَ لا يجتمعُ ولا يَصَحُّ مَعَ الكُفْرِ، ولا يُقبَلُ قَبْلَ أن يَتَقَدَّمَهُ الكُفْرُ والبَرَاءُ مِن الطَّاغُوت، ومِن عِبادَتِه.

102- [فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ]؛ التَّخْلِيَةُ عنِ الشِّرْكِ، قَبْلَ التَّحْلِيَةِ بالإيمَانِ .. ومَن أتَى بالتَّخْلِيَةِ قبلَ التَّحْلِيَةِ، [فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]البقرة:256. فقَد استمسَكَ بشَهادَةِ التَّوحِيد " لا إله إلا الله ". وفي الحديث، قال رجلٌ يا رسولَ الله: وما آياتُ الإسْلامِ؟ قالَ:" أن تقولَ أسلَمتُ وجهي إلى اللهِ عزَّ وجلَّ وتخَلَّيتُ .."؛ أي وتَبَرَّأتُ مِن الشِّرْكِ والمشْرِكين، ومِن كُلِّ عَادَةٍ جاهِليَّةٍ تخَالِفُ تَعَاليمَ الإسْلَامِ.

* * * * *

يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

103- البَاطِلُ ظُلُمات متعَدِّدةٍ، لتَعدّدِ الآلهة المزعومةِ والأهواءِ والمشَارِب، والمسَالك، بعضُها يَعلُو بَعض، وبعضُها أغلَظُ من بَعضٍ: ظُلْمَةُ الكفرِ والشِّركِ، وظُلمةُ الإلحَادِ، وظُلمةُ الظُّلْمِ، وظُلمةُ الجَّهلِ، وظُلمةُ البِدَعِ والأهواءِ، وظُلمةُ الشّكِّ والضَّياعِ، وظُلمةُ الفُسُوقِ والعِصْيان، لِذا جاء التعبيرُ عنها في القرآنِ الكريم بصيغةِ الجَّمعِ [الظُّلُمَات] ، بينما نورُ الحقِّ واحدٌ لا يَتَعدَّد؛ فمنهجُه واحدٌ، وصِراطُه واحدٌ، وهو صادرٌ عن واحدٍ أحَدٍ، عن عَليمٍ قَدير، لا يَقبلُ الشَّريك في مُلْكِه، ولا في حُكْمِه، وشَرْعِه، ولا في شيءٍ من خَصَائِصِه، لذا جاءَ التعبيرُ عنه في القُرآنِ الكريم بصيغةِ المفرَد [النُّور] ، وهو يستهدفُ بنورِه جميعَ الظُّلماتِ، كما قال تعالى:[اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ]البقرة:257. [رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ] الطلاق:11. [أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ]الرعد:16.

104- [اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ]؛ ظُلمات الشِّركِ، والمعَاصِي [إِلَى النُّورِ]؛ نُور الإيمانِ والتَّوحيدِ، والطَّاعَةِ، [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ] ؛ نور الإيمانِ والطَّاعَة [إِلَى الظُّلُمَاتِ]؛ ظُلمات الشِّركِ والعصْيَان، [أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:157.

والذين يُخرجُونَهُم مِن نُورِ الإيمانِ إلى ظُلماتِ الشِّرْكِ، أربعةُ أصنَاف:

1- فريقٌ يُولدُون على الفِطْرةِ والملَّةِ والتَّوحِيدِ، فيحملُونَهم على الشِّركِ والتَّنْدِيد.

2- وفريقٌ قد آمَنَ وتابَع، ثم يَفتنونَهُم عن دِينِهم بعدَ إيمانِهم، ويُغرُونَهُم بالارتِدادِ عن الإيمانِ والتَّوحيد، والدخول في ظُلماتِ الكُفرِ والشِّركِ.

3- وفريقٌ مِن أهلِ الكِتَابِ قد آمَنَ بالنبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم قبل بعثتِه، وتعاهَدُوا على مُتابَعتِه، ونُصرتِه، فلما بُعِثَ حملهم الطواغِيتُ على الكُفرِ به.

4- وفريقٌ كلما اقتربَ من الإيمانِ والحَقِّ، أو حَاوَلَ، يَصدونَهم عن الإيمانِ، بالتَّرغيبِ تَارةً، وبالتَّرهيبِ والإغْوَاءِ تَارَةً أُخْرَى .. فيكُونُ صَدُّهم وإبعادُهُم عن الإيمانِ بمثَابَةِ إخْراجِهم مِن نُورِ الإيمان!

105- [اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ]؛ مِنَ الشِّرْكِ إلى التَّوحِيدِ، [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ]البقرة:257. مِنَ التَّوحِيدِ إلى الشِّرْكِ.

* * * * *

مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ

106- [مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ]؛ في طاعةِ اللهِ ومرضاتِه، فكلُّ نفقةٍ تُبذَلُ في طاعةِ اللهِ، يُبتغَى بها وجهُ اللهِ؛ فهي في سَبيلِ اللهِ .. وهذا مثَله مِن

حيث الأجْرِ،[كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ]؛ فيُعطى على الحسنَةِ الواحِدَةِ سبعمائة حسَنَةٍ .. إنَّه ترغيبٌ وتشويقٌ لمن يمسكُ يدَه عن النَّفقةِ في سبيلِ اللهِ أن يُرخِي يدَه قَليلاً، ليتمتعَ بهذا الخيرِ المضاعَفِ، والذي سيلقَاهُ أمَامَه .. إنها تجارَةٌ رابحةٌ مضمونَةُ الرِّبحِ، لا خسَارَةَ فِيها، فعلامَ الإمسَاك، والتَّردُّد، والتَّجبُّن؟! [وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ]؛ هذه المضاعَفَة هي ما بعدَ وفوقَ سبعمائةِ ضِعف .. كم هي، وكم تَزيد؟ تُرِكَت مُبهمةً ـ غَير محدَّدة ـ لكرمِ وجُودِ الخالقِ سُبحانه، لا يَعلمُ عدَدَها وحجمَها وثِقلَها في الميزانِ إلا اللهِ، [وَاللّهُ وَاسِعٌ]؛ غِناهُ، وعطَاؤه، مهْمَا أنفَقَ على عِبادِه، وخَلْقِه لا ينقصُ مِن مُلكِهِ شَيء، [عَلِيمٌ]البقرة:261. مَن يستحقُّ المضاعَفَة، ومَن يستحقُّ المضاعَفَة على المضاعَفَة!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى

107- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى]البقرة:264. المراد بالصَّدقات؛ كل معروفٍ يُبذَل، بما في ذلك تعليمُ الناسِ الخيرَ .. وبذلُ السّلامِ .. وإطعامُ الطعام .. وصِلةُ الأرحام .. وإغاثةُ اللهفان .. والسّعي في تفريجِ كربة المكروب .. ونصرةُ المظلوم .. وإماطةُ الأذى عن الطريق .. فهذه وغيرها من الطاعات التي تدخل في معنى المعروف، تَبطل بالمنِّ والأذى، حتى لو تحقَّق فيها شَرطُ الإخلاص!

108- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى]البقرة:264. هذا النَّهي كما يَشملُ الأفرادَ، يَشْملُ الجماعات والدُّولَ التي لها مواقف إنسانيَّة تجاه قضَايا شُعوبٍ مُجاورَةٍ مُضطهدَةٍ، ومَظْلُومَةٍ .. فلا ينبغي لها، ولا يجوزُ أن تُبطِلَ مَعروفَها، ومواقفَها الإنسانيَّة مع هذه الشُّعوبِ المستضعَفَةِ والمظلومَةِ بالمنِّ، والأذَى، والضَّرَرِ .. أو

أن تَسْتَغِلَّ مَعرُوفَها هذا فِيما فيه أذَى وضَرَرٌ لتلكَ الشُّعُوب المستضْعَفَةِ .. فتُبْطِلُ مَعروفَها، وتُبْطِلُ الأجْرَ عليه من اللهِ!

* * * * *

وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ

109- [وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ]؛ لا تَعمدُوا إلى أردَإِ أموالِكم، وإلى الحرامِ مِنها؛ فتنفقُونها في سبيلِ اللهِ .. كزكاةٍ أو صَدَقَةٍ .. فترَى أحدَهم إذا أرادَ أن يتصدَّقَ ثَمَراً أو تَمْراً؛ قَصَدَ إلى أرْدَإِ وأرخصِ الأنواعِ، فتَصَدَّقَ بها .. وعند صدَقةِ الفِطْرِ تراهم يبحثُون عن أردَإِ وأرخَصِ أنواعِ التَّمُّور .. وبعضُهم يتصَدَّقُ ويخرجُ زكاةَ مالِه مِن الفوائدِ الربويَّةِ التي يجنيها من البنُوك، أو مِن الأموالِ المنهوبةِ، والمسرُوقَةِ .. ومِن الصُّورِ المخجلَةِ في بذْلِ الصَّدَقاتِ، حيثُ ترَى أحدَهم في جيبِه من الأوراقِ الماليَّةِ فئةِ العَشَراتِ، والخمسيناتِ، والمئاتِ .. ثمَّ تراهُ يَعمدُ إلى ما معه مِن " فَكَّة " قرُوش حمراء .. وأنصافِ القُرُوشِ .. فينتقيها ليتَصَدَّقَ بها، وليُريحَ جيبَه مِن ثقْلِها .. وهَذا النَّوعِ مِن الصَّدَقاتِ مَرْدُودَةٌ على صاحبِها، لا يقبلُها اللهُ .. ما هكذا يكونُ شُكرُ اللهِ على نِعَمِه .. فاللهُ طيّبٌ لا يَقبلُ إلا طيباً، ومَا كان مِن كَسْبٍ حَلالٍ .. [وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ]؛ هذا المالُ الرَّديء، لو عُرِضَ عليكم لمَا أخذتمُوه، ولما قَبلتُم به، ولاستقللتمُوه، [إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ]؛ فلَا تَقْبلُونَه لأنفسِكُم إلَّا بعد أن تُنقِصُوا مِن قِيمتِه، ويَرخُصَ لكم في ثمنِه .. وإذَا كنتُم أنتم لا تَقبلونَه لأنفسِكم، فكيفَ تقبلونَهُ للهِ؟! [وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ]البقرة:267. واعلموا أنَّ اللهَ تعالى غنيٌّ عنكم وعن صَدَقَاتِكم، وعن الخلْقِ أجمعين .. لا يصِلُه مِن صدَقاتِكم شيءٌ .. إنما يصلُه منكم التَّقْوَى، والطاعَةُ، والإخلاصُ .. وما أوجبَه عليكم من

زكاةٍ وصَدَقاتٍ، فنفْعُه مَردُودٌ عليكم؛ فهو طهورٌ، ومثوبَةٌ، واختبارٌ، للأغنياءِ مِنكم .. ورحمةٌ للفقراء!

* * * * *

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ

110- يخطّطُون لوأد النَّاسِ، والتَّقْلِيلِ مِن عَدَدِ سُكَّانِ الأرْض، خَشْيَةَ الفَقْرِ، وخَشْيَةَ نَفَادِ خزائِنِ الأرضِ .. والله تعالى يقول:[وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً]الإسراء:31.

يخطِّطُون للتَّقْلِيلِ مِن عَدَدِ سُكَّانِ الأرْضِ، خَشْيَةَ الفَقْرِ، وخَشْيَةَ الإنْفَاقِ، وكأنَّ خَزَائِنَ الأرضِ والسَّماءِ بأيديهم .. صدق الله العظيم:[قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً]الإسراء:100.

صَدَّقُوا وعْدَ الشيطان لهم:[الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ]. وكذَّبُوا وعْدَ اللهِ لهم:[وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً]البقرة:268. [وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ]الذاريات:22.

* * * * *

وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً

111- [يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً]البقرة:269. الحِكْمَةُ هي التي تَضَعُ الأشْياءَ في مواضِعِها، غير مُسْتَبَقَةٍ لِزَمَانِها، ولَا لِمكانِها .. وهي تُستَفادُ مِن النَّقْلِ الصَّحِيحِ، والعَقْلِ السَّلِيمِ، وفِقهِ الوَاقِعِ .. ومَن يُؤتَ الحِكمَةَ بهذا المعنَى، وهذا البُعد، [فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً].

* * * * *

إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

112- [إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ]؛ وكان إظهَارُها لا بُدَّ منه، ولا سَبيلَ لتَفَادِيه، [فَنِعِمَّا هِيَ]؛ فحَسَنٌ هيَ، وصَدَقةٌ مَشْكُورَةٌ مُتَقَبَّلَةٌ، [وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ]؛ عِندَ اللهِ .. فإخفَاءُ الصَّدَقَةِ خَيرٌ مِن إظهَارِها، والإعْلانِ عنْهَا؛ لسَببَين: لأنَّها أدْعَى للإخْلاصِ، وأدْفَعُ لمظنَّةِ الرِّياءِ .. ولأنَّها أقَلُّ حرَجاً للفقَراءِ المتصَدَّقِ عليهم، وأدْفَعُ لمظنَّةِ الأذَى، [وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ]؛ بسَبَبِ صَدقَاتِكم، وبخاصَّة مِنها صدَقَةُ السِّر؛ فالصَّدقَاتُ تُحِطُّ وتُذْهِبُ مِن السَّيئاتِ مَا شَاءَ اللهُ، [وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]البقرة:271. سواءٌ أظهَرْتُم الصَّدقَاتِ وأعلنْتُم عَنْها أو أخفَيتُمُوهَا، فاللهُ تعالى يَعْلَمُهَا، ويَعلمُ المخلِصَ مِنكُم مِن المرَائِي.

* * * * *

يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا

113- [يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا]البقرة:276. مَهْمَا انْتَفَشَ الرِّبَا وتَضَخَّمَ، وتَزَيَّنَ .. فنهايتهُ إلى مَحْقٍ، وقِلٍّ، وزَوَالٍ، وخُسْرَانٍ .. زِينةُ الرِّبَا وفِتنَتُه وحَلاوتُه آنِيَّةٌ، ولحْظِيَّةٌ .. لَكِن مآلاته مُخِيفَةٌ؛ إلى زَوالٍ، وخُسْرانٍ، ودَمَارٍ .. هذا في الدُّنيا .. غير الوعيدِ الشَّديدِ الذي يَنتظِرُ صاحِبَه يومَ القِيامَةِ .. ولكي يَتَّضِحَ المعنى أكثر، نأخُذُ مِثالاً من واقِعنا المعَاصِر .. تَأمَّلُوا جائحَةَ " كُورُونَا " ومَا نَتَجَ عَنْها؛ وهذه جائحَةٌ بطلتُها جرثُومَةٌ ضَئيلةٌ لا تُرَى بالعَينِ المجَرَّدةِ .. كم استهْلَكَت مِن الأُمَمِ والدُّولِ التي تَرعَى الرِّبَا .. لو قُلنَا مِئاتِ المليَارَات من الدُّولاراتِ؛ فهي أكثر .. ثم أَعْقَبَها حَربُ " أوكرانيا "، بينَ الأُمَم والدُّولِ الربويَّةِ .. التي استهلَكَت مِئات المليَارَات من الدُّولارات، ولا تَزال .. ثم الجَّفافُ القَاتِلُ الذي ضربَ الأُممَ والدولَ الربويَّةَ، والخسَارات النَّاجِمَة عنه، وتُقَدَّر بمئاتِ المليَارَات مِن

الدُّولارَات .. هذا غير الخَسَارَات النَّاجمة عن الإعصَارَات، والفيَضَانَات التي تحصَل هنا وهُنَاك .. وتُقَدَّر بمئَاتِ المليارَات مِن الدُّولارَات .. هذا كُله، وغيرُه تُرجُمانٌ عمليٌّ وواقعِي لقولِه تعالى:[يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا]، لو كانوا يَعلَمُون ..!

* * * * *

وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ

114- [وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ]البقرة: 276. في الدُّنْيَا يُنْمُو المَالُ ويَزِيدُ، وتَدُبُّ فِيه البرَكَةُ .. وفي الآخِرَةِ يَتَضَاعَفُ الأجْرُ والعَطَاءُ .. فَمَا كَانَت الصَّدَقَاتُ سَبَباً لنُقْصَانِ المَالِ قَط!

مَثَلُ الصَّدَقَاتِ كالنَّبْعِ، كُلَّمَا نَضَحَ، زَادَ مَاؤُه وعَطَاؤُه .. كذلك الصَّدَقَةُ في المالِ؛ فإنَّها تزيدهُ ولا تُنْقِصُه.

* * * * *

فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ

115- [فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ]البقرة:279. الحربُ مِن اللهِ قد تكونُ بأسبابٍ كونيَّةٍ، وقَد تكونُ على يدِ عبادِه المؤمنين، وقَد تكونُ بتَسليطِ الظَّالمين على الظَّالمين .. وضَربِ الظَّالمين بالظَّالمِين.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ

116- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ...]البقرة:282. أكبرُ آيةٍ في القُرآنِ الكريم آيَةُ الدَّيْن هذه .. يُبين اللّهُ فِيها ما يجبُ على طرَفَي الدَّين فِعْلُه مِن تَوثيقٍ للدَّين، ومِن ثَمَّ الاشْهاد عليه، وإن قَلَّ .. لاحتمالِ موتِ طرَفَي

الدَّيْن، أو أحدِهما .. وحِفْظاً للحقُوقِ مِن الضياعِ .. ودَفْعَاً للتنازُعِ والاختلافِ بين طرَفَي الدَّين: الدَّائِنُ، والمَدِين .. ولَا ينبغي أن يُؤخَذَ أحَدُ طرَفَي الدَّين بالحياءِ، تحتَ عنوان الثِّقَةِ موجُودة .. ويكونُ ذلك سَبباً مانِعاً مِن التوثِيق .. فالثِّقَةُ بين طرَفَي الدَّيْن مَهمَا كانت عاليةً، لَا تُسْقِط واجِبَ تَوثيقِ الدَّيْن .. للأسبابِ الآنِفَةِ الذِّكْر أعلاه، ولأنَّه واجبٌ شَرعيٌّ، وفي الحديثِ فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" ثَلاثةٌ يَدعونَ اللهَ عزَّ وجلَّ فلَا يُستجابُ لهُمْ ـ منهم ـ : ورجلٌ كان لهُ على رجُلٍ مالٌ فَلَمْ يُشهِدْ عليْهِ ".

* * * * *

وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ

117- [وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ]البقرة:282. على قَدْرِ التَّقوى يكونُ العِلمُ، وعلى قَدْرِ العلمِ يكونُ التَّقوى، فإن زِيدَ في أحدِهما زِيدَ في الآخَر، وإن حصلَ النُّقْصانُ في أحَدِهما، حصَل النَّقْصُ في الآخَرِ، فكُلٌّ منهما لازمٌ ومَلْزُومٌ للآخَر.

118- [وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ]البقرة:282. من لوازم التقوى ومقتضاه، تعليم اللهُ لك .. فعلى قدر التقوى، يكون التعليم، وعلى قدر التعليم، والعلم يكون التقوى .. فكل منهما يقتضي الآخر، ولازم وملزوم له، ولما كان التقوى درجات كان العلم درجات، ومن حقق درجات عالية في التقوى، مَنّ الله تعالى عليه بدرجات عالية في العلم تتناسب مع درجات التقوى .. ولما كان التقوى ليس له سقفاً ينتهي إليه اجتهاد المرء، كذلك العِلم ليس له سقفاً ينتهي إليه اجتهاده؛ فهو يقبل الزيادة أبَدَاً، [وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً]طه:114. [وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ]يوسف:76. وكما أن التقوى يزيد وينقص؛ يزيد

بالطاعات، وينقص ويضعف بالمعاصي .. كذلك العلم يزيد وينقص، تبعاً لزيادة التَّقوى ونقصانه.

ولو بلغ المرء درجة عالية من العلم، وأصبح من العلماء الكبار .. ثم لم يتق الله في علمه .. ولم يصدق علمه بالعمل، ولم ينتبه لخواتيم عمله .. انتقص علمه .. وربما ينسلخ من علمه كلياً بحسب درجة ونوعية معاصيه المنافية للتقوى، كما حصلَ مع العالِم بِلعام، كان من كِبارِ علماءِ بني إسرائيل؛ فقد آتاهُ اللهُ الآياتِ، ومن العِلمِ الكثير .. وكان دعاؤه مستجاباً .. فأحدث حدثاً يناقض التقوى كليَّاً فانسلخ من آيات الله، وما مَنَّ الله عليه من العِلم والكرامات، وأنزل الله فيه قوله:[وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:175-176.

وكان كثير من السَّلف من يرد نسيانه لما يحفظ من العلم، ومن كتاب الله، إلى معاص كان قد اقترفها من قبل، فوجد غِبَّها وأثرها على حفظه وعِلمه فيما بعد .. ورحم الله الشَّافِعي إذ يقول:

شَكَوتُ إِلى وَكيعٍ سوءَ حِفظي ... فَأَرشَدَني إِلى تَركِ المَعاصي

وَأَخبَرَني بِأَنَّ العِلمَ نورٌ ... وَنورُ اللهِ لا يُهدى لِعاصي

* * * * *

وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ

119- [وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ]البقرة:283. الشَّهادةُ التي لا يجوزُ كتمانُها، نوعَان: خَاصَّةٌ، كالشَّهادَةِ على حالاتٍ شخصيَّةٍ، تَتعلَّقُ بحقوقِ الأفرَادِ، كالدِّيونِ ونحوها .. وعَامَّة، تتعلَّقُ بحقُوقِ الدِّين، والأُمَّةِ، والمجتمع المسلِم،

كالشَّهادَةِ على طاغيةٍ مُتسلِّطٍ بالقَهرِ والجبَرُوت بأنه طاغيةٌ .. وعلى الطاغوتِ بأنَّه طاغُوتٌ، وظالم .. وبيانُ ذلك للنَّاسِ .. فبيانُ هذا النوعِ من الشَّهادَاتِ أوكَدُ وأهَم من النوعِ الأوَّل، وكتمَانُها أخطَرُ، وأشَدُّ إثماً!

* * * * *

لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا

120- قوله تعالى: [لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا]البقرة:286. يُحمَل على معنيين: أن جميعَ الأحكامِ والتكاليفِ الشَّرعيةِ ابتداءً قد جاءت وفقَ طاقةِ الإنسانِ وقُدرتِه. ثانيهما: أنَّ التَّكليفَ يُرفَع لعَجْزٍ طارِئٍ، إلى حِينِ رفعِ العَجْزِ، وإزالةِ أسبابِه.

* * * * *

121- [لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا]البقرة:286. تُفيدُ معنيان: أولهما، أنَّ جميعَ التَّكَاليفِ الشَّرْعيَّةِ تَدخلُ في حُدُودِ الاستطاعَةِ .. ثانيهما، أنَّ العَجْزَ الطارئ يَرفَعُ التَّكليفَ فِيما تَمَّ فيه العَجزُ، إلى حِينِ تحققِ القُدْرَةِ على دَفْعِه .. والعَجْزُ الدَّائمُ - الذي لا يمكنُ دَفْعُه - يَرفَعُ التَّكليفَ مُطْلَقاً!

122- [لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا]البقرة:286. لَمْ يُكلِّفْنَا اللهُ شَيئاً لا نُطيقُه، فجميعُ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ هي ضِمْنُ الطَّاقَةِ والاستَطَاعَةِ، فإذا حصَلَ العَجْزُ لِعِلَّةٍ، يَسْقُط التَّكليفُ فِيما تَمَّ فيهِ العَجزُ، إلى حِينِ انتِفَاءِ العِلَّةِ، وارْتِفَاعِ العَجْزِ.

* * * * *

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ

123- [رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ]البقرة:286. أي مِنَ البَلَاءِ .. أمَّا التَّكالِيفُ الشَّرعيَّةُ، فاللهُ تعالى لم يُكلِّفْنَا شَيئاً لَا نُطِيقُهُ، ولا نَقْدِرُ عليه .. والحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين.

* * * * *

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ

124- [هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ]آل عمران:7. المتشَابَه في دِينِ اللهِ لَمْ يردْ فقطْ من أجلِ أن نؤمنَ ونصدقَ به، من دونِ أن نفهمَ المرادَ مِنه، ولا أن نستفيدَ مِنه شيئاً في ديننا، ودُنيانا .. لَا .. بل هو يَرِدُ لتَعضِيدِ، وتَوضيحِ معنَاً محكماً هامَّاً .. فيزيدُه إيضَاحاً، وتَفصيلاً، وإحْكَامَاً.

مثال توضيحي: قوله تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]الحديد:4.

المعنى المُحْكَم فِيما يخصُّ المثَال التَّوضِيحي أعلَاه: أن اللهَ تعالى مُسْتَوٍ على عرشه استواءً يليقُ بجلالِه، مِن غيرِ تكييفٍ، ولَا تَعطيلٍ .. بَائنٌ عن خَلْقِه، غيرُ مُتَّحدٍ به .. ومعْنَى مُحْكَم آخَر: أنَّ اللهَ تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ، قادرٌ على كلِّ شيءٍ .. لا يَخفَى عليه شيءٌ، ولا يُعْجِزُه شيءٌ .. يَنصرُ مَن يَنصُره .. وأنَّ مشيئتَهُ نافِذَةٌ، لا يكونُ شيءٌ في الوجودِ إلا وفقَ مشيئتِهِ وإرادتِه.

المعنى المتَشابه: هو قولُه تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ]، وهو مُتَشابَه، لأنَّه يحتملُ لغةً أكثرَ مِن معنى وتَفْسير: هل المعيَّةُ الواردَةُ يُرادُ مِنها مَعيَّةُ الذَّاتِ .. أمْ معيَّةُ العِلمِ، والقُدْرَةِ، والمشيئةِ، والإرادَةِ .. أم هي معيَّةٌ مجهولةٌ، لا دلالةَ لها .. نؤمنُ بها من دونِ أن نعرفَ مدلولاتِها، أو أن نستفيدَ مِنها في دِيننا ودُنيانا ...؟!

فالمعنى الشَّرعي المُتَشَابه الموافقُ للمحْكَم، الذي يزيدُ المحكمَ إحْكَامَاً، وإيضَاحَاً وتَفصيلاً، هو القولُ بأنَّ المرادَ بالمعيَّةِ في قوله تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ]، هي معيَّةُ العِلمِ، والقُدرَةِ، والإرادَةِ، والتَّوفيقِ، والنُّصرةِ، والتَّأييدِ .. وعلاقةُ هذا المعنى بالنسبةِ للمحكَمِ الأوَّلِ المشَار إليه أعلاه .. أنَّ علوَّ الخالقِ سُبحانه على خلْقِه، واستواءَه على عرْشِه .. وبينونتَه عن

خلْقِه .. لا يَنبغي أن يُفْهَم منه انتفاء معيَّتِه لعبادِه .. ولا يمنعُ مِن أن يكون اللهَ تعالى ـ وهو مستوٍ على عَرشِهِ بائنٌ عن خَلقِه ـ معكم بعلمِه، وقدرتِه، وقوتِه، وإرادتِه، ونَصْرِه، وتَوفيقِه، وتأييدِه .. وأينما تكونُون .. فازدَادَ المعنى المحكَم بهذا التوضِيح المستفَاد مِن النَّصِّ المتشابَهِ إيضَاحاً، وتفصيلاً، وإحْكَاماً .. ما كنا سنَسْتَفيدُه مِن دونِ هذا النصِّ المتَشَابَه.

أما فِيما يتعلَّقُ بالمحكمِ الآخَر، وهو أن اللهَ تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ، وقادرٌ على كلِّ شيءٍ، لا يعجزُه، ولا يخفَى عليه شيءٌ .. أرادَ الله تعالى أن يزيدَه إيضَاحاً، وتفصِيلاً، وإحْكَاماً بقولِه [وَهُوَ مَعَكُمْ]؛ أي أن اللهَ معكُم بعلمِه، وقُدرتِه، وقوتِه، وإرادتِه، وتوفيقِه، ونَصْرِه معيَّةً خاصَّة؛ على التعيين .. كلُّ شَخصٍ بعينِه واسمِه .. وأينما يكونُ .. فأنتَ يا عبدَ اللهِ في مواجهَتِك للبلاءِ، وللشَدائدِ، ولِصعَابِ الأمورِ لستَ بمفردِك؛ أنتَ معَكَ اللهُ .. ولا شَكَّ أن هذا المعنى المضَاف والمستفَاد من النصِّ المتَشَابَه له أثر بليغٌ وعظيمٌ على إيمانِ ويَقِينِ وثباتِ المرْءِ .. وعلى سلوكِه واستقامَتِه .. وعلى تَعلُّقِه بخالقِه، وتوكلِه عليه .. وعلى فَهمِه الصحِيح لِصفاتِ الخالقِ سُبحانه وتعالى، وكما في قولِه تعالى لموسى وأخيهِ هارُون عليهما السلام:[لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى]طه:46. فموسى عليه السلام كان يَعلمُ أن اللهَ تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ، وقادرٌ عليه، ولا يخفَى عليه شيءٌ .. ومعَ ذلك أرادَ اللهُ تعالى أن يزيدَه يَقيناً، وثَباتاً، وقوَّةً في مواجهةِ طُغيانِ الطاغُوتِ فرعون .. وأن يُزيلَ مِن نَفْسِه أدْنَى درجاتِ الخَوفِ، والتردُّدِ .. فقالَ لهما:[لَا تَخَافَا]؛ لماذا لا يَخافا؟ [إِنَّنِي مَعَكُمَا]؛ على التَّعيين والتَّخْصِيص، [أَسْمَعُ وَأَرَى] ما يدورُ بينكما وبين الطاغية فرعون .. ومَن كان اللهُ معه أنَّى للخوفِ أن يتسلَّل إليه .. فإنْ تَسَلَّلَ إليهِ منه شيءٌ، فهو لنقصٍ في اليقينِ بمعيَّةِ اللهِ.

هذا مثالٌ توضِيحِي يُبين أهميَّةَ النصِّ المتشَابَه في دينِ اللهِ، وفي فَهم وتَفسيرِ المحكمِ مِن دينِ اللهِ .. والأمثلةُ كثيرةٌ .. نكتَفِي بما تقدَّمَ ذِكْرُه، والحمدُ لله رب العالمين.

* * * * *

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ

125- [فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ]؛ مَيْلٌ عن الحَقِّ إلى الباطِلِ .. يَنتصرُون لزيغِهم وباطلِهم:[فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ]؛ فيتَّبعون المتشَابَه من كتابِ اللهِ تعالى، ويَترُكون المُحْكَمَ منه، بل ويَضربُون ويُعارضُون المُحْكَمَ بالمتَشَابَه .. ويجعلون من المتَشَابه دلياً حَاكِماً على المُحْكَمِ، ومُفَسِّراً له .. حتى النَّص المُحْكَم فإنَّهم يتَّبعونَ الفهمَ المُتشَابَه له .. وحيثُما تَجِدُ هَفَوَات وزَلَّات وسَقَطَات أهلِ العِلْمِ فَثَمَّ هُمْ .. ومَا حَمَلَهُم على فِعلِ ذلك إلا الرّغبةُ في:[ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ]؛ إرادَة وقَصْد فتنةِ النَّاس عن دِينِهم، وقصْد التَّشْويشِ على ثوابتِ الدِّين في نُفُوسِ النَّاسِ .. فهم يَطلبون العِلْمَ لتتحصَّل لديهم القِدرَةُ على التَّشْويشِ، والتَّضْليل، وتَزيين الباطِل، [وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ]آل عمران:7. إرادة تحريفِ كلامِ اللهِ عن مُرادِ اللهِ تعالى من كلامِه .. فيُسمُّون تحريفَهم لكَلامِ اللهِ تَأويلاً؛ ليروجَ تحريفُهم وباطِلُهم على النَّاس!

وأكادُ أجْزِمُ أنَّ كُلَّ مَن عَارَضَ الإسلامَ واعترَضَ عليه، مِن الكافرين، والمنَافِقين هم مِن الذين يَتَّبِعُون مَا تَشَابَه مِنه ابتِغَاءَ الفِتْنَةِ، وصَدِّ النَّاسِ عَن دِينِ اللهِ!

* * * * *

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

126- [وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ]آل عمران:7. العلماءُ العامِلُون .. المتمكِّنُون مِن علومِ الآلَةِ .. الجامِعون بين الفِقْهَين: فِقهُ التَّنزيلِ، وفِقْهُ واقِعِ التَّنزِيلِ .. المقتَدُون المتَّبعُون للكتَابِ والسُّنَّةِ؛ على فهمِ السَّلَفِ الصَّالح .. المنَافِحُون عن السُّنَّةِ، الرَّادُّونَ للبدَعِ، والمحدَثاتِ في الدِّين.

127- [وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ]آل عمران:7. الذين يَعْقِلُونَ عنِ اللهِ تعالى، وعَن رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ

128- [زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ]آل عمران:14. لتعمُرَ وتستمرَّ الحياةُ .. ولولا هذا التزْيين لَمَا استمرَّت الحياةُ، ولَا وُجِدَ على الأرضِ إنسانٌ .. فالشهواتُ تُحَمَدُ ما ضُبِطَت بمنهجِ اللهِ، وجُمَت بلِجَامِ الشَّرْعِ .. واستُعِينَ بها على استمرارِ الحياةِ وإعمارِها وفقَ منهجِ اللهِ .. ولها حُدُود حَدَّها اللهُ لا نتعدَّاها .. فإذا مَا خرَجَت عن منهجِ اللهِ، وتعدَّت حدودَ اللهِ .. وفُكَّ عنها عقالُ الشرْعِ، وشَذَّت .. وأُطْلِقَ لها العنَانُ .. لَا تُذَم حينئذٍ الشَّهوات، أو أصلُ الشهواتِ، وإنما يُذم مِنها ما تجاوزَ حدُودَ اللهِ، ومَا زَادَ عن الحدِّ الذي شَرَعَهُ اللهُ .. والشيطانُ لا يُزينُ الحلالَ مِن الشهواتِ، وإنما يُزينُ الشُّذُوذَ، والزائدَ عن المشروعِ من الشَّهواتِ!

* * * * *

شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ

129- [شَهِدَ اللّهُ]؛ مِن خِلالِ آياتِه المقروءَةِ والمسْمُوعَةِ، وآياتِه الكونيَّةِ المرئيَّةِ .. فاجتمعَت في هذهِ الشهادةِ جميعُ الآياتِ الدَّالَّةِ على وحدانيَّتِه سُبحانه .. وكفَى به شَاهِدَاً، [أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ]؛ لَا مَأْلُوهَ، ولا مَعبُودَ بحقٍّ في الوجُودِ إلا اللهُ، [وَالْمَلآئِكَةُ]؛ وزيادَةً في التَّأكيدِ على هذهِ الشَّهادَةِ العظيمةِ؛ فالملائكةُ كلُّهم؛ المقرَّبُون مِنهم، وغيرُ المقرَّبين، شَهِدُوا بِشَهَادَةِ التَّوحِيدِ .. وأيضَاً، [وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ]؛ جميعُ أَهْلِ العِلمِ مِن لَدُن آدَم عليه السلام، وإلى قِيامِ السَّاعَةِ، يَشْهَدُون ويَقرُّون بالاعتقَادِ، والقوْلِ، والعَمَلِ أنَّه لَا إله

إلا اللهُ، [قَآئِمَاً] على شُؤونِ خَلْقِه؛ إذْ لا وجُودَ، ولا حرَكَةَ، ولا حَياةَ للخَلْقِ مِن دونِه سُبحانَه، [بِالْقِسْطِ]؛ بالعَدْلِ؛ الميزانُ الذي به يَنضَبطُ ويَستقِيمُ كُلُّ شَيءٍ، ومِن دُونِه يَضطَّربُ كُلُّ شَيءٍ، [لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ]؛ تكرارٌ يُفيدُ التَّأكيدَ على شَهادَةِ التَّوْحِيدِ، وأهميَّتِها .. وهذه شَهادَةٌ اجتمعَ فيها مَا لم يجتمَعْ في غيرِها مِن الشَّهَادَاتِ؛ اجتمَعَ فيها أعظَمُ شَاهِدٍ، معَ أعظَمِ شَهَادَةٍ، على أعْظَمِ مَشْهُودٍ، [الْعَزِيزُ]؛ في مُلْكِهِ وخَلْقِه، ليسَ له وليٌّ مِن الذُّلِّ، [الْحَكِيمُ]آل عمران:18. الذي خَلَقَ، ثم هَدَى كُلَّ مخلُوقٍ إلى ما يَنفَعُهُ، ويَضُرُّه.

والآيةُ أفادَت أنَّ جميعَ العُلماءِ، مِن لَدُن آدم عليه السلام وإلى قِيامِ السَّاعَةِ، يَشهَدُون بالوحدانيَّةِ للهِ تعالى، وأن لا إله إلا اللهُ، مَفهومُ المُخَالَفَةِ أنَّ مَن لا يَشهد شَهادَةَ التَّوحِيدِ، أو يَأتي بما يُناقِضُ ويُضَادُّ شَهادَةَ التَّوحيدِ، يخرجُ مُباشرةً مِن اسمِ وصِفَةِ وزِمْرَةِ العُلَماءِ، مَهما اتَّسَعَ صِيتُه، وكَثُرَت ألقَابُه!

* * * * *

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ

130- [إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ]؛ إن الدِّينَ الحقَّ، الذي ارتضَاه اللهُ تعالى لعبادِه، وأوحاهُ إلى جميع أنبيائه ورسُلِه .. الذي لَا دِينَ غيره إلا البَاطِل .. هو دِينُ [الإِسْلَامُ]آل عمران:19. دِينُ الاستِسْلامِ، والطَّاعَةِ، والانقِيادِ، والخضُوعِ، للهِ عزَّ وجل، ولحُكمِه وشَرْعِه .. ولِشَهادَةِ التَّوحِيدِ " لا إله إلا الله "، الشهادَةُ التي بَعثَ اللهُ بها جميعَ الأنبياءِ والرسُلِ؛ والتي من معَانِيها ولوازِمِها، البرَاءَةُ مِن الشِّرْكِ، وعِبادَةِ غيرِ اللهِ، والإقرارِ ظَاهِراً وباطِناً، وبالقولِ والعَمَلِ، أن المعبودَ بحقٍّ ـ في الوجودِ كُلِّ الوجُودِ ـ هو اللهُ تعالى وحده.

131- [إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ]آل عمران:19. لَا يُوجَدُ دينٌ سماوِي غَير دِينِ الإسلامِ .. فدِينُ إبراهيم .. وموسَى .. وعيسَى عليهم السلام هو دينُ الإسلام .. وهو يَقُوم على ركنَين أَسَاسِيين: تَوحيدُ اللهِ تعالى في العِبادَةِ، والبرَاء مِن الشرْكِ، والمشرِكين .. وتوحيدُ الأنبياءِ والرسُلِ في المتَابَعَةِ .. ومَا مِن نبيٍّ مِن أنبياءِ اللهِ تعالى إلَّا وقَد بُعثَ بهذَين الركنَين: عِبادَةُ اللهِ تعالى وتَوحِيدُه .. وطاعَةُ ومتابَعَةُ الأنبياءِ والرسُلِ فِيمَا يُبَلِّغُون عنِ اللهِ عزَّ وجل.

* * * * *

وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ

132- [وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ]آل عمران:28. يا ابنَ آدم .. يا ابنَ الأمواتِ .. مَهْمَا عِشْتَ .. وعَمِلْتَ .. ومَلَكْتَ .. وتَرَبَّعْتَ .. وكَيْفَمَا، وأينما ذَهَبْتَ .. ومَهمَا تَشَعَّبْت بكَ المذَاهِبُ، والدُّرُوبُ، والأسفَارُ .. إنَّكَ مَيِّتٌ، وإنَّك صَائرٌ إلى ما صَارُوا إليه .. وإنَّ مرجِعكَ المحتُومُ الذي لا حَيْدَةَ عنه؛ إلى اللهِ .. إلى خالِقِكَ، ومالِكِك .. وإنَّه تعالى لسائِلُكَ عمَّا كان مِنْكَ مِن عمَلٍ .. فانظُرْ مَليّاً بما تَرجعُ به إلى رَبِّك!

* * * * *

وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء

133- [وَتُعِزُّ مَن تَشَاء]؛ مَن ألهمْتَه ووفَّقْتَه لطاعَتِك، [وَتُذِلُّ مَن تَشَاء]آل عمران:26. مَن آثَرَ مَعصِيتَك على طاعَتِك .. نسألُ اللهَ تعالى أن يُعزَّنَا ويُكرِمَنَا بطاعَتِه، وتَوحِيدِه.

* * * * *

إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً

134- [إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً]؛ أي إلَّا أن تكونَ في ظِلِّهِم ـ العَدُو ـ لا تَستطيعُ الخروجَ من سُلطانِهم .. وتَخشَاهُم على دِينِك، ونَفْسِكِ، وعِرْضِكَ، ومَالِك .. في هذه الحالةِ يجوزُ لك أن تُظهِرَ لهم الموالاةَ باللسانِ بالقَدْرِ الذي يَدْفَعُ عنك أذَاهم وشَرَّهم، من غيرِ تَوسُّعٍ ولا زِيادَةٍ، بشرطين: أن تُضمِرَ لهم العَدَاوَةَ في القَلبِ ـ لأن القلبَ لا سُلطان للعدوِّ عليه ـ وأن لا تُعِينَهم على مسلمٍ؛ لأنَّك وأخِيكَ المسلم سَواء في الحُرمَةِ، فلا يجوزُ أن تَفْدِي نَفْسَك، بأخِيك .. [وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ]آل عمران:28. مِن أن تَلتجِئوا للتَّقِيَّةِ من غيرِ ضَرورَةٍ، أو أن تَتوسَّعُوا في استخدَامِها في غَيرِ مَوضِعِهَا، وأكثَرَ ممَّا هو مُباحٌ لكم.

* * * * *

قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ

135- [قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ]آل عمران:29. قَد تُخْفِي مَا في صَدْرِك عن المخلوقِ؛ فتُبْدِي له خِلافَ ما في صَدْرِك .. أمَّا الخالِقُ عِلمُه بباطِنِك وسَرِيرَتِك كعِلمِه بظَاهِرِك .. أخْفَيْتَ أمْ أبدَيتَ فهو يَعلَمُه .. وهو عليه هيِّنٌ .. لا يُمكنُ أن تُخْفِي عنه شَيئاً .. وهذا يَستدعِي مِنك أن تُراقِبَ سَرِيرَتَك، ومَا وقَرَ في صَدْرِك؛ فَلا تُضمِر إلَّا خَيراً .. ولا تُرِي اللّهَ مِنكَ إلا خَيْراً.

* * * * *

فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ

136- [فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ]آل عمران:32. وبالتالي لا يمكنُ للمؤمنين ـ إن أرادُوا أن يحافِظُوا على صِفَةِ الإيمانِ والمؤمنين ـ أن يحبُّوا الكافِرِين المشركين .. أن

يحبُّوا ما يَبغضُ اللهُ .. إذْ لا بدَّ للمؤمنين أن يُتابِعُوا اللهَ فِيمَا يُحبُّ، وفِيما يَكرَه، فيُحبُّونَ ما يحبُّ، ويَبغضُون ما يَبغضُ .. وفي الحديث:" من أحبَّ للهِ، وأبغض للهِ، وأعطَى للهِ، ومنع للهِ، فقد استكمل الإيمانَ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يكونَ هواه تَبَعاً لما جِئتُ به ". لِما جاءَ به مِن عِندِ ربِّه .. ومَا تقدَّم لا يمنعُ مِن مُعامَلتِهم ـ كما وردَ في الكتابِ والسُّنَّةِ ـ بالرِّفقِ، والصِّدْقِ، والعَدْلِ، والإحْسَانِ .. وبخاصَّة في مواطِنِ الدَّعْوةِ إلى اللهِ.

* * * * *

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ

137- [قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ]آل عمران:31. للآية دلالتين: الأولى: أن المحبَّةَ على قدْرِ المتابعةِ للنبيّ صلى الله عليه وسلم، والمتابعةُ على قدرِ المحبَّة، فكلٌّ منهما لازمٌ وملزومٌ للآخر، زيادةً ونُقصاناً، وجُوداً وعَدَماً. الثانية: أن الغايةَ من المتَابعةِ ـ والتي تعني الانقيادَ والطاعةَ، والعبادَةَ العامَّة والخاصّة، الظاهرة والباطنَة ـ تحقيقُ المحبَّةِ: محبةُ العَبدِ لخالِقِه، ومحبّةُ الخالقِ لِعبدِه، فتحقيقُ المحبَّةِ ثمرَةُ الثَّمرات، وغَايةُ الغاياتِ، ليس بعدها غاية، وما قَبلها، وما دونها من غايات هي وسيلةٌ لتحقيقِ غايَةِ المحبّة.

* * * * *

فَاتَّقُواْ اللهَ

138- [فَاتَّقُواْ اللهَ]آل عمران:50. الاتِّقَاءُ: الاحْتِمَاءُ بشيءٍ مِن شَيءٍ .. أي احتَمُوا من اللهِ .. وأنَّى للعَبدِ أن يحتَمِيَ مِن خالِقِه؟! فيكونُ المرادُ: احتموا باللهِ من اللهِ .. احتَمُوا بطاعَتِه مِن مَعْصيتِه .. واحتَمُوا برضاه مِن غَضَبِه .. واحتمُوا بعفوِه ورحمتِه مِن عقوبَتِه، وشَدِيدِ عَذَابِه.

* * * * *

فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

139- [قُلْ]؛ الأَمْرُ لمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ولجميعِ أتباعِه، وإلى قيامِ السَّاعةِ .. والآمِرُ هو اللهُ سُبحانه وتعالى:[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ]؛ وهم اليهودُ والنَّصارَى .. وهم كفَّار .. ولكن الموضِع موضع حِوارٍ .. ودَعوة إلى الحوارِ .. وهذا يَستدعِي تلطيفَ الخِطابِ عند مخاطبتِهم؛ فهو أدعى للإصغاءِ والفهم والقبول .. لذا جاء الأمرُ من اللهِ بأن نقول:[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ]؛ وهو خطابُ محبَّبٌ لقلوبِ اليهودِ والنَّصارى، يُذكِّرهم بأصلِ ومنبت دعوتهم ودينِهم، وأن الدِّينَ الذي أُنزِلَ على أنبيائِهم والإسلامَ الذي أنزِلَ على محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم هو دِينٌ واحدٌ، وقد خرَجا من مِشْكاةٍ واحِدةٍ، وهو أدْعَى للاتفاقِ وعدَمِ الاختلافِ، [تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ]؛ لا يتمايزُ أحدُنا عن الآخَر، ولا يَتفاضَلُ ولا يتَعَالى أحدُنا على الآخَر، فكِلَانا سَواءٌ أمامَ هذهِ الكلمَةِ .. لا فَرْقَ بيننَا وبينَكُم في قبُولِها، والالتزامِ بها، والخضُوعِ لها .. فما هي هذه الكلمة؟ [أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ]؛ لا نَصرفَ العِبادةَ الظاهِرةَ والباطِنةَ إلا لمن يَستَحِقُّها؛ وهو اللهُ تعالى وحده، [وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً]؛ فتكونُ العبادَةُ خالِصةً لوجهِ اللهِ تعالى، لا يُصرَف شيءٌ منها أو ممَّا يَدخُل في مَعنى ومَسَمَّى العِبادَة لغيرِ اللهِ تعالى، [وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً]؛ مُشَرِّعين؛ نُشَرِّعُ لِبعْضِنا البَعْض التشريعَ الذي نشاءُ ونهواه، فنُحِلُّ ما نَشاءُ، ونحرِّمُ مَا نَشَاء .. لا نحنُ نشرِّعُ لكم، ولا أنتم تُشَرِّعُون لنا، [مِّن دُونِ اللّهِ]؛ بغيرِ إذنٍ ولا سُلطانٍ مِن اللهِ تعالى الذي له الحُكْم وحدَه، وله وحْدَهُ الحَقُّ في أن يُشرِعَ ما يَشاءُ؛ فيُحلُّ ما يَشاءُ، ويحرِّمُ ما يَشاءُ، وليسَ على العبادِ إلا طاعَتهُ، وتَحليلُ حلالِه، وتحريمُ حرامِه، [فَإِن تَوَلَّوْاْ]؛ أعرَضُوا، ونَأوا، وأبَوا أن يَستجيبُوا لهذا الكلمَةِ السَّواء، [فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ]آل

عمران:64. لا تَبحثُوا معَهم عن التقاءِ وتقارب في جوانب ومواضيع أخْرَى غيرَ هذه الكلمَةِ .. كما يَفعلُ دُعاةِ حِوارِ الأدْيانِ في هذا الزَّمانِ، فإنَّهم يَتحاورُون حولَ كلِّ شَيء، ويتَنادونَ للحوارِ حولَ كلِّ شَيءٍ إلَّا هذه الكلمةِ التي أمرَنا اللهُ تعالى أن ندعوَهم إليها، ونحاورَهم حَوْلها، " مَن المعْبُود بحقٍّ في الوجُود ؟"، فلا يَقتربُون مِنها، ولا تَكونُ مادَّةً مقرَّرَةً ومعروضةً للنِّقَاش .. وإنّما قُولُوا لهم: اشهَدُوا بأنَّا مُسلِمُون .. مُستسلمُون لأمرِ اللهِ تعالى وحُكْمِه .. لكمْ دِينُكم، ولنَا دِين .. لا تَقَارُبَ ولا التقاءَ ولا تحاورَ بيننا وبينكُم على غيرِ كلمةِ الإسْلامِ والتَّوحيدِ:" لا إله إلا الله "، من المألُوه والمعبُود بحقٍّ في الوجُود ...؟

* * * * *

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ

140- [وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ]؛ يَقْرَؤُونَ المحرَّفَ من كلامِهم ويُرتِّلُونَه كما يَقرؤون كلامَ اللهِ، ليحْسَبُه السَّامعُ أنَّه من كَلامِ اللهِ المنَزَّل، [وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ]آل عمران:78. وهذه آيةٌ نزلت في أهلِ الكِتاب، الذين حَرَّفُوا كِتابَ اللهِ .. والذين يُرتِّلُون ويَقرَؤُون الأدْعيَةَ والأذْكارَ التي هي ليسَت من القُرآنِ الكريم، كما يَقْرَؤون ويُرَتِّلُون ويجوِّدُون القُرآن ـ فتُشْكِلُ على السَّامع، وبخاصّة إن كان من العَجَمِ هَلْ هي من كِتَابِ اللهِ أمْ لا ـ لهم حَظٌّ مِن هذهِ الآيةِ، وما تَتضمَّنه مِن وعِيدٍ!

* * * * *

أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ

141- [أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ]؛ يقصدُونَه، ويريدونَه .. وله يخضعُون، ويتَّبعون، ويُطيعُون .. ويُطالبون غيرَهم أن يدخلُوا في دينِهم وطاعَتِهم، مِن دونِ دينِ اللهِ؛ الإسلام .. فالكافرُ مِن أيِّ ملَّةٍ كانَت، وعلى أيِّ اعتقادٍ كان له دِينٌ يَعتقدُه، ويُطيعُه، ويتبعُ

تعاليمُه، ويَدعُو إليه، يُوالي ويُعادِي فيه، [وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً]؛ كيفَ تَقْدِمُون على فعلِ ذلك، واللهُ تعالى قد انقادَ له، وخَضَعَ، واستَسْلَمَ، رَاغِباً مُطيعاً، ومحبَّاً، جميعُ مَن في الوجودِ مِن مخلوقاتٍ؛ استسلموا لحكمِه الكوني والشَّرعِي، ووحَّدُوا اللهَ تعالى في ربوبيتِه وألوهيَّتِه، [وَكَرْهاً]؛ باستثناءِ الكافرِ الذي اختارَ الكفرَ؛ فإنه استسلمَ كَرْهاً لحكمِهِ الكونِي، دونَ حكمِه الشَّرْعِي .. استَسْلَمَ وخضعَ كرهَاً ورغماً عن أنفِه لربوبيَّةِ الله تعالى، فهو مخلوقٌ مربوبٌ، ومملوكٌ للهِ، لا يخرجُ عن مشيئةِ وإرادَةِ اللهِ تَعَالى؛ وجُودُه، وحياتُه، وموتُه، ورزقُه، ومرضُه، وغير ذلك مِمَّا لا إرادَةَ له ولا اختيارَ في تحديدِه، ولا في دَفْعِه .. وعصَاهُ في الألوهيةِ والعِبادَةِ، مما له فيه اختيارٌ، وهو مع عصيانِه هذا ـ كنَفْسٍ ـ فإنَّ جميعَ خلَايَا وأعضاءِ وذَرَّاتِ جَسَدِه ـ سواءٌ كان مِن الجنِّ أم مِن الإنْسِ ـ داخلةٌ في معنى الطَّاعةِ، والعبادَةِ، والخضُوعِ، والانقيادِ العام للهِ تعالى، وتوحيدِه في الربوبيَّةِ، والألوهيَّةِ، تخالفُ صاحبَها في عصيانِه، واختيارِهِ للكفْرِ، وتلعنُه؛ لأنَّ مَا من شيءٍ إلا ويعبدُ اللهَ تعالى، ويُسبحُ بحمدِه، ومُستَسْلِمٌ لربوبيتِه وألوهيتِه طوْعَاً، [وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ]آل عمران:83. وإلى اللهِ تعالى يعودُ الجميعُ، ليُجازِيهم على ما كان مِنهم مِن اعتقادٍ وعملٍ، فيُجازِي المؤمنين على إيمانِهم بالجنَّةِ، خالدين فيها أبَدَاً، والكافرين على كُفْرِهم بنارِ جهنَّم، خالدين فيها أبداً.

* * * * *

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً

142- [وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً]؛ ومَن يَطلُبُ ويلتَمسُ دِيناً غيرَ دِينِ الإسْلامِ؛ القائمِ على تَوحيدِ اللهِ عزَّ وجَل، وإفرَادِه بالعِبادَةِ، وطاعَةِ ومتَابعَة رسُولِه محمَّد صلى الله عليه وسلم .. أيَّاً كان مَصدرُ هذا الدينِ .. أو كانَت أصُولُه .. سواءٌ كانت أصُولُه

سماويَّةً ثم طَرأَ عليها التَّحْرِيفُ، كاليهوديَّةِ، والنَّصرانيَّة، أم أرْضيَّةٌ وضْعيَّةٌ .. ويَدخلُ فِيها جميعُ المذَاهِب الفكريَّةِ الوضْعيَّة التي وضَعها الإنْسانُ مِن عِندِ نفْسِه .. وكلُّ مَن يَرفضُ الإسلامَ دِيناً، لَا محالَة فهو يَطلبُ دِيناً غيرَه، ويتدَيَّنُ بدينٍ غيره، حتَّى لو سمَّى نفْسَه مُلْحِداً، واعتبرَ نفسَه مِن غيرِ دِينٍ، وفي عداد اللَّادِينيين؛ فدينه حينئذٍ يكونُ الإلحادُ، وعقَائدُ ومبَادِئُ الإلحادِ، [فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ]؛ مهمَا أتَى من الطَاعَاتِ، والأعمَالِ الخيريَّة الصَّالحةِ؛ لأنه فاقدٌ للإيمانِ، وللتوحِيدِ، وللمتابَعةِ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وهو شرطٌ لقُبُولِ العملِ؛ سواءٌ كان ظَاهِراً، أمْ باطِناً، [وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ]آل عمران:85. الذين خَسِرُوا أنفُسَهم .. وخَسِرُوا أعمالَهم .. وأَوْبَقُوا أنفُسَهم في نارِ جهنَّم خالِدين فِيها أبَدَاً.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ

143- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ]آل عمران:91. فِيهِ أنَّ العِبْرَةَ بالخَواتِيم، وبمَا يُختَمُ بِهِ على المرْءِ، وأنَّ الوَعِيدَ بالعذَابِ الأليم، والخُلُودِ في النَّارِ مُعَلَّقٌ بالموتِ والموَافَاةِ على الكُفْرِ .. نسألُ اللهَ تعالى السَّلَامَةَ، والثَّبَاتَ، وحُسْنَ الخِتَام.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

144- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ]؛ مِن اليَهودِ والنَّصارَى .. تُطِيعُوهم في تحليلِ الحَرَامِ .. وتَحرِيمِ الحَلَالِ .. وتَحسِينِ القبيحِ والشُّذُوذِ .. وتَقبيحِ الحسَنِ والفِطرَةِ، [يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ]؛ يَردُّوكُم بعد إيمانِكُم باللهِ وبرسولِه صلى الله

عليه وسلم، وبما أنزلَ اللهُ إليكُم مِن الحَقِّ، [كَافِرِينَ]آل عمران:100. فتنقَلِبُوا كافِرين جَاحِدين باللهِ، وبرسولِه، ومَا أنزلَ اللهُ إليكم مِن الحَقِّ .. وقولُه تعالى:[فَرِيقاً]؛ هَذا مِن الإنْصافِ الذي يجبُ أن نَلتزمَه؛ لأن ليسَ جميعُ أهلِ الكتابِ يَصْدُقُ فِيهم ما ذُكِر عَنهم أعْلَاه.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ

145- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ]؛ هي حدُودُ الاستطاعَةِ ونهايتُها، [وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ]آل عمران:102. أي احرصُوا واجتهدُوا أن لا تموتُوا إلَّا وأنتُم مُسلمُون، واسألُوا اللهَ تعالى حُسنَ الخاتمَةِ، وأن يَختمَ حياتَكُم وأنتم مُسلِمون.

* * * * *

وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ

146- [وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً]؛ لم يَقُلْ الرَّبُ سُبحانه:" وَاعْتَصِمُواْ جَمِيعاً "، وإنَّما أضَافَ، وحَدَّدَ، وقيَّدَ بما نَعْتصِمُ:[بِحَبْلِ اللّهِ]؛ لأنَّ أيَّ اعتصَامٍ بغيرِ حَبلِ اللهِ سرعان مَا يَنْفَضُّ، ويتفرَّقُ في فِرَقٍ أشَدُّ ممَّا كان عليه الحَالُ قَبلَ الاعتِصَام .. وحَبْلُ اللهِ تَعالى هو القُرآنُ الكَريم، كما في الحديث:" إنَّ هذا القُرآنَ سَبَبٌ طرفُه بيدِ اللهِ، وطرفُه بأيدِيكم، فتمسَّكوا به؛ فإنكم لن تضِلُّوا ولن تَهلِكُوا بَعدَه أبَداً ". وفي الأثَرِ عن ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنه في قَولِ اللَّهِ:[وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ]، قالَ:" حَبلُ اللَّهِ القُرآنُ ". والقرآنُ أمَرَ في آياتٍ عَديدةٍ تجاوزَت الثَّلاثِين آيةٍ بطاعَةِ الرسُولِ صلى الله عليه وسلم، واتِّباعِ سُنَّتِه، فيكونُ بذلك حَبلُ اللهِ الذي يجبُ أن نَعتصِمَ به هو القُرآنُ، والسُّنَّةُ، [وَلاَ تَفَرَّقُواْ]آل عمران:103. عن الاعتِصَامِ بالكِتابِ والسُّنَّةِ .. فإن فعَلْتُم تَفرقْتُم، ولَا بُد!

* * * * *

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

147- [وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]آل عمران:104. تَصوَّرُوا حياةَ الناسِ تخلُو مِن الطبِّ والأطبَّاءِ .. كم سيكثرُ المرَضُ، والعجزُ، والموتُ بين الناسِ، وكم سيضْعُف عطَاؤهم .. ولربما تَوقَّفت عجلةُ الحياةِ مِن على الأرضِ .. كذلك تأمّلوا خُلُو الحياةِ مِن " المكانيكيين "؛ الذين يُصلحُون السيَّارات، والشَّاحِانَات إذا مَا عطبَت .. لربما توقفَت السيَّارات والشَّاحِنَات ـ لأدنى عطَبٍ ـ عن السيرِ والعمَل .. بل لو خَلَت مدينةٌ من عمَّالِ القمامَةِ؛ لامتلأتِ المدينَةُ بالقُمامَةِ، والأوسَاخِ، وفشَت الأمراضُ، وأصبَحت السُّكْنَةُ في المدينة لا تُطَاق .. وقِس على ذلك كثيراً من المهَام والأشياءِ .. من أهمِّها بل وأعظمها خَطَراً خُلُو المجتمعاتِ مِن المصْلحين الذين يأمرُون بالمعرُوفِ، وينَهون عن المنْكرِ، الذين يُصْلِحُون مَا يُفسدُه النّاسُ، ويُصلِحُون الناسَ إذا ما فَسدُوا .. فيتراكمُ الفسَادُ، والخرابُ، يَعلُو بعضُه بعضَاً إلى أن تُصابَ المجتمعَات بالهلاكِ والدَّمارِ .. لذلك أمرَ اللهُ تعالى في كلِّ مجتمعٍ من المجتمعاتِ، وكلِّ دولةٍ، ومدينَةٍ، وقريةٍ بوجودِ نفَرٍ متفرّغين ومتخَصّصين يقومُون بواجبِ تعليمِ الناسِ الخيرَ، وواجبِ الأمرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكرِ، كما قال تعالى:[وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ]؛ أمرٌ يُفيدُ ابتدَاءً الوجوبَ على جميع المسلمين بأن ينفرَ منهم نَفَرٌ يقومُون بواجبِ الأمْرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ .. فإن تحققَت في هذا النَّفر الكفايَةُ قياساً للمجتمع الذي يَعيشُون فيه، سقَطَ الواجبُ عن الآخَرين، وأصبحَ بحقِّهم مندُوباً .. وإن لم تتحقَّق الكفايَةُ يبقَى حُكمُ الوجوبِ على جميع مَن هو مؤهَّلٌ من المسلمين لهذه المهمَّةِ العظيمةِ إلى أن تتحقَّقَ الكِفايةُ .. وممَّا يجبُ أن يتحقق في هذه الفئةِ التي تنفرُ

للأمرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكرِ، العِلمُ بما يَأمرونَ به، وبما ينهونَ عنه .. وإلا فإنَّ جاهلَ الشيءِ كفاقِدِه، لا يمكنُ أن يُعطيَه .. [يَدْعُونَ]؛ بالرِّفقِ، والحكمَةِ والموعظَةِ الحسنَةِ، [إِلَى الْخَيْرِ]؛ الخيرُ الجامعُ لخيرَي الدُّنيا والآخرَةُ، ولا يجتمعُ هذا الخيرُ الجامع لخيرَي الدِّين والدُّنيا إلا في الإسْلامِ، [وَيَأْمُرُونَ]؛ عندما لا تَفي مجرَّد الدَّعوةِ والتَّذكيرِ، والتَّعليمِ، بالغرَضِ، تأتي مرحلةُ الأمْرِ [بِالْمَعْرُوفِ]؛ وهو كلُّ ما تَعارَفَ عليه النَّقلُ والعَقْلُ بأنه معروفٌ، وحَقٌّ، وخيرٌ، وأعظمُ المعروفِ، وأعلاه، التَّوحِيدُ، [وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ]؛ وهو كلُّ ما تَعارَف عليه النَّقْلُ والعقْلُ بأنه منكرٌ، وشَرٌّ، وأعظمُ هذا المنكرِ الذي ينهونَ عنه؛ الشِّركُ، [وَأُوْلَئِكَ]؛ الذين يَدعُون إلى الخيرِ، ويأمرُون بالمعرُوفِ، وينَهونَ عن المنكَرِ، [هُمُ الْمُفْلِحُونَ]؛ الفائزون بخيرَي الدُّنيا والآخِرة.

* * * * *

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ

148- [يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ]؛ وجُوهُ الموحِّدين، [وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ]آل عمران:106. وجُوهُ المشْرِكين.

* * * * *

وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

149- [وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ]؛ بسببِ إيمانِهم، وتوحِيدِهم، وأعمالِهم الصَّالحَةِ .. فهناك الأعمالُ هي التي تُبَيِّضُ الوجُوهَ، أو تُسَوِّدُها .. [فَفِي رَحْمَةِ اللهِ]؛ في جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ والأرْضُ .. والتي فِيها من النَّعيمِ المقِيمِ مَالَا عَينٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ، [هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]آل عمران:107. خُلُوداً دائماً أَبَداً لا يَنْقَطِعُ، ولا يَعْقُبُه مَوت.

* * * * *

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

150- [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...]آل عمران:110. خَيريَّةُ أمّةِ الإسلامِ على سَائِرِ الأمَمِ، لا لِنَسَبٍ، ولا لِعِرْقٍ، أو لونٍ، أو لغَةٍ، أو جَاهٍ أو مُلْكٍ .. أو لمجرَّدِ الانتماءِ لقوميَّةٍ أو أرضٍ، أو تاريخ .. لا .. وإنما جُعلت خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت للناسِ لجملَةٍ مِن القِيَمِ والمبادِئ والمفاهِيم، والمهَام، تَلتزِمُ بها، وتعمَلُ لها، وتجاهِدُ من أجْلِها .. من أهمِّها وأعظَمِهَا " الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ "؛ فإن تخلَّت عن الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ .. فقَدَت تمايزَهَا، وخيريَّتها على سائِرِ الأمَمِ، واستوَت معَها ـ وربما زادَت ـ في دَرَجاتِ الهبُوطِ والانحطاطِ، والتَّحلُّلِ .. وعلى قَدْرِ تخليها عن الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، على قَدْرِ ما تَفقِدُ مِن قوَّتِها، وتمايُزِهَا وخيرِيَّتِهَا على سَائِرِ الأمَمِ .. وتَفقدُ مِن مناعَتِها!

الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ بمثابةِ جهازِ المنَاعَةِ في جسَدِ الأمَّةِ؛ ومثابَةِ الحارسِ الذي يحرسُ ما وراءه مِن كلِّ شَرٍّ، وضَرَرٍ .. فإن تعطَّلَ جهازُ المناعَةِ أو مَاتَ، ماتَ معه الجسَدُ، واستوَت عندَهُ السيئاتِ والحسَنَات .. وصَعُبَ عليه التَّمييز بين الخيرِ والشَّرِّ .. وبين الحقِّ والبَاطِلِ .. وبين ما هو نَافِعٌ، وما هو ضَار!

* * * * *

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ

151- [ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ]؛ على اليهودِ بسببِ كُفرِهم، وبغيهم، وقَتلِهم الأنبياء، [الذِّلَّةُ]؛ الذلُّ، والصَّغارُ، والمسْكَنَةُ، [أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ]؛ أينما وجِدُوا، ومهما انتفَشُوا، وتكبَّروا، فالذُّلُّ لا يُفارقهم، وهو يعْلُو وجوهَهم، بما كسبَت أيدِيهم، [إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللهِ

]؛ إلا بعهدٍ من اللهِ لهم بالأمانِ، إن دخلَوا في السِّلمِ، والذمَّةِ، ودفعُوا الجزيةَ، [وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ]آل عمران:112. وعهدٍ لهم من الناسِ بالنِّصرةِ، والدعمِ، والتَّأييدِ .. وهو ما يُفسرُ وقوفَ أمريكا، وغيرِها من الدول، معهم في الظلمِ والباطِلِ، ومدِّهم بأسبابِ القوةِ والمنَعَةِ، والحياةِ .. واستخدامهم " للفيتو "، الذي يمنعُ من مساءلَةِ ومحاسَبةِ اليهودِ في فلسطين مهمَا بغَو، وظلَمُوا، وقتَلوا .. فجميعُ ما نراهُ من اصطفافٍ مع اليهودِ وظلمِهم، لا يخرجُ عَن معنَى قولِه تعالى:[وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ].

* * * * *

وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا

152- قال تعالى: [وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا]آل عمران:120. ومع ذلك يوجدُ منّا من يَرتضيهم حَكَماً وقُضاةً لحلّ مشاكلِنا ومآسينا ...؟!

* * * * *

فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

153- [فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]آل عمران:123. مِن غَاياتِ وثِمارِ التَّقْوَى تَحقِيقُ الشُّكْرِ للهِ .. ولمَّا سُئِلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن اجتهَادِهِ في العِبادَةِ، قال:" أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوْراً ".

* * * * *

وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

154- [وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ]آل عمران:126. العِدَّةُ، والعَدَدُ، والإعْدَادُ .. مِن مُتَطلَّباتِ الحرْبِ، وهي ضَروريَّةٌ، لا ينبغي الغَفْلَةُ عَنها .. لكن مَا كانَ، ولن يكونَ النَّصْرُ بسببِها .. كما لا يجوزُ للقَلبِ أن يَتعلَّقَ بها من دُونِ اللهِ .. فكم

مِن فئةٍ قَليلةِ العَدَدَ، والعِدَّةِ، غَلبَت فئةً كثيرةَ العَدَدِ والعدَّةِ .. لتَعْلَم يا عبدَ اللهِ أنَّ النَّصرَ مِن عندِ اللهِ تَعالى وحْدَه.

* * * * *

لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ

155- لمن يَستبطئ ثمارَ ونتائجَ دَعوتِه:[لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ]؛ أمر هِدَايةِ النَّاسِ [شَيْءٌ]؛ غير الدَّعوةِ والبيَانِ بالحكمةِ والموعِظَةِ الحسَنَةِ، ثم الصَّبر والثَّبات على ذلك، أما هِدايةُ التَّوفيقِ فمَرَدُّها إلى اللهِ تعالى وحدَه؛ فهو سُبحانه يَهدِي مَن يَشاءُ، ويُضِلُّ مَن يَشاء، [أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ]؛ فيهديهم إلى الإسلامِ قبلَ موتِهم، [أَوْ يُعَذِّبَهُمْ]؛ بموتِهم على الكُفْرِ، فيَستحقُّونَ بذلك العذَابَ، [فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ]آل عمران:128. لإيثارِهم الكُفْرَ والشِّرْكَ على الإيمان.

156- [لَيْسَ لَكَ]؛ يا مُحَمَّد، على علُو مَقَامِك الرَّفيع [مِنَ الأَمْرِ]؛ مِن أَمْرِ الوَعْدِ، والوَعِيدِ .. وأَمْرِ هِدَايَةِ النَّاسِ؛ هِدَايَة تَوفِيقٍ، [شَيْءٌ]؛ فهذا ليسَ لَكَ، ولا لِغَيرِك .. وإنَّما الأمرُ كله للهِ تعالى وحدَه، [أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ]؛ فيتُوبُ على مَن يَشاءُ مِن عِبادِه؛ بهدايتِهم إلى الإسلامِ، ومُوافاتِهم عليه، مَهْمَا كانَ مِنْهم قَبْلَ ذَلِكَ مِن عَمَلٍ، [أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ]آل عمران:128. لإيثَارِهِم الكُفْرَ، ومُوافَاتِهم عليه.

* * * * *

وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

157- [وَسَارِعُواْ]؛ بفِعْلِ الطَّاعاتِ، والإقْلاعِ عنِ المنْكَرَاتِ .. والأَمْرُ بالمسَارَعَةِ؛ يُفيدُ الحركَةَ، والانطِلاقَ، والسِّبَاقَ، والمنَافَسَةَ، واغتِنَامَ الوَقْتِ قبلَ فوَاتِه .. هذه المُسَارَعَة مُستمِرَّةٌ في انطلاقَتِها [إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ]آل عمران:133. وهو الحدُّ النِّهائِي الذي عِندَه يَتوقَّفُ السِّباقُ، وتَتوقَّفُ الحركَةُ والمُسَارَعَةُ .. فتُعْرَضُ وتُعرَفُ نتائجُ المتَسابِقين والمتَسَارِعين .. نَسألُ اللهَ تَعالى أن يَجعَلَنا مِن المسَارِعين السَّابِقين .. وأن لا يَجعَل الدُّنْيَا أكبرَ هَمِّنَا، ومَبْلَغَ عِلْمِنَا!

* * * * *

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ

158- [وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ]آل عمران:133. الجَنَّةُ مَقَامَاتٌ، ودَرَجَاتٌ، بَعضُها يَعلُو ويَفضُلُ بَعْضٍ؛ أُعِدَّتْ للمُؤمنِين المتقين؛ كُلٌّ بِحَسَبِ مَا أَعَدَّ وَقَدَّمَ مِن عَمَلٍ!

* * * * *

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

159- [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ]؛ الذين يكتمُون غضَبَهم في نُفوسِهم، ويجعلونَه حبيسَ صُدُورِهم، معَ القدرةِ على إنفَاذِه، ووجودِ دواعِي إنفاذِه .. والغيظُ؛ هو الغضَبُ الشَّديدُ، يَغلِي في الصُّدورِ، غلي القُدُورِ .. [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ]؛ عن أخطائِهم، وظُلمِهِم، معَ قُدرتِهم على الانتصافِ مِنهم .. فالانتصافُ عَدلٌ .. والعَفْو إحسَانٌ .. والإحسانُ أكملُ وأعلى درَجةً مِن العدْلِ، لذلك قال الله:[وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]آل عمران:134. وفي الحديثِ:" من كَظَمَ غَيْظَاً وهو قادرٌ على أن يُنفِذَهُ دَعاهُ اللهُ ﷻ على رُؤوسِ الخَلائقِ يومَ القِيامَةِ حتى يُخيِّرهُ اللهُ مِن الحُورِ مَا شَاءَ ".

* * * * *

وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

160- [أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ]آل عمران:136. لم يقُلْ:" نِعْمَ أَجْرُ المُصَدِّقين "؛ كما هو مذهَبُ الجَهْمِيَّةِ، وغُلاة المرجئةِ الذين يُعَلِّقُونَ الوَعْدَ والوَعِيدَ على التَّصديقِ والتَّكذيبِ، فمن أَتَى بالتَّصديقِ وحَسْب مِن غَيرِ عمَلٍ؛ فهو مِن أهلِ النجاةِ والجنَّةِ .. فالآيةُ الكريمةُ تردُّ هذا الفَهْم الخَاطِئَ، والمدمِّرَ لمعاني الدِّين، وتُبيِّنُ أنَّ الجزَاءَ، والأجرَ يومَ القِيامَةِ يكونُ على العمَلِ، وعلى انقيادِ الظَّاهِرِ والباطِنِ للشَّرْعِ المنزَّلِ، وليسَ على مجرَّدِ التَّصْديقِ .. فإبليسُ اللعينُ كان من المصَدِّقين، ولم يَكْنْ كُفرهُ مِن جهةِ التَّكذيب!

* * * * *

وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

161- [وَلاَ تَهِنُوا]؛ لا تَضْعُفُوا في طَلَبِ وجِهَادِ العَدُو، [وَلاَ تَحْزَنُوا]؛ عَلى مَا فَاتَكُم مِن ظَفْرٍ، ومَا أَصَابَكُم مِن جِرَاحَات وآلامٍ، [وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ]؛ الغَالِبُون باعْتِبارِ النَّتَائِجِ والمآلَاتِ، [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]آل عمران:139. حَقًّا، وأتيْتُم بالإيمانِ اعْتِقَادًا، وقَوْلاً، وعَمَلاً.

162- [وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]آل عمران:139. اللهُ تعالى غَيورٌ؛ لَا أحدَ أغيرَ منه سُبحانه وتعالى .. رَفيقٌ بعباده .. يغَارُ عليهم .. لا يُرْضِيه أن يَرى قلُوبَ عِبادِه المؤمنين مُنْكسرَةً حَزِينةَ لمَا أصابَهم مِن جِراحَاتٍ وآلامٍ مِن قِبَلِ الأعدَاءِ .. فيتَعطَّفُ عليهم؛ ويَتودَّدُ لهم، ويُرَضِّيهم، ويُطيِّبُ خَاطِرَهم، وقلُوبَهم، " لَا تَحْزَنُوا "؛ لا يَنبغِي لكم أن تحزَنُوا .. فأنَا لا أريدُ لكم أن تحزَنُوا، ولَا أرضَه لَكُم ..

ويعِدُهم ـ ووَعْدُه الحقُّ ـ بأنَّ النصرَ، والغلَبَةَ، والدولةُ ستكونُ لهم إن كانُوا مُؤمنين، وحَقَّقُوا في أنفسِهم الإيمانَ والتَّوحِيدَ حقًّا.

* * * * *

وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ

163- [وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ]آل عمران:141. بَلاءٌ واحِدٌ ينزلُ يكونُ للمؤمنين اختبَاراً، وتمحيصَاً، وتَطْهيراً لقلُوبِهم مِن الآثَامِ والذُّنُوبِ، وحتى يتمايَزَ، ويُعرفَ المؤمنُ الصابرُ المحتَسِب مِن غَيره .. وفي نفسِ الوقتِ يكونُ للكافِرين، والمنافقِين انتقامَاً، وعذَاباً!

* * * * *

وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ

164- [وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً]؛ مِن ضِعافِ العَقْلِ والإيمانِ مَن تَراهُ يمنُّ على اللهِ، وعلى الإسلامِ، والمسلمين إسلامَهُ وإيمانَه .. وتَراهُ عندَ أدْنَى بَلاءٍ ينزلُ بسَاحَتِه، يُهَدِّدُ، ويتوَعَّدُ بالارتِدَادِ عنِ الدِّينِ، ظَانّاً أنه بذلك يَضرُّ اللهَ شَيئاً، أو أن السَّماءَ ستَبكي حزَناً عليه .. أو أنَّ عجلةَ الحياةِ ستَتوقَّفُ مِن أجْلِه .. وهو في الحقِيقَةِ لا يَضرُّ إلا نفْسَهُ؛ فيَعيشُ في الدُّنيَا حيَاةَ الضَّنْكِ، والكآبَةِ، وضيقِ الصَّدْرِ، وفي الآخِرةِ عذَابَ جَهَنم وبئسَ المصِير، [وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]آل عمران:144. الذين يلتزمُون الرِّضَا والشُّكْرَ عند نزُولِ البَلاءِ والمحَنِ بهم .. فهؤلاء سيَجزيهُم اللهُ تعالى في الدُّنيا حيَاةً طيبةً مُباركَةً .. ويَزيدُهم ثبَاتاً على الحقِّ .. وفي الآخِرَةِ يُدخِلَهم جَنَّتَه.

* * * * *

وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ

165- [وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ]آل عمران:146. الصَّابرين على الأمْرِ، وعَنِ النَّهي .. وعَلى البَلاءِ.

* * * * *

وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ

166- [وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ] ؛ ما في قُلُوبِكُم مِن نِيَّةٍ. [وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ]آل عمران:154. ليَمِيزَ المؤمنُ مِن المنَافِقِ، ويُعْرَف الصَّادِقُ مِن الكَاذِبِ.

* * * * *

لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

167- [لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ]آل عمران:157. لمن شغَلَه التكاثُرُ، وتجميعُ الأموالِ وتخزينُها .. عن ذِكْرِ اللهِ، وعَن عبادَتِه .. قَد شُغِلْتَ بالأدْنَى عن الأعْلَى .. وبالقليلِ عن الكثيرِ .. وبالمفضولِ عن الفاضِلِ .. وبالمرجُوح عن الرَّاجِح .. وبالزائلِ عن الدَّائِمِ .. وبالوسيلةِ عن الغايَةِ .. وبالدُّنيا ومتاعِها عن الجَنَّةِ ونعيمِها.

* * * * *

وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ

168- [وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ]آل عمران:159. فيه تَوجيهٌ وتَنبيهٌ لدُعاةِ الحَقِّ؛ أن لا يُراهِنُوا على قوَّةِ الحَقِّ الذي هم عليه مِن دُونِ أن يُحافِظُوا على حُسنِ الخُلُق .. ومِن دُونِ أن يَتحلَّوا بحسْنِ الخُلُق .. فيقُولُون: نحنُ على حَقٍّ .. ومَعَنا الدَّليل .. وعلى الناسِ اتِّباعُنَا؛ لأنَّنا على حَقٍّ .. مهمَا كُنَّا غِلاظاً فِظَاظاً سَيِّئِي الأخْلاقِ .. لَا .. لا يكفِي في الدَّعَواتِ الجادَّةِ أن تكون على حقٍّ مِن دونِ المحافظَةِ على

حُسْنِ الخُلُق .. ومن دون أن تَتَزينَ بحُسْنِ الخُلُقِ .. فما يَأتي به الحَقُّ، يُنفِّره ويُبعِده سُوءُ الخُلُق .. ومَا يَبنيه الحَقُّ، يُبطِلُه ويُفْسِدُه سُوءُ الخُلُق!

مِن أهمِّ عوامِلِ نجاحِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ في عهدِ النُّبوَّةِ، وما بَعْدَه .. ودُخُول النَّاسِ في دينِ اللهِ أفواجاً .. أنَّ النبيَّ محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم كانَ أعظَمَ النَّاسِ وأحسَنَهم خُلُقاً .. يكفيه مَجْداً وشَرفاً وسُمواً ثَناءُ رَبِّ العَالمين على أخْلاقِه العَظِيمَة:[وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]القلم:4. وأخلاقُ النَّبي صلى الله عليه وسلم المجيدَةِ العَظِيمَةِ، لَا تَزَالُ ـ وإلى قيَامِ السَّاعَةِ ـ سَبباً رَئيسيّاً في دُخُولِ النَّاسِ في الإسْلامِ.

* * * * *

وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ

169- [وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ]آل عمران:159. هذا أمرُ اللهِ لنبيِّهِ صلى الله عليه وسلم المسدَّدِ بالوَحْي، بأن يشاورَ أصحَابَه؛ ليسنَّ لهم، وللمسلمين مِن بعدِهم، مبدأَ الشُّورَى، لما في الشورَةِ من استخْلاصٍ لأفضلِ وأصْوَبِ الآرَاءِ .. بها تَطِيبُ النفوسُ والخواطِرُ، وتتخلَّصُ مِن طُغيانِ الاستبدادِ، وحُبِّ التفرُّدِ، والتَّسلُّطِ بالجَّبرُوت .. وتَتحقَّقُ المشاركَةُ في المسؤوليَّةِ واتخاذِ القرَاراتِ الهامَّةِ .. فَمَن دُون النبيِّ صلى الله عليه وسلم أوْلَى بأن يأخذَ بمبدأ الشُّورى، ويُشاورَ أهلَ المشورَةِ مِن ذَوي العِلمِ، والدِّرايَةِ، والاختصاصِ .. ثم أن الأمرَ الإلهي لم يحدِّدْ الأمرَ الذي يَنبغي أن يخضعَ للشورَةِ؛ ليُفهمَ منه مُطلق الأمْرِ، وفي أيِّ أمرٍ ومجَالٍ من مجالاتِ الحياةِ، وعلى جميعِ المستوياتِ الخَاصَّةِ والعامَّةِ ـ إلَّا الأمر الذي فيه نصٌّ من الكتَابِ والسُّنَّةِ ـ لتُصبحَ الشورَى ثقافَةَ الجميع .. وعقيدةَ الجميع .. ونظامَ حياةٍ للجميع؛ يَشملُ جميعَ أنشِطَتِهم الاجتمَاعيَّةِ، والاقتصَادِيَّةِ، والسياسِيَّة.

* * * * *

إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ

170- [إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ]؛ لو اجتمعَت قوَى الأرضِ كُلِّها على أن يهزمُوكم ويغلبوكُم ـ ما دامَ اللّهُ معكم، وناصِراً لكُم ـ لَن يَقدرُوا على ذلك، [وَإِن يَخْذُلْكُمْ]؛ يتخلَّى عنكم، ويتركُكم، لسَببٍ مِن عندِ أنفُسِكم، [فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ]؛ أي مِن بعدِ أن خذلَكم اللّهُ مَن هَذا الذي يَستطيعُ أن ينصرَكُم، مِن دونِه؟! الجواب: لا أحَدَ يَستطيعُ نَصرَكم، ولو اجتمعَت قوى الأرضِ كلها على أن ينصروكُم لما استَطَاعُوا، [وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ]آل عمران:160. وهذا يَستدعِي مِنكم ـ أيها المؤمنون ـ أن تَثقُوا باللّهِ وبنَصرِه، ووعدِه، وتعتمدُوا عليه، وأن لا تعلِّقُوا قلوبُكم بغيرِه.

* * * * *

لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً

171- [لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً]؛ مِن أعظمِ مِنَنِ ونِعَمِ اللّهِ تعالى ـ التي تستوجبُ جزيلَ وعظيمَ الشُّكرِ ـ أن بعثَ اللّهُ محمَّداً صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالَمين .. تَصوَّروا الدُّنيا من غيرِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم كم سيكونُ حجمُ الظَّلامِ، والظُّلمِ، والضَّياعِ، والضَّلالِ ..؟! الحمدُ لله حمداً كَثيراً طيباً مُباركاً فيه أن أرسَلَ إلينا محمَّداً صلى الله عليه وسلم مُعلِّماً، وهَادِياً، وبَشيراً، ونَذيراً، [مِّنْ أَنفُسِهِمْ]؛ لم يكُن أعجمياً عليهم، بل كان مِنهم؛ قُرشياً عربيّاً يَفهمُون عنه، ويَفْهم عنهم .. وهذه نعمةٌ عظيمَةٌ؛ إذ لو كان أعجميّاً لوجب عليهم أن يتعلَّموا لغتَه، ويَفهمُوا عنه، [يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ]؛ آياتِ القُرآنِ الكريم، ليتأمَّلُوها، ويتدبَّرُوها، ويتفكَّرُوا بالإعجازِ فِيها، ويعملُوا بها، [وَيُزَكِّيهِمْ]؛ يُطهرهُم مِن الشِّركِ، والذُّنُوبِ، والآثَام .. ويخرجُهم مِن ظُلماتِ الشركِ والجهلِ إلى نُورِ التَّوحِيدِ والعِلمِ .. ومن الرقِّ والعبوديَّةِ للعبيدِ، إلى الانعتاقِ وعبادَةِ ربِّ العالمين .. ومِن جَوْرِ

الأديانِ إلى عَدْلِ ورحمةِ الإسلامِ، [وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ]؛ الأحكامَ والتَّعاليمَ الوارِدَة في القُرآنِ الكريم، [وَالْحِكْمَةَ]؛ والأحكامَ والتَّعاليمَ الوارِدة في السُّنَّةِ؛ وهي كلُّ قولٍ أو فِعلٍ، أو تقريرٍ صَادِرٍ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولا يَصدرُ عنه إلا حَقًّا، [وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ]؛ قبلَ بعثةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ]آل عمران:164. ومن ضَلالِهم أنَّهم كانُوا يَصْنَعُون آلهتَهم بأيدِيهم، فإذَا جَاعُوا أكلُوهَا ...!!

* * * * *

قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ

172- [قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا]؛ مِن أينَ جاءَنا هذا البَلاءُ، وهذا المُصَابُ، وهذا الشَّقَاءُ، والضَّنكُ في العَيْشِ .. وحَيثُما تلتَفِتُ تجدُ الفسَادَ، والظلمَ، والخرَابَ .. وجوابُ كُلِّ هذا؟ [قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ]آل عمران:165. بسبَبٍ مِن عِندِ أنفُسِكُم الأمَّارَةِ بالسُّوءِ .. بسَبَبِ مَا كسَبَت أيديكُم مِن الظُّلمِ، والبَغْيِ، والفَسَادِ في الأرضِ .. ولا تَلُومُوا إلا أنفُسَكُم!

* * * * *

حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

173- [حَسْبُنَا اللهُ]؛ كافِينَا اللهُ كُلَّ شَرٍّ، وخَطَرٍ .. وكُلَّ ضِيقٍ، وعُسْرٍ .. وكَلَّ كَرْبٍ، وهَمٍّ .. وظُلمَ الظَّالمين .. كِفَايَةً تَامَّةً لا تحوجُنَا إلى غَيرِه، [وَنِعْمَ الْوَكِيلُ]آل عمران:173فهو أحسن وخَيرُ مَن نفوِّضُ إليه أمْرَنَا، ونَرفَعُ إليه شَكْوَانا، ونتَوَكَّلُ عليه.

174- [حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ]آل عمران:173. في دَفْعِ كُلِّ شَرٍّ، وجَلْبِ كُلِّ خَيْرٍ.

175- [حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ]؛ تَعْنِي أَنَّ قَضِيَّتَكَ قَد رُفِعَت إلى خالِقِ الخَلْقِ، ومالِكِ المُلْكِ، لِمَن إذا قالَ لشيءٍ كُنْ فيكُون.

* * * * *

وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ

176- [وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]آل عمران:176. كما نُسَر ـ تبَعاً لنبينا صلى الله عليه وسلم الذي بُعِثَ رحمةً للعالمين ـ لهدايةِ الناسِ، وإنقاذِهم مِن النارِ .. لا ينبَغي أن نحزنَ إن رأينا منافقاً يُسارِعُ في اختيارِ الكُفرِ، والولوجِ فِيه، ويُصرُّ عليه، وبخاصَّة بعد أن قمنا بواجبِ البيانِ والنُّصح له .. وقامت عليه الحُجَّةُ البالِغَةُ .. وقوله:[يُسَارِعُونَ]؛ فيه دلالةٌ على الخفَّةِ وعدمِ التريثِ والتأملِ والتَّفكرِ بالعواقِبِ، والمآلاتِ، وأنَّهم لا يأبَهون لنداءِ الحقِّ، ولا يُبالون .. فالإسراعُ يُحيلُ بينهم وبين ذلك .. وهؤلاء يُعاقَبون مِن جِنسِ فعلِهم؛ كذلك أنتَ يا محمد صلى الله عليه وسلم ومَن معَك من المؤمنين لا تَأبَهوا لإسراعِهم في الكفرِ، ولا تحزَنُوا، [إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً]؛ نكرة بعدَ نفيٍ تفيدُ العُموم؛ أيُّ شيءٍ مهما كان ضَئيلاً فلن يَضرُّوه، كذلك لو آمنُوا وكانوا على أتقَى قلبِ رَجُلٍ؛ فلن ينفعوا اللّهَ شيئاً .. فاللّهُ تعالى غنيٌّ عن خلقِه أجمعين .. كما في الحديث القُدسي:" إنكم لن تبلُغوا ضرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغُوا نفْعِي فتنفعُوني "مسلم. وإنما الضَّررُ يرتدُّ عليهم وحسْب، [يُرِيدُ اللّهُ]؛ لاختيارِهم الكفرَ، وإسراعِهم فِيه، [أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ]؛ نصيباً من الخيرِ والإيمانِ ينتفعون به في الآخِرةِ، [وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]؛ عذابٌ أليمٌ في نارِ جهنم، وبئسَ المصِير.

* * * * *

إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً

177- [وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ]؛ نؤخِّرُ في أعمارِهم وآجالِهم، [خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ]؛ لا يَظنَّ أن هذا التأخيرَ خيرٌ لهم، أو هو علامَةٌ على رِضا الرحمن عنهم .. لَا؛ [إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً]؛ إنما يُطيلُ اللهُ أعمارَهم استدراجاً، وليزدادُوا إثماً وكُفراً، وحَسماً لأعذارِهم، وحتى لا يقولُوا يومَ القيامةِ لم نَأخُذ وقتنا الكافي للتفكيرِ ونحنُ في حياتِنا الدُّنيا .. وقد وُجدَ من الكافرين مَن يُزيدُ اللهُ بعمرِه عن المائةِ سَنةٍ؛ حتى إذا جاء أجَلُه ـ الذي لا يتأخّرُ ولا يتقدَّمُ دقيقةً واحدةً ـ طلبَ أن يُؤخَّر يوماً أو ساعاتٍ، ليستدْرِكَ ما قد فاتَ، وأنَّى .. وقَد أعطاهُ اللهُ قبلَ ذلك أكثرَ مِن مائةِ سَنَةٍ، [وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ]آل عمران:178. وهؤلاء لهم عَذابٌ أليمٌ ومُذِل.

في بعضِ الإحصائيات لإحدَى الدول الغربيَّةِ، تقول: يُوجد عشرةُ ملايين نَسَمَة ممن زادَت أعمارُهم عن المائةِ سنةٍ .. فأدِلَّةُ الواقعِ تصدِّقُ أدلَّةَ التَّنزيل!

* * * * *

حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

178- [مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ]؛ لو كان أمرُ الإيمانِ يَقتصرُ على مجرَّدِ الزَّعمِ والإدِّعاءِ، لهانَ الأمرُ على المنافقين، ولادَّعَى مَن شَاءَ الإيمانَ، وزعَمَ أنه مِن المؤمنين .. ولاندَسَّ المنافقُون في صفُوفِ المؤمنين .. واختلَطَ الصَّالحُ بالطَّالحِ، والحقُّ بالباطِلِ .. لكن تأبَى مَشيئةُ اللهِ تعالى وحكمتُهُ إلا أن تمايزَ الصفُوفُ، والنُّفُوس؛ فيَميزَ المؤمنين عن المنافقين .. والصَّادقين عن الكاذِبين .. والصالحين عن الطَّالحين .. وهذا لا يتمُّ إلا بالاختبَارَاتِ والابتلاءَات .. والتي مِنها الجهادُ في سبيلِ اللهِ .. التي تُمايزُ بينَ الصُّفُوفِ .. وبها يُعرفُ المؤمنُ من المنافقِ .. والصابرُ

المحتسِبُ مِن المتسخّطِ المعترِض .. والصادقُ من الكاذِبِ في دعوَى وزَعْمِ الإيمان، [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ]آل عمران:179. فيجعَلكُم تَعرفُون ما في نفُوسِ وقلوبِ المنافقِين .. فهذا غيبٌ .. ليسَ لكم .. ولَا لأحَدٍ من خَلْقِ اللهِ .. وإنما علمُه للهِ تَعالى وحدَه .. لِذا كان لا بدَّ من الاختباراتِ والابتلاءات التي تكشفُ المنافقِينَ للمؤمنين، وتَفضحُ نفاقَهم .. وهذه غايةٌ من جملةِ الغايَاتِ العَديدَةِ للابتلاءِ، ولتَقديرِ البَلاءِ.

* * * * *

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ

179- [كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ]؛ قانونٌ عامٌّ لا يَستثني أحداً من الخلْقِ .. يتَساوَى فيه الجميعُ؛ الشريفُ والوضِيعُ، والغنيُّ والفقيرُ، والحاكمُ والمحكوم .. قانونٌ يتربَّص بالجميعِ، عنده تُقبضُ الأرواحُ، وتُهدَمُ اللَّذَّاتُ، وتتوقفُ الأعمالُ والمشاريعُ، ويُرفعُ التَّكليفُ .. ويُتركُ كلُّ ما في اليدِ للآخَرين .. لا فرصةَ للعَملِ بعدَ اليوم .. فمن عملَ عَملاً صالحاً هانَ عليه الموتُ، وما بعدَ الموتِ، ووجَدَ للموتِ طعماً حُلواً، ومَن عملَ عملاً طالحاً سيئاً، وغَلبَت سيئاتُه حسناتِه، صَعُبَ عليه الموتُ، وما بعدَه كان أصعب عليه، ووجَد للموتِ طَعماً مُرَّاً علقَماً، وهو ما يُفيدُه معنى " التَّذوّق "، [وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ]؛ كامِلَ [أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]؛ على ما قدمتم في حياتِكم الدُّنيا مِن عملٍ؛ إن كان خَيراً فخير، وإن كان شَرَّاً، فشر، [فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ]؛ نُحِّي وأُبعِدَ عن نارِ جهنمَ بسببِ ما قدَّم مِن طاعاتٍ وعملٍ صالحٍ .. حيثُ يأذنُ اللهُ تعالى للطَّاعاتِ يومئذٍ أن تَستشرفَ، وأن تَتشفَّعَ، وتعملَ على دفعِ وزَحزحةِ صاحبِها عن النارِ، وإبعادِه عنها، كما في الحديث:" مَن صَامَ يَوْماً في سَبيلِ اللهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً "متفق عليه. أي سبعينَ سنَةً، وقال صلى الله عليه وسلم:" فَمَن أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ،

فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهو يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الَّذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ "مسلم. [وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ]؛ فازَ فوزاً عظيماً بالجَنَّةِ ونعيمِها الدائمِ أَبَداً، جنَّةٌ فيها ما تَلَذُّ الأعينُ وتَشتهي الأنفسُ .. فيها مالا عينٌ رَأت، ولا أُذُنٌ سمعَت، ولا خَطرَ على قلبِ بشرٍ .. مفهومُ المخالفةِ والمقَابَلةِ أن من يُبعَد عن الجنَّةِ، ويدخل نارَ جهنمَ فقد خسرَ خُسراناً عظيماً، [وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ]آل عمران:185. متاعٌ منقطعٌ غَرَّارٌ، يُغري ويَغشُّ، كأيِّ متاعٍ؛ سريعُ الذُّبولِ، والأفُول، والزَّوالِ، والانتقالِ إلى الغيرِ .. لا يغترُّ به إلا جاهلٌ؛ لا يَنظرُ إلى ما هو أبعد من أنفِه، ويومِه .. وما كان كذلك كيفَ يصدك ويشغلُك يا ابنَ آدَم عن الحقائقِ الكُبرَى الخالِدَةِ التي تتربَّصُ بك بعدَ الموتِ؟!

* * * * *

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ

180- [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ]؛ في جميعِ أحوالِهم، وجميعِ أوقاتِهم، وعلى أيِّ وضْعيَّةٍ كانوا .. فهم في ذِكْرٍ، وطاعةٍ، وعِبادةٍ لله .. لَا يُوجدُ حائِلٌ أو مانعٌ يمنعهم مِن ذِكْرِ اللهِ، والتواصُلِ مع اللهِ .. فهم في ذِكْرٍ دائمٍ للهِ؛ وهذه صفَةُ المؤمنين العارِفين بالله، [وَيَتَفَكَّرُونَ]؛ يُعمِلُون عقُولَهم، في التفكّرِ والتدبُّرِ [فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]؛ ومَا فِيهمَا مِن آياتٍ باهِراتٍ، تَدلُّ على عظَمةِ الخالِقِ، وعلى قدرَتِه، وأنه تعالى هو المعبودُ بحقٍّ .. فيستدلُّون بعظمَةِ المخلُوقِ وجمالِه على عظَمَةِ الخالقِ، وجمالِه، ووحدانيَّتِه، [رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً]؛ هذه نتيجةُ التَّأمُّل والتفكُّرِ .. فلَمْ يكُنْ تفكيرُهم ـ على طريقةِ الكافِرين ـ باهتاً سلبيّاً ينتهي ويَقفُ عند الصورةِ وجمالها وحَسْب .. بل هم يَتعَدُّون في النَّظَرِ؛ فيستدلُّونَ بعظمةِ الصُّورةِ على عظَمَةِ، وحكمَةِ المصوّر، وعلى قدرتِه، وأنَّه تعَالى مَا خَلقَ السماواتِ والأرضَ ومَا فِيهما عَبَثاً، ولغيرِ غايَةٍ، [سُبْحَانَكَ]؛

تَنزيهٌ للخالِقِ عن العَبثِ، وعن كلِّ صِفةِ نَقْصٍ، [فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]آل عمران:191.
أجِرْنَا مِن عذَابِ جهنم يومَ نَؤُولُ إليك يومَ الحِسَاب.

* * * * *

وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ

181- [وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ]؛ السَّفيهُ هنا؛ هو المبذّرُ والمسرفُ؛ الذي لا يُحسنُ التدبيرَ، ولا التَّقديرَ، ولا يكترِثُ لمآلاتِ سلوكِه وإسرافِه، وتَبذيرِه .. ومهمَا أُوتِي من المالِ سرعان مَا يُهلِكُه في سبيلِ نزواتِه، وشَهواتِه .. وعلى المحرَّمات .. وفي دروبٍ يَقلُّ نفعُها .. لا يَعرفُ قَدْراً لقيمةِ نِعمَةِ المالِ .. فهذا ينَبغي أن يُحْجَرَ عنه المالُ؛ إلى أن يُلتمَسَ منه الرشدُ والاستقامَةُ، وحسنُ تقديرِه لنعمةِ المالِ، [الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً]؛ المالُ الذي ملَّككُم اللهُ إيَّاه، واستأمنَكُم عليه، وجعلَ معاشَكُم مُرتبطاً وقائماً به .. فالمالُ على الحقيقةِ هو للهِ، ومِن اللهِ .. فكما لا يجوزُ أن تكتسبُوه مِن المواضعِ المحرَّمَةِ التي نَهى اللهُ عنها .. كذلك لا يجوزُ أن تَضعُوه في غيرِ المواضعِ التي شرَعَها اللهُ لكم، وأذِن لكم فِيها .. والله تعالى لا يَأذنُ لكم أن تُعطُوا السفهاءَ أموالكم التي ملَّككم اللهُ إيَّاها، [وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ]؛ فالحَجْرُ ليسَ على إطْلاقِه .. مَا تَقدَّم لا يمنعُ أن تُنفِقُوا على السُّفهاءِ الضُّعفاءِ بالمعرُوفِ، وبالقَدْرِ الذي تَستمرُّ به حياتُهم بطريقةٍ عزيزةٍ كريمةٍ مِن غيرِ تَقْتيرٍ ولا إسْرَافٍ، [وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً]النساء:5. وهو الجانبُ الأهمُّ في عمليةِ الإمساكِ والإنفَاقِ؛ القولُ الحَسنُ، والرفيقُ، والجميلُ، الذي يُطيِّبُ النفوسَ والخواطِرَ، مِن غيرِ مَنٍّ ولا أذَى .. فمعروفُ الإنفاقِ مهما كان عَظيماً إن لم يُتابَع بمعرُوفِ القولِ .. يبطُلُ أجرُه عِندَ الله.

* * * * *

لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً

182- [آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً]النساء:11. مِن الناسِ من يتجاوزُ أحكامَ الإرثِ .. فيُوصِي لورثتِه وهو حيٌّ يُرزَق .. ويَحيفُ في الوصيَّةِ،

فيَميلُ لشخْصٍ من الورثةِ أكثرَ مِن شخصٍ .. ظناً مِنه أنَّ هذا الشخص يَستحقُّ مِن إرثِه مَالا يَستحقُّه الآخَر .. وأنَّه سينفعُه أكثرَ مِن الآخَر .. أو خوفاً على حقِّهِ من أن يَضيعَ .. وفي الحديث الصحيح:" لا وصيَّة لوارثٍ ". لأن الوارِثَ حقهُ محفوظٌ، ومعلومٌ بنصِّ الكتابِ والسنَّةِ، لا يمكنُ تجاوزُه زيادَةً ولا نُقصَاناً .. والوصيَّةُ له تَعدٍّ على حدودِ اللهِ تعالى في الإرْثِ، وتَقسيم للمقسَّم شَرعاً .. وتدخُّلٌ في عملِ الله!

* * * * *

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ

183- [وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ]النساء:27. لو قِيلَ لك عن أحبِّ الناسِ إليك، وأعظَمِهم قَدْرَاً، وتَوقِيراً في نفْسِك .. هذا الإنسانُ يريدُ منك شَيئاً .. كم تُسْرِع، وتَهفُو لتُلَبِّي طَلَبَهُ وإرادَتَه .. وللهِ المثلُ الأعْلى .. فكيفَ بخالِقِ الخلْقِ، ومَالِكِ المُلْك .. رَبّ العَالَمين .. يقولُ لك: اقترِب مِنّي يَا عبدِي .. عُدْ إليَّ .. أريدُ أن أتوبَ عَليك .. أريدُ أن أغْفرَ لكَ ذَنْبَك .. تُبْ؛ لأتُوبَ عليك .. كيفَ يَنبغِي أن يكونَ إقْبالُك على ما يُريدُه اللهُ مِنك .. اللهمَّ تُبْ علينَا لنتُوب!

* * * * *

وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً

184- [وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً]النساء:27. عَنِ الفَضِيلَةِ إلى الرَّذِيلَةِ .. وعن الطُّهْر إلى الرِّجْسِ والنجَاسَةِ .. وعَنِ الفِطْرَةِ إلى الشُّذُوذِ، والمرَضِ!

185- [وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً]النساء:27. لا يَرضون أن يميلُوا عن الفَضِيلَةِ إلى الرَّذِيلةِ، وعنِ الفِطْرَةِ إلى الشُّذُوذِ والفُسُوقِ .. ويَقتَصرُ

الميلُ والانحرَافُ على أنفُسِهم .. لا يَرضَون بذلك، ولا يَهدَأ لهم بالٌ حتى يَميلَ معهم المؤمنُون فِيما قَد مَالُوا فِيه .. ويُشارِكُوهم الشُّذُوذَ، والانحرَافَ، والمرَض!

* * * * *

وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ

186- [وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ]النساء:29. كلُّ من طَاوعَ نفسَه على ضَرَرٍ، فهو يَسعى في قَتْلِها، وله سَهمٌ في قَتْلِها، بحسب نوع وكم الضَّرر.

* * * * *

وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً

187- [وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً]النساء:36. وكان لا يكتمِلُ الدِّينُ إلا بهما مَعاً .. ودَعوةٌ لا يكتملُ عملُ الدُّعاةِ إلا ببيانِهمَا مَعاً: أن تَعبدُوا اللهَ وحدَه، وتخصُّوه وحدَه بالعبادِة العَامَّةِ والخَاصَّةِ .. وأن تجتنبُوا الشِّركَ، وتتبرَّأوا منه، مَا ظَهَرَ منه ومَا بَطَنَ .. الشركُ الأكبر والأصغر سواء، وهو المستَفَادُ مِن كلمةِ [شَيْئاً]. أي مهمَا كان هذا الشَّيءُ من الشِّركِ دقيقاً وصَغيراً، يجبُ اجتنابُه .. ومَن أتى بأحدِهما دُونَ الآخَر، لا يَصحُّ إيمانُه، ولا يُقبَلُ منه دِينٌ ولا عملٌ .. وهذا يَستدعي التَّفقه بالشِّرْكِ وضرُوبِه، ومذاهِبِه، فالشيطانُ يقومُ بتحديثِ الشِّركِ، والإضافةِ عليه باستمرارٍ .. ثم أن جاهلَ الشِّركِ لا يُؤْمَنُ عليه أن يقعَ فيه، وهو يحسبُ أنه يُحسنُ صُنعاً!

وعلى خطورَةِ الشِّركِ، وأهميةِ اجتنابِه .. نجدُ كثيراً مِن الدُّعاةِ المعَاصِرين تَقتصرُ دَعوتُهم على " اعبدُوا اللهَ "، مِن دونِ " واجتنبُوا الشِّرْكَ " .. لأنَّ الجانبَ الأصعبَ من الدَّعوةِ الذي يترتَّبُ عليه تَبِعاتٌ، ومواجهةٌ معَ الباطلِ وأهلِه هو " اجتنبُوا الشركَ "، وهو مَا لا يُريدونَه، ويَهربُون مِنه .. وهم بذلك قد أعْطُوا الشيطانَ إجازَةً طويلة!

* * * * *

لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى

188- [لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى]النساء:43. تشملُ جميعَ الطّاعاتِ؛ لأن جميعَ الطاعات تحتاج إلى العقلِ، ويُشترَط لها العقل، وحُضُور العَقْلِ.

* * * * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ

189- [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ]؛ حظَّاً من الكتابِ، والعِلمِ، والحقِّ .. والخوفِ مِن هؤلاءِ - الذين يُؤتون جزءاً من العِلم والحقيقةِ - أكثرُ مِن غيرِهم؛ لأنَّ هذا القليل مِن الحقِّ والعِلمِ الذي معَهم، يُغرِيهم، ويحملُهم على الطُّغيانِ، والظلمِ، وهو لا يُغني من الحقِّ شَيئاً، [يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ]؛ بالهدَى، ودينِ الحقِّ .. ومنهم من يَشتري الضَّلالةِ بالمالِ أيضاً؛ فينفقون أموالَهم في استيرَادِ وشِراءِ الباطِلِ، والضَّلالِ، والفُسُوق، [وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ]النساء:44. وهم لا يكتفُون أن يَشتروا الضَّلالَة لأنفسِهم، وأن تَقتصرَ الضلالةُ على أنفسِهم .. لا يَرضون بذلك، ولا تَقرَّ لهم عينٌ، حتى يُصدِّروها للمسلمين، ولأبنائِهم، حتى يُضلوا طريقَ الحقِّ، كما ضَلُّوا .. فيكونُون سواء في الضَّلالِ!

* * * * *

إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ

190- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ]؛ لأنَّ الشِّركَ ظُلمٌ عَظيمٌ، لا يُوَازِيه ولا يَعلُوه ذَنْبٌ ولا ظُلمٌ .. وهو يَعني أن تُلْغِي الغَايَةَ مِن وُجُودِك، وأنْ تَصرفَ حَقَّ الخالِقِ عليك، الذي خَلَقَكَ وأوْجَدَك، وتفضَّلَ عليك بالنِّعَمِ التي لا تُحْصَى، إلى المخْلُوقِ؛ فتَعْبُدُه، وتتوجَّهُ إليه بالعِبادةِ من دُونِ اللهِ .. فهذا هو الذَّنْبُ العَظيمُ والوحِيدُ الذي لا يَغفرُهُ اللهُ،

[وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ]؛ ما دُونَ الشِّرْكِ؛ مَهمَا كان الذَّنْبُ [لِمَن يَشَاءُ]النساء:48. من عِبادِه؛ لِسعَةِ رَحمتِهِ وعَفْوِهِ ومَغْفِرتِه سُبحانه.

191- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ]النساء:48. الذَّنْبُ الوحيدُ الذي لا يغفرُهُ اللهُ تعالى، ولا تُدرِكُ صاحِبَه الرَّحْمَةُ، ويخلِّدُه في النَّارِ أَبَدَاً؛ هو الذي يموتُ على الشِّركِ والكُفْرِ .. لِذا فهو في يَأسٍ وقنُوطٍ مِن رحمةِ الله .. وما سوى الشِّرك مِن الذُّنُوب والخَطَايا مهْمَا عظُمَت، تخضَعُ لمشيئةِ اللهِ تعالى؛ إن شاءَ غَفَرَ لصَاحِبِها مِن غيرِ عذابٍ .. وإن شَاءَ عذَّبَه بها .. ولو عَذَّبَه بِها، تُدركُه الرحمةُ، ويُخرجُه اللهُ مِن النَّارِ بعدَ أن يتَطهَّر من ذنُوبِه؛ لوجودِ أصلِ الإيمانِ والتَّوحيدِ عِندَه .. هذا الذي دَلَّت عليه نصوصُ الكتَابِ والسُّنَّةِ، والذي عليه أهلُ السُّنَّةِ والجماعَة.

192- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ]؛ لِمَن ماتَ على الكُفْرِ والشِّرْكِ، [وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ]؛ لمن يموتُ على الإيمانِ والتَّوحِيدِ، مَهمَا كان منه مِن عمَلٍ، [لِمَن يَشَاءُ]النساء:48. إن شَاءَ سُبحانه عفَا عنه، وإن شاءَ حاسَبَهُ وعاقبَه .. وبالتَّالي لا يُجزَم لمن يموتُ على التَّوحِيدِ مِن أهلِ القِبلةِ بجنَّةٍ، ولا نَارٍ .. والجزْمُ له بالجَنَّةِ أو النَّارِ .. هو مِن التَّأَلِّي على اللهِ تعالى بغيرِ علم.

193- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ]النساء:48. لأَن تَلْقَى اللهَ سبحانه بكلِّ ذَنْبٍ خَلَا الشِّركِ، وتَرْكِ الصَّلاةِ .. أهونُ وخَيرٌ مِن أنْ تَلقَى اللهَ تعالى بكلِّ حسنَةٍ، معَ الشِّرْكِ، وتَرْكِ الصَّلاة!

* * * * *

وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً

194- الظلمُ أنواعٌ ودرجاتٌ .. بعضها يعلو بعضاً .. أعظمها، وأشدها ضرراً على صاحبها، الشّرك:[إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ]لقمان:13. [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً]النساء:48.

* * * * *

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا

195- [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا]النساء:58. ومِن أعظَمِ الأَمَانَاتِ التي أُمِرْنَا أن نُؤدِّيَها إلى أَهْلِها كامِلَةً من غيرِ زيادةٍ ولا نُقْصَان، أَمَانَةُ الدِّين.

تَعِبَ الأجدادُ حتى وصلَ الدينُ إلينا نقيّاً كاملاً .. وحتى يَصلَ هذا الدِّينُ إلى أبنائِنَا، وإلى الأجيالِ التَّاليةِ، كما وصَلَ إلينا، لا بد من أن نتعَبَ كما تَعِبُوا.

196- [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ]؛ أمْرَ وجُوبٍ، [أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ]؛ الحقُوق؛ سواءٌ كانَت هذه الحقُوقُ مَادِيَّة أم مَعْنَوِيَّة، ومِن الأَمَانَاتِ: الحُكْمُ، والإمَارَةُ، والوظَائِفُ الحكُوميَّةُ، [إِلَى أَهْلِهَا]؛ إلى أَصْحَابِها الذين يَستَحِقُّونَها، وكانُوا الأكْفَأ لها، والأجْدَرَ بها، مِن غيرِ مُحَاباةٍ لأَحَدٍ، لِقَرَابةٍ، أو جَاهٍ، أو رَشْوةٍ، أو لانتماءٍ حِزبي، أو غير ذلك، [وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ]؛ كلَّ النَّاسِ؛ مُؤمنهم وكافِرهم، [أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ]؛ فَلا تُفَرِّقُوا في الحُكمِ والقضَاءِ بينَ المسلمِ وغيرِ المسلم، وبينَ الغَنِي والفَقِير، وبينَ الضَّعِيفِ والقَوِي، وبينَ الرَّئِيسِ والمرْؤوسِ، بل تَحكُمون للمظلُومِ المُحِقِّ، على الظَّالِمِ المحقُوقِ، وتُنْصِفُونَ حَقَّهُ مِنه، ولو كان الأوَّلُ كافِراً، والآخَر مؤمِناً مُسلماً .. ولو كان الأوَّلُ مَرْؤُوساً والآخَرُ رَئِيساً، [إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ]؛ أي نِعِمَّ، وعَظُمَ، وجَمُلَ، وكَمُلَ هذا الشيءِ الذي

يَعِظُكم اللهُ ويأمركُم به، وهو أداءُ الأمَاناتِ إلى أصحَابِها، والحكْمُ بينَ النَّاسِ بالعَدْلِ، [إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً]، بما تقُولُون وتَحْكُمُون، [بَصِيراً]النساء:58. بمَا تَفْعَلُون.

197- [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا]النساء:58. مِن الأمَانَاتِ خُطْبَةُ الجُمُعَة.

198- [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ]النساء:58. بِهاتَين الصِّفَتَين العَظِيمَتَين: أَدَاءُ الأَمَانَاتِ والحقُوقِ إلى أَصْحَابِها، ومُسْتَحِقّيها .. والحُكمُ بينَ الناسِ بالعَدْلِ .. تَعْمُرُ الأُمَمُ والدُّوَلُ، وتَنْهَضُ .. ومِن دُونِهمَا، وبالتَّخَلِّي عنْهُمَا، تَنهَارُ الأُمَمُ والدُّولُ، وتُصابُ بالدَّمَارِ والخَرَابِ .. ووَجْهُ التَّرابُطِ بينَ هَاتَين الصِّفَتَين: أَدَاءُ الأَمَاناتِ والحقُوقِ إلى أهلِها، وبينَ الحُكْمِ بينَ النَّاسِ بالعَدْلِ .. وتَقَدُّم ذِكْرِ أَدَاءِ الأَمَاناتِ والحقُوقِ إلى أهلِها على الحكْمِ بينَ النَّاسِ بالعَدْلِ .. أن الحُكمَ بينَ الناسِ بالعَدْلِ لا يمكِنُ أن يتحقَّقَ أو يَسُودَ إلَّا إذا تَقَدَّمَهُ أولاً أَدَاءُ الأَمَاناتِ والحقُوقِ إلى أَهْلِها، وبعد أن تُوَسَّدَ الأُمُور إلى مُسْتَحِقّيها!

انظرُوا إلى أيِّ دَولَةٍ تَشْكُو مِن الفَسَادِ، والتَّخَلُّفِ، والخَرَابِ .. ستَجِدُون مَرَدَّ ذلك كُلِّه إلى تَنَكُّبِ هذه الدَّولةِ والقَائمينَ عليها عَن هَاتَين الصِّفَتَين العَظِيمَتَين .. مَا أَعْظَمَ كَلَامَ اللهِ، ومَا أَعْظَمَ وأَجْمَلَ تَوجِيهاتِه وأَوَامِرَه لِعِبَادِه!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ

199- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ وهو وحدهُ سُبحانه المطاعُ لذاتِه، وما سواه مُطاعٌ له، وفيه، [وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يبلِّغُ عن ربِّه، ولا

ينطقُ عن الهوى، [وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ] ؛ وهم العلماءُ والأمراء، وطاعتهم واجبة بقيدٍ وشرط؛ شرطها أن تكون في المعروف، وأن لا تكون في معصيةِ الله؛ إذْ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق، [فَإِن تَنَازَعْتُمْ] ؛ أولي الأمر بعضُهم مع بعضٍ، أو أولي الأمر من الحكام مع مَن يحكمونَهم من الشعوبِ والناس، [فِي شَيْءٍ] ؛ أي شيءٍ يتعلق بشؤون الحكمِ والسياسةِ، وطريقةِ الحُكمِ، وما للحاكمِ مِن حقُوقٍ، وما عليه مِن واجباتٍ، وغير ذلك، [فَرُدُّوهُ] واجبٌ وفرض، [إِلَى اللهِ] إلى كتابه؛ القرآن الكريم، [وَالرَّسُولِ] إلى شخصه في حياته، وبعد وفاته يكون الرد إلى سنّته، وهذا دليل على أن في الكتابِ والسنَّة حلٌّ حاسم وشاملٌ لأي شيءٍ يتمُّ التنازع فيه بين الحاكمِ والمحكومِ، أو بين أولي الأمرِ بعضهم مع بعض، إذ يستحيل أن يردنا الله إلى مرجعٍ نرجع إليه في حلِّ نزاعاتنا، وما نختلف فيه، ثم لا نجد في هذا المرجع حلّاً لها، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]؛ إن كنتم صادقين حقّاً في دَعْوى الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخِر، فإن لم تردُّوا النزاعات إلى الله، وإلى الرسولِ، كان ذلك دليلاً على عدم صدقِكم في دعواكم الإيمان بالله واليومِ الآخِر، وكان دليلاً على عَدمِ إيمانكم، [ذَلِكَ خَيْرٌ]؛ أي في ردكم إلى الله وإلى الرسولِ صلى الله عليه وسلم خيرٌ لكم من أن تلتَمِسُوا الحلولَ لنزاعاتكم من عندِ أهوائِكم، أو مِن الشّرقِ أو الغَربِ، أو من عندِ أعدائكم، [وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً]النساء:59. عاقبة ومآلاً.

200- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ]؛ طاعةَ امتثالٍ وعِبادة، [وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ] ؛ طاعة امتثال واستسلام من غير تعقيب ولا جِدَال، [وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ]؛ طاعة امتثالٍ في المعروف، على بينةٍ وبصيرةٍ؛ إذ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالِق، [فَإِن تَنَازَعْتُمْ]؛ مع أولي الأمرِ منكم، أو أولي الأمر بعضهم مع بعض [فِي شَيْءٍ]؛ من أمورِ

الدِّين والدُّنيا [فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ]؛ إلى القرآنِ الكريم؛ كلام الله [وَالرَّسُولِ]؛ إلى شخصِه الشريف في حياته، وبعد مماته إلى سنَّتِه المُطهَّرةِ صلى الله عليه سلم، [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ]؛ إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان، والتَّصديق [بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]؛ وما فيه مِن وعْدٍ ووعِيدٍ، [ذَلِكَ خَيْرٌ]؛ لكم مِن ردِّ ما تتنازعون فيه إلى أهوائكم، وإلى الشرائع والقوانين الوضْعيَّة، [وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً]النساء:59. عاقبةً ومآلاً في الدُّنيا والآخرة.

201- قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ وهو وحدهُ سُبحانه المطاعُ لذاتِه، وما سواه مُطاعٌ له، وفيه، [وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يبلغُ عن ربّه، ولا ينطقُ عن الهوى، [وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ]؛ وهم العلماءُ والأمراء، وطاعتهم واجبة بقيدٍ وشرط؛ شرطها أن تكون في المعروف، وأن لا تكون في معصيةِ الله؛ إذْ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق، [فَإِن تَنَازَعْتُمْ] ؛ أولي الأمر بعضُهم مع بعضٍ، أو أولي الأمر من الحكام مع مَن يحكمونَهم من الشعوبِ والناس، [فِي شَيْءٍ]؛ أي شيئ يتعلق بشؤون الحكمِ والسياسةِ، وطريقةِ الحُكمِ، وما للحاكِمِ من حقوقٍ، وما عليه من واجبات، وغير ذلك، [فَرُدُّوهُ] واجبٌ وفرض، [إِلَى اللهِ] إلى كتابه؛ القرآن الكريم، [وَالرَّسُولِ] إلى شخصه في حياته، وبعد وفاته يكون الرد إلى سنته، وهذا دليل على أن في الكتابِ والسنَّة حلٌّ حاسم وشاملٌ لأي شيئٍ يتمُّ التنازع فيه بين الحاكِمِ والمحكومِ، أو بين أولي الأمرِ بعضهم مع بعض، إذ يستحيل أن يردنا الله إلى مرجعٍ نرجع إليه في حلِّ نزاعاتنا، وما نختلف فيه، ثم لا نجد في هذا المرجع حلّاً لها، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ] ؛ إن كنتم صادقين حقا في دعوى الإيمان بالله واليوم الآخِر، فإن لم تردُّوا النزاعات إلى الله، وإلى الرسول، كان ذلك دليلاً على عدم صدقِكم

في دعواكم الإيمان بالله واليوم الآخر، وكان دليلاً على عدمِ إيمانكم، [ذَلِكَ خَيْرٌ] ؛ أي في ردكم إلى الله وإلى الرسولِ صلى الله عليه وسلم خيرٌ لكم من أن تلتمسوا الحلول لنزاعاتكم من عند أهوائكم، أو من الشّرقِ أو الغربِ، أو من عند أعدائكم، [وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً]النساء:59. عاقبة ومآلاً.

* * * * *

فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ

202- [فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]النساء:59. [إِلَى اللهِ] ؛ أي إلى الكِتَاب .. [وَالرَّسُولِ] ؛ في حياته، وبعد مماته صلى الله عليه وسلم، يُرد النزاع إلى سنته. [شَيْءٍ]؛ يفيد العموم؛ أي شيء يتنازع فيه من أمور الدين والدنيا؛ السياسية منها وغير السياسية، يجب أن يُرَد [إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ]. وهذا من لوازم الإيمان وشرط لصحته [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ].

والله تعالى إذ يأمرنا بأن نرد النزاع؛ أي نزاع إلى الكتاب والسنة، فهو يأمرنا لأننا سنجد فيهما الحل لكل نزاع ومشكل .. تعالى الله أن يردنا وما نتنازع فيه إلى مرجعٍ، ثم لا نجد في هذا المرجع حلّاً شافياً وافياً وكاملاً، لما نتنازع فيه!

203- [فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ]؛ إلى كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولهِ صلى الله عليه وسلم، وإلى مَن يحكم لكُم بكتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. أمَّا مَن عَرَفْتُم عنه أنَّه سيَحكُم لكم بهَواه، وبقَوانينَ وضْعيَّة ما أنزَلَ اللهُ بها مِن سُلطانٍ، فاجتَنِبُوه، ولا تحتكِموا إليه .. هذا [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]النساء:59. حَقَّاً وصِدْقاً .. فإن لم تَفْعَلُوا ذلك، وأبيتُم إلَّا أن تَحْتكِموا إلى مَن يحكم لكُم

بغيرِ كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، معَ وجُودِ مَن يَحكُم لَكُم بكتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولِهِ صلى الله عليه وسلم .. فأنتم حِينئذٍ لَسْتُم ممَّن يُؤمنُون باللهِ واليومِ الآخِرِ حَقَّاً وصِدْقاً، حتَّى لو زَعَمْتُم بلسانِكم خِلافَ ذلك؛ فعملُكُم يُكذِّبُ زَعْمَكُم، ويُناقِضُه، وهو أصْدَقُ لهجةً ونبأً مِن مجرَّدِ زَعْمِ اللسَانِ!

* * * * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ

204- [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ]؛ زَعْمُ الإيمانِ باللسانِ لا يكفِي، إذا لم يُصدِّقْهُ الاعتقادُ، والعملُ .. والدليلُ على كذبِ زَعمِهم الإيمان أنهم يَعدِلُون عن الحكمِ بما أنزلَ اللهُ، وعن التحاكُمِ إلى مَن يحكم لهم بما أنزلَ الله، مع وجودِه، ووجُود القوَّةِ والسلطةِ التي تمثلُه، و [يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ]؛ والمرادُ بالطاغوتِ هنا الحاكمُ الكافرُ الذي لا يحكمُ بما أنزلَ اللهُ، وسُمي طاغُوتاً لأنه يُعبَد مِن جهةِ التَّحاكم إليه، ومِن جهةِ طاعتِه ومتابعَتِه فيما يحكمُ فيه، ويَصدرُ عنه من أحكامٍ مُضاهِيَّةٍ لشرعِ اللهِ تعالى المنزَّلِ .. وقوله:[يُرِيدُونَ]؛ يفيدُ انتفاءَ مظنَّةِ الإكراهِ أو الاضطرارِ عنهم .. وأنَّهم أقدَموا على التَّحاكُمِ إلى الطاغوتِ بمحضِ إرادتِهم، واختيارِهم، ورَغْبتِهم، [وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ]؛ أن يتبرَّأوا منه، وأن لا يتحاكَمُوا إليه، [وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ]؛ بعدُولِهم عن شرعِ اللهِ المنزَّلِ، وإعراضِهم عنه، وحمْلِهم على التحاكمِ إلى الطاغوتِ، [أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً]النساء:60. عن الحقِّ، والإيمانِ .. وأن يوقعَهم في الكفرِ!

* * * * *

رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً

205- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً]النساء:61. من علاماتِ النفاقِ والمنافقين؛ أنَّهم إذا دُعوا إلى التَّحاكُمِ إلى ما أنزَلَ اللهِ، تراهم يُعرِضون، ويُعارِضُون، ويتبرَّمُون، ويلُوون برؤوسِهم، ويعتذرون بأعذارٍ واهِيةٍ؛ ليعْدِلُوا عن التحاكمِ إلى كتابِ اللهِ تعالى، وإلى سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم إلى التَّحاكمِ إلى الطاغوتِ وشرائعِه المضاهيةِ لشرعِ اللهِ!

* * * * *

حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

206- [فَلاَ وَرَبِّكَ]؛ يُقْسِمُ الربُّ سُبحانه بذاتِه المقدَّسَةِ؛ لجلالةِ وعظمَةِ وأهميَّةِ الأمْرِ، [لاَ يُؤْمِنُونَ]؛ نَفْيٌ لمُطلَقِ الإيمان، [حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ]؛ يا محمد صلى الله عليه وسلم .. والتَّحاكُمُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم في حياتِه يكونُ إلى شَخْصِه، وبعدَ موتِه يكونُ التَّحاكُمُ إلى سُنَّتِه، [فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ]؛ فيما أشْكَلَ واختَلَطَ عليهم، وفيما اختلفوا وتنَازَعُوا فيه؛ سواءٌ اختلفُوا وتنازَعُوا في أمُورِ الدِّينِ أَمْ في أمورِ الدُّنيا .. لا يكْفِي هذا لِتحقيقِ الإيمانِ، [ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً]؛ لاَ يَجِدُوا ضِيقاً ولا تَرَدُّداً في صُدُورِهم، [مِّمَّا قَضَيْتَ]؛ ممَّا حكَمْتَ به .. أيضاً لا يكْفِي ذلك لتحقيقِ الإيمانِ، [وَيُسَلِّمُواْ]؛ وينْقَادُوا ظاهِراً وباطِناً لحكْمِكَ .. لا يكفِي ذلك لتحقيقِ الإيمانِ، [تَسْلِيماً]النساء:65. مِن دُونِ مُعارَضَةٍ أو اعتراضٍ .. فإن تحقَّقَت فيهم هذه الصِّفاتِ مُجتمعَةً؛ فأولئك هُم المؤمنُون حَقّاً.

* * * * *

الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ..

207- [الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ]؛ وهو كُلُّ قِتَالٍ يَتحقَّقُ فيه شَرْطَان: أوَّلهمَا؛ أن يكونَ القِتالُ لإعلاءِ كَلمَةِ اللهِ؛ وهو كُلُّ قِتَالٍ قَد شَرَعَهُ اللهُ، وأذِنَ بِه .. وكُلُّ مَعْنَى قد أَذِنَ اللهُ القِتالَ دُونَه. ثَانِيهمَا؛ أن يكونَ القِتالُ خالِصَاً لله؛ لا تَشُوبُه شَائِبَةُ سُمعَةٍ ورِياءٍ، [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ]النساء:76. وهو كُلُّ قِتَالٍ يُخالِفُ ويُضَادُّ القِتالَ في سَبيلِ الله؛ وينتَفِي عنه الشَّرْطَانِ الآنِفَا الذِّكْرِ أعْلَاه.

* * * * *

أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ

208- [أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ]النساء:78. لا داعي للهروبِ والاختباءِ من الأجَلِ .. لا تجعلْ الخوفَ من الأجَلِ يمنعُك من القيامِ بالواجبِ .. فإذا جاءَ الأجل أدركَك ولو كنْتَ على فراشِك، في حُصونٍ ذاتِ أسوارٍ مرتفعَةٍ .. أو كنت مختبئاً في الخنادِق تحتَ الأرض .. وإن لم يأتِ أجلُك مهمَا تكالبَتْ عليك أسبابُ الموتِ، فلن تموتَ إلا في أجَلِك المحدَّدِ والمكتُوب .. وكاتُبُ هذه الكلماتِ قَد رَأى الموتَ عِدَّةَ مرَّاتٍ، حتَّى لا يكونُ بيني وبينَه إلا شِبرَاً، فيصرفُه اللهُ عني، ويَصرفَنِي عنه .. وقد صدَقَ مَن قال: أن الأجَلَ يحمي صاحِبَه!

* * * * *

قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ

209- [وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ]؛ في أنفسِهم، وأموالِهم، فرحُوا بها .. و [يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ]؛ أي أنَّ اللهَ قد كتبَها وقدَّرَها لنا، [وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ]؛ شدَّةٌ وبلاءٌ في أنفُسِهم، وأموالِهم .. تشاءمُوا بالمسلمين، و [يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ]؛ أي بسببكَ يا

محمد، ومَن آمَن معَك، [قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ]؛ الحسنَةُ والسيئةُ، الخيرُ والشدَّةُ، والشرُّ، كلها بقضاءٍ وقدَرٍ مِن اللهِ، [فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً]النساء:78. لا يَفهمُون حديثاً رغم بياننا وتفصيلنا له؛ بما لا يَدعُ للجاهلِ عُذراً .. والسؤالُ هنا يُفيدُ التعجُّبَ والإنكارَ!

* * * * *

مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ

210- [مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ]؛ من خيرٍ في نفْسِك، وأهلِك، ومالِك، [فَمِنَ اللّهِ]؛ هو بتوفيقٍ مِن الله تعالى، [وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ]؛ مِن شدَّةٍ، وشَرٍّ في نفسِك، ومالِك، [فَمِن نَّفْسِكَ]النساء:79. فسببُه من نفسِك الأمَّارةِ بالسُّوءِ، وما تقترفُه من سيئاتٍ .. فيقدّرُ اللهُ لك شِدةً يُطهرُكَ بها من ذُنوبِك .. ويعفُو اللهُ عن كثيرٍ .. وكلاهما الحسنَةُ والسيئةُ بقضاءٍ وقدَرٍ مِن اللهِ، لا يخرجُ شيءٌ في الوجودِ سواءٌ كانَ خَيراً، أم كان شرّاً عن قضاءِ اللهِ وقدَرِه.

* * * * *

وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً

211- [وَأَرْسَلْنَاكَ]؛ يا محمد صلى الله عليه وسلم، [لِلنَّاسِ]؛ تفيدُ العمُوم؛ أي لكلِّ النّاسِ عُرْبهم، وعَجمهم، أبيضُهم وأسودُهم، ذكُوراً وإناثاً .. وإلى قِيامِ الساعةِ .. لا يُعذَرُ أحَدٌ ـ أيّاً كان جنسه، ودِينُه، ولونُه، وموطِنُه، وكانت لغَتُه ـ يَسمعُ بكَ ثم لا يؤمنُ بك، وبما أُرسِلَ إليك من اللهِ .. [رَسُولاً]؛ بشيراً ونذيراً، تبلُّغ آياتِ اللهِ ورسالاتِه للنَّاسِ كافَّة .. فإن كذَّبكَ الكُفارُ، [وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً]النساء:79. أنَّك يا محمد صلى الله عليه وسلم رسولُ اللهِ.

* * * * *

مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ

212- [مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ]النساء:80. لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لَا يَأمرُ إلَّا بما أمرَ اللهُ به، ولا يَنهى عن شيءٍ إلا ما نَهى اللهُ عنه .. ولا يُشرِّعُ شَيئاً إلَّا ما ارتضَاه اللهُ .. لَا يَنطقُ عن الهوَى، فكلُّ مَا يَنطقُ به فهو بوَحي مِن اللهِ تعالى .. فطاعتُه من طاعَةِ اللهِ .. وفيه أنَّ مُتابعَةَ السُّنَّة واجبةٌ كمتابعَةِ القُرآنِ الكرِيم .. وأنَّ الذي يُفرِّقُ في الطَّاعَةِ والمتابعَةِ بين القُرآنِ والسُّنَّةِ؛ فيتَّبعُ القُرآنَ دُونَ السُّنَّة .. فهذَا لا يكونُ مُسلِماً، وهو عَاص للهِ، ورَادٌّ لكتَابِهِ وآياتِه، قبلَ أن يكونَ رَادّاً لسنَّةِ نبيِّه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ

213- [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ]النساء:82. يَتأمَّلُون ويَتفكَّرُونَ معَانيَ القُرآنِ الكَرِيم؛ البَلِيغَة الزَّاجِرة، الجَّامِعَة، المانِعَة .. يَتدَبَّرُون أوَامرَه ونوَاهِيَه .. وعْدَه، ووعِيدَه .. تَرغيبَهُ، وتَشويقَه، وتَرهِيبَه .. فالغايَةُ من التِّلاوةِ التَّدبُّر، والتَّأمُّلُ، والتَّفكُّرُ، والاتِّعَاظُ .. وليسَ مجرَّدَ حركَةِ اللسَانِ، والفَمِ .. وكانَ عليُّ بنُ الفُضَيل بنُ عِيَاض؛ لِشِدَّةِ اسْتغرَاقِه في التَّأمُّلِ والتَّدَبُّرِ لَا يَستطيعُ أن يُكمِلَ تلاوَةَ السُّورَةِ الواحِدَةِ إلَّا ويُغْشَى عليه .. وكانَ لا يَقْدِرُ أن يَسمعَ سُورَةَ الزَّلْزَلَةِ، ولَا سورةَ القَارِعَةِ أبَدَاً .. وكانَ ـ رحمه الله ـ يقولُ لأبيه: يا أبَتِي ادْعُ اللهَ لي أنْ يُقَدِّرَني على سمَاعِ سُورَةٍ كامِلَةٍ، أو على خَتمِ القُرآنِ، ولو مَرَّةً قبلَ مَوتِي ...!

214- [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ]؛ سؤالٌ فيه حضٌّ على التأمُّلِ والتَّفكرِ بما في القرآنِ الكريم من إعجازٍ في لغتِه، وبيانِه، وآياتِه، وأحكامِه، وشرائعِه، وإخبارِه، ومعانيه .. يُعجِزُ ويُبهرُ العقولَ .. أوله يصدقُ آخِرَه، وآخِرُه يصدق أوَّلَه .. مُبرأ من النَّقصِ، والاختلافِ، والتعارضِ .. لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيه ولا مِن خَلْفِه .. وهذا من أصرح الأدلةِ أن هذا القرآن الكريم هو من عندِ الله، وأنه كلامُ اللهِ، إذ [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً]النساء:82. لأنَّ كلَّ ما عَدا الله ـ مهما أُوتي من عِلم ـ ضعيفٌ، وناقصٌ .. وضَعفه، ونقصه، وجهله ينعكسُ لا محالَةَ على عطائِه، وكلامِه، ويَظهر فيه الخلَلُ والاختلافُ، والضَّعفُ، والتَّعارضُ .. وخُلُو القرآن الكريم من كلِّ ذلك .. لهو دليلٌ قاطعٌ على أنه من عندِ الله، وأنه كلامُ اللهِ .. ولا يتَدبرُ القرآنَ أحدٌ إلا وهُدِي لهذه الحقيقةِ، وكان ذلك سبباً في هِدايتِه، ودخولِه في الإسْلام!

215- [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ]؛ يُريدُون الدليلَ على صدقِ النبي صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من عندِ ربِّه .. فهَلَّا تأمَّلوا القرآنَ الكريم، وفهمُوه، وتفكَّروا ما فيه من إعجازٍ باهِرٍ للعقولِ، يجيبهم عمَّا يَسألون عنه، وعما يُشكِّكُون فيه، [أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا]محمد:24. أم أن قلوبَهم عليها أقفالٌ تُحيل بينهم وبينَ سماعِ، وفَهمِ القُرآن الكريم، وتَدبُّر آياتِه؟!

216- وقد وُجِدَ من الأحبارِ والرُّهبان مَن يخافون من القرآن الكريم، ويُخوِّفُون، ويحذِّرُون أتباعَهم أشدَّ التَّحذيرِ من الاقترابِ من القرآنِ الكريم، أو اقتنائِه، أو قِراءةِ بعض آياتِه، حتى لا يَهتدوا إلى دينِ الله الإسلام .. وحتى لا يكتشِفُوا ما هم فيه من باطِلٍ، وضَلالٍ!

* * * * *

وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ

217- [وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ]النساء:83. هذه الآيَةُ الكريمةُ تُؤَسِّسُ لقاعِدَةٍ عَامَّة، هَامَّةٍ، في كيفيَّةِ التَّعامُلِ معَ الإشَاعَاتِ، والغوَامِضِ من الأخبارِ ذَاتِ العلاقَةِ بالنَّصرِ أو الهزِيمَةِ، وغيرها مِن الأمور ذاتِ العلاقَةِ بالشَّأنِ العَامّ، التي تحتاجُ إلى عِلمٍ، ودِرايةٍ، وشُعُورٍ بالمسؤوليَّةِ، وهذَا كان مُتَحَقِّقَاً في شَخصِ النبيّ صلى الله عليه وسلم في حياتِه، وكِبَارِ صحابَتِه، وبعدَ موتِه صلى الله عليه وسلم، بَقِيَ وإلى يومِ القِيامَةِ؛ [أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ]؛ وهم أهلُ العِلمِ والدِّراية المخلِصين الصَّادِقِين .. فيُرَدُّ كلُّ خَبرٍ إلى المختَصّين به من أهلِ العِلم .. وقولُه " مِنْهُمْ "؛ أي من المسلمين المؤمنين؛ إذ لا يُؤمَنُ الغِشُّ والخَدِيعةُ إذا رُدَّت الأخبارُ ذَاتِ العَلاقَةِ بالمسلمين وأمْنِهم، إلى غَيرِهم .. فإن لم يلتزِمْ المسلمون بهذا التَّوجِيهِ، وهذا الأدَب .. فإنَّ البديلَ أن يخوضَ العَوَامُّ وأهلُ الأهواءِ في الشَّارِدَةِ والوارِدَة، وبِعِلم، وغَيرِ عِلم ـ وبخاصّة في زَمَانِنا الذي أصبَحَ كلُّ فَرْدٍ فيه يملكُ إذَاعةً عن طريقِ غُرَفِ وصَفَحَاتِ التَّواصُلِ الاجتمَاعِي ـ فتَعمُّ الفَوْضَى، والاضطرابَات، وتَنْتَشِرُ الإشاعات، ويَعُمُّ الإرجَافُ مِن قِبَلِ المنَافِقِين الذين يَستغلُّون هذه الأجواء أسْوأَ استِغْلَالٍ!

* * * * *

مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً

218- [مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً]؛ يَستجلبُ بها حقاً لضعيفٍ أو مظلومٍ، ويَدفعُ بها ظلماً عن مَظلوم، [يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا]؛ نصيبٌ من الأجرِ، شريطَةَ أن لا يأخُذ على شفاعتِه وتوَسُّطِه أجراً أو مَالاً، لقولِه صلى الله عليه وسلم:" مَن شفعَ لأخيهِ شفَاعةً

فأَهدَى لَه هديَّةً عليها فقبِلَها، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبوابِ الرِّبا "صحيح أبي داود:3541. هذا فيمن يَقبلُ الهديةَ على شفاعتِه، فكيف بالذي يَشترطُ أجراً على شفاعتِه وتوسُّطِه ..؟![وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً]؛ ينصرُ بها ظالماً على مظلومٍ .. أو يقتطعُ بها حقّاً لمن لا يستحقُّه .. أو ليدْرَأ حَدّاً من حدُودِ اللهِ على من يستحقُّه، [يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا]؛ فهو شريكٌ في الوزْرِ، وله نصيبٌ منه، [وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً]النساء:85. مقتدراً، وشاهداً، وحفيظاً .. يمدُّه بالقوَّةِ، وبما يعينه على مواجهَةِ مُتطلبات الحياة.

* * * * *

فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا

219- [وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ]؛ أيّاً كانَ المُحَيِّي؛ سَوَاءٌ كانَ مُسلِماً أمْ كَافِراً، وأيّاً كَانَت التَّحِيَّةُ، وكانَت مُنَاسَبَتُهَا، مَا لم تَكُنْ التَّحِيَّةُ إثْمَاً، [فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا]؛ مِن قَبِيلِ الإحسَانِ والتَّفَضُّلِ، والمُقَابَلَةِ بمَا هو أحْسَن، وهو الخيارُ الأوّلُ، والأفْضَل، [أَوْ رُدُّوهَا] النساء:86. كَمَا هِي؛ غَيرَ مَنْقُوصَةٍ، من قَبيلِ المعَامَلَةِ بالمِثْل، والعَدْلِ، وهو الخيارُ الثَّانِي .. وليسَ وراءَ ذلِكَ إلا الظُّلم، وقَد أُثِر عنِ ابنِ عَبَّاس رَضي اللهُ عنه أنّه قال:" لو أنَّ فرعونَ قَالَ لي: بَارَكَ اللهُ فِيكَ، لقُلْتُ: وفِيْكَ بارَكَ اللهُ، وفرعونُ قَد مَاتَ! "؛ وهذا كُلُّه مِن قَبِيلِ تَقْرِيرِ مَبْدَأ وخُلُقِ المُقَابَلَةِ في المعَامَلَةِ؛ مُقَابَلَةُ المعروفِ بمعرُوفٍ، والتَّحِيَّةُ بِتَحِيّةٍ أو بمَا هو أَحْسَن مِنها .. وهذا خُلُقٌ عَظِيمٌ رَفِيعٌ لا أعْرِفُ مَن سَبَقَ الإسلامَ إلِيه!

220- [وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا]النساء:86. الآيةُ تَشملُ مبدأ المقابَلَةَ في كلِّ تعبيرٍ حَسنٍ جميل ـ غير التّحيّة ـ يزيد من المودّة والمحبَّة.

221- [وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا]النساء:86. يشمل السّلامَ، وكلَّ معروفٍ يُبذَل، ينبغي أن يُقابَل بالمثلِ، أو بما هو أحسَن منه .. فإن لم يُوجَد، قُوبِل بالدّعاءِ، والثَّناءِ الحسَن.

222- [وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا]النساء:86. هذه الآية الكريمةُ دليلٌ على مبدأ وأدَبِ المُقابَلة؛ مقابلَةُ المعروفِ بمعروفٍ مثله أو أحسن منه، والكلمةُ الطيّبة بكلمةٍ طيبة مثلها أو أحسن منها، أيّاً كان دينُ صاحب المعروف، وصاحب الكلمة الطّيبة، وفي الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه قال:" لو أنّ فرعون قال لي: بارك الله فيك، لقلتُ له: وفيكَ باركَ اللهُ، وفرعون قد مات ".

* * * * *

وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ

223- [وَدُّواْ]؛ يتمَّنون، وينُفقون في سبيلِ ذلك الغالي والنَّفيس، [لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء]النساء:89. سواء في الكفرِ، وفي ضنَك العيشِ، وضِيقِ الصَّدرِ، الذي يتسببهُ الكُفرُ .. فالنَّجِسُ تُؤذيه رُؤية طهارَةِ الطَّاهِر، فيودُّ لو أن جميعَ مَن حولَه يُشاركونَه النجاسَةَ، ويَشعرُون بشعورِه .. والمدْمنُ على المسْكرات والمخدّراتِ يتمنى لو أن جميعَ من حوله مُدمِنون مثله، يُشاركُونه آلامَ وشُعورَ الإدْمانِ .. كذلك الكافرُ؛ تُؤذيه رُؤية المؤمن؛ لأن المؤمنَ يُذكرهُ باللهِ، وبالطُّهرِ، والعفَّةِ، والاستقامَةِ، وبسوءِ ما عليه من حالٍ، وعادات خاطئةٍ .. فيكدّرُ عليه حياتَه .. فيودُّ لو أنَّ المؤمنَ يُشاركُه قرفَ الكُفْرِ .. وطريقتَه الماجِنةِ والبهيميَّة في الحياةِ .. فيكونان سواءً في الشُّعُورِ، وفي مقارَفَةِ قرَفِ الكُفرِ والشّركِ، والفسُوقِ!

* * * * *

وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً

224- [وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً]النساء:94. مَن أتَى بأيِّ قرِينةٍ تُفيدُ بأنَّه مسلمٌ .. حتَّى مجرَّد إلقاءِ السَّلامِ ـ السلام عليكم ورحمة الله ـ ينَبغي ابتداءً أن يُحسَّنَ به الظنَّ، وأن لا يُرمَى بالكفرِ والنِّفاقِ، تحتَ زعمِ أنه قالَ مَا قالَ فَرَقاً ونِفَاقاً .. ما لَمْ يَثبتْ العكْسُ بقولٍ أو فِعلٍ .. فمن أتَى بيقينٍ لا يُزَالُ إلَّا بيقينٍ .. وبخاصَّة في المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ، التي يَغلبُ عليها المسلمون .. فلا يَعلَمُ ما في القُلُوبِ إلا عَلَّامُ الغيُوبِ .. واللهُ تعالى أمرَنا أن نُعامِلَ النَّاسَ بناءً على ظاهِرِهم، ومَا يُظهرُون، لا مَا يُبطنُون .. فلمْ نُؤمَر أن نَشقَّ البطُونَ .. وأن نتحرَّى البواطِنَ، ومَا في البُطُونِ .. فهذَا ممَّا لا سُلطانَ لنا عليه، ولا سَبيلَ لنا إليه!

* * * * *

وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ

225- [وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ]؛ طَاعةً لله؛ طَلَباً للأمْنِ في نَفْسِهِ ودِينِه، والتماسَاً لسلامَةِ العِبادَةِ والدِّينِ على الوجهِ الأكملِ والأفضَلِ، [يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً]؛ مَهَاجِرَ كثيرَةً يَقصدُها ويُهاجِرُ إليها، فالله تعالى وسَّعَ الأرضَ لتحقيقِ سَلامَةِ العِبادَةِ والدِّين؛ حتى إذا ضَاقَت أرضٌ على عَبدٍ مِن عِبادِه، وكان مُضطهداً فيها في دينِه، ومُنعَ فيها مِن إظهارِ العبادَةِ بمعنَاها العَام على الوجْهِ الأكملِ والأفضَلِ، وجَدَ لنفسِه ودينِه سِعَةً في أرضٍ أُخْرَى، يُهاجر إليها، [وَسَعَةً]؛ ورِزْقاً واسِعَاً، فالهجرةُ لم تُذكَر في القرآنِ الكريم إلا وذُكِرَ معَها، وبعدَها الخيرُ والسَّعَةُ في الرِّزقِ .. فالمهاجِرُ في سَبيلِ اللهِ يُضحِّي في مَقَرِّ إقامتِه ببيتِه، ومتَاعِه، ومالِه، حتَّى أن منهم مَن يخرجُ مهاجِراً وهو لا يملكُ الأوراقَ الثبوتيَّة التي تُعرِّفُ عن شخصِه .. فيُكافِئُهُ اللهُ تعالى مِن جِنْسِ عمَلِه وتَضحيتِه؛ فيوسِّعُ عليه

في الرِّزقِ، ويَرزقه رِزقاً حَسَناً .. لكن الرزقَ يأتي تَبَعاً، لا يُطلَبُ قَصْداً، حتى لا يَشوبُ الإخلاصَ، ومَعنَى في سبيلِ اللهِ شَائِبةٌ .. [وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ]؛ مَقَرَّ إقامَتِه، [مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ]؛ لا يَبتَغِي من هجرتِه ظُلماً، ولا عُدواناً، ولا فُجُوراً .. وإنما يُريدُ من هجرتِه طاعةَ اللهِ، وطَاعَةَ رسولِه صلى الله عليه وسلم، والتماسَ سَلامَةِ العِبادَةِ والدِّين، [ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ]؛ في الطَّريقِ؛ بسَبَبٍ مِن العَدُو، أو بآفَةٍ مِن آفاتِ الطَّريقِ؛ إذْ لا تخلُو طُرُقُ الهِجرةِ مِن مخَاطر .. لكن لا يَنبَغِي أن تكونَ مخاطِرُ طَريقِ الهِجرَةِ بمثابةِ أو أخْطر مِن مخَاطِرِ المُكْثِ في الأرضِ التي تَتَعيَّن الهِجرةُ منها، [فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ]؛ فهو شَهيدٌ، وآجَرَهُ اللهُ الجنَّةَ، وقوله تعالى:[فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ]؛ فيه تَرغِيبٌ وإغْراءٌ للمهاجِرِ على الهجْرةِ، وأن لا يَصدُّه الخوفُ من مخَاطِرِ الهِجْرةِ ـ وما يمكن أن يُواجههُ في طريقِ الهِجْرَةِ ـ على الهجرةِ في سَبيلِ اللهِ، [وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً]النساء:100. وفي الحديث:" إنَّ الهجرةَ لا تنقطعُ ما دامَ الجهادُ "، وفي رواية:" لا تنقَطعُ الهجرةُ ما قُوتِل العدُوُّ "، فالهجرةُ باقِيَةٌ ما بَقِيَ الجهادُ .. والجِهَادُ بَاقٍ ومَاضٍ إلى يومِ القِيامَةِ .. ومَن يُعَطِّلُ الهجرةَ لزِمَهُ أن يُعَطِّلَ الجهادَ في سبيلِ الله؛ فالهجرةُ والجهَادُ كُلٌّ منهما لازِمٌ ومَلزُومٌ للآخَر.

226- الهِجْرَةُ إذا تَعيَّنت، ووجِدَت أسبَابُها، ودوَافِعُهَا .. عِبادَةٌ عَظِيمةٌ، أجرُهَا عَظِيم، لمن تَجَلَّد، وصَبرَ، واحتَسَبَ .. تَتَطلَّبُ جَلادَةً وصَبْراً .. لمَا تَنْطَوِي عليه من مُفارَقَة للأهْلِ، والأوْطَانِ، والمألُوفَاتِ، والعَادَاتِ .. وهَذا أمرٌ لا طَاقَةَ لأيِّ أَحَدٍ عليه .. وقَد رأينَا كَثيراً ممَّن هاجَرُوا، ثم تحتَ ضَغْطِ الهِجْرَةِ، وتكَالِيفِها .. لم يتحمَّلُوا ولم يَصبرُوا .. فآثَرُوا ذُلَّ العَودَة إلى أوطَانِهم؛ ليدْخلُوا مِن جَديدٍ في الرُّكونِ إلى الطُّغاةِ الظَّالمين، وفي عبُودِيَّتِهم .. جَاءَ أعْرَابِيٌّ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَسَأَلَهُ عَنِ الهِجْرَةِ ـ يُريدُ الهِجْرَةَ ـ

فَقالَ:" ويْحَكَ! إنَّ الهِجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ "متفق عليه. لا طَاقَةَ ولَا صَبْرَ لكَ على تحمُّلِ تَبِعَاتِها .. ومَشَاقِّها .. ثمَّ وجَّهَهُ إلى الإنْشِغَالِ بإبِلِه!

227- [إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ]؛ بتَرْكِ الهِجْرةِ، والإقامَةِ في دَارٍ لَا يَسْتَطِيعُون أن يُظهِرُوا فيها دينَهُم، ويُجبَرُون فيها على إظهارِ الموافَقَةِ للمشركين الظَّالمين، [قَالُواْ]؛ لهم الملائِكَةُ:[فِيمَ كُنتُمْ]؛ مِن أمْرِ دِينِكُم .. كَيفَ كانَ دِينُكُم .. عَلامَ لم تكونُوا تُظهِرُون دِينَكم، وعِبادَتَكم للهِ تعالى وحدَه .. عَلامَ كنتم تُظهِرُون الموافقَةَ والمتَابَعَةَ للطُّغَاةِ الظَّالمين المجْرِمين؟! [قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ]؛ اعتَذَرُوا بالاستضْعَافِ والخوْفِ مَعَ قُدرَتِهم على الهِجْرةِ، ووجُودِ البَدِيلِ، والأرضِ التي بمقدُورِهم أن يُهَاجِرُوا إليها، ويَستطيعونَ أن يُظهِرُوا فيها دينَهم، [قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا]؛ عذْرَكم مَرْدُود ومَرفُوض، معَ وجودِ الأرضِ التي بمقدُورِكم أن تُهاجِروا إليها، وأن تُظْهِرُوا فِيها دِينَكم مِن غَيرِ خَوفٍ .. فالتَّكليفُ على قَدْرِ الاستطَاعَةِ، وأنتم تَستَطِيعُون .. فعَلامَ لم تُهاجِرُوا؟![فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً]النساء:97. لتَرْكِهِم الهِجْرة معَ الاستطاعَةِ، ولإظهَارِهم الموافقَة والمتَابَعَة للطُّغاةِ الظَّالمين المجرمين!

228- غَايَةُ الهِجْرَةِ سَلامَةُ النَّفْسِ، والعِبَادَةِ، والدِّينِ .. وأيُّمَا أرْضٍ يَتحقَّقُ فِيها هذا المقْصَدُ على الوَجْهِ الأَكْمَلِ والأفضَلِ، تَتَعَيَّنُ الهِجْرَةُ إليها .. بغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الصِّفَةِ الحَاكِمَة لهذه الأرْض.

229- [أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا]النساء:97. شُرِعَت الهِجْرَةُ لغَايَاتٍ أرْبَع: طَلَباً لِسَلامَةِ العبادَةِ والدِّينِ .. وطلَباً للأمْنِ والأمَانِ .. وطلَباً للعِلْمِ .. وطلَباً للرِّزْقِ والمعَاشِ .. وليسَ وراءَ ذلك إلَّا استِشْرَاف الذُّلّ.

* * * * *

فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ

230- [إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ]؛ بسببِ الجهَادِ، [فَإِنَّهُمْ]؛ أعداءكم من الكافرين، [يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ]؛ يُصيبُهم ما أصَابَكُم، فَلا يَنبَغِي أن يكونُوا أكثرَ مِنكُم صَبراً وتجَلُّداً على تحمُّلِ الألمِ، وبخاصَّة أنَّكم، [وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ]؛ نَصْرَهُ، ورِضَاه، والجنَّة، [مَا لَا يَرْجُونَ]النساء:104. وهو مَا يفتقدُه أعداؤُكم؛ إذْ ليسَ لهم في الآخِرَة إلَّا النَّار!

* * * * *

وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً

231- [وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ]؛ الذين يخُونون اللهَ بمعصيته، ويُخونُون الحقُوقَ، والأماناتِ .. ويخُونُون الدِّينَ، والأوطَانَ، والعِبادَ، [خَصِيماً]النساء:105. مُخَاصِماً عنهم، تُدافِعُ وتُرافِعُ عنهم .. وفي الآية زَجْرٌ، ووعيدٌ شَديدٌ للمحَامِين الذين يُرافِعُون في المحاكِمِ نِيابةً عن الظَّالمين، يُدافِعُون عنهم، مُقابل عَرَضٍ من الدُّنيا .. كما فيها زَجْرٌ لمشايخ السُّوءِ الذين يُجادِلُون عن طُغاةِ الحكمِ الظَّالمين الآثمين!

* * * * *

وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ

232- [وَلاَ تُجَادِلْ]؛ ولا تُدَافِعْ باللِّسَانِ، [عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ]؛ بارتكابِ المعَاصِي، وركوبِ البدَع والأهواء، فتُعينُهم بجدالِك على المعصِيةِ، والخِيانَةِ، والبدَع، [إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً]؛ كثيرَ الخِيانَةِ للأماناتِ، والحقُوقِ، وما استرْعَاه اللهُ إيَّاه، [أَثِيماً]النساء:107. كثيرَ الوقوعِ في الإثمِ .. والنَّهيُ كما يَشملُ النَّهيَ عن الجدالِ عن الذين يختَانُونَ أنفسَهم بالمعاصِي .. كذلك يَشملُ النهيَ عن الجِدالِ عن

مشايخ البِدَعِ والأَهْواءِ، الذين يَنشرُونَ بدعَهم وأهواءَهَم بين الناسِ .. وفي الأثرِ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه:" مَن وقَّرَ صاحِبَ بدْعةٍ فقد أعانَ على هَدْمِ الإسلام ".

* * * * *

فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً

233- [وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً]؛ ذَنْباً صَغيراً، [أَوْ إِثْماً]؛ ذَنْباً كبيراً، [ثُمَّ يَرْمِ بِهِ]؛ بِذَنْبِه الصَّغير أو الكَبِير، [بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً]النساء:112. فهذا اثمُه مُغَلَّظٌ مُتَعدٍ إلى غيرِه، ومُرَكَّبٌ من مجموعةٍ من كَبائرِ الذُّنوب؛ فقد جَمَعَ في ذَنْبِهِ بينَ الكَذِبِ، والبُهْتَانِ، والظُّلمِ، وشَهادَةِ الزُّورِ، والخِيانَةِ .. وأجْرَى حُكمَ اللهِ على غَيرِ مُسْتَحَقِّه .. وأمِنَ عَينَ الجبَّارِ وانتِقَامَه .. وهذا غالِباً يُؤخَذُ بذَنْبِهِ في الدُّنيا قَبلَ الآخِرَة .. غيرَ الذي يَنتظرُهُ في الآخِرَةِ!

* * * * *

وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ

234- [وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ]؛ فيخالفُه، ويُعارضُه، ويَقفُ في الشِّقِّ، والصفِّ، والطابورِ المخالفِ والمعارضِ لِشِقِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى]؛ من بعد ما أُقيمَت عليه الحُجَّة، وظهرَت له الأدلَّةُ والبراهينُ النَّقليةُ والعقليَّةُ، الدالة على صِدقِ نبوتِه، وصِدقِ ما جاءَ به من عندِ ربِّه، [وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ]؛ ويتبع غيرَ طريقِ ونهجِ المؤمنين ـ وبخاصَّة منهم الصَّحابة والتابِّعين لهم بإحسانٍ ـ الذين اتبعُوا الرسولَ صلى الله عليه وسلم، [نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى]؛ نُوَلِّيه مَا تَوَلَّاه واختارَه من الكُفْرِ، والضَّلالِ، والمشاقَقَةِ للرسولِ صلى الله عليه وسلم، ليبوءَ بإثمِه، [وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ]؛ التي يزيدُ حرُّ نارِها

حرَّ نارِ الدُّنيا مجتمعة سبعينَ ضعفاً، [وَسَاءتْ مَصِيراً]النساء:115. وساءَت مآباً، ومرجعاً، ومُستقراً .. والآية فيها أن مخالفَةَ الإجماعِ، واتّباعَ غيرِ [سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ]؛ كُفْر.

* * * * *

وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً

235- [وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ]؛ فيتوجَّه بالعِبادَةِ لغيرِ اللهِ، أو يجعلُ للهِ نِدّاً في صفَةٍ مِن صِفاتِه، أو خاصيَّةٍ من خَصائصِه، [فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً]النساء:116. لم يَضِلْ وحَسْب، وإنما ضَلَّ ضَلالاً بعيداً جِدّاً عنِ الحقِّ، وعنِ الصِّراطِ المستقيم، وعنِ الغَايةِ التي خُلِقَ لأجْلِها .. وعن التَّكريمِ الذي كرَّمَهُ اللهُ إيَّاه .. وتاهَت به الدُّرُوب!

* * * * *

وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ

236- [وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ]؛ من التَّغييرِ الذي يأمرُ به الشيطانُ أولياءَهُ، ويُوحِي إليهم به؛ اللعبُ بهرمُوناتِ الإنسانِ، وقَتْلُ الهرمُونَاتِ الذَّكَرِيَّةِ عِندَ الذَّكَرِ، وقتل الهرُمونات الأنثويَّةِ عِندَ الأنثَى؛ فيغيرُنَّ الذَّكَرَ إلى أُنْثَى، والأُنْثَى إلى ذَكَرٍ، وتَنْعَكِسُ الرَّغبَةُ لكلٍّ منهما .. وقالُوا هناكَ فريقٌ ثَالثٌ؛ لا هو ذَكَرٌ ولا هو أُنثَى .. وفريقٌ آخَر خليطٌ بين الجِنْسين .. وما بينَ الصِّنفينِ أصنافٌ عديدةٌ؛ ولا يزالُ الشيطانُ يلعبُ بِهم، ويُغيِّرُ بِهم، ولَا نَدري التَّغيير في خَلْقِ اللهِ إلى أيِّ هاويةٍ سَينْتَهي .. ومن علمائنا الأوائل من فسر قوله:[فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ]؛ أي دِين اللهِ .. حلاله وحَرَامه .. وهذا بَعيد .. لأنَّهم لم يكونُوا يتصوَّرُون أن يبلغَ التغييرُ مَبلغاً في الخِلقَةِ والصُّورَةِ، كما بلغَ في هذهِ الأيام .. وأن يَطالَ التغييرُ صورةَ الإنسانِ ذَاتِه، [وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً]؛ يُطِيعُه فِيمَا يُوحِي إليه،

وفِيما يأمرُه مِن التَّغْيِيرِ في خَلْقِ اللهِ، [مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً]النساء:119. بيّناً ظاهِراً .. في الدُّنْيَا والآخِرَة.

* * * * *

وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ

237- [وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً]؛ لَا أَحَدَ أحسَنُ دِيناً، [مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ]؛ أخلصَ في عملِه وتوجُّههِ للهِ، [وَهُوَ مُحْسِنٌ]؛ وهو مُتَّبِعٌ للكتابِ والسُّنَّةِ غير مُبتدِعٍ .. فجَمَعَ بين الإخْلاصِ والاتِّباعِ، شَرْطَا القُبُولِ لأيِّ عملٍ تَعَبُّدِي، [واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً]النساء:125. مُوحِّداً، مائلاً عن الشِّركِ إلى التَّوحِيدِ.

* * * * *

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ

238- [وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ]النساء:127. هذا تشريف عظيم للنساء، وإكرام لهنّ؛ فالله تعالى لم يُحِل الفتوى في النساء إلى نبيه ولا إلى العلماء، وإنما هو بذاته سبحانه يُفتي في النساء؛ ما لهن من حقوق، وما عليهن من واجبات ..!

الله تعالى بذاته يُفتي في النساء؛ لبيان عظيم قدر النساء، وعظيم حقوقهنّ، وما يستفتين فيه!

فكيف يليق بالنساء بعد هذا الإكرام والتشريف، أن ينصرفن عن الله، وعن دينه، وأن يستفتين غير الله في شأنهن، وحقوقهن .. فضلاً عن أن يلتمسن الفتوى في أنفسهنَّ وحقوقهن من أعدائه؛ من شياطين وطواغيت الإنس والجن .. فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

كيف يليق بالنساء بعد هذا الإكرام والتشريف أن يعرضن عن الحقوق التي شرعها الله لهن .. وهو سبحانه خالقهنّ، والخبير بهنَّ، وبأحوالهن، وبما يناسبهنّ، وما يحق لهن من حقوق .. ويستبدلنها بالحقوق التي شرعها لهنَّ الطاغوت؟!

كيف يليق بهنَّ بعد هذا الإكرام والتشريف أن يرضين لأنفسهن أن يفتيهن مَن هَبَّ ودَبَّ من شياطين الإنس .. يلتمسن الفتوى في أنفسهنَّ وحقوقهنَّ من الشرق والغرب .. ويعرضن عن فتوى الله فيهن؟!

أما المؤمنة الصالحة لا تستبدل فتوى الله فيها، بفتوى غيره كائناً من كان .. وأما غيرها من النساء، فليس بعد الكفر والنفاق ذنب!

[اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:257.

* * * * *

إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ

239- [إِن يَشَأْ]؛ اللهُ [يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ]؛ بالهلاكِ والاستئصَالِ، والإفنَاءِ .. فيأخذكم بذنوبِكم .. فلا يَغُرَّنَّكم حِلمُ اللهِ بكم، وصَبرهُ عليكم، [وَيَأْتِ بِآخَرِينَ]؛ بدَلاً مِنكم .. يكُونون خيراً مِنكم .. ليسوا مثلَكم في السُّوءِ، والإنحرافِ عن منهجِ اللهِ، [وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ]؛ على استبدالِكم بناسٍ آخَرين، [قَدِيراً]النساء:133.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ

240- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً]النساء:135. ليسَت البطولَةُ في أن تُنصفَ نفْسكَ مِن الأعداءِ .. فهذَا الكلُّ يفعلُه، ويُحسِنُه .. ولكن البطُولةُ والعدلُ في أن تُنصفَ عدوكَ، ومَن لا تُحب، مِن نفْسِك، وممَّن تُحب مِن الأقارِب، والأخِلَّاء .. وأن تتجرَّدَ للحقِّ والعدْلِ ـ ولو على نفْسِكَ ومَن تُحِب ـ ابتغاءَ مَرضاةِ اللهِ سُبحانه، ورَجاءَ ما عندَه مِن ثوابٍ .. وهذا الذي تُوجِّهُ إليه هذه الآية الكريمة عبادَ اللهِ المؤمنين:[كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ]، صيغةُ مبَالغة؛ أي كونُوا شَديدِي الحرْصِ على القيامِ بالعَدلِ، والتمسُّكِ به، وبما يقتضِيه مِنكم .. فلا قِيامَ لكم، ولا سُؤْددَ لكم إن لم تقومُوا بالعدلِ وبواجباتِه .. [شُهَدَاء لِلّهِ]؛ وأنتم إذْ تَشهدُون وتحكُمون بالعدلِ؛ فإنما تفعلون ذلك طاعةً للهِ، وامتثالاً لأمْرِه، وتقرُّباً إليه، وطلباً لرِضَاه، ورجاءَ ما عِندَه سُبحانه مِن أجرٍ وثوابٍ لأهلِ العَدْلِ .. لا لهوَى، ولا لغَرضٍ من أغراضِ الدُّنيا؛ لأنَّ مَن يلتزمُ العدلَ لغرضٍ من أغراضِ الدنيا .. يتخلَّى عن العدلِ عندما يَفتقِدُ الغرَضَ الذي مِن أجلِه التزمَ العدلَ، وحكَمَ به .. [وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ]؛ أي احكُمُوا بالعدلِ، وأنْصفُوا الحقَّ ولو مِن أنفْسِكُم، ومِن الوالدَين، والأقرَبين .. ولو كان صاحبُ الحقِّ الذي تحكُمون له من أعدَائِكم، ومِن الأباعِد، وممَّن لا تحبُّون .. وخُصَّت النفسُ بالذِّكْرِ، وكذلك الوالِدَان، والأقربُون لعظيمِ حقِّهم .. فمن أَنصفَ الحقَّ من نفسِه، ومن الوالدَين، ومن الأقرَبين .. حريٌّ به أن يحكمَ بالعدلِ، ويُنصفَ الحقَّ ممَّن سوى ذلك .. [إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا]، وحتَّى تُصيبُوا العدلَ في حُكمِكُم، وتتجرَّدُوا عن البواعِثِ، والروابطِ،

والعوالِقِ، لا تنظرُوا إلى الخلفيَّةِ الاجتماعيَّةِ التي ينتمِي إليها من تحكمُون له أو عليه: هل هو فَقيرٌ أم غنيٌّ .. وهل هو ضعيفٌ أم قويٌّ .. وهل هو صغيرٌ أم كبيرٌ .. وهل هو عالمٌ أم جاهِلٌ .. وهل هو حاكمٌ أم محكُومٌ .. وهل هو ذَكَرٌ أم أُنْثَى .. ولو فعلتم شيئاً من ذلك؛ فتعاطَفْتُم مع أحدِ الفريقين على الآخَر ـ مهمَا كانت البواعثُ بريئةً ـ فلن تُصيبُوا العدلَ .. وقد تَقعُون في الظلمِ .. ومَا قد تخسَرُونَه بالعدلِ، أو تخافُون أن تخسرُوه بسببِ العدلِ .. ستخْسَرون أضعافَ أضعافِه بسببِ الظُّلمِ، وعدمِ حكمكم بالعدلِ، [فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ]؛ الخطابُ موجهٌ للمؤمنين .. والمؤمنُ يُستبعَدُ أن لا يحكمَ بالعدْلِ ـ بما أنزلَ الله ـ جُحُوداً، أو استحلالاً، أو استخفَافاً .. وإنما قد يَقع مِنه شيءٌ من الظلمِ، وأن لا يحكم بالعدلِ عن ضَعْفٍ، ورغبةٍ بعطَاءٍ، ومَيلاً لطرَفٍ على طرَفٍ، أو لأنه يحبُّ طرَفاً أكثرَ مِن آخَر؛ فيكونُ هواهُ معه على غريمِه .. فنَهى اللهُ تعالى عن ذلك صوناً لقُدسية العدلِ، ومكانتِه .. ولأنه من كبائرِ الذُّنوب .. وفي الآية دلالةٌ أن المؤمنَ لو حكمَ بالظلمِ، ولمْ يحكمْ بالعدلِ لرَغْبَةٍ، وميلٍ، وهوى في النَّفْسِ، لا يُعتبرُ كافراً كمَن لا يحكمُ بما أنزلَ الله جُحُوداً، واستحلالاً، واستخفافاً، وانتقاصاً .. بدليلِ أن اللهَ تعالى قال في أوَّلِ الآية:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ]؛ إذ من يقع بهذا الوزر على الوصف الآنف الذِّكرِ لو كان كافراً لما خُوطِب بصفةِ الإيمانِ .. وعلى هذا الصنفِ من الحكَّامِ يُحمَل قولُ ابنُ عبَّاس، وغيره من السَّلفِ:" كفرُ دُونَ كُفْرٍ ". [وَإِن تَلْوُواْ]؛ تُخفُوا .. وتَتَلَجْلَجُوا .. وتُماطِلُوا، وتَمطُّوا بالألفاظِ، والجلسَاتِ، والمرافعَاتِ، لتضيعَ الحقوقُ، ويَغيبَ العدْلُ فِيما رُفِعَ إليكم، وتحكمُون فيه، [أَوْ تُعْرِضُواْ]؛ أو تتركُوا البتَّ والنظَرَ في القضيَّةِ كُليّاً، وفِيما رُفِعَ إليكم مِن مَظَالِمٍ، وتُميتُوا القضَايا في الدُّرُجِ .. والإعراضُ إعراضَان: إعراضٌ عن شرعِ اللهِ تعالى المنزَّلِ، والعدُولُ عنه إلى ما سِوَاه، وهذا ظُلمٌ أكبر، وكفْرٌ أكبر، وإعراضٌ عن البَتِّ والنَّظَرِ في القضيَّةِ المرفوعَةِ

للقضاءِ لهوَى في النَّفْسِ، وهذا ظلمٌ أصغَر، وكفْرٌ أصغر، [فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً]؛ لا يخفَى عليه شيءٌ مما تصنعُون، فاتَّقُوا اللهَ، واخشَوه.

* * * * *

لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً

241- [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً]النساء:137. فيه أنَّ المرتدَّ الذي تتكررُ رِدَّته وتَزيدُ عن ثلاثِ مرَّات .. زنديقٌ مُتلاعبٌ بالدِّين، لا يُستتابُ، ولا تُقبلُ توبتُه .. ولو تُرِكَ بابُ التوبةِ مفتوحاً مهما تكرَّرت الرِّدَّةُ .. لهانَ على المنافقِ أن يرتدَّ في الصَّباحِ، ويؤمنُ في المسَاءِ، ويَرتدُّ في المساءِ، ثم يؤمنُ في الصَّباحِ؛ ليفتنَ المسلمين عن دينِهم .. ولاستخَفَّ الناسُ بأمرِ الدِّين، واتخذُوه لعِباً!

* * * * *

حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ

242- [وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ]؛ في القُرآنِ الكريم، [أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ]؛ وهذا يَشمَلُ جميعَ المجالسِ والتَّجمعاتِ التي يُطعَن فيها بالدِّين، ويُستَهزأ فِيها بآياتِ اللهِ، وأحكامِه، [حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ]؛ فإن أبيتُم إلا الجلوسَ مَعَهم بعدَ أن بلَغَكُم هذا النَّهي، فأنتم مِثْلُهم في الوزْرِ، وإن لم تَفعَلُوا فِعْلَهم .. فيه أنَّ الرِّضَى بالكُفْرِ كُفْرٌ، وأنَّ مَن يُجالِس مجالِسَ البَاطِلِ من غَيرِ إكْراهٍ، ولا إنْكَارٍ، ولا قِيَامٍ، له وزْرُ أصحَابِها، وإن لم يَفْعَل فِعْلَهُم، [إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ]؛ الذين يُظهِرُون الإسلامَ، وفي نفس الوقت يُجالِسُون المستهزئينَ مِن الكافِرين في مجالِسِ اسْتِهْزائِهم، وطعنهم بالدِّين، [وَالْكَافِرِينَ]؛ الذين يُباشِرُون الاستهزاءَ

بدينِ اللهِ، وآياتِه، [فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً]النساء:140. فكما اجتمَعُوا في الدنيا على الاستهزاءِ بدينِ اللهِ، وآياتِه .. يجمعُهُم اللهُ يومَ القِيامةِ في نارِ جَهنَّمَ؛ فالعُقُوبَةُ من جِنْسِ العَمَلِ!

* * * * *

وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً

243- [وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً]النساء:141. فإن حَصَلَ في موقعةٍ مِن المواقِعِ، أو في ظَرْفٍ من الظُّروفِ الزَّمانيَّةِ أو المكَانيَّة، خِلافُ ذلك؛ يكونُ لخَلَلٍ، ونَقْصٍ، وضَعْفٍ في تَحقيقِ مَعنَى الإيمانِ في نُفُوسِ المؤْمنين!

* * * * *

وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً

244- [وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً]النساء:142. لأنَّهم يَذْكُرُون غَيرَه كَثِيراً .. والوَقتُ لا يتَّسعُ لِذِكْرِه، وذِكْرِهم معاً!

* * * * *

مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء

245- للمؤمنين والمؤمنَات طابُورٌ يقفُون فيه، بَعضُهم أولياءُ بَعْض، وللمنافقين والمنَافقَات طَابُور يقفون فيه، بَعْضُهم مِن بَعض .. وبين الطَّابُورَين طابُورٌ كَبيرٌ، نَصيبُهم مِن كتَابِ الله:[مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً]النساء:143.

246- [مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء]؛ سِمَتُهُم التَّرَدُّد، والتَّذَبْذُب، والتَّقَلُّب؛ ليسَ لهم قَرَارٌ، ولا استِقْرَار .. ولا لونٌ ثَابِتٌ يُعْرَفُون بِه .. فتَارَةً يميلُون إلى المؤمنين، ويَقْتَرِبُون مِنهم .. ويَقُولُون لهم نحنُ مِنْكُم، ومَعَكُم .. وتارةً يَمِيلُون إلى

الكافِرِين، ويَقْتَرِبُونَ مِنهم .. ويَقُولُون لهم نحنُ مِنْكُم، ومَعَكُم .. بِحسْبِ مَا تَقْتَضِي مصَالحهُم الشَّخْصِيَّةِ والحِزْبِيَّةِ .. وعَلى قَوْلِ المثَل:" محل ما بيرزَق بيلْصَق "! [وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً]النساء:143. ومَن كانَ هذا وَصْفُه وحَالُه، مَهْمَا حَاوَلتَ لن تَجِدَ له سَبيلاً لِهدَايَتِه!

* * * * *

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ

247- [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ]؛ الذين يُظهِرُون الإسلامَ، ويُبطِنُون الكفرَ، والبغضَ لدِينِ اللهِ .. ظاهِرهُم معَ المسلمين، وباطنُهم مع الكافِرين .. ظاهِرُهُم التَّصدِيقُ، وباطِنُهم الكذِبُ، والتَّكذِيب، [فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ]؛ جهنمُ درجَاتٌ؛ بعضُها يعلُو بعض، وبعضُها أشدُّ إيلامَاً وعذَاباً مِن بعضٍ .. و"إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذاباً يَومَ القِيامَةِ، لَرَجُلٌ تُوضَعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْها دِماغُهُ "متفق عليه. المنافقون في قَعْرِها السُّفلي؛ الأشدُّ إيلامَاً، وظلمةً، وعذَاباً؛ لأنَّ كفرَهم أغلظُ، وضررَهم أكبرُ على الإسلامِ والمسلمين، [وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً]النساء:145. مُعيناً يمنعُ ـ أو يخففُ ـ عنهم العذَابَ.

* * * * *

مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ

248- [مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ]؛ اللهُ تعالى لا يعذبُ أحداً لمنفعةٍ ترتَدُّ عليه، أو لحاجةٍ، أو لدفعِ ضُرٍّ عنه .. أو لأيِّ غرَضٍ من أغراضِ الدُّنيا التي يعرفُها الناسُ؛ كالثَّأرِ، والتَّشفِّي، ونحو ذلك .. فاللهُ تعالى غنيٌّ عن ذلك كُلِّه .. وبالتالي يا ابنَ آدم حسِّن الظنَّ باللهِ، ولا تظنَّنَّ أن اللهَ تعالى خلقَكَ ليُعذِّبَك، أو أنك ليسَ لك عندَ اللهِ إلا

العذاب .. فهذا ظنٌّ سيء قد يُردِيك .. و " مَا "؛ استفهاميَّةٌ تُفيدُ النَّفيَ الجاذِمَ؛ أي أنَّ اللهَ تعالى لَا، ولَن يُعذِّبَكم، [إِن شَكَرْتُمْ]؛ نِعَمَ اللهِ عليكم التي لا تُحصَى، ورَدَدْتُم ما أنتم فيه مِن نِعَمٍ وخيرٍ إلى فضلِ اللهِ عليكم، [وَآمَنتُمْ]؛ باللهِ، وقمتم بواجبِ ومتطلباتِ الإيمانِ .. وهذا عهدٌ من اللهِ، بأن لا يُعذِّب مَن شَكَر، وآمَن، ومَن أصدَقُ مِن اللهِ عَهداً؟! [وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً]؛ لمن يَشكرُه؛ فيزيدُه من فضلِه، ويَرضَى عنه، ويُثيبُه جنَّةَ الخُلدِ، [عَلِيماً]النساء:147. بمن يَشكر، ومَن يكفُر.

* * * * *

لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ

249- [لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ]؛ وهو كلُّ قَولٍ جَارِحٍ، نَابٍ بَذِيءٍ يَخرُجُ عَن حَدَّي الأدَبِ، والعَدْلِ .. فاللهُ لا يحبُّه .. ولا يَرضَاهُ لِعبادِه، ويَنهَانَا عنه، [إِلَّا مَن ظُلِمَ]؛ فاضطرَّ أن يُعَرِّفَ بمظلمَتِه، أو يُدَافِعَ عنها؛ فيَضطرُّ أن يقولَ مَا قِيلَ له من الكَلامِ الجَّارِحِ، وأن يُشِيرَ إلى الظَّالمِ بما ظلَمَه، مِن غَيرِ تَوسُّعٍ ولا زِيَادَةٍ .. فهذا انتصَافٌ يُؤذَنُ به، مُستَثْنَى مِن النَّهي العَام، [وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً]النساء:148. لما يُقالُ، ومَا يُفعَل .. لا يخْفَى عليه شيءٌ سُبحانه .. فيه تَحذِيرٌ مِن استغْلالِ الرِّخصةِ في الانتِصَافِ مِن التَّوسُّع، والإسْرَافِ في الانتِصَافِ والانتقَامِ .. فيَزيدُ المنتَصِفُ عن الحَدِّ المسْمُوحِ بِه .. ويَردُّ الكَلِمَةَ بأضْعَافِها .. ويتحوَّلُ المظلُومُ إلى ظَالِمٍ .. ولو حصَلَ شَيءٌ مِن ذلك فاللهُ يَسْمَعُه ويَعْلَمُه، ويُحاسِبُ عليه.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ ..

250- [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ]؛ في الإيمانِ، [بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ]؛ فيؤمنون باللهِ مِن دونِ الإيمان برُسُلِه .. [وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ]؛ وبعضُهم يقولون نؤمنُ ببعضِ الرُّسلِ، ونكفرُ ونكذِّبُ بالبعضِ الآخَرِ؛ فآمَن اليهودُ بموسى عليه السلام، وكفرُوا وكذَّبوا بعيسى، ومحمَّدٍ عليهما السلام، وآمَن النصارَى بموسى، وعيسى عليهما السلام، وكفرُوا بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .. بينما المسلمون آمَنوا بجميعِ الأنبياءِ والرُّسُل: آمنوا بموسى، وعيسى، ومحمد صلواتُ اللهِ وسلامه عليهم، وبغيرِهم من الأنبياءِ والرُّسُلِ، لا يفرقُون بين أحَدٍ من رسلِ اللهِ، لعلمِهم أن مَن يكفر برسولٍ واحدٍ من رسلِ الله، لزمَهُ أن يُكَذِّبَ، ويكفرَ بجميعِ الأنبياءِ والرسلِ، ويكفرُ باللهِ تعالى الذي أرسلَ جميعَ الرسُلِ .. [وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً]؛ أن يجمعُوا ويُوفِّقُوا بين الكفرِ والإيمانِ، ويجعلُوا منه طريقاً ومنهجاً لهم في التَّدينِ، وهذا سبيلُ كُفْرِيٍّ باطلٌ مردُود، [أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً]؛ الذي لا يَعتريه الشكُّ والباطلُ بوجهٍ من الوجوهِ، لا ينبغي التردُّد أو الشكُّ في كفرِهم، وكفرِ منهجِهم، [وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً]النساء:150-151. عذابٌ مع إهانةٍ وإذلالٍ؛ لأن كفْرَهُم يمازِجُه الكِبرُ والتَّعالي على الحقِّ، والخَلْقِ، وعلى والإيمانِ بالرسلِ أو ببعضِ رسلِ اللهِ .. فيُعاقَبُون مِن جِنْسِ ذنبِهم!

* * * * *

فَقَالُواْ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً

251- [فَقَالُواْ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً]النساء:153. هَذا مَطلبُ الكُفَّارِ الملحِدين مِن قَبل، واليَوم، وعلى مَدارِ الأزْمِنَةِ والعُصُور .. وهؤلاءِ لو كانَ لهم عَقلٌ لما تَجرأوا على أن

يَطلبُوا هذا الطَّلَب؛ فهم يُؤمنون ويُصدِّقُون بالمخلوقِ الذي لا تُدركُه حواسُّهم، ولا يَستطيعون مشاهدَتَه .. ولَا يَشترِطُون للإيمانِ به أن يَروه؛ كالروح التي في أنفُسِهم مثلاً .. فإذَا كان هذا شَأنُهم معَ المخلُوقِ، فكيفَ يشترطُون للإيمانِ بالخَالقِ أن يرَوه جَهرَةً .. وأنّى لهم القُوَّةُ على ذلك، وفي الحديث:" حِجابُهُ ـ أي حجابُ اللهِ ـ النُّورُ، لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ـ بهاؤ ونورُ وجَلالُ وجْهِهِ ـ ما انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ "مسلم. أي لاحترقَ الخلقُ كُله؛ لأن بصَرَه لا يفُوتُه شَيئاً مِن خَلقِه.

* * * * *

رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

252- [رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ]النساء:165. رغْمَ أنَّ الحُجَّةَ تُقَامُ على الإنسانِ مِن جِهَات عِدَّة؛ مِن جِهَةِ الآياتِ الكونيَّةِ، والنفْسيَّة، ومِن جهَةِ الفِطْرَةِ، ومِن جهةِ الميثَاقِ الذي أُخِذَ عليهم وهم كالذَّر في صلبِ آدَم عليه السلام، إلَّا أنَّ الحُجَّةَ التي يُنَاطُ بها الوعدُ والوَعِيدُ، ويَنعقِدُ عليها الحِسَابُ، وتَحسِمُ الأعْذَارَ؛ هي الحُجَّةُ التي تُقَامُ من جهةِ نَذَارَةِ الرُّسُلِ؛ فَمَن بلغَتْهُ نَذَارَةُ الرُّسُلِ، أو نَذارَةُ ودَعوَةُ رسُولِ زَمانِه .. ثم قابَلَهَا بالرَّدِّ والإعرَاضِ .. لَمْ يَعُدْ يُعذَرُ بالجهْلِ .. فقد أُقِيمَت عليه الحجةُ الحاسِمةُ للأعْذَارِ، والتي يُحاسَبُ على أَسَاسِها.

* * * * *

لكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ

253- [لكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ]؛ إن كذَّبكَ الكفارُ والمشركون ـ يا محمد صلى الله عليه وسلم ـ وشهدُوا زُوراً ـ وبغيرِ علمٍ ـ أنَّك لستَ نبياً مُرسلاً .. وأنكروا ما في كتبُهم من أدلَّةٍ تدلُّ على أنَّك رسولُ الله .. فالله تعالى خالقُ الخلْقِ، وربُّ العالمين، يشهدُ

أنك رسولُه، ويَشهدُ أن هذا القرآن الذي أُنزِلَ عليك إنما هو أُنزِلَ من عِندِه، وهو كلامه سُبحانه، [أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ]؛ لا يَتنزَّل مِنه شيءٌ إلا بعلمِه وأمرِه، [وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ]؛ والملائكةُ كلهم المقرَّبون مِنهم وغير المقرَّبين، يَشهدُون أيضاً أنك رسولُ اللهِ، وأن ما أُنزِل إليكَ هو الحقُّ مِن رَبِّك، [وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً]النساء:166. وشَهادَةُ اللهِ تكفي لمن يطلبُ الحقَّ .. إذ يَستحيلُ على اللهِ تعالى الذي له الأسماء الحُسنى والصِّفات العُليا أن يَدَّعِي رجلٌ النبوَّةَ، وأنه مرسلٌ من اللهِ، وهو في نفسِ الوقتِ يَكذِبُ في دَعْوَاه .. ويَكذِبُ فِيما يُبلِّغ عن اللهِ .. واللهُ تعالى يَراهُ ويَسمعُه، وهو قادِرٌ عليه .. ثمَّ ـ مع كَذِبِه ـ يَدَعُه اللهُ .. بل ويصدِّقُه بالآياتِ، والمعجزاتِ، ويحفَظُه مِن شَرِّ أعدائِه، ويَنصرُه في حياتِه، وبعدَ مماتِه .. ويضعُ له ولدينِه القبولَ في الأرضِ .. فهذا يَستحيلُ وقوعُه .. ومجرَّدُ افتراضِ وقوعِ شيءٍ مِن ذلك، هو مِن سُوءِ الظنِّ باللهِ عز وجل!

* * * * *

إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ

254- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ]؛ باللهِ، [وَظَلَمُواْ]؛ فأتبعُوا كُفرَهم طُغياناً وظلماً للعبادِ، وحَرْباً على اللهِ، ورسولِه، والمؤمنين .. وطَعناً بالدِّين .. فهؤلاء مِن ذَوي الكُفْرِ المغلَّظِ والمركَّبِ، وهم أشَدُّ جرماً وكُفراً مِن ذَوي الكُفْرِ المجرَّد .. والسُّنَّةُ في ذَوي الكفرِ المغلّظِ المركّبِ، [لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ]؛ أن لَا يَغفرُ اللهُ لهم ذنُوبَهم، [وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً]. مستقيماً يُؤدي بهم إلى النَّجاةِ والفَلاح، [إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ]النساء:168-169. إلا طريقاً واحداً يُوصلُهم، ويَنتهي بهم إلى جهنَّم .. [خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً]؛ لا يخرجون مِنها أبَداً!

* * * * *

إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ

255- [إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ]المائدة:1. الخَلْقُ خَلْقُهُ، والمُلْكُ مُلْكُه، والعِبَادُ عِبادُه، والرِّزْقُ رِزْقُه، وهو رَبُّ العالمين، ولا يكونُ في مُلكِه الواسع إلا ما يَشَاء، ومن كان كذلك له الحقُّ وحدهُ في أن يَحكمَ ما يُريد .. يُحلُّ ما يَشاء، ويُحرِّمُ ما يَشاء .. يُعِزُّ مَن يَشاء، ويُذِلُّ مَن يَشاء .. ويَفعلُ في خلْقِهِ ما يشاء، [لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ]الرعد:41. لا رادَّ، ولا مانعَ، ولا مُبطِلَ لحكمِه.

* * * * *

وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

256- [وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]المائدة:2. هذه الآية الكريمَة تُجيبُ عن نِصْفِ المسَائِلِ التي يَسْألُ عنها النَّاسُ، ويُريدُون فِيها فَتْوَى .. وعِندَما يختلفُ عالمان حَولَ مَسألةٍ مِن هذه المسَائلِ؛ هو لاختِلافِ تَقْدِيرِهمَا؛ هل هذهِ المسَأَلَة أقرَبُ للبرِّ والتَّقْوَى، أَم أَنَّها أَقرَبُ للإثمِ والعُدْوَان.

257- [وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى]؛ حيْثُمَا يُوجَدُ البِرُّ والتَّقوَى، يَجِبُ التَّعَاونُ، وتَجوزُ المشَارَكَةُ، [وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]المائدة:2. وحيثُمَا يُوجَدُ الإِثْمُ والعُدْوانُ، يَجِب الاعتِزَالُ، والابتِعَادُ، وعَدَمُ التَّعاونِ، والمشَارَكَةِ.

* * * * *

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً

258- عندما يكون الإسلامُ جزءاً من الحلِّ؛ فإنه لا يعطي عطاءَه المرجو .. وعندما يرتَضي أتباعَ الإسلامِ أن يكونَ الإسلامُ جزءاً من الحلِّ، وليس كلَّ الحلّ، فإنهم بذلك يحكمون على الإسلام بالفَشلِ، ويُظهرونَه في أعينِ الناسِ بصورةِ الدين

الناقص القاصِر، العاجز عن إيجاد الحلول للأمَمِ والشعوب التي ترتضيه حَكَماً، وأنه بحاجة إلى حلول إضافية تُجبر نقصه، وتساعدُه على ما هو فيه، والله تعالى يقول:[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً]المائدة:3. [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً]المؤمنون:115. هَملاً من غير حكمةٍ، ولا غايةٍ، ولا شريعة شاملة، توصلكم إلى تلك الغاية؟!

259- [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ]المائدة:3. فيهِ حَسْمٌ لأعْذَارِ، وشُبهَاتِ، وحُجَجِ المُبْتَدِعَةِ؛ الذين يُحْدِثُون في دِينِ اللهِ ما ليسَ منه .. بذَريعَةِ أنَّ الدِّينَ ناقِصٌ، وأنَّهم بما يُحْدِثُونَه مِن البِدَعِ في الدِّينِ، يُجْبِرُون نَقْصَه!

260- كما فيهِ رَدٌّ على كُلِّ مَن يَزعُمُ أنَّ الدِّينَ نَاقِصٌ .. لا يُواكِبُ ولا يَفِي بحاجياتِ ومَتَطَلَّباتِ العَصْرِ .. وبالتَّالي لا بُدَّ مِن أن نَجْبُرَ هذا النَّقصِ مِن قَوانينَ وتَشريعاتٍ وضْعِيَّةٍ بَعضُها يأتِي مِن الشَّرْقِ، وبَعضُها الآخَر يأتي مِن الغَرْب!

261- [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ]المائدة:3. الدِّينُ الذي يَفِي بجميعِ مَصَالِحِكُم الدِّينِيَّةِ والدُّنيَوِيَّةِ على مَرِّ العُصُورِ والأزْمانِ، وإلى أن تَقُومَ السَّاعَةِ .. فَلا تَحْتَاجُون معه إلى دِينٍ آخَر.

262- [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ]المائدة:3. الكَمالُ الذي لا يَعْتَريه النَّقْصُ مِن جِهَةِ الكَم، ولا مِن جِهَةِ النَّوْع.

* * * * *

وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ

263- [وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ]؛ بأركانِ الإيمانِ، وهي: الإيمانُ باللهِ، وملائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِر، والقَضاءِ والقَدَر خَيرِه وشَرِّه، أو يَكْفُرُ بِرُكنٍ واحدٍ مِن

أركانِ الإيمانِ، أو يكفُر ببعضِ الرّكْنِ من أركانِ الإيمانِ؛ كأن يؤمن ببعضِ الكُتُبِ، ويكفُر ببعضٍ، أو يُؤمنُ ببعضِ الكِتابِ الواحِد ويكفرُ ببعضٍ، أو يُؤمنُ ببعضِ الرُّسُلِ ويكْفُرُ ببعضٍ، ولو برسولٍ واحدٍ من رُسُلِ اللهِ، أو يُؤمن ببعضِ الملائكةِ المقرَّبينِ ويكفُرُ ببعضٍ .. فجميعُ هؤلاء لهم حكمٌ واحِدٌ، ووصفٌ واحِد؛ وهو الكُفْرُ بالإيمانِ، ومَن يكْفُر بالإيمانِ، [فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ]؛ بَطُلَ عمَلُه الصَّالح، وما كان منه مِن صَدقَةٍ أو صومٍ، أو صَلاةٍ، وبَطُلَ الانتفاعُ به؛ كأنه لم يَكُنْ، فكما أنَّ الشِّرْكَ يُحبطُ العمَلَ ويُبطلُه، ويَمنعُ من الانتفاعِ به، كذلك الكُفْرُ يُحبِطُ العملَ، ويُبطله، ويَمنعُ من الانتفاعِ بِه، [وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ]المائدة:5. مِن الهالِكين؛ إذْ لم يَعُد في صَحِيفَتِه مِن حَسَناتٍ يَنتفعُ بها يومَ القِيامة.

* * * * *

اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى

264- [وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ]؛ لا يحملنَّكم يَا مُسلمين، يَا مَن رَضيتُم بالإسلامِ ديناً، [شَنَآنُ]؛ عداوتكُم وبغضُكم لـ [قَوْمٍ]؛ على أيِّ دينٍ أو ملَّةٍ كانُوا، ولأيِّ سَبَبٍ من الأسْبابِ، [عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ]؛ يمنعكُم مِن العَدلِ فِيهم لكُفْرِهم، أو لبغضِكُم وعداوتِكُم لهم، [اعْدِلُواْ]؛ أمرٌ يُفيدُ الوجُوبَ، وجوبُ العدْلِ معَ مَن تُحب، ومعَ مَن تَكرَهُ وتبغَضُ سَواء، [هُوَ]؛ أي العَدْلُ مع البعيدِ كما معَ القَريبِ، ومعَ العدُو كما معَ الصَّديقِ، ومعَ الكافرِ كما معَ المؤمنِ، [أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى]المائدة:8. أقربُ لمُلازَمَةِ التَّقْوَى، وللسَّلامةِ، وللعَدلِ وتحرِّي الحقِّ، وتَفَادِي الظلمِ، ولأن تكونَ من المتَّقين العَادِلين المصْلِحين.

ليسَت العظَمَةُ في أن تعدِلَ مَعَ مَن تُحِبُّ أو معَ القَرِيبِ؛ فهذا الكلُّ يفعلُه ويُتقِنُه .. وإنَّما العظَمةُ والبطولَةُ في أن تَعدِلَ معَ مَن تبغَض، وتُعَادي، ومعَ البَعِيدِ .. وهو مَالا يُتْقِنُه، ولا يَقْدِرُ عليه إلا القَلِيل!

* * * * *

فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء

265- نسيانُ حَظٍّ من الدين والتَّوحيد، يُورِثُ العَداوةَ والبَغْضاءَ، والتنازُع والفرقة، فيما بين الإخوان والأصحاب، على قَدْرِ ونوعِ النّسيان، كما قال تعالى:[فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء]المائدة:14. وعلى الذين يَنشدون توحيدَ الصّفوفِ، وجمعَ الكلمة، أن يتنبّهوا لهذا البعد والمعنى.

266- [وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى]؛ من أنصارِ وأتباعِ المسيح عليه السلام، وما أُنزِل عليه من ربه، [أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ]؛ العهد على ما قالوا، وعلى الإلتزامِ بما قالوا، [فَنَسُواْ]؛ فنقضوا العهدَ، وأعرضوا، وتركوا، وأهمَلُوا [حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ]؛ بعضاً من الدِّين الذي أنزله اللهُ تعالى على عبده عيسى عليه السلام .. فكانت النتيجة، والعقوبة الدنيوية المستعجلة [فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء]؛ فتفرقوا نتيجة لذلك إلى فِرَقٍ وطوائف شتى تُكفّرُ بعضها بَعضاً، وتلعنُ بعضها بعضاً .. وتُعادي بعضها بعضاً .. وهم كذلك إلى يومِنا هذا، و [إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ]، وهذا الإخبارُ عن النصارى، وإلى يوم القيامة، من إعجاز القُرآنِ الكريم .. ومن علامات صِدقِ نبوَّةِ نبينا صلى الله عليه وسلم .. إذ لو كان واقعُ النصارى في أي حِقبة من الزمن بخلافِ ما وصفهم به القرآنُ الكريم، لكذَّبوا القُرآنَ الكريم، ولأتَوا بالدليل على بُطلانِ نبوَّةِ النبي محمد صلى الله عليه وسلم .. وأنَّى! .. وفي يوم القيامةِ يجازيهم اللهُ على صَنيعهم هذا، ويُعاقِبهم عليه، [وَسَوْفَ يُنبِئُهُمُ

اللهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ]المائدة:14. وفي ذلك عِظَةٌ للمسلمين وعِبرة، وتحذيرٌ لهم من أن يفعلوا فِعلَ النصارى .. فإن فعلوا ونَسوا حَظّاً من الدِّين والتوحيد .. وأعرضوا عن بَعضِ ما أُمروا به، وتَركوه .. فإن العقوبة هي ذاتها؛ التَّفرقُ في فِرَقٍ وأحزابٍ متفرِّقة متباغضة .. تُعادي بعضها بعضاً، وتلعن بعضها بعضاً .. وكلما زِيدَ في النسيان، والتَّركِ، والإعْراض، زِيدَ في التَّفرُّقِ والتَّباغُضِ، والتدابُرِ .. فليس للنصارى كل مُرَّةٍ، ولنا كل حُلْوَةٍ .. والذين يَنشدون الوحدةَ ونَبذَ الفُرقةِ فيما بين المسلمين مع تواطؤهم على نسيان حظٍّ من الدين .. كَمَن ينشدُ الشيءَ وضِدَّهُ، وهو يُصادم هذه الآية الكريمة بكلِّ وضُوح!

* * * * *

وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

267- [وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]المائدة:23.التوكّلُ عَمَلٌ قَلبي؛ وهو اسمٌ جامعٌ لجميع معاني التَّفويضِ، والثِّقَةِ، والرِّضا، والاستسلامِ، والصّبر. بينما الأسبابُ وتَعاطِيها من عمَلِ الجسدِ والجَّوارح الظَّاهرةِ، لا يجوز أن يَسْرِي منها شيءٌ إلى القَلبِ، ولو سَرَى منها شيءٌ إلى القلب لَعُدّ خرْمَاً في التَّوكّل ونَقصاً فيه، وعلى قَدْرِ ما سَرَى منه .. ولو سَرَى شيءٌ ممّا في القلبِ من توكّلٍ إلى الجسَدِ والجوارح الظاهرة، لَعُدَّ تَواكلاً، وخَرْماً ونَقصاً في العقلِ، والدِّين، بقدر ما سَرَى منه .. والتوكّلُ بهذا المعنى العام والشَّامل، يُعتَبرُ شَرطاً لصحّةِ الإيمان، كما قال تعالى:[إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ].

* * * * *

فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

268- [فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ]المائدة:26. مِن أعظمِ وأجَلِّ النعَمِ التي يمنُّ اللهُ بها على عبادِه .. هدايتهم إلى صراطِه المستقِيم .. وأن يُعَيّشَهُم في ظلِّ حُكْمٍ يحكمُ

فيهم بما أنزَلَ اللهُ .. ومِن أشقَى الشَّقاءِ إنصرافُهم عن حُكْمِه وشَرْعِه، وعن صراطِه المستقيم .. وإيثارُهم للفسُوقِ والعصيان .. وفي كثيرٍ من الأحيانِ ينتابُ الدُّعاةُ إلى اللهِ الحزنَ على قومٍ آثَرُوا الضلالَ على الهُدَى .. والفسوقَ والعُصيانَ على الاستقَامةِ على أمرِ اللهِ .. لما فاتَهم من خيرٍ كثيرٍ في الدُّنيَا والآخِرَة .. إلَّا أنَّ حكمَ الله تعالى فاصِلٌ وحاسِمٌ في هذه القضيَّةِ، [فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ]؛ هُم لا يَستحِقُّون هذا الخير الذي فاتَهم .. كما أنَّهم لا يَستحِقُّون أن تحزَنَ عليهم!

* * * * *

إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

269- [إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ]المائدة:27. الذين يتحقَّقُ في أعمالِهم شَرطَان: الإخْلاصُ، والمتَابَعَةُ للشَّرْعِ المنزَّلِ.

* * * * *

مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً

270- [مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً]؛ أيّاً كانت هذه النفس؛ كانت شَرقيّةً أم غربيّة، غَنيةً كانت أم فقيرة، شَريفةً كانت أم وضيعة، وأيّاً كان لونُها، وجِنْسُها، ودينُها [وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً]المائدة:32.

* * * * *

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ

271- [سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ]؛ صيغَةُ مبالغَة؛ أي كثيرُوا الاستماع، والإصغاءِ للكذِبِ .. وهم اليهودُ، ومَن والاهُم مِن الكافِرين، والمنافقِين .. كلُّ كَذِبٍ على الإسلامِ

والمسلمِين .. وتكذِيبٍ للإسلامِ والمسلمِين .. وتَصدِيقٍ للكَذِبِ .. يَرغبُون بالاستماعِ له .. ويَرغبُون بإشاعَتِه، وترويجِه؛ لأنه يَروي بعضَ أحقَادِهم، ويحقّقُ لهم بعضَ التَّشفّي والشَّماتةِ بالإسلامِ والمسلمِين .. وهو سِلاحُهم المعتمَد في تشويهِ صُورةِ الإسلامِ، وتَنفيرِ الناسِ عنه، [أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ]المائدة:42. أي كثيرُوا الأكْلِ للحرَامِ، لا يتورَّعون عن أكلِ الحرامِ .. والسُّحت كلُّ ما حرَّمَهُ اللهُ، وحرَّمَ التكسّبَ به، ومِن خلالِه؛ كالرِّبَا، والرشوةِ في الحكمِ، والسّرقةِ، والغشّ، والميسِرِ، وبيعِ الخمرِ، وأكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ، وغيرها ...!

* * * * *

فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ

272- [فَلاَ تَخْشَوُاْ]؛ الطُّغاةَ والظالمين مِن [النَّاسَ]؛ فتكتُموا العِلمَ والحقَّ خشيةً ورهبةً مِنهم، وكان الواجِبُ عليكم أن تُبينُوا العِلمَ، وتَصدَعُوا بالحقِّ، [وَاخْشَوْنِ]؛ فاللهُ أحقُّ وأَولَى أن تخشَوه، وتخشوا عذابَه، وأن تَلتمسُوا رِضَاه، [وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً]المائدة:44. ولا تكتموا الحقَّ .. ولا تحكُموا بغيرِ ما أنزلَ اللهُ مُقابِل متَاعٍ أو غرَضٍ من أغرَاضِ الدُّنيا .. ومهما كان الثمنُ المدْفُوع مقابلَ كتمَانِ الحقِّ، وعدَمِ الحُكمِ بما أنزَلَ الله كثيراً، ومُغرياً .. فهو قياساً لما عِندَ اللهِ مِن أجْرٍ، وثوَابٍ، ونَعيمٍ .. قَليلٌ، وقَليلٌ جِدّاً!

* * * * *

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ

273- [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ .. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ]المائدة :44-45و47. يُراد من الآياتِ الثلاث الكُفْرُ الأكبرُ، والظُّلمُ الأكبرُ، والفُسقُ

الأكبرُ، لأنَّ جميعَها نزلت في أهلِ الكِتَابِ اليهود والنَّصارى .. وهي تُحمَل على حُكَّامِ المسلمين إن طابَقَت أعمالُهم أعمالَ اليهودِ والنَّصارى .. فإن لم تُطابِق، ولم تُماثِل .. وإنَّما وقَعُوا في الحُكْمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ عن شَهوةٍ، وهوى، وتَأويلٍ .. من غيرِ جُحُودٍ، ولا انتِقَاصٍ، ولا اسْتِخْفَافٍ .. فتُحْمَل عليهم الأحكامُ التَّاليةُ: الكُفرُ الأصْغَرُ، والظُّلمُ الأصْغَرُ، والفُسقُ الأصْغَرُ، أو كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وظُلمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وفُسْقٌ دُونَ فِسْقٍ، لا تُخرِج صَاحِبَها من المِلَّةِ .. كما قال بذلك بعضُ الصّحَابة والتَّابعين.

* * * * *

فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ

274- [فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ]؛ بشَرْعِ اللهِ المنزَّلِ، [وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ]؛ مَا يَرغَبُونه، ويميلُون إليه مِن الشَّرعِ المبَدَّلِ .. رغبةً فِيهم، أو بما عِندَهُم، ومَعَهم .. فيَحمِلُكَ ذلك على الانصِرَافِ، [عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ]المائدة:48. عن القُرآنِ الكريمِ، والشَّرعِ المنَزَّلِ .. وموافقَتِهم على ما يُريدُون، ويَرغبُون .. وهذا الخِطابُ كما هو موجَّهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فهو موجَّهٌ لأمراءِ وعُلماءِ أمَّتِه .. فكلُّ خطابٍ موجَّهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم مِن ربِّهِ، هو موجَّهٌ لأمَّتِه، إلى يومِ القِيامَةِ .. مَا لم يَرِدْ نَصٌّ أو قَرِينَةٌ شرعيَّةٌ تُفيدُ أنَّ هذا الخِطَاب خاصٌّ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم دونَ غيرِهِ مِن أُمَّتِه.

* * * * *

وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ

275- [وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ]؛ لا تتوقّفُ محاولات الكفارِ عن ثَني أهلِ الحقِّ عن الحقِّ، والإيمانِ .. فمن وجدُوه لا يُؤتَى من جهةِ الإغْراءِ بعرَضٍ مِن الدُّنيا .. ساوموه في المتابَعَةِ، وقالُوا له: نؤمنُ ببعضِ الكتابِ .. نتبعُكَ

ببعضِ ما أنزلَ اللهُ .. مُقابلَ أن تتركَ ـ أو تَعفينا مِن ـ البعضِ الآخَر .. يُتابعُونَه فِيما سَهُلَ عليهم، ويُساومُونه فِيما صَعُبَ عليهم .. فأنزلَ اللهُ تعالى قولَه وتحذيرَه لمواجهَةِ هذا الموقفِ الذي يواجهُ المؤمنِين، والذي قد يَتكرَّرُ في كلِّ زمَانٍ:[وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ]؛ احذَرْ أن تطيعَهم وتتابعَهم فِيما يطالبونَك به .. فتَضِل، وتَهلك .. حتى وإن تولَّوا وأعرضُوا عن متابعةِ الحقِّ بالكليَّةِ، [فَإِن تَوَلَّوْاْ]؛ وأعرضُوا عن متابعةِ الحقِّ؛ لأنك لم تُطاوعْهم، ولم تجبْهم إلى ما طالبُوك به .. فَلا تَأسَ عليهم، [فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم]؛ بعذَابٍ وعِقابٍ مِن عِندِه في الحياةِ الدنيا غيرَ الوعيدِ الشَّديدِ الذي يَنتظرُهم يومَ القيامَة، [بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ]المائدة:49. التي اقترفُوها، والتي مِنها مساومتهم الباطِلَة لك .. وإعراضُهم عن متابعَةِ الحقِّ.

* * * * *

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ

276- [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ]المائدة:50. يَطْلبُون .. ويَقْصُدُون .. ويُريدُون؟! سُؤالٌ فيه تَقْرِيعٌ، وإنْكَارٌ، وتَعَجُّب ممّا يَطلبُون .. إذْ كيفَ يَعْدِلُون عَن حُكمِ اللهِ المنزَّلِ إلى حُكمِ الجَاهِليَّةِ .. وحُكمُ الجاهليَّةِ ليسَ مَقْصُوراً على عَصْرٍ دُونَ عَصْرٍ .. أو زَمَانٍ دونَ زَمَان .. أو حُكْمٍ دُونَ حُكْمٍ .. فكُلُّ حُكمٍ يُضَادُّ، ويُضَاهِي، ويُخَالِفُ حُكمَ اللهِ، له صِفَةُ حُكْمِ الجاهِليَّةِ .. وكلُّ مَن يَعْدِلُ عَن حُكمِ اللهِ تعالى، ويَطلُبُ التَّحاكُمَ إلى شَرَائع تُضَاهِي وتُضَاد حُكمَ اللهِ، فهو ممَّن يحتكمُ إلى شَرائع وحُكْمِ الجاهِليَّةِ .. وممن يَبغون حُكْمَ الجَاهِليَّة!

* * * * *

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ

277- [وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ]؛ فيُظَاهِرُهُم بالقَولِ أو الفِعْلِ، أو بِهِمَا مَعَاً، على الإسْلامِ، وعلى المسلمين؛ لإسْلَامِهِم، ولكونِهِم مُسْلِمين، [فَإِنَّهُ مِنْهُمْ]المائدة:51. فإنَّه مِن جُملَتِهِم؛ كافِرٌ مِثْلُهم!

* * * * *

فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

278- الصفاتُ التي تتبلّد بسببها الحياةُ وتجمد، والتي منها: الهوانُ، والوهْنُ، والركون إلى العَجْزِ، وإلى الظّالمين .. والاستدفاءُ بالذل .. إيذانٌ ببدءِ الاستبدالِ لتَستمرَّ الحياةُ وتَعمُر، فيأتي اللهُ بقوم صفاتهم عكس صِفات المُستبدَلين المتبلّدين، كما قال تعالى:[يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ]المائدة::54. وقال تعالى:[وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ]محمد:38.

279- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ]؛ إلى الكُفْرِ؛ فيُوالي ويُعادِي .. ويحبُّ ويكرهُ، في غيرِ اللهِ .. ويَتخذُ الكافرين أولياءَ مِن دونِ المؤمنين .. يَسْتَعلِي على المؤمنين، ويَذُلُّهم .. فإذا أقبَلَ على للكافِرين، تذَلَّلَ لهم واسترْضاهم .. يخشَى الكافِرين كخشيته مِن اللهِ وأكثر .. ويَترُكُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ، [فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ]؛ بدَلاً مِنْكُم؛ فِيهم مِن الصِّفاتِ خِلاف وعكسَ صِفَاتِكم الآنفَةِ الذِّكْر، التي كانت سَبباً في ارتِدَادِكُم عَن دِينِكم، وهي:[يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ]المائدة:54.

* * * * *

أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

280- [أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ]؛ المؤمنُ أرضٌ ممهَّدَةٌ، وَطِيئَةٌ، مُذَلَّلَةٌ، هَيِّنَةٌ، سَهْلَةٌ، على المؤمنين، [أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ]المائدة:54. جِبَالٌ شَمَّاءُ، عَصِيَّةٌ أَبِيَّةٌ .. وسَمَاءٌ تَعلُو على الأَعْدَاءِ الكافِرين .. ومتَى يكُونُ المؤمنُ غيرَ ذلك عليه أن يُدَقِّقَ في إيمانه!

281- مَن كانَ عَزيزاً على المؤمنين؛ يُذِلُّهم، ويُقْصِيهم، ويتَعَالَى عَليهم .. بينَمَا هو ذَليلٌ على الكافِرين، والزَّنَادِقَةِ الملحِدين؛ يُكْرِمُهم، ويُدْنِيهم، ويُعْلِي مِن شَأنهم .. فهذا ليسَ مِن المؤمنين، مَهْمَا تَشَبَّع وَزَعَمَ أنَّه مِن المؤمنين!

* * * * *

وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ

282- على قدْرِ البلاغِ، والبيان، والصَّدعِ بالحقّ، تكون العِصمةُ من شُرُورِ الناس، والدليل قوله تعالى:[يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ]المائدة:67.

* * * * *

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً

283- [قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً]؛ الاستفهامُ للإنكارِ، أي كيفَ تَرضُون لأنفُسِكم ـ بعد أن كرمكَم اللهُ بالعقلِ، وأرسل لكم الرُّسلَ، وأنزلَ الكتُبَ، التي بها تُقام الحجةُ عليكم ـ أن تتوجَّهوا بالعبادةِ، والدُّعاءِ لغيرِ اللهِ تعَالى، لمن لا يملكُ لكم نَفعاً، ولا يَدفعُ عنكم ضرّاً .. لمن لا يَسمعُ دعاءَكُم، ولا يعلمُ عنكم شَيئاً،

[وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]المائدة:76. الذي يسمعُ دعاءَكم، ويعلمُ أحوالَكُم، والقادِرُ على أن يجيبَ الدَّاعيَ، والسَّائلَ ..؟!

* * * * *

ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ

284- [لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ . كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ]المائدة:78-79. عِلَّةُ اللعنِ، والطردِ من رحمةِ اللهِ، ثلاثَةُ أشياء: العِصيانُ، وعملُهم بالمعاصِي، والعُدوَان على حقُوقِ الآخَرين .. ثم هم معَ العِصيانِ، والعُدوان، [كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ]؛ لا ينتهون مِن تلقاءِ أنفُسِهم عن مُنكَرٍ، ولا يُوجدُ مَن ينَهاهم عن المنكرِ .. مما زادَهم عصْياناً، وعُدواناً، وطُغياناً .. وجرأةً على العصيانِ .. فكانُوا بذلك أكثر استِحْقَاقاً للَّعْنِ .. فالمنكرُ يزيدُ ويتكاثَرُ، وتقْوَى شوكتُه مع السُّكوتِ عنه .. ومَن كان ينهاهُم من علمائِهم لا يَرى حرجاً أن يجالِسَهم في مجالِسِهم، وأسواقِهم، ويؤاكلَهم، ويُشاربَهم .. مع إقامتِهم على المنكَرِ، وعدمِ انتهائِهم عنه .. فيُعطي إيحاءً للرَّائين أنه راضٍ بمنكرِهم، وما يَصنعُون .. وأنَّ ما يفعلونَه من منكراتٍ لا يَستدعِي المفاصلةَ والمباينَةَ .. فلُعِنَ الجميعُ، وضَرَب اللهُ قلوبَ بعضِهم ببعضٍ .. وآثارُ هذا اللَّعنِ فيهم مستمرَّةٌ حتَّى يومنا هذا؛ فهم في توسُّعٍ مُستَمرٍّ ومُتزَايدٍ في المنكَرِ، وفي التَّواطُؤِ عليه .. وهذه الآياتُ وإن قِيلَت في الذين كفَرُوا من بَني إسرائيل إلا أنها تَطالُ المسلمين في مجتمعاتِهم لو تخلَّقُوا بأخلاقِهم، واتَّصفُوا بصفاتِهم المدمِّرةِ الآنفةِ الذِّكرِ أعلاه .. فليسَ لهم كل مُرَّةٍ، ولنا كل حُلْوَةٍ .. وفي الحديث:" كلَّا واللَّهِ لتأمرنَّ بالمعروفِ، ولتنهونَّ عنِ المنكرِ، ولتأخذنَّ على يدي

الظَّالِمِ، ولتَأْطُرُنَّهُ على الحقِّ أَطْرًا، ولتَقصُرُنَّهُ على الحقِّ قَصْرًا، أو ليَضربنَّ اللَّهُ بقلوبِ بعضِكم على بعضٍ، ثمَّ ليلعنَنَّكم كما لعنَهم ".

* * * * *

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء

285- [وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ]المائدة:81. كما لا يجتمعُ إيمانٌ وكُفرٌ .. لا يجتمعُ ولاءٌ للهِ وولاءٌ لأعدائهِ الكافِرين .. فمن زَعمَ بلسانِه الإيمانَ، بينما هو في واقعِه، وعملِه يُوالي الكفَّارَ، ويميلُ إليهم، وينصرهُم على الإسلامِ والمسْلمين .. فعملُه يُبطلُ زعمَه، ويردُّهُ، ويكذِّبُه - وهو أقوى في الدَّلالَةِ على حقيقةِ الإيمانِ من مجرَّدِ القولِ وزَعمِ اللسانِ - ويدمغُه بالكُفرِ والفُسوقِ، والخروُجِ عن طاعَةِ اللهِ تعالى وموالاتِه، إلى طاعةِ أعدائِه الكافِرين، وموالاتِهم.

* * * * *

لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ

286- [لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ] من طعامٍ، وشَرابٍ، ومَلْبَسٍ، ومَنْكَحٍ، ومَتَاعٍ بزعْمِ التَّزهّد، والانقطاعِ للعِبادة، [وَلاَ تَعْتَدُواْ] بالإسْرافِ أو التَّبذيرِ أو بكليهما مَعاً، [إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]المائدة:87. الذين يَتجَاوَزون حُدُودَ الحَلالِ إلى الحَرَام!

* * * * *

وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً

287- [وَكُلُواْ]؛ اللهُ تعالى هو الخالقُ لجميعِ ما في الوجُودِ، وهو المالِكُ على الحقِيقةِ لجميعِ مَا في الوجُودِ .. ومَن كان له الخَلْقُ والمُلْكُ، له الحقُّ وحدَه أن يقولَ لمن

خَلَق مِن النَّاسِ: كلُوا هذا، ولا تَأكُلوا هَذا .. هذا حَلالٌ لكم، وهذا حرامٌ عليكم .. أمَّا من لا يخلقُ، ولا يملكُ على الحقيقَةِ لا يجوزُ له أن يقولَ للناسِ كلُوا ممَّا لا يخلقُ، ولا يملكُ .. هذا حَلالٌ لكم، وهذا حرامٌ عليكُم .. فمن كان يَفقدُ حقَّ المِلْكيَّةِ يَفقدُ حقَّ التصرفِ كيفَما يشاءَ فِيما لا يملكُ .. وما كان يملِكُه؛ اللهُ هو الذي مَلَّكه إيَّاه، ينزعهُ منه متى شَاء .. وهو يملِكُه مؤقَّتاً لفترةٍ زمنيَّةٍ محددةٍ؛ على وجهِ الاستئمانِ، والاستخلافِ، ثم يَتركُه لغَيرِه؛ لينظرَ كيفَ سيتصرَّفُ فِيما استُئمِنَ عليه، واسْتُخلِفَ فِيه، [مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ]؛ حَصْراً؛ لأنه لا يُوجَدُ رزقٌ تأكلونَه وتتمتّعون به من غيرِ رِزقِ اللهِ .. فجميعُ الأرزاقِ التي بينَ أيديكُم هي من الله تعالى وحدَه، [حَلاَلاً]؛ تتحرَّونَ فِيما تَأكلُون وتَشربُون الحلالَ الذي أحلَّه اللهُ لكم .. ومَا أحلَّه اللهُ لكم، لا يحقُّ لأحَدٍ كائنٌ مَن كانَ أن يحرمَهُ عليكُم، أو يمنعكم عنه، [طَيِّباً]؛ فالله طيِّبٌ، لا يُحِلُّ إلا الطيب، [وَاتَّقُواْ اللّهَ]؛ في تحرِّي الحلالَ والحرامَ؛ فلا تتجرَّأوا على الحرامِ، ولا تحرِّموا على أنفُسِكُم وغيرِكم الحلالَ، [الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ]المائدة:88. فإنَّ إيمانكم باللهِ يحتم عليكم أن تتَّقُوا اللهَ، وأن تتحرّوا حلالَه مِن حرامِه؛ فتُحلُّوا ما أحلَّه لكم، وتحرِّمُوا ما حَرَّمهُ عليكم.

* * * * *

فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ

288- [فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ]المائدة:89. أوسَطُ؛ أي لا أَعلاهُ، ولا أدْنَاهُ، وإنما وسَطٌ بينهمَا .. ولَا يُوجَد " أوسَط " واحدٌ ثابتٌ يُقاس عليه، يُلزَمُ به الجميع، في كلِّ زَمانٍ ومَكانٍ .. إذ لكلِّ شخصٍ " أوسَط " يُناسِبُه، بحسْبِ دَخْلِه وغِنَاه .. فأوْسَط الغني ليسَ كأوسَطِ الفقِيرِ .. كما أنَّ للعرفِ أثره في تحديدِ معنى " الأوسَط " الذي يُناسِبُ الزَّمانَ والمكانَ.

* * * * *

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ

289- [لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ]؛ حَرَجٌ وإثمٌ، [فِيمَا طَعِمُواْ]؛ من حرامٍ؛ كشربِ الخمرِ، وأكلِ الحرَامِ؛ كلحم الخنزيرِ، والميتَةِ، وغير ذلك .. قبلَ الإسلامِ، أو بعدَ الإسلامِ، لكن لم يبلغْهُم النصُّ المحرِّمُ لما أكَلُوا وشَرِبُوا .. فهؤلاء لا حرَجَ عليهم، ولا تأثيماً؛ لأن الحَرَجَ يكونُ بعدَ بلُوغِ النَّصِّ المُحَرِّمِ، وليسَ قَبلَه .. بل اللهُ ـ بكرمِه ورحمتِه ـ يُبدِّلَ سيئاتهم إلى حسناتٍ .. بشرط، [إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ]المائدة:93. بعد أن أسلموا، وعلموا بالنصِّ المحرِّم لما كانُوا يَشربونَه ويأكلونَه ممَّا قَد حرَّمه اللهُ .. يجبُ عليهم مُباشَرَةً أن يتوقَّفُوا عمَّا كانُوا يَطْعَمُونَه من الحرامِ إيمانَاً باللهِ، وطاعةً له، وخَشيةً منه .. أمَّا مَن استمرَّ على أكلِ وشربِ الحرامِ بعدَ الإسلامِ، وبعدَ أن بلغَه نصُّ التَّحريمِ، وانتفَى العُذرُ عنه، فهذا لا يكون ممَّن [اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ]؛ وهو يُؤخَذُ بالأوَّلِ والآخِرِ من ذَنبِه.

* * * * *

اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

290- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ]؛ لمن وقَعَ في الأمْنِ، واتَّكَلَ على الرَّجاء، وتركَ العمَل، وتجرَّأ على المعَاصِي، [وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] المائدة:98. لمن وقعَ في الذَّنْبِ ثم استغْفَر، وتاب، وأنَاب، ومن استغْفَارِهم وإنابَتِهم أنَّهم [يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً]؛ من غَيرِ يأسٍ وقنوطٍ، [وَطَمَعاً] السجدة:16. بالعَفْوِ والرَّحْمَةِ .. مِن غَيرِ تواكُلٍ وجَفَاءٍ، فجَمَعَت بَينَ الخوفِ والرَّجَاء.

291- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]المائدة:98. مِن أساليبِ القُرآنِ الكريم، إذا وردَت آياتُ الوَعِيدِ أتبَعَها بآياتِ الوَعْدِ، وإذَا وردَت آياتُ الوَعْدِ أَتْبَعَها بآياتِ الوَعِيدِ، ليحْمِلَ المرْءَ على الاعتِدَالِ والتَّوسُّطِ في الخوفِ والرَّجَاءِ، فيَخافُ مِن غَيرِ يَأسٍ وقُنُوطٍ مِن رَحمَةِ اللهِ .. ويَرْجُو مِن غيرِ إرْجَاءٍ، وتَفْرِيطٍ في العَمَل.

292- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]المائدة:98. كما أنَّ اللهَ تعالى واسعُ المغْفرةِ والرحمةِ .. وسِعَت رحمتُه كلَّ شَيء .. يُعطِي بغيرِ حِسَابٍ .. مِن عطائِه الجنَّة التي فيها مَا تَشْتَهِي الأنفُسُ، وتَلَذُّ الأعينُ .. فيها مِن النَّعيمِ الدائمِ والمقيمِ مَا لَا عَينٌ رَأَت، ولا أذُنٌ سَمعَت، ولَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ .. كذلك فإنَّ اللهَ تعالى شَديدُ العِقَابِ، عقابُه لا يُماثِلُه عِقَابٌ .. وكما أن اللهَ تعالى ليسَ له شبيهٌ ولا مَثيلٌ في رَحمتِه، ومغفرتِه، وعفوِه، وجُودِه .. كذلك ليسَ له شبيهٌ ولا مثيلٌ في عِقَابِه، وعذَابِه، وانتقامِه .. إنَّه رَبُّ العالَمِين.

293- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]المائدة:98. إذا نازَعَتْكَ نفْسُكَ إلى الشرِّ .. فتذَكَّر واعلَمْ أنَّ اللهَ شديدُ العِقَاب .. وإذَا نازَعَتْكَ إلى اليأسِ والقُنُوطِ .. فتذَكَّر، واعلَمْ أنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيم.

* * * * *

قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ

294- [قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ]؛ الحرامُ، والرِّجسُ، [وَالطَّيِّبُ]؛ والحَلالُ، والطُّهرُ .. لا يَستويان مَثَلاً، [وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ]؛ مَهمَا كانَ الحرَامُ كَثيراً .. ومُزَخْرَفاً .. تعلُوه الأصبَاغُ، والزَّخَارِفَ .. وكان الطيُّبُ قَليلاً .. فدرْهَمُ حَلالٍ خَيرٌ مِن مائةِ ألفِ دِرهَم حرَام .. وفيه مِن البركَةِ ما ليسَ في المائةِ ألفِ دِرهم، [فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا

أُوْلِي الأَلْبَابِ]؛ فاطلبُوا الحلالَ، واصبرُوا عليه، وإن قَلَّ .. وابتعِدُوا عن الحرَامِ؛ مهمَا كان كَثيراً، ومُغْرياً، [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]المائدة:100. تَفوزُون بنعيمَي الدُّنيا والآخِرة.

نحن في زَمَانٍ قد صَعُبَ فيه الدِّرهمُ الحَلالُ .. وسَهُلَ الدّرهَمُ الحرامَ .. وهذا من البَلاءِ الشَّديدِ؛ مَن يَصبرُ على الحَلالِ .. ومَن يَنْأَى بنفْسِه، ومَن يُعِيلُ عنِ الحرَامِ!

* * * * *

قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا

295- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ]المائدة:104. المسلمون ـ على اختِلافِ أجناسِهم، وألوانِهم، ولغاتِهم، وأوطانِهم ـ لا يَدعُون إلى أنفُسِهم، ولا إلى متابَعةِ وتقليدِ آبائِهم، ولا حتَّى العُلماءَ مِنهم .. وإنَّما يَدعُون إلى كتابِ الله تعالى وإلى سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. والعالمُ مَهمَا عَلا كعبُه فحُجَّتُه ليسَ في قولِه؛ وإنما في موافقَتِه ومتابعَتِه للدليلِ من الكتابِ والسُّنَّةِ .. فحكمُ الكتابِ والسُّنَّةِ يمضي على الجميع .. وكلُّهم سَواءٌ أمامَ حُكمِ الكتابِ والسُّنَّةِ .. وما سواهُم مِن غيرِ المسلمين ـ على اختلافِ مِلَلِهم، ونِحَلِهم، ومَذاهِبهم، ومجتمعَاتِهم ـ كلهم يَدعون إلى متابعةِ وتقليدِ الآباءِ .. وما جرَت عليه العَادَاتُ والتَّقاليدُ في بلدانِهم ومجتمعاتِهم .. وكلُّهم يجدُون في تَقليدِ الآباءِ والأجدَادِ السَّلاسلَ والقيودَ التي تمنعُهم مِن متابعةِ الحقِّ، والإصغاءِ إليه .. وللآباءِ سلطةٌ قاهرةٌ ومخيفةٌ على حريةِ اختيارِ الأبناءِ .. حتى الملحدِين المتفلّتين مِن قيودِ الدِّين؛ فإنَّهم يتَّبعون آباءَهم وأحبارَهم الملحدِين المتفَلّتين من قيودِ الدِّينِ .. فترَى كلَّ فريقٍ يَرُدُّكَ إلى ما يقولُ به آباؤه وأجدَادُه، وإلى ما يَعتقدُون .. وإلى ما جَرَت عليه العادَةُ في مجتمَعاتِهم .. بغضِّ النَّظرِ هل هو موافقٌ للحقِّ أم لَا .. حتَى لو كانَ آبَاؤهم لا يَعلمُون شَيئاً عن الحقِّ المنَزَّلِ،

ولا يَهتدُون إليه سَبيلاً .. ومَن يتحرَّر منهم على الحقيقَةِ مِن قيودِ تقليدِ الآبَاءِ، ومِن مُتابعَةِ التَّقاليدِ والعَادَات في مجتمَعِه .. هذا يَعني أنَّه قد دَنَى من الإسلامِ، وأصبحَ منه قابَ قوسَين أو أدْنَى.

296- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ]؛ إلى الكِتَابِ، والسُّنَّةِ، [قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا]المائدة:104. دُعاةُ التَّعصُّب للمذاهِبِ الفِقْهِيَّةِ؛ الذين يَردُّونَ حُكمَ الكتابِ والسُّنَّةِ، تَعصُّباً للمذْهَبِ، ولأقْوالِ رِجَالَاتِ المذْهَبِ .. ويَتعَامَلُون معَ قَولِ المذْهَبِ كما يتعامَلُون مع النَّصِّ المنزَّلِ، وربما أشَد .. لهم نَصيبُهم الأَوْفَرُ مِن الزَّجْرِ الوارِدِ في هذهِ الآيةِ الكريمَةِ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ

297- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ]المائدة:105. لا يَضرُّكُم في دينِكم إذا أنكرْتُم على الضَّالِّ الظالِمِ ضَلالَه وظلمَه، ومُنكرَه .. وصَدعتُم بالحقِّ في وجهِه، وحاولْتُم أطْرَه إلى الحقِّ أطراً، فلم تقدِرُوا .. بعد ذلك لا يَضرُّكُم ضَلالَه وظُلمَه إن لم يَستجِبْ لكُم، إذا مَا التزَمتُم طريقَ الحقِّ والهِدايةِ، واستقَمتُم في خاصّةِ أنفُسِكُم .. لأنَّكم قد قمتم بواجبِ الإصلاحِ، والأمْرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ، ولَمْ تكتُموا الحقَّ .. فإن لم تَفعلُوا ذلك؛ ولم تقُومُوا بواجِبِ أمرِهِ بالمعرُوفِ ونهيه عن المنكرِ .. وسَكتُّم عليه .. فإنَّ ضَلالَه وظُلمَه يَضرُّكم في الدُّنيا والآخِرة.

* * * * *

فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ

298- على قَدْرِ قيامِ الحجةِ الشّرعية، والعِلمِ باللهِ، وبمرادِه، تكون المساءلة والمُحاسبة .. قال تعالى:[قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ]المائدة:115.

* * * * *

كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

299- [وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ]؛ وذلك يومَ القِيامَةِ .. وأمامَ الأشهادِ .. توبيخاً، وتبكيتاً لمن عبدَه وأُمَّه من دونِ اللهِ، ونسَب لهما الألوهيَّةَ مِن دونِ اللهِ .. وإظهاراً للحقِّ .. وتقريراً لعقيدةِ ومَبدأ التَّوحيدِ، وأنَّ المعبودَ بحقٍّ هو اللهُ، [أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ]؛ معبودَين؛ يؤلهونكما، ويَصرفُون لكما العبادَةَ، [مِن دُونِ اللّهِ]؟! فإن قِيل: النصارى لم يَعبدوا المسيحَ، وأُمَّهُ مِن دونِ اللهِ، وإنما عبدُوهما معَ اللهِ ..؟! يُقال: إنَّ اللهَ تعالى أغنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ؛ لا يَقبلُ عملاً فيه شِركٌ، فمَن أشرَكَ معه غيرَه، فعبادَتُه كلها لغيرِه، لا يَصلُ منها شيءٌ إلى اللهِ .. فالعبادةُ معَ اللهِ، والعِبادةُ مِن دُونِ اللهِ سواء، كما في الحديثِ القُدسي:" قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ "مسلم. [قَالَ]؛ المسيحُ عليه السلام، [سُبْحَانَكَ]؛ تنزيهٌ للخالقِ سبحانه وتعالى عن الشَّريكِ، وعن كُلِّ نَقصٍ، [مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ]؛ إنما أنا عبدُك، ليسَ مِن حَقِّي أن أستشرِفَ مقامَ الألوهيَّةِ والربوبيَّةِ، وأن أقولَ للناسِ: اعبدُوني وأُمِّي مِن دونِ اللهِ .. فهذا ليس مِن حَقِّي، ولا مِن حقِّ غيري .. وإنما هو حقٌّ خالِصٌ لك، [إِن كُنتُ قُلْتُهُ]؛ إن كنتُ قلتُ للناسِ اعبدُوني وأُمِّي مِن دونِ اللهِ، [فَقَدْ عَلِمْتَهُ]؛ فاللهُ تعالى يَعلمُ

كلَّ شَيءٍ، لا يخفَى عليه شيءٌ، [تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي]؛ تعلمُ ما أخْفِي وأُبطِن في نفْسِي، [وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ]؛ لا أحدَ يعلمُ ما في نفسِ اللهِ ـ لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ ـ إلا ما أخبرَ اللهُ تعالى عن نفْسِه، [إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ]؛ ولا أحدَ يَعلمُ الغيبَ إلا اللهُ تعالى وحدَه، [مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ]؛ هكذا شأنُ جميعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، وعيسَى عليه السلام مِنهم، لا يأمرُون بشيءٍ، ولا يَدعونَ إلى شيءٍ، ولا يُشَرِّعُون شيئاً إلا ما أمرَهُم اللهُ به، لا يَخرجون عن أمر اللهِ في شيءٍ؛ أي شَيءٍ .. وأهم وأعظمُ ما أُمِرَ به عيسى عليه السلام، وجميعُ الأنبياءِ والرسل، أن يقولوا للناس:[أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ]؛ توجَّهوا بالعبادَةِ ـ كل ما يدخلُ في معنى العِبادةِ ـ إلى اللهِ تعالى وحدَه لا شَريكَ له، [رَبِّي]؛ الذي خلَقَني .. أشارَ لنفْسِه عليه السلام بأنَّه مَربوبٌ مخلوقٌ للهِ؛ ليُذْهِبَ التوهمَ عن أذهانِ الناسِ؛ فلا يُغالون فيه، فيتعاملون معه كربٍّ وإلهٍ؛ لِمَا أجرَى اللهُ على يدَيه مِن الآياتِ والمعجزاتِ، ولميلادِه المعْجِز، والفَريد، [وَرَبَّكُمْ]؛ الذي خلقَكُم، وخَلقَ الخلْقَ أجمعين .. ومَن كان ربِّي وربُّكُم هو الذي يجبُ أن تَعبدُوه، وتَصرفُوا له العِبادَةَ وحدَه لا شَريكَ له، [وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ]؛ كنتُ شاهداً عليهم، وعلى أعمالِهم، وأقوالِهم .. فلم يجرُؤ أحدٌ وأنا حيٌّ بين أظهرِهم أن يقولَ عنِّي أني رَبٌّ وإلهٌ، وأنِّي معبودٌ من دونِ اللهِ، ولو قالَه أحَدٌ لأنكرتُه عليه أشَدَّ الإنكارِ، [فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي]؛ قبضَّتني بالرفعِ إليك .. فقد غبتُ عنهم، فلا أعلمُ ما أحدَثُوا من بعدِي، [كُنتَ أَنتَ]؛ يا اللهُ، [الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ]؛ ترى أفعالَهم، وتسمعُ أقوالَهم، وما قد أحدثُوه من بعدِي، [وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ]المائدة:116-117. شاهِدٌ على كلِّ شيءٍ، لا يخفَى عليك شيءٌ، أيُّ شيءٍ، مهمَا كان دَقيقاً، وخَفيّاً.

* * * * *

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

300- [رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ]؛ لإيمانِهم، ولسلامَةِ دينِهم، واعتقادِهم، وجهادِهم .. فأثابَهُم جنَّاتَ الخُلدِ،[وَرَضُواْ عَنْهُ]؛ رَضُوا عنِ اللهِ؛ رَبّاً، وإلهاً مَعبوداً، ومحبُوباً ومُطاعاً لذَاتِه .. رَضُوا بحكمِه الكَوْنِي والشَّرْعِي .. رَضُوا بمنْعِه وعطَائِه .. وبلائِه .. وقَضائِه وقَدَرِه .. لا يتَسَخَّطُون ولا يَعترضُون .. ولم يَظنُّوا باللهِ إلَّا خَيراً، [ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]المائدة:119. يتحقَّقُ هذا الفوزُ العَظيمُ لمن رَضيَ اللهُ عَنهم ورَضُوا عنه .. ويكونُ الرِّضَا مُتبادلاً بين الخالِقِ سُبحانِه وبين عبادِه المؤمنِين .. وهَذا يَشملُ جميعَ المؤمنين الذين يَرضُون عن اللهِ عزَّ وجل عبرَ جميعِ العصُورِ والأزْمَانِ، وإلى يومِ القِيامَة.

* * * * *

أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ

301- [أَلَمْ يَرَوْاْ]؛ رُؤيَا البَصرِ، والبصِيرَةِ .. ويتفكَّروا؛ [كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ]؛ مِن أمَمٍ وأجيالٍ قبلَهم، آثارُهم لم تَندَثِرْ بعْدُ، يمرُّون عليها فَكِهين لاعِبين، غافِلين، [مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ]؛ كانُوا أكثرَ جَمْعاً وقوَّةً، وتمكيناً في الأرضِ، ممَّن جاؤوا بعدَهم مِن الكفارِ الذين يُعانِدون الحقَّ، ويَتكبَّرون على الخلْقِ، [وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ]؛ وكان مِن فتنةِ اللهِ واستدراجِه لهم، أن زادَهم من عطائِه، ورِزقِه، فأرسَلَ عليهم المطرَ الكثيرَ، لا يَكادُ يَنقطعُ عن بلادِهم، وأجرَى لهم الأنهارَ من تحتِ قصورِهم، ومنازِلهم، وبساتِينهم .. سَببٌ في كلِّ خيرٍ، ورزقٍ تُنتجهُ الأرضُ .. حتَّى ظنُّوا أنَّهم قادِرُون على الأرضِ، وأنَّ البلاءَ بعيداً عنهم، وأن لَا أحدَ قادرٌ عليهم، وأمِنُوا مَكرَ اللهِ وانتقامِه .. حينها يَتنَزَّلُ العِقابُ الإلهي، [فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ]؛ بسببِ ذنُوبِهم، ومعاصِيهم، وظُلمِهم، وعدَمِ شُكرِهم للهِ على نِعَمِه .. وهذه سُنَّةٌ من سُنَنِ اللهِ تعالى في خلْقِه، لا تتخلَّفُ في زمانٍ من الأزمنَةِ، ولا تَستَثني أمَّةً مِن الأُمَم: كفرٌ وظلمٌ وفسُوق، يتْبَعهُ تَوسعةٌ في الرزقِ والخيرِ استدرَاجاً وفتنةً .. ثم كِبْرٌ، وبَطَرٌ، واسترْسَالٌ في المعاصِي، والظُّلمِ، والغَفْلةِ عن الشُّكرِ، حتى إذا اطمأنَّت قلوبُهم إلى ما أُوتُوا، وأَمِنُوا العِقابَ، وغرَّتهم أنفُسَهم .. يَتنَزَّلُ العقابُ الإلهي؛ ويتنزَّلُ الهلاكُ، [وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ]الأنعام:6. أبدلناهُم بأمَّةٍ أخْرَى، وجيلٍ آخَر؛ لِيُنظرَ ماذا سيَفْعَلُ، وكيفَ سيتصرَّفُ تجاهَ قضيَّةِ الإيمانِ .. وهل سيعتَبرُ ويَستفيدُ ممَّا أصابَ الأممِ والأجيالِ مِن قبلِه أم لَا ...؟!

* * * * *

قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ

302- [قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ]؛ نظرَ تَدبُّرٍ، وتفكرٍ، واعتبارٍ [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ]الأنعام:11. مِن غاياتِ السَّفرِ، والسيرِ والضَرْبِ في الأرضِ النَّظرُ إلى ما حلَّ بالإمِمِ السّابقةِ التي آثَرَت التَّكذيبَ على التَّصديقِ، والكفرَ على الإيمانِ .. وكانوا أكثرَ قوَّةً وجمْعاً .. فتلك آثارُهم لا تزالُ تحدِّث عمَّا حصلَ لهم من إهلاكٍ ودمَارٍ .. وفي ذلك عبرة للأحياءِ منهم أنَّهم صائرون لا محالةَ إلى ما صارُوا إليه .. وأنَّهم صائبهم ما أصابَهم إن لم يتَّعظوا ويَعتبرُوا، ويُؤمنوا باللهِ العظيم ...!

* * * * *

الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ

303- [الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنعام:12. أَشَدُّ أنواعِ الخَسَارَاتِ أنْ يخْسَرَ المرءُ نفْسَه؛ فيُوبِقُها - بإرادَتِه! - في نارِ جهنَّم خَالِداً فِيها أَبَدَاً .. قد يتحمَّلُ الإنسانُ أنْ يخسَرَ كُلَّ شَيءٍ؛ يُرجَى له أنْ يَستأنِفَ عملاً يُعوِّضُه ما قَد خَسِرَه .. أمَّا أن يخسَرَ نَفْسَه؛ هذا يَعني أنَّه قَد خَسِرَ الفُرصَةَ، والقدْرَةَ على النجَاةِ، وعلى التَّعويضِ، والاستئنافِ بعملٍ جَديدٍ .. الذينَ يَخسَرونَ أنفُسَهم هؤلاء؛ هم الذين لا يُؤمنون باللهِ العَظيم، ولا بما يُوجِبُه عليهم الإيمانُ .. الذينَ يُؤْثِرُونَ الكُفْرَ على الإيمانِ!

304- [الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنعام:12. أَشَدُّ أنواعِ المَيْسِرِ وأَخْطَرُه أنْ يَقَامِرَ المرءُ على نَفْسِهِ .. وأنْ يجعَلَ الرِّهانَ على نفْسِه .. وليسَ على شيءٍ آخَر مِن متاعِ الدُّنيا .. فإن خَسِرَ الرِّهانَ، خَسِرَ نَفْسَهُ، وأوبَقَها في العَذابِ الأليمِ .. الكَافِرُ الذي يُؤثِرُ الكُفرَ والإلحادَ على الإيمَانِ هو مَن يَفعلُ ذلك!

* * * * *

قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً

305- [قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً]؛ مَألُوهاً، ومَعْبُوداً أعْبدُه .. واللهُ تعالى هو [فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]؛ المتفرِّدُ بخلْقِ وإبداعِ السماواتِ والأرضِ، ومَا فِيهما مِن تنوُّعٍ بَديعٍ وعظيمٍ في المخلُوقاتِ، [وَهُوَ]؛ على الحقِيقةِ [يُطْعِمُ]؛ الطَّعامَ؛ فقدَّرَ لكلِّ مخلوقٍ رِزقَهُ وطعامَهُ الذي يُناسِبُه، ثمَّ هداهُ إليه .. ثمَّ مكَّنَهُ من ازْدِرادِ الطعامِ، وإساغَتِه .. ثمَّ جعلَ له مُسْتقرّاً ومستوْدَعاً في المعدَةِ إلى حِينٍ؛ ليستفيدَ مِنهُ الجِسمُ .. ثمَّ جعلَ للفضلاتِ مِنه سَبيلاً ومخْرَجاً .. ولو حُبِسَ الطعامُ، أو تَعَطَّلَت حلَقَةٌ واحِدةٌ مِن تِلك الحلَقاتِ لتَعطَّلَت وتوقَّفَتْ عمليَّةُ الإطعامِ كُلِّها، ولما استفادَ الإنسانُ شيئاً مِن الطعامِ، [وَلاَ يُطْعَمُ]الأنعام:14. ولا يجْرِي له شيءٌ ممَّا تقدَّم؛ لكمالِ غِناه عن الأشياءِ .. إلَهٌ هذه بعضُ صفاتِه، كيفَ تريدُون مِنَّا أيُّها الجاهِلُون أن نعْدِلَ عن عبادَتِه وتَوحِيدِه .. ونتخذَ مِن دُونِه ـ ممن لا يَخلقُون ولا يُطْعِمُون ـ آلهةً نَعبدُهم ونتولَّاهُم مِن دونِ اللهِ ...؟!!

* * * * *

فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

306- [وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ]؛ ابتلاءً، واختباراً .. أتَصْبرُ، وتحتَسب، وتَسأل اللهَ تعالى أنْ يكشفَ الضرَّ عنك .. أمْ أنَّك ستَشْكُو اللهَ إلى خلْقِه .. وتَسأَلُهم أن يكشفُوا الضرَّ عنكَ مِن دُونِه؟! فإن كانَ هذا اختيارُك، فاعلمْ أنَّه [فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ]؛ نفيٌ بعدَه أدَاةُ استثناءٍ يُفيدُ الحصْرَ والقَصْرَ؛ أي لا أحَدَ ـ أيّاً كانت صِفتُه وهيئتُه ـ يكشفُ الضرَّ عنك، ولا يَقْدرُ عليه إلا اللهُ؛ فهو وحده القادِرُ على أنْ يكشفَ الضرَّ عنك .. وإذا كان الأمرُ كذلك فمن الشِّركِ .. والسَّفاهَةِ .. والخفَّةِ في العقْلِ أن تلتَمِسَ كشْفَ الضرِّ مِن غيرِ اللهِ .. أن تلتمسَ شيئاً عند مَن لا يملكُه ولا يَقدرُ عليه، [وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ]الأنعام:17. كذلك جانبُ الخيرِ، إن أرادَك اللهُ بخيرٍ أصابَك هذا الخيرُ ولا بُد .. لا يحولُ بينَك وبينَهُ حائلٌ .. فلا شيءَ يُعجزُ اللهَ، ولا شيءَ يمنَعُه مِن المضِي فِيما يُريدُ .. سُبحانَه وتَعالى.

* * * * *

وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

307- [وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ]الأنعام:18. لَا يُوجَدُ شَيءٌ في الوجُودِ مِن غَيرِ حِكْمَةٍ وغَايَةٍ .. فإنْ خَفِيَت على حِكْمَتِكَ الحِكْمَةُ مِن حُكْمٍ شَرَعَهُ اللهُ، أو أمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ، مِنَ الحِكْمَةِ أن تَسْتَسْلِمَ لحكْمَةِ الحَكِيمِ الذي له الحِكْمَةُ الكَامِلَةُ المطْلَقَةُ .. الخبيرُ بشؤونِ خَلْقِه، الظَّاهِرَةِ والباطِنَة، ومَا يَنفَعُهُم ومَا يَضُرُّهُم.

أحيَاناً يُقدِّرُ اللهُ شَيئاً ويُخْفِي الحِكْمَةَ مِنه، ليُرَى مَن يؤمِنُ ومَن يكْفُرُ، ومَن يُسَلِّمُ ويَرضَى، ومَن يَعترِضُ، ويتَسَخَّط!

* * * * *

أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى

308- [أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى]؛ استفهامٌ يُفيدُ التوبيخَ والتَّقْريعَ .. تَوبيخٌ وتقريعٌ للشاهِدِ، إذْ كيفَ يتجرَّأ أن يشهدَ هذه الشهادَةِ العظيمَةِ الآثمةِ مِن غيرِ عِلمٍ، ولا سُلطانٍ .. وتَوبيخٌ وتَقريعٌ للمشْهودِ لهم بأنَّهم آلهةٌ معَ اللهِ، وهم مَرْبُوبون مخلُوقُون، لا يملكُون شَيئاً من خصائصِ وصفاتِ الربوبيةِ والألوهيَّةِ .. كيف تشهدونَ لهم بأنَّهم آلهةٌ، تُصرَفُ لهم العبادَةُ، وهم بهذا العَجْزِ، والضَّعفِ، والجهلِ؟! فإنْ أبيتمْ إلَّا أنْ تَشهدُوا شهادَةَ الزورِ هذه، [قُل لاَّ أَشْهَدُ]؛ فأنا بريءٌ مِنكم ومِن شِرْكِكُم وشَهادَتِكُم .. لا أشْهدُ شهادَتَكُم الآثمةِ الباطلةِ الكاذِبةِ التي تنمُّ عن الجهلِ، والظلمِ .. لا يمكنُ أن أشهدَ

شَهادَتَكُم الباطلةِ هذه، وأتابِعكم عليها، مهمَا عرَضْتُم عليَّ مِن عروضٍ وإغْراءاتٍ .. أو مارسْتُم ضدّي من وعيدٍ، وتَرهيبٍ، وتَهديدٍ، [قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ]؛ فأنا أشهدُ عكسَ شَهادَتِكُم .. أشهدُ بأنَّ الإلهَ المعبودَ بحقٍّ، هو إلهٌ واحِدٌ لا شريكَ لَه، [وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ]الأنعام:19. هي المباينَةُ، والمفاصلَةُ التامَّةُ بيني وبينكم، مِن غير لجْلَجَةٍ، ولا غُموضٍ، وبكلِّ وضُوح .. والبراءُ مِنكم، وممَّا تُشركون وتَعبدُون مِن دُونِ اللهِ.

* * * * *

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ

309- [وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ]؛ لينْذِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم الكافرين في زمانِه، ويخوفَهم بآياتِ الوعيدِ الواردَةِ في القرآنِ الكريم، [وَمَن بَلَغَ]الأنعام:19. ومن بلَغَه هذا القُرآن من الإنْس والجنِّ، وإلى يومِ القيامَةِ .. فهو حجةٌ عليهم .. وهو لهم نذيرٌ مُبين بين يدَي عذابٍ شَديد .. وأُمِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ـ والعلماءُ مِن بعدِه ـ بأن ينْذرُوا ويخوفُوا المخالفين بالقرآنِ الكريم؛ لأنَّهُ أبلغُ، وأقوَى، وألزَمُ في الحجَّةِ على المخالِفين الكافِرين .. وقولُه [وَمَن بَلَغَ]؛ فيه أنَّ القُرآنَ الكريم رسالةٌ للبشريَّةِ جمعاء على اختلافِ لغاتِهم، وألوانِهم .. وإلى يومِ القيامَةِ .. وليس لقومٍ دُونَ قَومٍ .. وفيه أنَّ النذَارَةَ تُلْزِم المخاطَب بعد بلوغِها.

* * * * *

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ

310- [وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ]؛ ينَهونَ أتباعَهم، والناسَ عن مُتابعةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، والدخولِ في دينِه الإسلام؛ دين جميع الأنبياءِ والرسُلِ .. ويَستخدِمُون في سَبيلِ ذلك جميعَ وسَائلِ الصَّخَبِ، والتشْوِيشِ، والتشْوِيه، [وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ]؛ ويبتَعِدُون

بأنْفُسِهم، وفِكرِهم، واهتماماتِهم عنه، وعن هَديِه وسُنَّتِه .. تَرَفُّعاً، وكِبراً، وتَعالِياً، [وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ]الأنعام:26. وهُم بصنِيعِهم الآثِم هذا يُعَرِّضُون أنفُسَهم للخُسْرانِ، وللهلَكةِ، وضنكِ العَيشِ .. وهم لا يَشعرُون بفداحَة الخسارَةِ التي تَتَلَبَّسُهم؛ لظنِّهم أنهم يُحسنون صُنعاً .. وكلُّ مَن يَنأى بنفْسِه، وتفكيرِه، واهتِماماتِه ـ في زماننا المعاصِر ـ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وعن متابعةِ سنَّتِه، وهَدْيِه .. حتَّى لا يُرمَى بالتَّخلُّفِ، والرجعيَّةِ، والجمودِ .. وحتَّى يُقال عنه تقدُّمي، وتحرُّرِي، وتنويرِي، وحَدَاثي، وليبرالي .. أو يُقَلِّلُ مِن شَأنِ السُّنَّةِ، ومِن مرجعيتِها، وحجيّتِها، ومِن شَأنِ مُتابعةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم .. فله حظٌّ وافرٌ مِن الوعيدِ الوارِدِ في الآيةِ الكريمةِ أعْلاه!

* * * * *

وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

311- [وَلَوْ رُدُّواْ]؛ إلى الدُّنيا، وأُعْطُوا فُرصةً جديدةً لاستئنافِ العمَلِ، كما يَطلبُون [لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ]؛ لعادُوا مرةً ثانيةً ـ وكلما أُعِيدُوا! ـ إلى كُفْرِهم، وشِركِهم، وفِسْقِهم، [وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ]الأنعام:28. فيمَا يَزعمُون أنَّهم لو أُعِيدُوا إلى الدنيَا، وأُعْطِيَت لهم فُرصَةٌ جَديدةٌ في الحياةِ لآمَنُوا وعملُوا صَالحاً .. فاللهُ تعالى يَعلمُ أنَّهم كاذِبُون، ويَعلمُ ما سيكُون مِنهم من التكْذِيبِ، والجحودِ، لو أُعِيدُوا، قبلَ ومِن دُونِ أن يُعَادُوا .. واللهُ تعالى لا يخلدُ في نارِ جهنَّم إلَا مَن كان هذا وصْفُه مِن الكافِرين.

* * * * *

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ

312- [وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ]؛ يَا أيُّها النَّاسُ .. يَا مَن غَرَّتْهم الحياةُ الدُّنْيَا، وشغلتْهُم عن الآخِرَةِ .. يَا مَن لا هَمَّ له سِوَى التكاثُرِ مِن الدُّنْيا، والتفَاخُرِ بحطامِها

.. يَا مَن استعبدَتْهُم الدُّنيا لذاتِها، وأغرَاضِها، حتَّى إذَا قِيلَ عن أحدِهم عبدُ الدُّنيَا .. وكَلْبُ الدنيَا .. لاستحَقَّ هذا الاطْلَاق والتَّوصِيف .. اعلمُوا أنَّ مَا تَشتغِلُون به على الحقيقَةِ هو لَعِبٌ ولهوٌ، لَعِبٌ ولهوُ مِن حَيث الكَم، والنَّوعِ، والكَيْف، والقِيمَةِ .. لَعِبٌ ولَهْوٌ مِن حيث دَوامِه وبقائِه، لَا هو يَدومُ لَكُم، ولَا أنتم تَدومُون له .. أوَّلُه هَمٌّ، وغَمٌّ، وكَدٌّ، وخَوفٌ، وقَلَقٌ، وشَقاءٌ .. وآخِرَه فِرَاقٌ، وحَسْرَةٌ، وندَامَةٌ .. لَعِبٌ ولَهْوٌ قياساً لما أنتم قادِمُون عليه بعدَ الموتِ، [وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ]؛ الجنّةُ [خَيْرٌ]؛ خيرٌ مِن الدُّنيا، وما أنتم مَشغُولُون بِه .. خَيرٌ مِن هذا اللَّعبِ واللَّهو .. خَيرٌ مِن حيث نعِيمِها المقِيم والدَّائِم .. وخَيرٌ مِن حيث الكَم .. ومِن حَيثُ نَوعِ وجمالِ نَعِيمِها .. وخَيرٌ مِن حيث خلُوّها مِن المكدِّرَات، والمنغِّصَاتِ، والمنَفِّراتِ .. وخيرٌ من كلِّ وجْهٍ وجانِبٍ، [لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ]، هذا الخَير هو للذين يَتَّقُون؛ الذين يأتمرُون بأمرِ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم، وينتهُون عمَّا نَهى عنه اللهُ ورسُولُ صلى الله عليه وسلم .. الذين يَعمرُون حياتَهم الدُّنيَا بالطَاعَاتِ، وفعلِ الخيرَاتِ .. ويتخذُون مِن الدُّنيا سُلَّماً للآخِرَةِ، [أَفَلاَ تَعْقِلُونَ]الأنعام:32. هذه الحقِيقَة .. فترتفَّعُون عن اللعَبِ واللَّهوِ .. وتُؤمنُون وتَعمَلُون صَالحاً .. وتَنشغِلُون بما ينفعُكم في الدَّارِ الآخِرَةِ؟!

* * * * *

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم

313- [وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ]؛ شامِلٌ لجميع الدوابِّ، والحيواناتِ، والحشراتِ، البريَّةِ منها والبَحريَّةِ، [وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ]؛ شامِلٌ لجميع أنواعِ الطيورِ الكبيرِ مِنها والصَّغير، الجوارحُ مِنها، وغيرُ الجوارِح، [إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم]؛ لهمْ طريقتُهم الخاصَّةِ بهم في الحيَاةِ .. لهمْ مَأكلُهم، ومشرَبُهم، ومَأواهُم .. كلٌّ يَهتدَي إلى مأكلِه،

ومَشْرَبِه، ومأواه الذي أعدَّه اللهُ له .. يَحسُّون كما تحسُّون .. ويخافُون كما تخافُون .. ويألمُون كما تألمُون، ويَفرحُون كما تَفرحُون .. لهمْ وسائلُهم وغاياتُهم الخاصَّة بِهم، ومِن أعظمِ غاياتِهم عبادةُ اللهِ تَعالى وتَوحيدِه، والتَّسبيح بحمْدِه، إذْ لا يُوجَد حيوانٌ كان بَريَّاً أم بحريَّاً كافرٌ باللهِ تعالى .. كلُّهم مؤمنُون، وموحِّدُون، ومُسَبِّحُون؛ يُسَبحُون بحمدِ اللهِ، ولكن لا نفقَهُ تَسبيحَهم، [مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ]؛ في اللَّوح المحفُوظِ [مِن شَيْءٍ]؛ خَلقَه اللهُ؛ فالمخلوقُ ـ وكل مَا سِوى اللهِ مخلوقٌ ـ وكلُّ ما يتعلَّقُ به مِن حَركاتٍ وسكناتٍ، وحاجِياتٍ، وما يَصدرُ عنه، مكتوبٌ في اللوح المحفُوظِ قبلَ أن يخلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنَةٍ، اللهُ تعالى أعلمُ بمدَّةِ وزمَنِ السَّنَةِ مِنها، [ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ]الأنعام:38. يومَ القِيامَةِ .. فيُحاسَبُون على ما كانَ مِنهم مِن عمَلٍ.

* * * * *

وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ

314- [وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا]؛ السمْعِيَّة في القرآنِ الكريم، والآياتِ المرئيَّةِ في الكونِ، وسائرِ المخلُوقات .. فهُم على الحقِيقَةِ [صُمٌّ]؛ لا يَسمعُون السمَاعَ الذي يجعلُهم يُؤمنُون، ويَفقهُون الآياتِ، ولو سمعُوها فسمَاعُهم لها آليٌّ لغَوِي، لَا يتعدَّى معنَى فَهم الدلَالاتِ اللغويَّةِ للآياتِ، [وَبُكْمٌ]؛ وإنْ كانُوا ينْطِقُون ويتكلَّمُون إلا أنَّهم لا ينطقُون ولَا يَشهدُون الحقَّ .. وإنما يشهدُون الزورَ، والكذبَ، والتكذيبَ، فلمْ يُحسِنُوا الاستفادَةَ مِن نعْمةِ اللسانِ، والنطقِ، والبيَانِ، وهُم مِن هذا الوجهِ مثلُهم مثَل البُكْمِ، [فِي الظُّلُمَاتِ]الأنعام:39. ظلماتُ الشركِ، والكفْرِ، والجهلِ .. ظُلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ .. وأنَّى لمن هو في الظُّلمات أنْ يُبصرَ النورَ، أو يرَى الحقَّ ...؟!

* * * * *

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ

315- [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ]؛ نَسُوا الآيَاتِ السَّمعيَّةِ القُرآنِيَّةِ .. والآيَاتِ والمصَائِبَ الكونِيَّةِ الزَّاجِرَةِ، الرَّادِعَةِ؛ كالزَّلازِلِ وغَيرِها .. فأعْرَضُوا عنْهَا، وعن الاعتِبَارِ بها، وتَركُوها .. إذْ سرعان ما يَنسُون مَا يُوعَظُون به، ويَعودُون إلى مَا أَلِفَتْهُ نفُوسُهم المريضَة مِن اللَّهوِ، والفسُوقِ، والعصْيانِ، [فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ]؛ عُقوبَةً لهم، [أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ]؛ أبوابَ الخيرِ والنِّعَم، استِدْرَاجاً لهم .. ليزْدَادُوا في الغَيِّ والنِّسْيانِ، [حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ]؛ فرِحُوا فرحَ بَطَرٍ وجُحودٍ، وظنُّوا أنَّهم قادِرُون على مَا أُوتُوا مِن الخيرِ والنِّعَم، [أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً]؛ أخذناهم بالعَذابِ الأليمِ فجْأةً؛ مِن حيثُ لا يَعلمُون، ولا يَشْعُرُون .. وفقَدُوا النِّعَمَ التي كانوا يَتنعَّمُون بها، ويَردُّون الفضْلَ فيها لأنفُسِهم مِن دونِ اللهِ، وانقلبَ فرَحُهم إلى حزْنٍ، وهَمٍّ، وغَمٍّ، [فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ]الأنعام:44. آيِسُون مِن رحمةِ الله ومِن كُلِّ خَير .. يَتَلبَّسهم اليأسُ والقنوطُ .. والنَّدَمُ والحسَرَاتُ على ما كانَ مِنهم، وما كانُوا فِيه، وكيفَ أَصْبَحُوا .. ولاتَ حِينَ مَنْدَمٍ .. هذا في الدُّنيَا غيرَ الوعيدِ الشَّدِيدِ الذي ينتظرُهُم يومَ القيَامَة!

* * * * *

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

316- [وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ]؛ مَنْ أطاعَهُم بالجنَّةِ، [وَمُنذِرِينَ]الأنعام:48. مَن عصَاهُم بالنَّارِ.

* * * * *

وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

317- [وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ]الأنعام:52. حَلقاتُ الدَّعوةِ والتَّعليمِ مبذولةٌ للجميع؛ للفقيرِ، وللغنيِّ، وللشريفِ، والوضِيعِ سَوَاء .. لَا فرقَ بينهمَا .. لا يجوزُ أن يمنَعَ عنها الفَقراءُ من أجلِ مشاعِرِ ورغباتِ الأغنياءِ، والمسؤولين، وأبنائِهم .. أو لأيِّ ذريعةٍ كانَت .. هذا هو الواجبُ الذي لَا حَيدَة عنه لأيِّ سَببٍ مِن الأسْبَابِ.

كان المشركون مِن قَبل يأنَفون الجلُوسَ معَ الفقراءِ والمستضعَفين مِن المسلمين في مجلِسٍ واحِدٍ .. فكانوا يَطلبُون مِن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أن يطردهم من المجلسِ إذا ما أرادوا الإنفرادَ به، والاستماعَ إليه .. فنهاه اللهُ تعالى عن ذلك .. حتى لو كان مَطلبُهم شَرطاً لإيمانِهم .. فَلا يُبنَى حَقٌّ على باطِلٍ .. وأنزلَ وعيدَه المخيف:[فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ]، ورغْم هذا الوعيد الشديد، وهذا النَّهي الصَّريح .. تُوجدُ بعضُ الجماعاتِ المعاصِرة .. وبعضُ الدُّعاةِ المعاصِرين الذين يَستحسنُون أن تكونَ دعوتُهم، وأنشطتُهم الدعويَّة مَقصورَةً على الأغنياءِ، والمسؤولينِ، وأبنائِهم .. دُونَ الفقراء وأبنائِهم .. فيبشُّون لأبناءِ الأغنياءِ والمسؤولين الحكوميين .. ويكشِّرُون في وجوهِ الفقراءِ وأبنائِهم .. وكاتِبُ هذه الكلماتِ قد عانى في طفُولتِه من هذا النوعِ من الشيوخِ والدَّعاةِ الانتقائيين ـ حيثُ كنتُ مصنَّفاً على الفقراءِ، وأبناءِ الفقراءِ ـ فكانوا يتواعَدون سِرَّاً معَ أبناءِ الأغنياءِ، والوجَاهَاتِ حتَّى لَا نُشَاركهم مجالِسَهُم ...!

* * * * *

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ

318- [كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ]؛ لَا أحَدَ يَقْضِي على اللهِ .. ولا أحَدَ يُلزِمُ اللهَ بشيءٍ .. فاللهُ تعالى يَقْضِي، ولا يُقضَى عليه .. ومِن قضَائِه أنَّه تعالى كتَبَ على نَفْسِه ـ كرَماً، ومِنَّةً، وتَفضُّلاً ـ الرحمَةَ، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ، يتفضَّلُ اللهُ بها على عِبادِه، [أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ]؛ أي مِن المؤمنين .. أما المشركُون فقَد كتَبَ اللهُ على نفْسِه أن لا يغفرَ لهم وهم متلبِّسُون بالشركِ، ثم ماتُوا على الشِّرْكِ، [سُوءاً]؛ ذَنْباً؛ أيّ ذَنبٍ، [بِجَهَالَةٍ]؛ كلُّ ذَنْبٍ يُرتكَب على غيرِ وجهِ الاستحْلالِ، والتَّحْسِينِ، والمبَاهاتِ، والافتخارِ، فهو يُرتكَب " بِجَهَالَةٍ "، [ثُمَّ تَابَ]؛ استغْفَر، وأنابَ، ونَدِمَ، وعزمَ أن لَا يَعودَ لمثْلِه، [مِن بَعْدِهِ]؛ مِن بعدِ ما وقَعَ بالذنْبِ بجهالَةٍ، [وَأَصْلَحَ]؛ ما أفسدَهُ بذَنْبِه؛ فمن الذنُوبِ ما يكونُ متعدِّياً للغيرِ، وآثارُه السلبية تَنعكِسُ على الغيرِ .. وهذا النوعُ مِن الذنُوبِ لا بُدَّ من إصلاحِ آثارِهَا السلبيَّة الضارَّةِ، [فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]الأنعام:54. فإن اللهَ تعالى غفورٌ لمن كان هذا وصفُه، ورَحيمٌ له في الدُّنيا والآخِرةِ .. لا يَنبغي أن يَقنطَ ويَيأسَ مِن رحمةِ اللهِ .. كما لَا يَنبغِي للدعَاةِ والوعَّاظِ أن يُأَيِّسُوه مِن رَحمةِ الله.

* * * * *

وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ

319- [وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ]؛ نُبينُ الآياتِ بياناً في غَايةِ الوضُوحِ، والتَّفصيلِ، والشُّمولِ .. غايَةُ هذا البيانِ والتَّفصِيلِ الدَّقيق والشَّامِل؛ [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ]الأنعام:55. لكي تَستبينَ طُرُقُ ومناهِجُ وأساليبُ المجرمين في حَرْبِهم للإسْلامِ والمسْلِمين .. وصَدِّ الناسِ عَن دِينِ رَبِّ العالمين .. فبيانُ طرُق المجرمين ومنَاهِجِهم ـ ما كان منها، وما يكُون، وما سيكُون وإلى قيامِ السَّاعةِ ـ غايةٌ عظيمةٌ من غايَاتِ البيانِ القُرآني؛

حتى لا يَلتَبِسَ أمرُ هذهِ الطُّرُقِ والمناهِجِ الباطلةِ على النَّاسِ .. وحتى يكونوا في كامِلِ الحذَرِ والوعي من خَطَرِهَا ومَرَامِيها .. وحتَّى لا يُعْذَر بالجهلِ مَن يأبَى إلا ركوبَها واتّباعَهَا، وتكثيرَ سَوادِها، وسوادِ أهلِها!

وفي الآيَةِ حَضٌّ صَريحٌ على ضَرورَةِ التَّفقُّهِ بسُبُلِ المجرمين، ومناهِجِهم وأفكارِهِم - وهو ما يُسَمَّى بفِقْهِ الواقِعِ الذي يَنْفُرُ، ويُنَفِّرُ منه البعض! - ليتمَّ الحَذَرُ والتَّحْذِيرُ منها ومِن أصحَابِها .. إذْ كيفَ يَتمُّ اجتنَابُ شَيءٍ معَ الجهلِ به .. فجاهِلُ الشَّيءِ لا يُؤمَنُ عليه الوقوعُ في هذا الشَّيءِ، وتَبَنِّيهِ، وتَزْيينه .. وهو يحسَبُ أنَّه يُحسِنُ صُنْعاً!

* * * * *

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ

320- [قُلْ]؛ للكافِرين الذين يَدْعُونك إلى عبادَةِ غيرِ الله تعالى .. وهم فاعِلُون لا محالَةَ؛ إمَّا عن طَريقِ الترغيبِ، أو الترْهِيبِ، [إِنِّي نُهِيتُ]؛ والنَّاهِي هنا هو اللهُ سُبحانه وتعالى، [أَنْ أَعْبُدَ]؛ أنْ أصرفَ العبادةَ؛ أي نوعٍ من أنواعِ العِبادةِ؛ سواءٌ كانت عبادَةَ الطَّاعَةِ، أم عبادَةَ المحبَّةِ، أم عِبادَةَ الدُّعاءِ، أم عِبادَةَ السُّجودِ والركوعِ والخضُوعِ، والخَشْيةِ، أمْ عبادَةِ النَّذْرِ، [الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ]؛ الذين تَعبدُون، وتَصرفُون لهم العبادَةَ مِن دُونِ اللهِ، [قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ]؛ فيما تَدعونَني إليه من الشِّرْكِ، وعبادَةِ غيرِ اللهِ .. فأنتم في شركِكُم وعبادتِكم لغيرِ اللهِ ليسَ لكُم دَليلٌ من النقْلِ والعَقْلِ .. سوى اتباعِ الهوَى بغيرِ عِلمٍ، [قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً]؛ عن الحقِّ، وعن الإيمانِ، والصراطِ المستقيمِ إن اتبعتُ أهواءَكم فِيما تَدعونَني إليه، [وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ]الأنعام:56. إلى الإيمانِ والتوحيدِ، وإلى الصراطِ المستقيمِ؛ الذي فيه نجاتي يومَ الدِّين.

* * * * *

وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ

321- [وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ]؛ وهي خمسٌ، كما في الحديث الصحيح:" مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُها إلَّا اللَّهُ: لا يَعْلَمُ ما في غَدٍ إلَّا اللَّهُ، ولا يَعْلَمُ ما تَغِيضُ الأرْحامُ إلَّا اللَّهُ، ولا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أحَدٌ إلَّا اللَّهُ، ولا تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أرْضٍ تَمُوتُ، ولا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلَّا اللَّهُ "البخاري. [لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ]؛ ومَن ادَّعَى علمها مِن دُونِ اللهِ فهو كاذبٌ، وكافِرٌ، قد ادَّعَى خاصيَّةً مِن خصُوصياتِ اللهِ تعالى وحدَه، [وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا]؛ كامِلُ العِلْمِ والإحَاطَةِ الشَّامِلَةِ لكلِّ شيءٍ، الذي لا يَخْفَى عليه شيءٌ من مخلوقاتِه مهمَا كان دَقِيقَاً وخَفيَّاً، [وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ]الأنعام:59. إلا وهو معلومٌ ومدوَّنٌ في اللوحِ المحفوظِ قبلَ أنْ يُخلَق .. لَا يُوجَد شيءٌ في الوجُودِ مهمَا كان دَقِيقَاً وخَفيَّاً عبَثاً مِن غيرِ غايةٍ ولَا عنايةٍ ولَا رقابَةٍ .. أو يخرجُ عن عِلمِ اللهِ، وقدرَتِه، وإحَاطَتِه، وإرادتِه .. بما في ذلك الإنسانُ، وأعمالُه الظَّاهرةِ، والباطِنَةِ .. وهذا لكمالِ علمِه، وقدرَتِه، وإحاطَتِه بالأشياءِ، وكمالِ أسمائِه الحُسْنى، وصِفاتِه العُلْيَا سُبحانَه.

* * * * *

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

322- [قُلْ]؛ الأمرُ موجَّه إلى النبي محمدٍ صلى عليه وسلم مِن ربِّه، وإلى كلِّ مؤمنٍ آمَنَ واتبعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، أُمِرُوا بأن يَقولُوا للكافِرين عند مُحَاجَتِهم، وبيانِ ضَلالِهم:[مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ]؛ عندما تُداهمكم الأخطارُ، والخطُوبُ، والمهالِك، وتَضلُّون طريقَ النَّجاةِ، سواءٌ كنتم في البرِّ أم كنتم في البَحرِ .. إلى

مَن تَلتجئون، وتَتضرَّعُون، ليكشفَ عنكم الضُّرَّ، والكَرْبَ، إلى آلهتكم التي تعلمون ضَعْفها وعجزَها عن إغاثتِكُم، أمْ إلى اللهِ الواحدِ القَدِير؟! [تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً]؛ تتوجَّهون إلى اللهِ تعالى بالدعاءِ في الجهرِ والخفَاءِ، لعلِمكم ويَقينِكُم أنه تعالى وحدَه القادِرُ على أن يَصرفَ عنكم البلاءَ والكرْبَ، والضُّرَّ .. فلا تتذَكَّرون عِندَ الشَّدائدِ إلا اللهَ، وتَنْسونَ مَا سِواه، [لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ]؛ فقطْ هذه يا رب .. هذا الكرب، والضِّيق فقَط .. ثم بعدَها نعاهدُكَ يا الله [لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ]؛ بأن نتوبَ، ونكونَ من الموحِّدين العَابدِين المخلِصين .. ونقلع عن الشركِ، وعبادَةِ ما سواكَ الذين لا يَنفعوننا في شيءٍ، ولا يَقدرُون، [قُلِ اللّهُ]؛ وحْدَهُ، [يُنَجِّيكُم مِّنْهَا]؛ مِن هذا الكَرْبِ، والخَطَرِ الذي أنتم فيهِ، وتَستغيثُون مِنه، [وَمِن كُلِّ كَرْبٍ]؛ ومِن كلِّ كَرْبٍ وغَمٍّ سواه، [ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ]الأنعام:63-64. ثم أنتم تَنسون مَا قَطَعتُم على أنفُسِكُم .. ومَا قَد عاهَدتُم اللّهَ عليه .. فتَعودُونَ مِن جديدٍ إلى الشِّركِ، والعِصيانِ .. إلى عِبَادةِ ودُعاءِ الأوثَانِ، والطواغيتِ، والقُبُور، التي لا تجلبُ لكم نفْعَاً، ولا تَدفعُ عنكم ضرَّاً؟!!

في الشَّدائدِ يَقولُ الناسُ: يا الله .. وفي الرخَاءِ، وإقْبالِ النِّعَم، يَغلُب على النَّاسِ الغَفْلَةُ، واللهو، واللَّعِبُ، والعصْيَان!

* * * * *

قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ

323- المؤمن يُعرَف إيمانُه وثباتُه في بلاءِ الرخاءِ والخير، أكثر مما يُعرف في بلاء الشدَّةِ والحاجة؛ ففي بلاء الشدة، الكل يلتجئ إلى الله تعالى؛ يسأله العون والفرج، بما في ذلك الكافر: [لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ]الأنعام:63. ثم يتفرقون، ويتباينون في بلاء الرّخاء، والخير. فإذا رُفع عنهم بلاء الشدة، وعادوا من جديدٍ إلى بلاء

الخير، والرخاء، عادُوا إلى ما كانوا عليه من النسيان، واللهو، والنكران [قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ]الأنعام:64. ثم تَعودُون من جَديدٍ إلى الشِّركِ؛ فتَعبدُون آلهةً لم تنفعُكُم في الشِّدَّةِ، ولن تَنفعُكُم في الأمْنِ والرَّخَاء!

* * * * *

لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

324- [لِّكُلِّ نَبَإٍ]؛ لكلِّ خبرٍ أخبرَ به اللهُ تعالى، وأخبرَ به نبيَّه محمَّد صلى الله عليه وسلم .. سواءً كان في الدُّنيا أم كان في الآخِرةِ، وسواءً كان مِن شؤونِ الدُّنيا أمْ مِن شؤونِ الآخِرَةِ، [مُّسْتَقَرٌّ]؛ موعِدٌ لا يتَخَلَّف .. لا محالَة واقعٌ ومحقَّقٌ في زمانِه، ومكانِه المحدَّدَين والمقدَّرَين، لا يتأخَّرُ ولا يتقدَّم .. فإذا أرَادَ اللهُ شَيئاً جَمَعَ له أسْبَابَه .. وكانَ حسَنُ البَصْرِي يقول:" حُبِسَت عقُوبَتُها حتَّى إذا عُمِلَ ذَنْبُها أُرْسِلَت عقُوبَتُها ". [وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ]الأنعام:67. حَقيقةَ ذلك عِندما تَرونَه عينَ اليَقين .. فيُسَاءُ الكُفَّار بوعيدِ اللهِ، ويُسرُّ المؤمنون بوَعْدِه.

* * * * *

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

325- [وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا]؛ إذا رأيت الكافرين يستهزئون بالقرآنِ الكريم، وبآياتِه، وأحكامِه .. ويُكذِّبونه، [فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ]؛ لا تجلسْ معهم ابتدَاءً، ولا تَقترب منهم، ولا تلتفِتْ إليهم .. إعراضٌ مع إدْبارٍ .. فإن كنتَ جالِساً معهم فاخرجْ من مجلسِهم، [حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ]؛ غير حديثِ الطَّعْنِ، والاستهزاءِ، والتكذيب، [وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ]؛ النهيُ عن مجالسَةِ المستهزئين المكذِّبين، [فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى]؛ فالنسيان يرفع المؤاخذة، أما بعد الذِّكْرَى فلا عذْرَ .. يجبُ مباشرةً أن

تخرجَ، وأن لا تقعد [مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]الأنعام:68. الذين يَستهزئون، ويُكذّبون بالقرآنِ وآياتِه، وأحكامِه.

ونحو مجالسِ الطَّعنِ، والاستهزاءِ، والتَّكذيبِ .. المجالسُ التي تُدار فيها المعاصِي، أو تتخلَّلها المعاصِي؛ أيضاً يجبُ اعتزالها، وعدم الجلوسِ مع العُصاةِ في مجالسِ المعصيةِ .. فالمرءُ بالنسبةِ لمجالسِ المعصيةِ مخيرٌ بين أمرَين: إمَّا أن يُنكرَ على العُصَاةِ، والمكذّبين، تكذيبَهم وعصيانَهم، فإن لم يَستطعْ، أو فعلَ ثم لمْ ينتهُوا؛ فاستمرُّوا في الطَّعنِ والاستهزاءِ، والعُصيانِ .. حينئذٍ يأتي الخيارُ الثاني؛ وهو اعتزالُ مجالسِهم وعدمِ القُعُود معهم .. فإن لم يفعلْ هذا، ولا ذَاك .. ولم يكُن ناسياً لحكمِ النهي عن مجالستِهم في مجالسِ الطَّعنِ، والمعصيةِ .. حينَئذٍ يكونُ الجالسُ معهم له حُكمهم، وحُكم المعصيةِ التي يَقترفونَها في المجلسِ؛ لأن الجلوسَ معهم من غيرِ إنكارٍ، ولَا قِيام، ولا إكراهٍ .. علامَةٌ على الرضَى، والرضَى بالشيءِ كفاعِلِه.

* * * * *

وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ

326- [وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ]الأنعام:72. لم يَرِد الأمْرُ بالصَّلاةِ مجرَّداً مِن دونِ أن يَتقدَّمَه أمرٌ آخَر [أَقِيمُواْ]؛ الذي يُفيدُ اتقَانَ الصَّلاةِ، وإقامَتها بأركانِها، وواجِباتِها، وتَحقِيقَ الخُشُوعِ فيها .. وهو الجانِبُ المرَادُ والأهَمُّ في الصَّلاةِ .. والذي من دُونِه لا تُقْبَلُ الصَّلاةُ، ولا تتَحَقَّقُ الفائِدةُ المرجوَّةُ مِنها!

الصَّلاةُ هي بمثَابَةِ زيارَةِ العَبْدِ المخْلُوقِ لخالِقِه ومَعْبُودِه .. والوقُوفِ بين يَدَيْهِ .. وعلى العَبدِ الزَّائِرِ أن يتعلَّمَ أدَبَ الزِّيارَةِ قبلَ أن يَزورَ خَالِقَه .. وهذا لا يَتحقَّقُ له إلا إذَا حَقَّقَ واستَوْفَى مَعْنَى [أَقِيمُواْ].

* * * * *

أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ

327- [وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ]؛ جادَلَ الملأُ مِن الكفارِ إبراهيمَ عليه السلام في إيمانِه ودعوتِه إلى اللهِ، وإلى توحيدِه، وعبادتِه .. يُريدُون بجدالِهم أن يُبطلُوا دعوتَه، والحقَّ الذي جاءَهم به من عندِ ربِّه، وأن يُحِقُّوا باطلَهم، ودعوتَهم إلى عبادةِ الأصنامِ والطواغيتِ .. هذا الجدالُ لم يتوقَّفْ عند إبراهيم عليه السلام مع قومِه .. بل هو ممتدٌّ ليشملَ جميعَ الأزمنةِ والأنبياءِ والرسلِ معَ أقوامِهم، ومَن أُرسِلُوا إليهم .. بمن فيهم خاتم الأنبياءِ والمرسَلين محمدٌّ صلى الله عليه والسلام .. فالجدالُ بين الكافرين المشركين الملحدِين وبين المؤمنين الموحِّدين لا يزالُ قائماً حولَ مَن هو المعبُود بحقٍّ في الوجُودِ، اللهُ، أم الأصنامُ والطواغِيت .. مَن هو المُطاعُ لذاتِه، والمحبوبُ لذاتِه، اللهُ، أم الأصنامُ، والطواغِيت؟! [قَالَ]؛ إبراهيم عليه السلام في ردِّه على كفَّارِ قومِه، [أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ]؛ أتجادلونني في إيماني باللهِ العظيم، وأنه وحدَه الربُّ والمألوه المستحقُّ للعبادَةِ، الذي يجبُ على العبادِ أن يَصرفُوا له العبادَةَ دونِ غيرِه .. وتريدون مِني أن أنصرفَ وأعدِلَ عن عبادَةِ اللهِ تعالى إلى عبادَةِ أصنامِكم وطواغِيتكم؟! [وَقَدْ هَدَانِ]؛ بعد أن هداني اللهُ إلى الحقِّ، إلى نعمةِ الإيمانِ والإسلامِ .. وبعد أن تذَوَّقتُ حلاوَةَ ولذَّةَ التَّوحيد؟![وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ]؛ هكذا شأنُ الكافِرين عندما يَفتقدُون الحجةَ في مواجهةِ الحقِّ .. يَلتجِئون إلى التَّخويفِ والتَّرهيبِ؛ التخويفُ من أصنامِهم، وطواغيتِهم .. يهدّدون المخالفينَ لهم بالقَتْلِ، والسَّجنِ، والطَّردِ، والتَّعذيبِ، والأذَى .. والواجبُ حينئذٍ على المؤمنِ أن يقولَ لهم: لا أخافُ شَيئاً مما تخوفونَني به .. لا تَقدرُون ـ ولا أصنامُكم وطواغيتكم ـ على إنزالِ الضُّرِّ بي، [إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً]؛ إلا أن يشاءَ ربي الذي خَلقني شَيئاً من ذلك؛ اختباراً وامتحاناً لي، فهو وحده القادِرُ على أن ينزِّلَ الضرَّ بمن شاء من عبادِه،

ويدْفَعَ الضُّرَّ عمَّن يَشاءُ .. فأنا لا أخافُ إلا اللهَ، ولا أرجُو إلا اللهَ، [وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً]؛ كلَّ شيءٍ، وأيُّ شيء، وأين كان موقعُ هذا الشيء، سواءٌ كان ظاهراً أم خفياً باطناً .. فاللهُ يعلمُه لا يخفَى عليه شيء .. يعلمُ مكانَه .. وزَمانَه .. وحاجَتَه .. وأحوالَه .. وتَقلباته .. وأطواره .. وقادرٌ عليه .. بينما آلهتكم وأصنامُكم، وطواغيتُكم لا يعلمون شيئاً مِن ذلك، [أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ]الأنعام:80. أفلَا تؤمنُون وتوحِّدُون اللهَ تعالى، وتُقلعُون عن شركِكم، وباطِلِكُم؟!

* * * * *

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ

328- [وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ]، تخوفُونَني آلهتَكم، وأصنامكم، وطواغيتَكم .. الذين لا يملكُون نفْعَاً ولا ضرَّاً؟! [وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ]؛ فعبدتم مِن دُونِه آلهةً أُخْرَى .. عبدتم أصناماً، وطواغيتاً لَا يملكُون لكم نفْعَاً ولا ضُرَّاً .. وكان الأحْرَى بكم أن تخافُوا أنتم عواقِبَ شركِكم باللهِ .. أن يُنْزِلَ اللهُ بكم عذَابَه وعِقابَه في الدُّنيا، والآخِرَة، وهو القَادرُ على كلِّ شَيءٍ، [مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً]؛ عبدتم هؤلاءِ الأوثَانِ والطواغيتِ مِن دُونِ اللهِ بغيرِ عِلمٍ، ولا بُرهان وحجَّة مِن اللهِ .. وهذا ممَّا يَشتدُّ له الإنكارُ، [فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ]؛ بأن يكونَ آمِناً مِن عذَابِ اللهِ وانتقامِه نحنُ الذين نعبدُه، ونوحِّدُه، ولا نُشْرِكُ به شَيئاً، أم أنتم أيُّها المشركون الكافرون الذين أشركْتُم معَ اللهِ آلهةً أُخْرَى لَا تَنفَعُ ولَا تَضرُّ .. لَا شَكَّ أن المؤمنين الموحِّدين هم أَوْلَى بالأمْنِ والسَّلامَةِ مِن غيرِهم، بل لَا أمْنَ ولَا سَلامَةَ إلا لهم، [إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ]الأنعام:81. هذه الحقِيقة التي دَعَتْ إليها جميعُ الأنبياءِ والرُّسُلِ .. ودَلَّت عليها جميعُ أدلَّةِ النقْلِ والعَقْلِ.

* * * * *

الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ

329- [الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ]؛ أي بِشِرْكٍ أكْبَر، فالشِرْكُ أظلَمُ الظلمِ، وأكبرُ الكبائرِ .. وهو ظُلمٌ عظِيم .. لا يجتمعُ معَ الإيمانِ في قلبِ امرِئٍ أبَدَاً .. فالمؤمنُون الذين لَمْ يخالِطُوا إيمانَهم بشرْكٍ أكبر، [أُوْلَئِكَ]؛ تحديداً لا غيرهم، [لَهُمُ الأَمْنُ]؛ السَّلامَةُ، ولهم الأمْنُ؛ فلا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزَنُون، [وَهُم]؛ تحدِيداً لا غيرهم، [مُّهْتَدُونَ]الأنعام:82. إلى الحقِّ، وإلى صِراطِ اللهِ المستقِيم الذي يُؤدِّي بهم إلى النجاةِ، والسلامَةِ، والأمْنِ، والأمَانِ، في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

330- [ذَلِكَ هُدَى اللّهِ]؛ أي هذا هو الهُدَى الحق؛ هُدَى الله، الذي ليسَ بعدَه إلَّا الضَّلال، والباطِل، والضَّيَاع، [يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ]؛ يَهدي به الأنبياءَ والرسلَ، وأتباعَهم من المؤمنِين إلى الحقِّ والتَّوحِيد، [وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]الأنعام:88. وهؤلاء المؤمنين افتراضاً لو أشْرَكُوا باللهِ، وعبَدُوا مع اللهِ آلهةً أُخْرى، أو صرَفُوا شيئاً من العبادةِ لغيرِ الله تعالى، لبطُلَت أعمالُهم الحسَنَة، ولم يَعدْ يَستفيدُون منها شيئاً .. فالشرْكُ يُدَمِّرُ العملَ الصَّالحَ ويُبطلُه، ويُفسدُه، كأنَّه لَمْ يكُنْ .. وفي هذا تخويفٌ شَديدٌ مِن الشرْكِ، ومِن اقترافِه، أو الدُّنو مِنه .. ودعْوةٌ للمؤمنين أن يكونوا شَديدي اليقظَةِ والحذَرِ مِن الشِّركِ، وأن يتفقَّهُوا بأنواعِ الشِّرْكِ ومَا يؤدِّي إليها؛ حتى لا يَقَعُوا في الشرْكِ وهمْ لا يَدرُون .. وأن لا يغرَّهم ما كان مِنهم مِن عمَلٍ صالِحٍ .. فالعمَلُ الصالحُ لا يَتشفَّعُ ولا يَنفعُ معَ الشرْكِ الأكبَرِ.

* * * * *

قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً

331- [قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً]الأنعام:90. أي على تبليغ القُرآنِ، وأحكَامِه. وقال تعالى:[وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ]هود:29. والعلماءُ ورثةُ الأنبياء، ومن إرثِ الأنبياءِ الذي ينبغي أن يحرصَ عليه العلماءُ، عَدمُ الأكلِ بالدِّين، أو اشتراط الأجْرِ على تَبْليغِ الدِّين.

الدَّاعيةُ إلى اللهِ كلَّما تجرَّدَ في دعوتِه عن حظُوظِ النفس، وعن طلَبِ المُقَابِل، كانت لدعوتِه أثراً طيباً وكبيراً في نفوسِ المدْعوين .. وكان العوَضُ له من اللهِ تعالى أكبر وأعْظَم.

* * * * *

وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

332- [وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ]؛ ما عظَّمُوا اللهَ تعالى حقَّ التَّعظيم، ومَا وقَّرُوه حقَّ التَّوقيرِ الذي يَستحقُّه، [إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ]الأنعام:91. عندما يَقولُ الكفَّارُ والملحدُون الجاحِدُون ما أنزلَ اللهُ تعالى الكتَابَ على أحدٍ من رُسُلِه .. ويجحدُون أن اللهَ تعالى قد أنزلَ القرآنَ على قلبِ رسولِه محمد صلى الله عليه وسلم .. لأنَّ هذا النوع من الجحودِ يتضمَّنُ الانتقاصَ مِن عظَمَةِ الخالقِ سُبحانه وتعالى؛ إذْ كيفَ لبَشرٍ أن يَدَّعِي أن اللهَ تعالى قد أنزلَ عليه الكتَابَ .. ويتلُو آياتِه على الناسِ .. ويتَّبعه الناسُ .. وتَنتشرُ دعوتَه بينَ الناسِ .. وهو في نفسِ الوقتِ يَكذِبُ في دعواه على اللهِ .. واللهُ تعالى يَراهُ ويَسمعُه .. ثم يدَعه لسنواتٍ وعقُودٍ من غيرِ انتقامٍ ولَا عِقابٍ .. بل يُباركُه وينصُرُه، ويُؤيدُه بالآياتِ والمعجزاتِ الباهِراتِ .. هذا عينُ الطعنِ والاستخْفَافِ بالخالقِ سُبحانه،

وبأسمائِه الحُسنى، وصِفاتِه العُلْيَا التي تَأبَى أن يقرَّ أو يُمهلَ أو يُباركَ مثلَ هذا النوعِ من الكذبِ عليه!

* * * * *

قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ

333- [قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ]؛ حجَجٌ، وبراهينُ، وآياتٌ باهِراتٌ .. تَهديكُم إلى الإيمانِ والتَّوحيدِ، والصراطِ المستقيمِ .. وتُبصِّركُم بالحقِّ، ومَا يُؤدِّي إليه، وبالباطِلِ، ومَا يُؤدِّي إليه .. وتُعَرِّفكُم على حقيقةِ الأشياءِ كما هي، [مِن رَّبِّكُمْ]؛ فالبَصائرُ تُلتَمَسُ من اللهِ لا مِن غَيرِه .. مِن رَبِّكُم؛ الذي خَلقَكُم، وربَّاكُم، وأنشَأكُم وفقَ مشيئتِه، والعالمُ بما ينفعُكم، ومَا يَضرُّكُم .. وهذا من تمامِ وكمالِ رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِه، وكمالِ حجتِه عليهم؛ فلمْ يخلقْهُم من غيرِ بصَائر تُبصِّرُهم بحقائقِ الأشياءِ، أو خلقَهم ثمَّ تركَهم يلتمِسون البصَائرَ من غَيرِه ـ ممَّن لا يملكُون البصَائرَ ـ فيزدَادُون غَيَّاً وضَلالاً، [فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ]؛ فمَنْ أبصرَ بقلبِه الحقَّ، وآمَن بهِ، والتزمَه، فَنَفْعُ إيمانِه، وهِدايَتِه يرتدُّ على نَفْسِه، لا على غَيرِه .. لا يَصلُ شيءٌ منهُ إلى اللهِ؛ لكمالِ غِناه عن خلْقِه، وعَن أفعالِهم، [وَمَنْ عَمِيَ]؛ الحقائِقَ، فلمْ يُبصِرْهَا، وضَلَّ طَريقَ الهِدايةِ، [فَعَلَيْهَا]؛ فضَرَرُ عمَاه يرتدُّ على نفْسِه، لا على غَيرِه .. فَلا تَجْنِي نفسٌ إلَّا على نفْسِها، [وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ]الأنعام:104. ومَا محمدٌ صلى الله عليه وسلم برقيبٍ عليكم، وعلى أعمالِكم يُحصِيها عليكم، ولا هو محيطٌ بها .. وبما خَفِي مِنها .. فلمْ يُرسَل مِن أجْلِ ذلك .. وإنما أُرْسِلَ إلى الناسِ كافَّة بَشيراً ونَذيراً.

* * * * *

وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ

334- [وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ]الأنعام:108. إذَا كان المؤمنُ يَعلمُ أنَّهُ إذا سَبَّ آلهةَ المشركِين مِن الأصنامِ، والدَّوابِ، والطواغِيتِ .. سيُقابَل من المشركين بأن يَسبُّوا اللهَ تعالى .. لا ينَبغي ولا يجوزُ للمؤمنِ حينئذٍ أن يتَسبَّبَ بالسبِّ لله تعالى، وذلك أن المشركِين والكافرين لا يَعرفُون اللهَ تعالى، ومَا يجبُ له مِن التَّعظيمِ، والتَّوقِير، والإجْلالِ .. وهذا لا يمنعُ مِن الاستمرارِ في الدعوةِ إلى اللهِ تعالى، وإلى توحيدِه .. والاستمرارِ في بيانِ الحقِّ، وتعريةِ باطِلِ المبطلِين المشركين .. فإن تجرَّأ المشركون على سبِّ الله تعالى لمجرَّد الدعوةِ إلى اللهِ، وإلى عبادتِه، وتوحِيدِه .. فهذا ليسَ سَبَباً يَستَدْعِي التوقفَ أو الإقْلاعَ عنه .. وإلَّا لتوقَّفت الدَّعوةُ إلى اللهِ تعالى في الأرْضِ، كل الأرضِ!

* * * * *

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً

335- حقٌّ لا عدوَّ له، ولا يُريدُ أن يكونَ له عدوّاً، ليسَ حَقّاً، وعليه أن ينظرَ أين هو من الحقِّ الخالِص، قال تعالى:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً]الأنعام:112. وقال تعالى:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ]الفرقان:31.

336- [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ]الأنعام:112. هذه العدَاوَةُ مِن شياطِين الإنسِ والجنِّ شاملةٌ لجميع الأنبياءِ والرسلِ .. ولجميع أتباعِ الأنبياءِ والرسلِ مِن المؤمنين، لَا تَسْتَثنِي أحَداً منهم، وبخاصَّة ورثة الأنبياءِ مِن العلماءِ العامِلين .. كما أنَّها شاملةٌ لجميع معاني العدَاوَةِ، الماديَّةِ منها، والمعنويَّةِ .. هذه العداوةُ بين الفريقَين مستمرَّةٌ منذُ أن خلقَ اللهُ آدمَ عليه السلام، وخَلقَ عدوَّهُ إبليس، وأهبطَهُمَا إلى

الأرضِ، وإلى أنْ تقومَ السَّاعة .. هذه العداوةُ قَدَّرَها اللهُ تعالى وخلقَها ليتحقَّقَ معنى الاختِبارِ، والبَلاءِ، والجهادِ، والمجاهَدَةِ .. ويتحقَّقُ معنَى التدَافُع بينَ الحقِّ والباطِلِ .. ولتتَمايزُ النفوسُ، والصُّفُوف؛ فيُعرَفُ المؤمنُ مِن الكافِرِ، والصَّالحُ مِن الطَّالحِ، والمجاهدُ ممَّا سواه.

* * * * *

يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ

337- [يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ]؛ شَيَاطينُ الإنسِ والجِنِّ، [زُخْرُفَ الْقَوْلِ]؛ يُزيِنُونَ باطِلَهم بالعِبَاراتِ المنمَّقَةِ، والمشوِّقَةِ، وبالذَّرائعِ الكاذِبَةِ، والمخادِعَةِ، وأنَّهم ما أرَادُوا إلا خَيراً، [غُرُوراً]الأنعام:112. وإنَّما غايتُهم الحقِيقيَّة أنْ يخدَعُوا الناسَ، وأنْ يَصْرِفُوهم عن الحقِّ إلى الباطِلِ .. وعنِ الصَّوابِ إلى الخَطَأ .. وعنِ الإيمانِ إلى الكُفْرِ.

* * * * *

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ

338- [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ]الأنعام:112. ولو شَاءَ اللهُ أن يمنعَ الكُفَّارَ عن كُفْرِهِم، والأشرارَ عن شَرِّهم .. لمنَعَهُم بأمرٍ كونِيٍّ؛ كُنْ فيكُون .. ولهداهُم أجمعين .. وجعَلَهم على أتْقَى قَلبِ رجلٍ .. فاللهُ تعالى قادرٌ على كلِّ شيءٍ .. لا يُعْجِزُهُ شيءٌ .. لكن هذا يتنَافَى معَ حكمتِه تعالى مِن خَلْقِ الإنسانِ، ومِن وجُودِه على هذهِ الأرضِ .. فقد شاءَ اللهُ تعالى لهذه الحياةِ الدُّنيا أن تكونَ دَارَ عمَلٍ، واختبارٍ، وبلاءٍ، وجهَادٍ، ومجاهَدَةٍ .. وأنْ يقَعَ فيها التدَافعُ بينَ الحقِّ والباطِلِ؛ فيَدْفَعُ البَاطِلَ بالحقِّ .. وهذا مِن مُقتَضَاه وجُود الخَيرِ والشرِّ .. الحقِّ والباطِلِ .. الصَّالحِين والطَّالحِين .. الأخْيَارِ والأشْرارِ ..

المؤْمنِين والكافِرين .. ثمَّ يكونُ الجزاءُ يوم القيامَةِ؛ فريقٌ إلى الجنَّةِ، وفريقٌ إلى السَّعيرِ .. كلٌّ بحسبِ ما كان مِنهُ في الحياةِ الدُّنيا مِن اعتقَادٍ، وقَولٍ، وعمَلٍ.

* * * * *

أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً

339- [أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً]؛ الكفَّارُ يَرضَون مِنك أن تحكَمَهُم بشريعةِ الغَاب، وبشريعَةِ ياسِقِ التَّتَارِ، وبشَريعةِ الطُّغاةِ الظالمين، وبأيِّ شَريعةٍ وضعيَّةٍ متخلِّفةٍ وظالمة .. لَا يَأبَهون ولا يُمَانِعُون .. لكنهم لا يَرضونَ مِنك أن تحكَمَهم بحكْمِ وشرْعِ الله .. بل منهم مَن يَرضَى مِنك أن تحكَمَهُ بحكمِ اللهِ؛ شَريطَة أن لا تُرُدَّ الحكمَ إلى اللهِ، وأن تردَّهُ لغيرِ الله .. فلَا يَرى في ذلك حرَجاً .. بينما يجدُ كلَّ الحرجِ، وكلَّ الإعراضِ والمعارضَةِ، أن تردَّ حكمَ اللهِ إلى اللهِ .. وأن تذكرَ الله .. وكما أنَّ هؤلاء يُظْهِرُون هذا الحقْدَ والكُفْرَ، وهذه الوقاحَةَ في رَدِّ حكمِ اللهِ تعالى .. واستبدَالِه بأيِّ حُكمٍ آخَر .. في المقابِلِ على المؤمنِ أن يواجِهَهم بكلِّ جرْأةٍ ووضُوحٍ، وفخرٍ، واعتزَازٍ بقوله تعالى:[أَفَغَيْرَ اللهِ]؛ تُطَالِبُونني بأَنْ [أَبْتَغِي حَكَماً]؟! سؤالٌ يُفيدُ الإنكارَ، والتَّعجبَ مِن الطالِبِ، والمطلُوب؟![وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً]الأنعام:114. واللهُ تعالى هو الذي أنزلَ إليكم القرآنَ الكريم تَفصيلاً وتبْيَاناً لكلِّ شيءٍ .. وهادِياً إلى الحقِّ بإذنِه .. فيه الحكمُ الفَصْلُ، والعَدْلُ لكلِّ شَيءٍ؟!

* * * * *

وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ

340- [وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ]الأنعام:116. فِيه أنَّ الأكثرِيَّةَ لا تَعنِي دَائماً أنَّها على حَقٍّ وصَوابٍ، أو أنَّها علامَةٌ على موافقَةِ الحَقِّ

الذي يجبُ اتّبَاعه .. فالحقُّ لا يُعرَفُ بعدَدِ أتْبَاعِه، قَلُّوا أمْ كَثُرُوا، وإنَّما يُعرَفُ بموافقَتِه للحقِّ المنَزَّل.

* * * * *

وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ

341- [وَذَرُواْ]؛ اتركُوا، وأقْلِعُوا .. والأمرُ هنا يُفيد الوجُوبَ، [ظَاهِرَ الإِثْمِ]؛ جميعَ الآثَامِ والذُّنُوب التي تجرِي على الجوارِحِ الظَّاهرةِ، [وَبَاطِنَهُ]الأنعام:120. جميعَ الآثامِ والذنُوبِ التي مَقرُّها ومَبْعَثُها القَلْبُ، وهي أشدُّ خَطراً وضَرَراً على صاحِبِها مِن الآثَامِ والذنُوبِ الظاهِرةِ .. وهذا يَعني أن المرءَ كما عليه أنْ يَسعَى ليطهِّرَ جسَدَهُ مِن الآثامِ والذنُوبِ الظاهِرةِ، عليه أنْ يَسْعَى ليطَهِّرَ باطنَه وقَلبَه مِن الآثامِ والذنُوبِ الباطنة .. وهي تَستَوجِبُ منه جهداً أكبر، ومُراقبَةً دائمةً .. فاللهُ تعالى يَعلمُ الظاهِرَ مِنه والبَاطِنَ.

* * * * *

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ

342- [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ]؛ في تَحليلِ الحرَامِ، وتَحريمِ الحَلالِ، [إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ]الأنعام:121. باتخاذِكُم إيَّاهم أربَاباً مِن دونِ اللهِ؛ تُسْنِدُون إليهم حَقَّ التَّحْليلِ، والتَّحْريمِ، والتَّحْسِينِ والتَّقْبِيحِ مِن دونِ اللهِ، وبغيرِ سُلطانٍ مِنَ اللهِ!

343- [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ]الأنعام:121. الذي له حقُّ التَّحليلِ والتحريمِ هو اللهُ تعالى وحدَه .. مَا يقولُ اللهُ عنه حَلال، فهو حَلال، ومَا يقولُ عنه حرامٌ، فهو حرام .. وأيما مخلُوق تُسْنَد إليه هذه الخاصيَّة؛ خاصيَّةُ التحليلِ والتحريمِ مِن دونِ اللهِ، وبغيرِ سُلطانٍ من اللهِ؛ فيحلُّ ما يَشاءُ،

ويحرِّمُ مَا يَشَاء .. فقد جعلَ من نفْسِه نِدّاً وشريكاً لله تعالى .. وأيما امرءٍ يُطيعُه ويتابِعُه في التحلِيلِ والتحريمِ، أو يَرى له حَقَّ التَّحليلِ والتحريمِ مِن دونِ اللهِ، أو معَ اللهِ .. فقد أشرَكَ، واتخذُه رَبّاً وشَريكاً لله.

* * * * *

أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

344- [أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً]؛ بسَبَبِ الكُفْرِ، [فَأَحْيَيْنَاهُ]؛ بالإيمانِ، [وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً]؛ هُدَى وعِلماً مِن الكتابِ، والسُّنَّةِ، [يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ]؛ يُضيءُ لهم طريقَ الحقِّ .. ويحسنُ التمييزَ بهذا النُّورِ بين الحقِّ والباطِلِ .. وبينَ المحقِّ مِنَ المُبْطِلِ، [كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ]؛ هو الكافرُ والمشرِكُ؛ يعيشُ ظُلماتِ الكُفْرِ، والشركِ، والظُّلمِ، والفُسُوقِ، والضَّيَاعِ .. ظُلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، [لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا]؛ لأنّه لا يملكُ النورَ الذي يُعينُه على الخروجِ من الظُّلمَاتِ .. كيف يخرجُ من تلك الظُّلماتِ، ويَهتدي إلى الصِّراطِ المستقيم .. ومصباحُ نُورِه مُطْفَأ، لا زَيتَ فِيه، [كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]الأنعام:122. وهو معَ كفرِهِ وشركِه، وضَلالِه، وضياعِه .. وفقدانِه للنورِ الذي مِن خلالِه يَعرفُ حقيقَةَ الأشياءِ .. يَزعمُ أنَّه على خَيرٍ .. وأنَّه ممَّن يُحْسِنُون صُنعاً .. وأنَّه تَنويريٌّ .. يَدْعُو إلى الفِكْرِ التَّنوِيرِي!

* * * * *

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا

345- [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا]؛ مضَت سُنَّةُ اللهِ تعالى في خَلقِه مِن قَبْل وفي كلِّ عَصْرٍ، ومِصْرٍ؛ أنَّ الذين يتصدَّرُون مُعَادَاةِ ومواجهَةِ دَعْوةِ الأنبياءِ والرُّسلِ؛ هم الكُبرَاء، والرؤسَاءُ، والفراعِنَةُ مِن المجرمين والكافِرين؛ لأنَّهم

يَرونَ في دَعْوةِ الأنبياءِ تَصادُماً معَ رغباتِهم، ومصَالحِهم، وأهوائِهم، وتَهديداً لمكانَتِهم وزَعَامَتِهم .. كما يَرونَ فيها صَرْفاً للناسِ عن الدخولِ في عبوديَّتِهم، وطاعَتِهم .. وتحريراً لهم مِن العبوديَّةِ للعَبيدِ .. فيَصدُّونَ الناسَ عن متابعةِ الأنبياءِ والرسلِ، وعن الدخولِ في دينِهم، ويُزينون لهم دروبَ الفسُوقِ، والغَيِّ، والضَّلَالِ .. ويَظُنُّون أنَّهم بهذا المكْرِ هم الغالِبُون، [وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ]الأنعام:123. بينما مَكرُهم هذا يَرتَدُّ عليهم بالضَّرَرِ والخُسرانِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .. وهم غافِلُون .. لا يَعْلَمون!

* * * * *

فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ

346- [فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ]؛ للإيمانِ، [يَشْرَحْ صَدْرَهُ]، يَفْسَح صَدْرَهُ .. ويُملأ نُوراً، وسَعَادَةً، وهنَاءةً .. ويَجِد نَفْسَهُ مَشْدُوداً، [لِلإِسْلاَمِ]؛ لقبُولِ الإسْلامِ، والعَمَلِ بِهِ .. فَلا يَقْوَى مانعٌ على صَدِّهِ عن دينِ اللهِ، [وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ]؛ عنِ الإيمانِ والإسْلامِ .. ويُبْقِيَه اللهُ في أوحَالِ الكُفْرِ والشِّرْكِ، [يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً]؛ بحيث لَمْ يَعُدْ يتَّسعُ لقبُولِ الإيمانِ، فهو مِن الضِّيقِ والحرَجِ ما يمنعُ أن يَدخُلَ إليهِ أيُّ خَيرٍ .. أو يَقبَلَ أيَّ خَيرٍ .. وهو بذلك كمَن كانَ في حَالَةِ ضِيقٍ واختِنَاقٍ، لقِلَّةِ الهوَاءِ والأُوكْسجين، [كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء]؛ فكَما أنَّ الذي يصَّعَّدُ في السَّماءِ يَضيقُ صَدْرُهُ كلَّمَا صَعَدَ وارتَفَعَ، ويَصعبُ تَنفُّسُه لانعدامِ الهوَاءِ والأوكسجِين الكافي، كذلك الكافِرُ الذي يَرفضُ الإيمانَ والإسْلامَ؛ فهو يَضيقُ صَدْرُهُ، حتَّى لم يَعُد يتَّسعُ لشيءٍ مِن الخيرِ .. فتظهرُ عليه علامَاتُ الكآبةِ والحرَجِ، [كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ]؛ العَذَابُ، والنَّجَاسَةُ، والشَّيطانُ .. فهذه كُلُّها تجتَمعُ، [عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنعام:125. ومَن اجتمَعَت عليه العناصِرُ الثَّلاث فأنَّى يَعرِفُ انشراحَ الصَّدْرِ، والسَّعَادَةَ الحقِيقِيَّة؟!

347- يُوجَدُ فَرْقٌ بينَ اللّذَّةِ والسَّعادَةِ؛ فالسَّعادَةُ تَشمَلُ اللّذَّةَ، واللّذَّةُ مِن مفرداتِها .. بينَمَا اللّذَّةُ لا تَشملُ السَّعَادَةَ .. والكافِرُ يَعرِفُ مِن متاعِ الدُّنْيا اللّذَّةَ؛ وهذه تَذهَبُ وتَضْعُفُ بذهابِ وضَعفِ أسبَابِها .. حتَّى إذا مَا ذَهبَت ـ اللّذَّةُ وأسْبَابُها ـ ظهَرَت عليه الكآبَةُ، والأمرَاضُ النَّفْسِيَّةُ .. بخِلَافِ المؤمِنِ فحَظُّهُ مِن متاعِ الدُّنيَا السَّعَادَةَ .. فإذا ذَهبَت اللّذَّةُ مِن السَّعَادَةِ، بَقِيَ أصْلُ السَّعَادَةِ، يتمَتَّعُ به المؤمنُ مَا بَقِيَ حَيَّاً.

* * * * *

وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضَاً

348- [وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضَاً]؛ نُوَلِّي الحكَّامَ الظالمين، على الشعوبِ الظالمةِ الفاسِدَةِ، [بِمَا كَانُواْ]؛ الحُكَّامُ، والمحْكُومُون، [يَكْسِبُونَ]الأنعام:129. مِن الذُّنُوبِ والمعَاصِي .. ويَستَعْلِنُون بها، ولا يَسْتَخْفُون .. فإذا فَسَدَت الشعوبُ وظَلمَت .. لا يَتوقَّعُوا حِينئذٍ أن يحكمَهُم حَاكمٌ عادِلٌ كعُمَرِ بن الخطَّاب، أو كعُمرِ بن عبدِ العَزيزِ رضي الله عنهما .. وإنما عليهم أن يَتوقَّعُوا أن يحكمَهم حاكمٌ ظالمٌ مِنهم، ومِثْلُهم!

* * * * *

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

349- [فَقَالُواْ]؛ الكفارُ .. وأحفَادُهم مِن العلمانيين، [هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ]؛ المساجِدُ، والمعابِدُ، ومَا يَحصِرُ فيها من طقُوسِ العبادَةِ .. فحَدَّدُوا ما للهِ، وما يُصرَفُ للهِ من مُلْكِه وخَلْقِه .. وكأنَّهم أوصيَاءُ على اللهِ؛ ماذَا يَملِكُ، ومَاذا لا يملِكُ .. وماذا يكونُ له، وماذا لا يَكُون .. وماذا يحقُّ له، ومَاذا لا يَحِقُّ؟! [وَهَذَا]؛ وهو كُلُّ ما سِوى المسَاجِد والمعَابِد .. مِن شؤونِ الحُكمِ والحياةِ: السياسِيَّةِ، والاقتصاديَّةِ، والاجتماعِيَّةِ، والأخلاقيَّةِ، وغيرِها .. هذا كُلُّه، [لِشُرَكَآئِنَا]؛ لقيصَر .. لطواغِيت الحُكْمِ .. ليسَ مِنه

شيءٌ للهِ، [فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ]؛ لطواغيتِ الحُكْمِ والظُّلمِ مِن مُلْكٍ، وسُلطانٍ؛ وهو جميعُ شُؤونِ وجوانبِ الحياةِ، [فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللهِ]؛ فلا يصلُ شيءٌ مما هو لِقَيْصَر ولطواغِيت الحُكْمِ إلى اللهِ .. ولَا حقَّ للهِ في أن يَتدخلَ به، أو يَحْكُمَ فِيه، [وَمَا كَانَ لِلّهِ]؛ من شؤونِ المساجِدِ والمعابدِ، وما يجرِي في داخِلِها، فهو ليسَ حَقّاً خالِصاً للهِ؛ [فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ]؛ حتى هذه القِسمَة الظالمةِ؛ فما هو للهِ بزعمِهم الباطِلِ .. لقَيصَر الحاكِمِ كامِلِ الحقِّ في أن يتدخَّلَ به، وأن يُشرِّعَ له .. وأن يَسْتَقْطِعَ منه لنفْسِه ما شَاء .. متَى تُفتَحُ المسَاجِدُ ومَتى تُغْلَق .. وما هو مَسموحٌ فِيها ومَا هو غيرُ مَسْمُوحٍ .. ومَاذا يُقالُ فيها، ومَاذا لا يُقال .. وعلى الخُطباءِ والمتكلمين أن يخصُّوا في كلماتِهم قيصَر الحَاكم بالدُّعاءِ، تَعبيراً عن الطَّاعةِ والولَاءِ، وإلا تَعرَّضُوا للعقوبَةِ والطَّردِ، والمنْعِ، [سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ]الأنعام:136. باطلٌ ما يحكمُون .. وبُطلانُ هذا الحُكْمِ، وهذه القِسْمَةِ الظَّالمةِ مَعْلُومٌ ومَردُودٌ بالنَّقْلِ والعَقْلِ!

* * * * *

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً

350- [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً]؛ فقال: هَذا حَلالٌ، وهَذا حرَامٌ .. هَذا حَقٌّ، وهَذا باطِلٌ .. هَذا حَسَن، وهَذا قَبِيح .. ثم يردُّ أحكامَه وإطلاقَاتِه هذه إلى اللهِ كَذباً على اللهِ وعلى دينِه .. يَفعلُ ذلك؛ [لِيُضِلَّ النَّاسَ]؛ عن الحقِّ إلى الباطِلِ .. وعن شَرْعِ اللهِ المنزَّل، إلى الشرعِ المحْدَثِ والمبَدَّلِ .. وعن السنَّةِ إلى البِدْعَةِ، [بِغَيْرِ عِلْمٍ]الأنعام:144. بغيرِ حجةٍ ولَا دَليلٍ مِن كتَابِ اللهِ تعالى، ومن سنةِ نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم .. فهذا لا أَحَدَ أَظْلَمُ مِنه!

* * * * *

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا

351- [سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ]؛ يَستدلُّ الكافرُون المشركُون على كُفْرِهم، وشِركِهم، وعِبادَتِهم للطواغِيت .. وعلى استحْلَالِهم لما حرَّمَ اللّهُ تعالى بمشيئةِ اللهِ الكونيَّةِ على مَشيئتِه الشرعيَّةِ؛ فيقولُون: مَا دامَ اللّهُ قدَّر وشَاءَ وجودَ الكُفْرِ والشركِ في الحياةِ الدُّنيا، وقَدَّر المعاصِي وركوبَها .. هذا يعني أنَّ اللّهَ يرضَاها ويُحبها شَرعَاً، ودِيناً .. وإذَا كان لا يرضَاها ولا يُحبها شَرعاً ودِيناً فعَلامَ قدَّرَ وشاءَ وجودَها في الحياةِ الدُّنيا .. وهمْ بهذا القولِ الساقِط، والفهمِ السَّقِيم، يَردُّون شرعَ الله تعالى، ويُشركُون باللهِ العظيم .. ويَعبدُون الشَّيطانَ، والأصنامَ، والطواغيتَ .. ويَرتكبونَ الفواحِشَ والموبقَاتِ .. ويُبطلُون الحِكْمَةَ مِن إرسالِ الرسلِ، وإنزالِ الكُتُبِ .. ومن وجودِ وخلْقِ الدُّنيا كدارِ اختبارٍ وبلاءٍ، التي تَقضي بوجُودِ الشيءِ وضِدِّه .. وجُود الإيمانِ والكُفْرِ .. وجُود الحقِّ والباطِل .. وجُود الخيرِ والشَّر .. وجُود العدْلِ والظلمِ .. ليتحَقَّق معنى التَّدافُع، والاختبارِ والبَلاءِ .. [كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم]؛ هذا القولُ والاستدلالُ بالمشيئةِ الكونيَّةِ على المشيئةِ الشرعيَّةِ، هو حجَّةُ وذريعَةُ المشركين والكافرين مِن قَبل، واليوم، وغداً .. [حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا]؛ والأمم الكافِرة مِن قبل بعثةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم الذين تمسَّكُوا بهذا القولِ الباطلِ، وتَتَرَّسُوا به .. كان سبباً لسخطِ وغضَبِ اللهِ عليهم، ونزُولِ العقابِ بهم في الدُّنيا والآخِرة، [قُلْ هَلْ عِندَكُم]؛ فيما تَدَّعون، وتَنسبُونه إلى اللهِ، [مِّنْ عِلْمٍ]؛ من حجةٍ، وبرهانٍ، وسُلطانٍ من الله، [فَتُخْرِجُوهُ لَنَا]؛ فتظهرُوه لنا، فنتَّبعُه .. لأن القولَ الملزِمَ الذي يجبُ اتباعُه هو القولُ الذي عليه دليلٌ وبرهانٌ من اللهِ تعالى، وما سِوى ذلك فهو من التَّقوّلِ على اللهِ تعالى بغيرِ علمٍ، وهو مَردُودٌ، يُضرَب به عرضَ الحائِط، [إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ]؛ بل أنتم ليسَ عندكم عِلمٌ ولا

دَليلٌ مِن اللهِ تعالى .. وقولُكم هذا هو من الظنِّ الكاذِبِ الذي لَا يُغني مِن الحقِّ شيئاً، [وَإِنْ أَنتُمْ]؛ في قولِكم الآثِمِ الظالِمِ الآنِفِ الذِّكْرِ، [إِلاَّ تَخْرُصُونَ]الأنعام:148. إلَّا تَكذِبُون على اللهِ، وتَنسبُون إليه مَا لا يَليقُ ولا يَجوز ...!

* * * * *

قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ

352- [قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ]؛ للهِ تَعالى الآياتُ، والبراهينُ، والحججُ النَّقْليَّةِ، والعَقْليَّةِ، والكونيَّةِ التامَّةِ الدَّالَّة على وحدانيَّته، وأنَّه الإلهُ المعبُودُ بحقٍّ .. وأنَّه صادقٌ في جميعِ مَا أمرَ بهِ، ونَهى عَنه .. وأنَّه تَعالى مُنَزَّهٌ عن أن يَرضَى لعبادِه الكُفْرَ، والفسُوقَ، والعصيانَ، والظُّلمَ .. تعالى اللهُ عن ذلك عُلوّاً كبيراً .. بخلافِ غيرِه؛ ممَّن يَدَّعون الألوهيَّةَ، ويُعبَدُون من دونِ اللهِ؛ فإنَّهم لا يملِكُون الحجَّةَ على ما يَدْعُون إليه، والدَّالَّة على استحقاقهم للتألِيه، ولأَن يُعبَدُوا مِن دونِ اللهِ، أو مَعَ اللهِ .. فكيفَ لهذا الإنسان الذي وهبَ اللهُ له العقْلَ، وخاصيَّةَ التفْكير، وخَلَقَه على الفِطْرَةِ، ومِلَّةِ التوحِيدِ، أن يحيدَ عن عِبادَةِ مَن لَه الحجَّةُ البالِغَةُ التامَّةُ الدَّامِغَةُ فيمَا يَدْعُو إليه ويَأمرُ به، إلى عبادَةِ غيرِه؛ مَن ليسَ له حجةٌ عليه؟! [فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ]الأنعام:149. فلو شاءَ اللهُ تعالى لهدَى جميعَ الناسِ إلى الإيمانِ، وجعلَهم جميعَهم على أتْقَى وأعلمِ رجلٍ .. فاللهُ تَعالى لَا يُعْجِزُه شيءٌ .. لكن قضَت حِكمتُه أنْ تكونَ الدُّنيا دارَ عملٍ، وكَدْحٍ، وتَدافُعٍ، واخْتِبَارٍ، وبَلاءٍ .. لَا دَارَ جزَاءٍ .. وهذا يَقتضِي وجودَ الشيءِ وضدِّه.

* * * * *

وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ

353- [وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ]؛ لأنّ من يَقتربُ منها، يوشكُ أن يقَعَ فِيها، ومَن فتحَ البابَ ولجَ فِيه، ثمَّ لا يُحسِنُ الخروجَ مِنه .. فمن السلامَةِ سَدُّ ذَرائع الفواحِش والمنكرَاتِ، والابتعادِ عنها .. ومِن المقامَرَةِ؛ المغَامَرَةُ، وتزكيةُ النَّفْسِ على اللهِ، والاقترابُ منها، والحوْم حولها على اعتبارِ أنها لا تَضرُّه، وأنَّه محصَّنٌ بالعِلمِ، والعَقْلِ، والتقْوَى، وأنه فوقَ أن يتأثَّر بها .. فهذه مُقامَرةٌ لا تُؤمَن عَوَاقِبُهَا؛ لِذَا جاءَ النهيُ عن الاقترابِ، مجرَّد الاقترَابِ مِن الشرِّ، والفواحِشِ، والمنْكَراتِ، [مَا ظَهَرَ مِنْهَا]؛ وهي جميعُ الفواحِشِ والمنكراتِ الظاهِرَةِ التي تجري على جوارح الجسَدِ الظاهِرَة، وهذه غالباً يكونُ مصدرُها من جهةِ الشهوَات، [وَمَا بَطَنَ]الأنعام:151. وهي جميعُ الفواحِشِ والمنكرَاتِ المعنويَّةِ التي مَقرُّها القَلبُ والبَاطِنُ، وهذه غالباً يكونُ مصدَرُها مِن جهةِ الشُّبُهَات .. وهذا من لوازِمه الابتعاد عن مصادر ووسائلِ التَّلقِين العَدِيدةِ والمتنوِّعَةِ، التي تتناولُ وتثيرُ الشُّبهَات، والبِدَع، والأهوَاء .. وتُزينُها، وتحسِّنُها في النُّفُوسِ .. كَمْ مِن سُنِّيٍّ كانَ في مَأْمَنٍ، وكان على خَيرٍ، غَرَّتْهُ نَفْسُه، وغَرَّهُ عِلْمُه .. فخاضَ في عِلمِ الكَلَامِ، والفَلْسَفَةِ .. فدَخَلَ ولَمْ يُحْسِن الخرُوجَ .. فتاهَ، وضَلَّ، وأَضَلَّ .. وفقَدَ مَا كان يتمَتَّعُ به مِن اطمئنَانٍ، وراحَةٍ نفْسيَّةٍ، وفِكْرِيَّة!

* * * * *

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ

354- [وَإِذَا قُلْتُمْ]؛ حكَمتُمُ أو شهدتُمْ، [فَاعْدِلُواْ]؛ في أحكامِكُم وشهاداتِكُم .. وقُولُوا الحقَّ، [وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى]الأنعام:152. حتَّى لو كان هؤلاء الذين تَحكُمونَ أو تَشْهَدُون عليهم من الأقارِبِ، والرَّحِم .. وكان الذين تَحكُمونَ وتَشْهدُون لهم من الأباعِدِ والأعدَاءِ؛ يجبُ أن تلْتَزمُوا في أحكامِكُم وشهادَاتِكم بالعَدْلِ؛ الذي يُرضي اللهَ تعالى ..

واحذَرُوا أن تَحِيفُوا، أو أن تَنحَرفُوا عن العَدْلِ إلى الظلمِ .. وإذَا كان هذا معَ الرحمِ والأقارِبِ، فمن دُونَهم ـ مِن الأَصْدِقَاءِ أو الجماعَةِ، أو الحزْبِ، أو القبيلَةِ، أو القَوْمِ ـ مِن بابِ أَوْلَى أن تحكمَ فِيهم بالعَدْلِ، وتَشْهدَ شَهادَة الحقِّ.

* * * * *

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ

355- [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً]؛ وهو الإسلامُ؛ الدينُ الذي ارتَضَاهُ اللهُ تعالى لِعبادِه، وأوحَاهُ إلى جميع أنبيائِه ورُسُلِه؛ مِن لَدُن آدَمَ عليه السَّلام إلى نبيّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .. وهو صِراطٌ مُستقيمٌ طويلٌ، ومتَّصِلٌ، لَا عِوَج فيه عنِ الحقِّ، ولا انقِطاعَ، أوَّلُه عندَ آدَم عليه السَّلام، وآخِره عندَ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وأُمَّتِه، وإلى قيامِ الساعةِ، [فَاتَّبِعُوهُ]؛ فاسْلكُوه، وتمسَّكُوا به ظَاهِراً وباطِناً، واصْبرُوا عليه وإنْ بَدَا لكم أنَّه طَويلٌ، وأنَّ تكالِيفَه شَاقَّة، [وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ]؛ ولَا تَلتَفِتُوا عنه إلى مَا سِواه من الأَدْيَانِ، والأهواءِ، والبِدَعِ المحْدَثَات، مهمَا بدَت أنَّها مُغريةٌ، وأنها قَصيرةٌ وسَهلةٌ، [فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ]؛ فاتباعِكُم لها يُبْعِدكُم عن الصِّراطِ المستقِيم .. عنِ السَّبيلِ الذي ارتضاهُ اللهُ لكم .. ويُفَرِّقكُم في فِرَقٍ وشِيعٍ ومِلَلٍ وطوائف شتَّى متفرِّقةٍ متناحِرَة مُتدَابِرة، ما أنزلَ اللهُ بها مِن سُلطانٍ، [ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ]؛ وهو اتباعُ صراطِ اللهِ المستقيم، وعدمُ الالتفاتِ عنه إلى غيرِه مِن الطُّرقِ والسُّبلِ المخالِفَةِ، [لَعَلَّكُمْ]؛ إن فعلْتُم ذلك، [تَتَّقُونَ]الأنعام:153. تُصبِحُون مِن الأتقياءِ؛ الذين يأتمرُون بما أمرَ بِه اللهُ ورسولُه، وينتهون عمَّا نهى عنه اللهُ ورسولُه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ

356- [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ]؛ وفي قِراءَةٍ [فَارَقُوا دِينَهُمْ]؛ فخرَجُوا عَن أصْلِه؛ الدَّاعِي إلى التَّوحِيدِ، وإلى عِبَادَةِ اللهِ تعالى وحده، وذَهَبُوا بعيداً عنه في مَذَاهب، وطرُقٍ شَتَّى، واعتقادَات عديدَةٍ باطِلة، ما أنزلَ اللهُ بها من سُلطان .. يَدخلُ في ذلك اليهودُ، والنصَارى، وأهلُ البِدَع والأهواءِ ممن يُحسَبُون على أهلِ القِبلَةِ .. الذين استبدَلُوا الشَّرْعَ المنزَّلَ بالشرْعِ المؤوَّلِ، والمبدَّل، [وَكَانُواْ شِيَعاً]؛ طوَائفَ، وأحزاباً متفرِّقةً، مُتناحِرةً مُتدابرةً .. كلُّ طائفةٍ بما لَدِيها فرحةٌ .. تحتكرُ الحقَّ لنفْسِها، وتُكفِّرُ غيرَها، ثم يَحسَبون أنَّهم يُحسنُون صُنعاً، [لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ]؛ أنتَ يا محمد ومَن تبعَك من المؤمنِين بُرآءُ مِنهم، ومِن باطلِهم، وظلمِهم، لَا هُم مِنكُم، ولا أنتم مِنْهم، [إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ]الأنعام:159. فمرجعُهم إلى اللهِ تعالى يحكمُ فِيهم فِيمَا كانُوا فيه مختلفِين، ومُتفَرِّقين.

* * * * *

مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا

357- [مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ]؛ وهي التي نَصَّ الشارِعُ على أنَّها حسَنَةٌ .. وشَرْطُها الإخْلاصُ الذي لَا رياءَ فِيه، [فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا]؛ مِن الأجْرِ؛ تفَضُّلاً وإحسَاناً .. وترغيباً في فعلِ الحسناتِ، والإقبالِ عليها .. ويَا لهَا مِن تجارَةٍ رابحةٍ لا خَسَارةَ فِيها؛ دِرْهَمٌ بعشرَةِ دراهِم .. وحسَنَةٌ بعشْرِ حسَنَاتٍ، واللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء، [وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ]؛ وهي التي نَصَّ الشارِعُ على أنَّها سَيئة، [فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا]؛ فلَا تُكْتَب على فاعِلها إلَّا سيئة واحِدَة .. وجَزاؤها لا يُؤخَذُ به غيره، [وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ]الأنعام:160. شَيئاً مِن جَزَاءِ حسَناتِهم، وسيئاتِهم .. فقَد أحصَى اللهُ الحسنَاتِ، والسيئات، وعدَّها عَدَّاً لَا يفُوتُه شَيئاً مِنْهَا .. ومِن إحسانِ اللهِ تعالى وعفْوِه ورَحمتِه لعِبَادِه أنه يُنجزُ لهم الوعْدَ،

بينَمَا الوعيدُ يُترَك للمشيئةِ؛ إنْ شَاءَ أمضَاه، وإنْ شَاءَ عَفَا عنه .. مَا لم تكُن السيئةُ شِرْكاً وصَاحِبها ماتَ عليها مِن غيرِ تَوبَةٍ!

* * * * *

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

358- [قُلْ]؛ للمشركِين؛ الذين يحتفُون بشركِهم وكفْرِهم، ويَنصبُون لشرْكِهم وطواغِيتِهم، الأصنَامَ، والأوثان .. ويَعبدُون آلهةً معَ اللهِ، أو مِن دُونِه، [إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]؛ قَد وفقَني اللهُ إلى دينِه؛ دِين الإسلام، وأن أتخذَه منهجاً لحياتي وسلوكِي؛ الدِّينُ الذي لا عِوجَ فيه عن الحقِّ، والعدْلِ، والتَّوحيدِ، الذي يَهدي صاحبَه إلى خيرَي الدُّنيا والآخِرَة .. وينجيه مِن شَقاءِ الدُّنيا، والآخِرَة، [دِيناً قِيَماً]؛ ثابتاً، مُستقيمَاً، قائماً بالقسْطِ .. يَسودُ، ويَعلُو، ولا يُعلَى عليه .. دِيناً بريئاً من الشرْك والمشركِين، [مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ]؛ هذا الدِّينُ الحقُّ، والصراطُ المستقِيم، هو دِينُ إبراهيم عليه السلام، الذي تَدَّعُون الانتماءَ إليه، وتنسبُون دينَكم وأنفسكُم إلى اسمِه، ودِينِه، وهو منْكُم، ومِن شركِكُم بَريء، [حَنِيفاً]، كان إبراهيمُ موحِّدَاً، قائماً على التوحيدِ الخالِص، مِن غيرِ جنُوحٍ إلى غُلوٍّ، ولا إلى جفَاءٍ وتفريطٍ، [وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]الأنعام:161. ولَمْ يكُنْ عليه السلام مِن المشركِين الذين يُشركُون باللهِ، ويَعبدون آلهةً معَ اللهِ، أو مِن دونِه .. وإنما كان من الموحِّدِين المخلَصين .. فأينَ أنتم مِنه، ومِن دينِه؟!

* * * * *

قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

359- كما أننا من مُلْكِ اللهِ تعالى، ونعيشُ على مائدته، وأن الله تعالى ألزَمَنا بعبادتِه على مدار الوقت، فلا يجوز أن نصرفَ دقيقةً واحدة من حياتنا وأعمارنا لغيره

سبحانه وتعالى، كما تفيد الآية الكريمة:[قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]الأنعام:162-163. كذلك فإن الله تعالى لم يحوجنا إلى غيره دقيقة واحدة، ولا في جزئية من جزئيات حياتنا، سواء كانت مادية أم معنوية .. ولم يتركنا من غير شريعةٍ شاملةٍ توجهنا في دقائق الأمور، كما في جليلها، علم ذلك منّا من عَلِم، وجَهِلَ ذلك منا من جهِل، كما قال تعالى:[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً]المائدة:3. وقال تعالى:[أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ]المؤمنون:115.

360- [قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:162. المسلمُ الذي يَعملُ في شركةٍ .. أو ينتمي إلى حِزْبٍ وَضْعِيٍّ .. قد يُطالَبُ بالتقاعُدِ والاعتزالِ .. وأن يَستريحَ، ويُريحَ .. وقد يكونُ لهذا المطْلَبِ وجاهة .. أمَّا مَن كان يعملُ عِندَ اللهِ في خِدمةِ دينِه وعِبادِه .. فهذا ـ مهما بَلَغَ به العُمُر ـ لا يَعرفُ التَّقاعُدَ .. ولا يجوزُ أن تخطرَ لذهنِه فِكرةُ الاعتزالِ، والإحالَةِ إلى التَّقاعُدِ .. بل هو جِهدٌ وجِهادٌ متواصِلَين .. وبَذْلٌ وعَطاءٌ في نصرةِ دينِ اللهِ، ونصرةِ المستضعفين والمظلومين، وقضاياهم العادِلَة ـ بحسب استطاعتِه ـ من المهْدِ إلى اللَّحْدِ .. لا يَعرفُ الكللَ ولا الملَلَ .. لا يَلينُ، ولا يَستكين .. إلى أن يتوفَّاهُ اللهُ، وهذا من مُقتضَى معَاني قوله تعالى:[وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي]. لا يكفي أن تكونَ حياتُهُ كلها لله .. لا يَصْرِفُ شَيئاً منها لغَيرِ الله .. إذ لا بدَّ أيضاً أن يكونَ مماتُه للهِ، وفي سبيلِ اللهِ، وعلى طاعةِ اللهِ .. وأن يحرصَ أن يُختمَ له بخير.

361- تَرِدُ العِبادَةُ، ويُرادُ منها العِبادَةُ الخاصَّةُ، الشَّاملةُ للشَّعائرِ التَّعَبُّدِيَّة: كالصَّلاةِ، والصَّومِ، والحَجِّ، والزَّكَاةِ، ونحوِها من العِبادَاتِ، وهو المُرادُ مِن قولِه تعالى:[قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي]. وتَرِدُ، ويُرادُ منها العِبَادَةُ العَامَّةُ الشَّاملةُ لجميع ما يحبُّهُ اللهُ تعالى

مِن الأقوالِ والأعمَالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، والشَّامِلَةِ لجميع المسَاحَةِ الزَّمَانيَّةِ والمكانيَّةِ التي يَعِيشُها الإنسانُ، وهو المُرادُ من قولِه تعالى:[وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:162.

362- [قُلْ]؛ للمشركين إن كنتم تَعبدون آلهةً معَ اللهِ، أو من دُونِه .. وتتوجَّهون في صلاتِكُم ونُسُكِكُم إلى غيرِ الله .. فأنَا لستَ على دينِكُم الشرْكِي، فأنَا على خِلافِكم فِيما تُشْرِكُون، وفِيما تَدعون إليه مِن الشِّرْكِ، وعِبادَةِ غيرِ اللهِ، فـ [إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي]؛ وهي جميعُ الطَّاعاتِ والعبادات التي يُتَقَرَّبُ بها إلى اللهِ تعالى، كالصَّلاةِ، والصومِ، والحجِّ، والزكاةِ، والجهادِ، وغَيرِها .. وخُصَّت الصَّلاةُ بالذِّكْرِ مِن مجموعِ النُّسُك؛ لأهميتها، وبيانِ فضْلِها، [وَمَحْيَايَ]؛ ليسَ فقط الصلاةُ والنُّسُك، بل وحيَاتي كُلِّها ومَا يتخلَّلها مِن أنشطَةٍ سياسيَّةٍ، واقتصاديَّةٍ، واجتماعيَّةٍ، وغَيرِها، [وَمَمَاتِي]، حتَّى الموافاتِ .. فهو [لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]. خالِصٌ لربِّ العالمين .. أموتُ في سبيلِه، لا في سَبيلِ غَيرِه .. أصرِفُ جميعَ ما تقدم ذِكرُه للهِ تعالى وحدَه؛ خَالِقِ الخلْقِ، ومالِكِه، والمتصرِّفِ به وفقَ مشيئتِه كيفَما شَاءَ، [لاَ شَرِيكَ لَهُ]؛ في ربُوبيَّتِه، وألوهيَّتِه، وفي أسمائِه وصِفاتِه، [وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ]؛ أمرَني اللهُ على لساني أنبيائِه ورسُلِه .. فالدِّينُ يكونُ بما يُوحَى، وليسَ بما تَهْوَى، [وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]الأنعام:162-163. ولن أتردَّدَ لحظَةً أن يكونَ لي الشرفُ والسَّبْقُ في دخُولِ الإسلامِ، وأن أكُونَ مُسلماً، وفي عِدادِ المسلمين .. وفي حَقِّ نبيِّنَا محمَّد صلى الله عليه وسلم هو أوَّلُ المسلمين مِن أُمَّتِه.

* * * * *

وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا

363- [وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا]؛ لا تَجْنِي نفْسٌ إلا عَلِيها، فما تَجترِحُه مِن سيئاتٍ هي وحدها ـ دُونَ غَيرِها ـ تتحمَّلُ تَبِعاتِها، وتُسأَلُ عنها في الدُّنيا والآخِرةِ .. فلا يجوزُ أن يُؤخَذَ المرءُ بجريرَةِ غيرِه، مَهمَا كان هذا الغيرُ قَريباً مِنه، [وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى]الأنعام:164. ولا تَأثَمُ نفْسٌ بإثمِ غَيرِها .. وإنَّما تأثَمُ فقط بإثمِهَا الذي ارتكَبَتْهُ .. فكلٌّ يُحاسَبُ على وزرِه الخاصِّ به الذي اقترَفَه .. هذا قانُونٌ عظيمٌ مِن قوانينِ الإسلامِ في تَرسيخِ دعائِمِ الحقِّ والعَدْلِ .. يُريدُنا الخالقُ سبحانه أن نتخلَّقَ ونعمَلَ به .. وأن نبتعدَ عن العَصَبيَّاتِ، والعاداتِ الجاهليَّةِ الخاطِئةِ ـ كما هو سَائدٌ في كثيرٍ من الأنظمَةِ والأمصَارِ ـ التي تَحمِلُ الإنسانَ على التَّوسُّعِ في الثَّأرِ والانتقامِ للمظالِمِ والحقُوقِ ممَّن لم يَظلِم، ولم يُشَارِك في الظُّلمِ والعُدوانِ .. فإذا أخْطَأ شخصٌ عاقَبوا عائلتَه كلَّها، وأخذُوها رَهينةً لخطَئِهِ .. وفي الحَديثِ: "لا يُؤخَذُ الرَّجلُ بجنايَةِ أبيهِ، ولا جِنايَةِ أخِيهِ".

* * * * *

قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً

364- [قُلْ]؛ للكافِرِين الذين يُطالبونَك بأن تعبدَ آلهةً غيرَ اللهِ، وأن تتخذَهُم أرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ، تُطيعُهم مِن دُونِ اللهِ، [أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً]؛ سؤالٌ يُفيدُ الإنكارَ والتعجُّبَ مِن الطالبِ وممَّا يَطلبُون .. إذْ كيفَ أتخذُ غيرَ اللهِ ربّاً ومَعْبُوداً، وهو مخلُوق، مَرْبُوبٌ، لا يَقدرُ أن يخلقَ شَيئاً؟! [وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ]الأنعام:164. بينما اللهُ عزَّ وجل الذي أعْبُدُه، وأدعُوكُم إلى عِبادَتِه، هو ربُّ كلِّ شيءٍ .. وخالِقُ، ومالِكُ كلِّ شَيءٍ .. ومَن كان له الخلْقُ والمُلْكُ، والأمْرُ .. وهو يَخلُقُ ولَا يُخلَق .. هو الربُّ بحقٍّ، وهو المألُوه المعبُود بحقٍّ، الذي يجب أن تُصْرَفَ له العِبادَةُ، والطاعَةُ، والمحبَّة.

* * * * *

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ

365- [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ]؛ يخلفُ بعضُكم بعضاً .. كلما ذَهبَ جيلٌ أتَى جيلٌ آخَر؛ يرثُ ويخلفُ الجيلَ الذي قبلَه؛ لتستمرَّ الحياةُ، وتعمُرَ الأرضُ، ويتحقَّقَ الاختبارُ والتمحيصُ والبلاءُ، [وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ]؛ في الاهتمامَاتِ، والمهَمَّاتِ، والوظائفِ، والقُدُرَاتِ .. وطرُقِ ومستوى العيْشِ .. ليتحقَّقَ التنوُّعُ الذي به تستمرُّ الحياةُ، وتعمرُ، وتكتَمِلُ .. وهذا من أعظَمِ نِعَمِ اللهِ على الأرْضِ وعلى سَاكِنِي الأَرْضِ .. وإذا كانت المساوَاةُ مِن كُلِّ وجْهٍ مُنتَفِيةً في الجِنْس الواحِدِ؛ جِنسِ الذُّكُورِ والرِّجالِ .. فمن بابِ أوْلى أن تنتفِيَ المسَاواةُ بينَ الرجالِ والنِّساءِ ـ أو حتّى فِيما بينَ النِّساءِ ذواتِهنَّ ـ التي يَدعُو إليها الغَربُ، ويُقاتِل دونها الفِكرُ النَّسَوي .. فكرةُ المسَاوَاة بينَ الرجالِ والنِّساءِ فكرةٌ خرافيَّةٌ عاطفيَّةٌ غير واقعيَّةٍ .. يَرادُ منها حملُ المرأةِ على الاسترْجَالِ، والتَّشَبُّه بالرجلِ .. وقتْلِ أنوثَتِها، وحيَائِها، وفِطرَتِها التي فطرَها اللهُ عليها .. يَنفِيها النَّقْلُ، والعَقْلُ، والواقعُ المشَاهَد والمعَايَش، [لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ]؛ ومِن غايَاتِ هذا التنوعِ والتعدُّدِ، والتبَايُنِ في الدَّرجاتِ، والمستويَات .. تحقيقُ البَلاءِ والاختبارِ؛ كيف سيتَصرَّفُ الغنيُّ نحو الفَقيرِ .. والقويُّ نحو الضَّعيفِ .. والعالِمُ نحو الجاهِلِ .. والكبيرُ نحو الصَّغيرِ .. والحاكمُ نحو المحكُومِ، والعَكْسُ كذلك .. فكُلُّ بَلاءٌ واختبارٌ للكلِّ بحسبِ موقعِه، وبحسبِ مَا آتاهُ اللهُ، وبحسبِ مَا استأمنَهُ، واستخلَفَهُ عليه، كما في الحديث الصحيح:" كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكم مَسْؤولٌ عَن رَعيَّتِه "البخاري. [إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ]؛ لمن عصَاه، [وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ]الأنعام:165. لمَن تابَ، واستغفَرَ، وأنَاب.

* * * * *

كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ

366- [كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ]الأعراف:2. حَرَجٌ مِن بيَانِ وتَبَنِّي أحْكَامِه.

367- قال تعالى:[كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ]الأعراف:2. وقال تعالى:[ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ]النساء:65. الذين يخجلُون من التَّعبيرِ عن الإسلامِ، وعن غاياتِه وأحكامِه، ويجدون في صدورهم حَرَجاً منه؛ فيستعيضُون عنه ـ في المحافل، وعبر وسائل الإعلام ـ بعبارات متشابهة حمّالة أوجه ومعانٍ .. أولئك لا يستحقون أن يوقّعوا عن الله تعالى، ولا عن رسولِه صلى الله عليه وسلم قولاً، ولا حكماً!

* * * * *

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا

368- [وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا]؛ كثيرةٌ هي القُرى والمدن التي أهلَكَها اللهُ تعالى ودَمَّرَها بسبَبِ ظُلمِ أهْلِهَا، وفسوقِهم، وكُفْرِهم .. وكثيرٌ مِن هذا الكثيرِ شَاهِدٌ إلى الساعَةِ على هذَا الدَّمارِ والإهْلاكِ .. وقَليلٌ مَن يعتبرُ ويتَّعظ .. إذْ سرْعَان مَا يَنْسَى الظالمون مَا نزلَ بِهم، والسَّبَبَ الذي أدَّى إلى ما نزَلَ بهم؛ ليعُودُوا إلى غَيهم، وفسُوقِهم، وفجُورِهم .. ويَستعجلُوا نزولَ العذَابِ بهم مِن جَدِيد .. والمرادُ بالقُرَى؛ أهلُها، ومساكِنُهم، ومعاشُهم، [فَجَاءهَا بَأْسُنَا]؛ عذَابُنا وانتِقامُنا، [بَيَاتاً]؛ لَيلاً وهم في غَفْلَةٍ نائمون، [أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ]. أو في النهارِ وهم راقِدين في فترَةِ القيلُولَةِ، [فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ]الأعراف:4-5. فلمَّا ينزلُ بهم العذابُ، والدَّمارُ .. يَرجعوا إلى أنفُسِهم، وإلى بَعضِهم البعضَ يَتلاوَمُون .. ويَتقاوَلُون، ويَشهدُون

على أنفُسِهم أنَّهم كانوا ظالمِين .. وكانُوا فاسِقِين .. وأن هذا العذَاب الذي نزلَ بهم هو بسببِ ظلمِهم وبَغيهم، واستعجَالهم العذَابَ .. وأنَّى ينفَعُهم التَّلاومُ والتَّقَاولُ أو الإقْرَارُ بما كان مِنْهم!

* * * * *

قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ

369- [قَالَ]؛ إبليسُ اللَّعينُ، بعد أن لعنَهُ اللهُ تعالى وطرَدَه مِن رحمتِه، وأخرجَه مِن جنَّتِه، [فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي]؛ أضْلَلْتَني، وأهلكتَني، وأبعدتَني مِن رحمتِك .. ومِن قَبيلِ الانتقامِ لنفسِه، وما حصلَ له، [لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ]؛ لأتربصَنَّ لعِبَادِك .. تعبيرٌ يُفيدُ الإصرارَ والتصميمَ، وتكرارَ المحاوَلةِ، معَ طُولِ المكْثِ، مِن غيرِ كَلَلٍ، ولا مَلَلٍ، [صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ]. الإسلامُ؛ دينُك الحق؛ الذي لا عِوَجَ فيه .. الصراطُ الموصِلُ إلى رضوانِك، والجنَّةِ .. فأصدهم عن الإسلامِ، والتوحيدِ، والطَّاعةِ .. وأُكسِّلُهم وأجبِّنهم عن عبادَتِك وطاعتِك .. فإن لمْ أُفلح معَهم في طاعةٍ لقوَّتِهم فِيها، أتيتُهم مِن جهةِ طاعةٍ أخْرَى، عُرِفُوا بالضَّعفِ فِيها .. ومَن لم أُفلح في صَدِّه عن الدينِ كُلِّه، صدَدْتُه عن بعْضِه .. ومَن لمْ أُفْلح معه من جهةِ الشُّبهاتِ أتيتُه من جهةِ الشَّهواتِ .. ومَن لمْ أُفْلح معه مِن جهةِ شهوةِ المالِ، أتيتُه مِن جهةِ شَهوةِ النِّساءِ، وشهوةِ النساءِ للرجالِ .. ومَن لم أُفلحْ معه من جهةِ شهوةِ النساءِ، أتيتُه من جهةِ شهوةِ حُبِّ الرياسَةِ والزَّعامَةِ .. وكونُه يتربَّصُ وينثرُ شِباكَه في صِراطِ اللهِ المستقيمِ؛ هو لظنِّه أن الصيدَ وافرٌ .. وأنَّ مَن يُريد صَدَّهم وإضلالَهم قد اجتمَعُوا جميعُهم في صراطِ اللهِ المستقيم .. فهو لا يحتاجُ إلى أن يبحثَ عنهم في الطرُقِ والسُّبلِ الأُخْرَى؛ لأنَّها خاويةٌ، لَا صَيدَ فِيها، وكلُّ مَن فيها فقد أجابَه وأطاعَه لما يُريد، ودَخَل في حزبِه وحِلْفِه، وأصبَحَ مِن جُنْدِه .. فلا يحتاجُ لأن يَنشغلَ بهم عن

عِبادِ اللهِ المؤمنين .. وإضْلالُ إبليس الشيطان اللعين للناسِ ليسَ أمراً هيّناً .. أو أمراً كونيّاً ـ كن فيكُون ـ لا يتخلَّف .. يُضل مَن يشاء، وقتَمَا يشَاء .. لا .. فهذا ليسَ له .. فهو أضعَفُ وأخسُّ مِن ذلك بكثِير .. لِذَا يحتاجَ إلى بذلِ الجهدِ .. وتكرارِ المحاولةِ .. وإلى ابتكارِ وتجديدِ وسائلِ المكْرِ، والخِداعِ، والإغْواءِ .. وأن يأتي صَيدَهُ مِن كلِّ الجهات .. وفي النهايَةِ لا يُضلُّ، ولا يَستطيعُ أن يُضِلَ، إلَّا مَن كَتبَ اللهُ له الضلالَ .. لذا أتبَعَ فقال:[ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ]؛ فأُفْسِدُ عليهم دُنيَاهُم، [وَمِنْ خَلْفِهِمْ]؛ فأفسدُ عليهم آخِرَتهم، [وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ]؛ فأفسدُ عليهم إيمانَهم، وعبادَتَهم وطاعَتَهم، وأصدُّهم عنها، [وَعَن شَمَآئِلِهِمْ]؛ فأزينُ لهم السيئاتِ، وأُجمِّلُها لهم، ليُكْثِروا مِنها، وينغَمِسُوا فيها، حتَّى يُصبِحُوا لا فكَاكَ لهم من سُلطانِها، [وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ]الأعراف:16-17. ثم بعدَ ذلك لَا يَشكُرُونَك .. بَل يكفرُونَك .. ويَردُّون الفضلَ فيما هم فيه من النِّعم والخيرِ لغيرِك .. وقولُه [أَكْثَرَهُمْ]؛ ولم يقلْ كلّهم؛ لأنَّ عبادَ اللهِ المخلَصين لا سُلطانَ له عليهم، ولو اجتمَعَت معه جميعُ شياطينُ الأنْسِ والجنِّ .. وفيه أن الكثرةَ لا تَعني دائماً أنَّهم على حَقٍّ!

* * * * *

وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ

370- [وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ...]الأعراف:19-20. [فَأَكَلَا مِنْهَا ...]طه:121. رغمَ سِعَةِ الخيرِ في الجنَّةِ .. ورغمَ أنَّ جميعَ ما في الجنَّةِ مِن خَيرٍ، وأشجارٍ، وثمارٍ، هي كلها مُباحَةٌ لآدَم عليه السلام ولزوجِه .. إلَّا شجرةٌ واحدة فقَط مُنِعَا مِن الأكلِ مِنها .. وهو ما لا يُطِيقَانِه .. فوضِعَت الجنَّةُ في كَفَّةٍ، وهذه الشَّجرة في

كَفّةٍ .. فوَسْوَسَ لهما الشَّيطَانُ .. فأبيَا إلَّا الشَّجرَةَ، والأكْلَ مِنها .. فخسِرَا الجنَّةَ، وهبِطَا مِنْها .. فكلُّ ممنُوعٍ مَنَعَ منه الشَّرْعُ يُزينُه الشيطانُ للإنسانِ، ويُغرِيه به .. وهو مَرغُوبٌ للنَّفْسِ .. وهذه صِفةٌ قد انتقَلَت بالوراثَةِ إلى بَني آدَم، إلَّا مَن رَحِمَ اللهُ .. فكم مِن شجرَةٍ نَهى اللهُ عن الأكلِ مِنها .. وبنُو آدَمَ يأبَون إلَّا أن يأكلُوا مِنها .. نَهى اللهُ عن الأكلِ مِن شجرةِ الخمرِ، وكُلِّ شجرةٍ خبيثةٍ تُسْكِر .. فأكَلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرةِ الرِّبَا، فأكَلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرَةِ الميْسِرِ فأكَلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرةِ الزِّنَى، فأكلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرةِ اللواطَةِ، والمثْلِيَّةِ، والشُّذُوذِ، فأكَلُوا مِنها .. ونهى عن شجرَةِ العُرِي، والتَّعَرِّي؛ فأكَلُوا مِنها .. وهكذا مَا مِن نَهْيٍ نَهى اللهُ عنه إلا ووُجِد مِن بني آدَم مَن يتجرَّأ على اقترافِه، والوقُوعِ فيه، والأكلِ مِنه .. ولو أُحِلَّت جميعُ نِساءِ الأرضِ لرجُلٍ، إلا امرَأةً واحِدَة .. لتَطَلَّعَت نَفْسُه إلى الزَّواجِ مِن تِلك المرْأةِ، وظَنَّ أنَّ فِيها مَا ليسَ في غيرِهَا مِن النِّسَاء .. إنَّها مخالفَةٌ تتكَرَّرُ، وتتوارَثُها الأجيالُ جِيلاً بعدَ جِيلٍ، إلى آخرِ إنسانٍ يتواجدُ على هذهِ الأرض .. إنَّه حظُّ الأبناءِ مِن أبِيهم آدَم، ويتُوبُ اللهُ على مَن تَابَ!

* * * * *

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ

371- [قَالَ]؛ اللهُ [فِيهَا]؛ أي في الأرضِ، [تَحْيَوْنَ]؛ حياتَكُم الدنيويَّةِ المقدَّرةِ إلى أجَلٍ محدَّدٍ، لا يتأخَّر، ولا يَتقَدَّم، [وَفِيهَا تَمُوتُونَ]؛ أي في الأرضِ تموتون، وفي باطنِها تُدفَنُون، [وَمِنْهَا]؛ أي من الأرضِ، [تُخْرَجُونَ]الأعراف:25. تُبعثُون ليومِ الحِسَابِ .. ومعَ كلِّ هذا التَّأكيدِ على أنَّ الأرضَ مستودَعُ الأحياءِ والأمواتِ؛ الأحياءُ على ظَهرِهَا، والأمواتُ في بَطنِها .. فإن الجاحِدين لا يَزالُون يبحثون لأنفسِهم عن حياةٍ،

ومُستقَرٌّ لهم في الكواكِب والمجرَاتِ الأخْرَى التي تَبعدُ عن الأرضِ أكثر من ستِّ مليارِ كيلُو مِتر!

* * * * *

وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ

372- [وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ]الأعراف:26. اللِّبَاسُ لِبَاسَان، لِبَاسٌ يَسْتُرُ الأبدَانَ، وعَوْرَات الجَسَدِ .. ولِبَاسٌ يَسْتُرُ مَسَاوِئَ وعَوْرَات الأخْلَاقِ والأعمَالِ، وهو لِباسُ التَّقْوَى .. وهو خَيرٌ مِن اللِّبَاسِ الذي يَسْتُرُ الأبْدَانَ .. وكلاهُمَا خَير.

* * * * *

يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا

373- [يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ..]الأعراف:27. هَذا التَّحذيرُ الربَّاني يُفيد أنَّ محاولاتِ الشَّيطانِ الدَّؤوبِ بتجريدِ بَني آدم من لِباسِهم ـ بالتَّدَرُّج ـ حتى لا يُبْقِي عليهم ما يَستُرُ سَوآتهم، لا ولَن نَتوقَّف، وهي مستمرَّةٌ ما استمرَّتِ الحياةُ على هذهِ الأرض .. وقد نجَحَ في كَثيرٍ مِنَ المَوَاطِن، والأمْصَار!

وفيه أنَّ بَنِي آدَمَ مِن الذُّكُورِ والإنَاثِ، كلَّما سَارُوا في اتجاهِ التَّعَرِّي، وأخَذَ التَّعَرِّي مِنْهم مَأخَذَه .. كانُوا أقرَبَ إلى الشّيطانِ، وأبعَدَ عنِ الرَّحمنِ.

* * * * *

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

374- [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ] الأعراف:32. الورَعُ؛ أدناهُ تركُ الحرامِ، وأعلاهُ تَركُ المتَشابَهِ، وليسَ وراءَ ذلك إلَّا التَّشدّد والتَّكَلّف، وتحريم ما أحلَّ الله.

* * * * *

أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ

375- قال الذين كفروا: للهِ الخلْقُ، ولنا الأمْرُ .. واللهُ إلهٌ في السّماءِ، ونحن الآلهةُ في الأرضِ .. وهذه قِسمةٌ ظالمةٌ لا تَستقيمُ شَرْعاً، ولا عَقْلاً؛ فالذي له الخَلْقُ، هو الذي له الأمْرُ فيما خَلَق .. والذي هو إله في السماوات، هو الإله المعبود والمُطاع في الأرض:[أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ]الأعراف:54. [وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ]الزخرف:84. [لَوْ كَانَ فِيهِمَا]؛ أي السماواتِ والأرض [آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ]الأنبياء:22.

376- [أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ]الأعراف:54. الذي لهُ الخلْقُ، له الأَمْرُ .. ولَهُ الطَّاعَةُ فِيمَا يَأمرُ بِه .. أمَّا مَن لا يخْلُقُ، لا يَأمرُ، ولا يحقُّ له أن يَأمُرَ، ولو أمَرَ لا يُطاعُ فِيما أمَرَ به.

* * * * *

إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ

377- عَلى قَدْرِ الإحْسَانِ على قَدْرِ مَا تَكُونُ الوَلَايَةُ، ويَكُونُ القُرْبُ مِن رَحْمةِ اللهِ، [إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ]الأعراف:56. [وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ]البقرة:195. والإحْسَانُ كُلُّ تَطَوّعٍ زَادَ عَنِ الوَاجِبِ، وكُلُّ مَعْرُوفٍ وفَضْلٍ زَادَ عنِ العَدْلِ .. وفي الوَاجِبِ؛ يكُونُ الإحْسَانُ بإتْقَانِه.

قال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ "؛ في الوَاجِبَاتِ، والمَنْدُوبَاتِ، والمبَاحَاتِ.

* * * * *

وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ

378- [وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:79. هذهِ الصِّفَةُ هي في النِّساءِ أكثر مِنْها في الرِّجَالِ .. كَثيرٌ مِنَ النِّسَاءِ يَعْتَبِرْنَ النَّصيحَةَ ـ وبخاصَّة إذا جَاءَتْهُنَّ مِن الرِّجَالِ ـ قَوَامَةً ممقُوتَةً!

379- [وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:79. كُلمَا تمكَّنَت الأهواءُ مِن الناسِ، وتَمَلَّكَ العُجْبُ بالنَّفْسِ، والرَّأي .. كانُوا أشَدَّ نُفُوراً مِن النَّصيحةِ، والنَّاصِحين .. فحُبُّ النصيحةِ والنَّاصِحين ميزَانٌ يُعرَفُ به أهلُ الأهواءِ مِن عَدَمِهم .. ونحنُ في زَمانٍ إذَا أرَدتَ أن تخسرَ النَّاسَ مِن حَولِك، فانهَجْ طريقَ النَّاصِحين!

* * * * *

أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ

380- [أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ]؛ اطردُوهُمْ من أرضِكُم ودولتِكُم .. لماذا .. وما هو السَّبَب؟![إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ]الأعراف:82. هذه هي جريمتُهم الكُبْرَى؛ إنَّهم لا يَقترِفُون الفَواحِشَ والمنْكَرَاتِ .. ولا يُشَاركوننَا ممارسَةَ الفُجُور .. وعادَةَ قَومِ لُوطٍ .. فاعتزالُهم لفجُورِنا وفسُوقِنا، وعَدَمُ مشَاركتِهم لنَا في طَريقةِ حيَاتِنَا، وفِيمَا نحنُ فِيه مِن فُجُورٍ .. وتحرِيمُهم وتَأثيمُهم " للمِثْلِيَّةِ "، والتزَامُ نِسائِهم الطُّهرَ والحِجَابَ .. مَنْظَرٌ يُؤذِينَا ..

يَتَناقَضُ معَ ثقافَتِنَا وطريقَةِ حياتِنَا .. ويُعَكِّرُ علينا مَزاجَنَا، وصَفْوَ حياتِنَا الماجِنَةِ .. لا طاقَةَ لنَا أن نَرَاهُم أو أن تجمَعنا بِهم أرضٌ واحِدَةٌ!

هذه كلمَاتٌ جرَت على لِسانِ قَومِ لوطٍ مِن قَبل .. إلَّا أنَّها تَتَكَرَّرُ في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ ـ بصيَغٍ وأساليب مختلِفَةٍ ـ يتَواجَد فيه مَن يَفْعَلُ فِعْلَ قَومِ لُوطٍ .. ويُحَسِّنُ ويُشَرْعِنُ صَنِيعَ قَومِ لُوطٍ!

* * * * *

وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً

381- [وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ]؛ في كلِّ طريقٍ يُفْضِي إلى الحقِّ .. إلى الإيمانِ .. والنورِ والهِدايَةِ .. ترَى الطغاةَ الظَّالمين وأَعْيُنَهم قابِعين جالِسين، يتربَّصُون، ويتجسَّسُون، ويُراقبون العابرين المؤمنين، السالِكين إلى اللهِ، [تُوعِدُونَ]؛ يَتوعدونَهم بالقتْلِ أو السجْنِ، والتعذِيبِ، أو الطَّردِ، والنَّهبِ، ومُصادَرةِ الأموالِ والممتلكاتِ .. إن آمَنُوا، وسَلَكُوا طريقَ الأنبياءِ والرُّسُلِ، [وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ]؛ يَصدونَهم ـ بالتَّرهيبِ والتخويفِ تَارةً وتارةً بالترغِيبِ ـ عن الإسلامِ .. عن صراطِ اللهِ المستقِيم .. حتَّى باتَ المؤمنُ في كثيرٍ من الأمصَارِ لا يَأمَن على نفْسِه أن يُصَلِّي الجماعَةَ في المسَاجِدِ، خَشْيَةَ التَّصْنِيفِ،[وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً]الأعراف:86. يريدُون لو أنَّ دينَ اللهِ تعالى ينحرفُ عن الصراطِ المستقيم .. عن جادَّةِ الحقِّ .. ويُتابِعُهم على ما هُم فيه مِن العوَجِ، والانحرافِ، والضَّلالِ .. وأَنَّى!

* * * * *

قَالُوْاْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ

382- [وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوْاْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ]الأعراف:113. هَذا هو هَمُّهُم .. وهذا هو شَرْطُهم مُقابِلَ خَدَمَاتِهم التي سَيُقَدِّمُونَها لفِرعَون .. الأجْرُ المادِّي .. ولا شيءَ غَيرَ الأجْر .. وهكذَا حَالُ كُل مَن يَشتَغِل عندَ الطُّغاةِ المجرِمين، ويُقَدِّمُ لهم خدَمَاته .. أوَّل وآخَر ما يَسألُ عنه، ويَهتَمُّ لَه .. مَا هو الأجْرُ المادِّي الذي سيَحْصَلُ عليه .. وكَم سَيرمِي له الطَّاغيةُ مِن الفُتَاتِ مُقَابِلَ خَدَمَاته .. بينَمَا لَمَّا انتقلَ السَّحَرةُ إلى ساحَةِ الإيمانِ، وآمَنُوا بربِّ هارُونَ ومُوسى .. جَادُوا بأنْفُسِهم في سَبيلِ اللهِ .. ولم يَعُدْ يهتمُّوا بالأجرِ الدنيوي، ولَمْ يَسألُوا عنه، وزَهِدُوا بالدُّنيا ومَا فِيها؛ لظُهُورِ الحَقِّ لهم، ولِعلمِهم أنَّ الأجرَ عِندَ اللهِ أعظَمُ، وخَيرٌ، وأبْقَى!

* * * * *

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ

383- [سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ]؛ عن طَلَبِها، وفَهمِها، وتدبُّرِها، والعملِ بدلالاتها [الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ]الأعراف:146. الذين يَتعالَون على الحقِّ، والخَلْق؛ فيردُّون الحَقَّ، ويحتقرون الخلْقَ، فيُعاقِبهم اللهُ - بالجَهل، وعدم الانتفاع ممّا يتعلمونَه - من جِنس فِعلِهم وذَنْبِهم .. فكم مِن رائدٍ للفضاء، يَرَى الآياتِ الباهِراتِ في السَّماءِ، ثم يَعُودُ إلى الأرضِ أشَدَّ كُفْراً وعنَاداً!

* * * * *

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

384- [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ]الأعراف:156. الحمدُ للهِ ربِّ العَالمين حَمداً كَثيراً طيِّباً مُباركاً فيه، مِلْء السَّماواتِ والأرض أنَّ رحمةَ اللهِ وسعَت كلَّ شَيء ..

أعجب للمؤمنِ العاصِي كيفَ يَقنطُ مِن رحمةِ الله .. وربُّه يقول له:[وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ]؛ تَسَعُكَ وتَسعُ كلَّ شَيء .. فعلَامَ القُنوط مِن رحمةِ الله .. ألستَ شَيئاً يا عبدَ الله .. فمن أنتَ حتَّى لا تَسَعُكَ رحمةُ اللهِ ..؟! خَابَ وخَسرَ مَن لم تَسعْهُ رحمةُ اللهِ .. ومَن ظنَّ أن رحمةَ اللهِ لَا تَسَعُه!!

* * * * *

وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

385- [وَاتَّبِعُوهُ]؛ أي اتَّبعُوا محمداً صلى الله عليه وسلم [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الأعراف:158. جَوابٌ لكُلِّ مَنْ ضَلَّ السَّبيلَ، وتَاهَت به الدُّرُوبُ، وأرَادَ النَّجَاةَ.

* * * * *

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ

386- [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ]الأعراف:165. لَا يَكْفِي ـ لكي تنجُو مِن العذابِ الذي يَتنزَّل على الظَّالمين ـ أن تكونَ صَالحاً في نفْسِك .. إذْ لَا بدَّ مِن أن تكونَ أيضاً ممَّن يَنهونَ عن السُّوءِ، كُل السُّوء، السُّوءُ الاعتِقَادِي، والسُّوء السِّياسِي، والاجتماعِي، والأخْلاقِي، والاقتصادِي .. وتَأمرُ بما يَضَاده مِن المعروفِ .. وتَصْبرُ على الأذَى الذي يَتَسبَّبُه لكَ الأمرُ بالمعروفِ، والنَّهيُ عنِ المنكَرِ والسُّوء!

387- [أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ]الأعراف:165. خَصَّ [الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ] بالذِّكْرِ؛ لأنَّه الجانبُ الأشَدُّ والأصعَبُ في عمليَّةِ الإصْلاح، يترتَّبُ عليه مِن التَّبعاتِ مَا لَا يَترتَّبُ على الأمْرِ بالمعرُوفِ .. ولأنَّ الذي يَنهى عنِ السُّوءِ يَلزَمُه أن يَأمرَ بالصَّلاحِ، وبالمعرُوفِ، بخلافِ مَن تَقتصرُ دعوتُه على الأمرِ بالمعرُوفِ، فإنَّه لا يَلزمُ مِن

الأَمْرِ النَّهيَّ عن المنكرِ والفَسَادِ .. لِذا فإنَّ المشركين قد يَقبلون مِنك أن تَأمُرَهم بعبادَةِ اللهِ .. فيعبدُون اللهَ معَ جملةِ معبُودَاتِهم .. لكن لا يَقبلون مِنكَ أن تَنهاهُم عَن عِبادَةِ غيرِ اللهِ!

388- [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ]الأعراف:165. قَدْ كَثُرَ الخبَثُ، والفُسوقُ، والعُصيَانُ، وكثُرَت المنكرَات، والفَواحِشُ، والسِّيئاتُ، في الأمصَارِ .. وفي المقَابلِ قَد كَثُرَت الآياتِ والقوَارِعُ الربَّانيَّةُ الكونيَّةُ على الظالمين .. وقَليلٌ هم الذين يتَّعِظُون ويَعتَبرُون .. وعلى قَدْرِ ما يَعتزِلُ العَبدُ تِلكَ المنكرَاتِ، والفواحِش، والسَّيئاتِ، وينَهى عنها .. ويُظْهِر براءَتَه مِنها، وإنْكارَهُ لها، ولأهلِها الظالمين .. على قَدْرِ مَا يُسَلِّمُه اللهُ تعالى مِن تِلك القوَارِع والآياتِ الزَّاجِرَاتِ المهْلِكَات!

* * * * *

فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ

389- [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ]الأعراف:175. هو بَلْعَام كان مِن كبَارِ عُلماءِ بني إسرائيلِ، قَد آتاهُ اللهُ مِن العِلمِ الكثِير .. وقِيل أن دعاءَه كان لا يُرَد .. انسَلخَ من الآياتِ والكرَامَاتِ التي آتاهُ اللهُ إيَّاهَا، كما تنسلخُ الحيَّةُ مِن جِلْدِها .. بسَببِ نصرتِه للظَّالمين، والوقوفِ معهم، والجِدَالِ عنهم، والدُّعاءِ لهم على مَن نَاوَأهم .. وهو بذلك مثَلٌ سَيِّئٌ لعلمَاءِ السُّوءِ مِن بَعدِه - على مدَارِ الأزْمِنَةِ - الذين لا يَحفَظُون أمانَةَ العِلمِ، وأمانَةَ التَّبليغِ؛ فيَقفُون معَ الطُّغاةِ الظَّالمين، ويُكثِّرون سوادَهم، ويجادِلُون ويُنافِحون عنهم، وعن ظُلمِهم .. ويَعمَلُون على تَبييضِ جَرائمِهم .. وهؤلاء مَهمَا توسَّعَت لهم المجالِسُ لا يَحسَبُون أنْفُسَهم أنَّهم على خَيرٍ!

* * * * *

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

390- اتّباعُ الهوَى منه مَا يكونُ كُفراً، كما في قولِه تعالى:[وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ]الأعراف:176. وقوله تعالى:[وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً]الكهف:28. وقوله تعالى:[أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً]الفرقان:43. وقوله تعالى:[فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ]القصص:50. ومِنهُ ما يكُونُ مَعصيةً دُونَ الكُفْرِ، كما في قَولِه تعالى:[فَلاَ تَتَّبِعُواْ الهَوَى أَن تَعْدِلُواْ]النساء:135. وقوله تعالى:[وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى]النازعات:40. وغيرها من الآيات.

* * * * *

كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث

391- مَثَلُ عُلماءِ السُّوءِ في كِتابِ اللهِ، وهم فريقان: فَرِيقٌ رَكَنَ إلى الظَّالمين، وهذا مَثَلُه: [كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176. وفَرِيقٌ لا يَعمَلُ بما يَعْلَم، وهذا مَثَلُه:[كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً]الجمعة:5.

392- [فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176. مِثَالُه كُلّ أَجيرٍ يُجَادِلُ عن الطُّغاةِ الظَّالمين .. فهَذَا مهْمَا حَمَلْتَ عليه .. وكَيْفَمَا حمَلْتَ عليه .. فنُبَاحُه عليك لا يَتوقَّف .. يُسَمُّونَه في زَمَانِنَا بـ " الشِّبِّيح "، و " البَلْطَجِي "!

* * * * *

أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

393- المؤمن تُقلِقه صغائرُ الذنوبِ، والكافرُ لا يحس بكبائرِ الذّنوب؛ وذلك لأنه ميتُ القلبِ؛ فأنَّى له أن يحسّ بها، فضلاً عن أن تُقلِقَه .. صدق الله:[لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ]الأعراف:179. وفي الحديث:" مَن سرّته حسنتُه، وساءته سيئتُه فهو مؤمن "، مفهوم المخالفة أنَّ من لم تُسرُّه الحسنَةُ، ولم تُسِئْهُ السيئةُ، لا يكونُ مؤمناً.

* * * * *

لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا

394- كثيرون الذين يَظنُّون أنَّ العَقلَ في الرأسِ، والصوابُ، أنَّه في القَلبِ، قال تعالى: [لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا]الأعراف:179. وقال تعالى:[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا]الحج:46. فردّ الفقهَ والعقْلَ إلى القُلُوب .. ممَّا دلَّ أن العَقلَ موطِنُه في القَلْبِ .. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:" إنَّ العَقْلَ في القَلْبِ ".

* * * * *

وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم

395- [وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم]؛ بالنِّعَمِ .. والإمْهَالِ .. وعدَمِ الاستعجَالِ بعذَابٍ، أو انتِقَامٍ، [مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ]الأعراف:182. أنَّ هذا الاستدْراجَ هو بمثابة حَبلٍ يُقادُون به إلى الانتقَامِ الأكبَرِ، والعَذَابِ الأليمِ المُقِيمِ!

396- [وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ]الأعراف:182. مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ أنَّه استدرَاجٌ .. فيطمئنُّون إلى طريقَةِ حياتِهم التي

تجمعُ بينَ الرَّخَاءِ والنَّعِم والمعَاصِي والفُسُوقِ .. ويَظنُّونَ أن النِّعَمَ معَ الإقامَةِ على المعَاصِي لَا يَضُرُّهم، وأنَّه خيرٌ لهم .. بَلْ هو شَرٌّ لهم .. لكِنَّهم لا يَعلمُون .. والآيةُ وإنْ نزَلَت في الكافِرين المكَذِّبين إلا أنَّ المترَفِين المسْرِفين مِن عُصَاةِ أهْلِ القِبْلَةِ لهم حَظٌّ وافِرٌ مِن الوَعِيدِ الوارِدِ في هذه الآيةِ الكريمَةِ.

* * * * *

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ

397- [وَأُمْلِي لَهُمْ]؛ أُرْخِي لهمْ وأمدُّهم بأسْبَابِ وحِبَالِ الظُّهُورِ، والنِّعَم، والرَّخَاءِ، [إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ]الأعراف:183. أيما جَاهٍ، أو سُلطانٍ، أو ظُهُورٍ، أو شهرَةٍ، أو رَخَاءٍ، أو نِعمَةٍ، أو استِعْلاءٍ .. فاعلمْ أنَّه إملاءٌ مِن اللهِ تعالى، واستدراجٌ، وبَلاءٌ؛ هل سيحملُكَ ذلك على الطاعةِ، والشُّكرِ، والتواضُعِ، أم على المعصيَةِ، والظُّلمِ، والطُّغيانِ .. فإن كانت الثانية فاعلَمْ أنَّكَ قد رَسِبتَ في الاخْتِبَارِ .. وأنَّ عذابَ اللهِ لك بالمرْصَادِ، وأنَّ أخذَه أليمٌ شَديد .. فالسَّلامَةُ معَ الإقامَةِ على المعصيَةِ استدْرَاجٌ مُخِيف!

398-

* * * * *

أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ

399- [أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ]الأعراف:191. [أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ]النحل:17. مَن كان شريكاً للهِ تعالى في الألوهيَّةِ، لزمه بالضرورَةِ أن يكونَ شريكاً له في الربُوبيّة، فإن انتفَت عنه الشراكَةُ في الربوبيّةِ، وكان عاجزاً عن أن يخلقَ بعوضةً فما دُون، لزمه بالضَّرورةِ أن تنتفي عنه الشَّراكَةُ في الألوهيّةِ، ولا بُد.

400- [أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً]؛ أيَعْبدُون مَا لا يخلُقُ شَيئاً؟! فهذا مِمَّا يأباهُ ذوو العُقُول والفطَر السَّليمةِ، [وَهُمْ يُخْلَقُونَ]الأعراف:191. قَد خَلَقَهم اللهُ .. فالمخلوقُ لا يَستحقُّ أن يُعبَدَ .. فخَدُّه ـ كَمَخْلُوقٍ ـ الذي لا يجوزُ أن يتَجاوَزَه، ومَقامُه الذي لا يجوزُ أن يَتَعدَّاه، أن يكونَ عابِداً، لا مَعبُوداً!

* * * * *

وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ

401- [وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ]الأعراف:199. أي وأمر بالمعروفِ، وهو كل ما تعارف عليه الشرعُ، والعقلُ، والعُرْفُ على أنه معروفٌ .. بشرط أن لا يتعارض معروفُ العقلِ والعُرفِ، مع معروفِ الشَّرعِ .. فإن تعارضَ وتناكَر .. انقلبَ معروفُ العَقلِ، والعُرف إلى مُنكرٍ وهوى.

كذلك قوله تعالى:[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ]النحل:90. والعدلُ الذي يأمرُ اللهُ به، هو كل ما تعارف عليه النقلُ، أو العقلُ، أو العرفُ على أنه عدل، فإن تعارضَ العدلُ الذي يقرره العقلُ أو العرفُ مع العدلِ الذي يقرره النقلُ الصّحيح، قُدّم العدلُ الذي يقرره النقلُ الصحيح، وحُكِم ـ حينئذٍ ـ على العَدلِ الذي يقرره العقلُ أو العُرفُ، بأنَّه هوى، وظُلم.

* * * * *

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

402- [وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ]الأعراف:199. لا تُقَابِل السَّيئَةَ بِسَيِّئةٍ .. ولا سُوءَ الخلُقِ بمثْلِه .. ولا السَّفَهَ بِسَفَهٍ مِثْله .. فترَفَّع عن هَذا كُلِّه، وأعْرِضْ عَنْهُ .. وأكْرِمْ نَفْسَكَ مِن أن تَنْشَغِلَ بِهِ، وبأهْلِه!

* * * * *

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ

403- [إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ]الأنفال:22. هم المشركُون الذين يَعْبدُون آلهةً مَعَ اللهِ، أو مِن دُونِه .. وهم ليسُوا دوابَّاً وحَسْب؛ بلْ هُم شَرُّ الدَّوابِّ؛ لأنَّ اللهَ تعالى خَصَّهم بما لم يخصُّ الدُّوابَّ؛ خَصَّهم بالعقْلِ، وحريَّةِ الاختيارِ، وأرسَلَ إليهم الرُّسلَ، وأنزلَ الكتبَ .. فلم يَستفيدُوا مِن كُلِّ هَذا؛ فآثَرُوا الكفْرَ على الإيمانِ، والضَّلالةَ على الهُدَى .. وهم مع هذا الفَارِقِ بينهم وبينَ الدَّوابِّ .. فإنَّ الدَّوابَّ ـ كل الدوابِّ ـ يَعبدُون اللهَ تعالى، ويُسبِّحُون بحمدِه، ولكن لا نفقهُ تَسبيحَهم .. ممَّا وسَّعَ الفَارقَ بينَهم وبينَ الدَّوابِّ .. فكانُوا ـ عِندَ الله، وفي ميزانِ اللهِ ـ شَرَّاً مِنَ الدَّوابِّ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ

404- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ]الأنفال:24. هذه الآيةُ الكريمةُ لا تَقتَصِر على معنًى من معاني الشريعَةِ دُون معنًى، بل تُحمل على جميعِ ما دعَانا إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الفرائضِ، والسّنَنِ، والشرائعِ، ومحامِدِ الأخْلاقِ، وجميعِ ما نهانَا عنه .. فمَا مِن أمْرٍ أمرَنا به النبيُّ صلى الله عليه وسلم، أو نهي نهانَا عنه، إلا ولنَا في طاعتِه فِيمَا دعانا إليه حياةٌ طيبةٌ، عزيزةٌ، وكريمة.

مما يدلُّ على هذا المعنى الحديثُ الصحيحُ الذي يرويه الصحابي أبو سَعيد بن المُعَلَّى، قال:" مَرَّ بيَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: ما مَنَعَكَ أنْ تَأْتِيَنِي؟ فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: [يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعَاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ]؟ ثُمَّ قالَ: ألَا أُعَلِّمُكَ أعْظَمَ

سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أنْ أخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، فَذَهَبَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِيَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ، فَقالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. هي السَّبْعُ المَثَانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ "البخاري. وقوله: [إذَا دَعَاكُمْ]؛ فيه ردٌّ على القُرآنيين؛ الذين لا يأخُذُون إلَّا بالقُرآنِ ...!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ

405- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ]؛ لَا تَعصُوا اللهَ ورسولَه .. وكلمَا عَظُمَت المعصيةُ عظُمَت الخِيانَةُ، ومِن الخيانةِ للهِ ولرسولِه، التَّواطُؤ معَ أعداءِ اللهِ ورسولِه على الإسلامِ والمسلمين، والتَّجَسُّس على عوراتِ المسلمين لصالحِ الكافِرين والمنافِقين، [وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ]؛ وهو كلُّ ما استأمَنَكم اللهُ عليه من حقُوقٍ، وما استأمنَكم عليه العِبادُ مِن ودائع وأماناتٍ .. فحفظُ الدِّينِ أمانَةٌ .. والعهُودُ والعقُودُ أمانةٌ .. وحقُّ الوالِدَين أمانَةٌ .. وحقُّ الزوجِ على زوجتِه أمانَةٌ، وحَقُّ الزوجةِ على زوجِها أمانَةٌ .. وحَقُّ الأبناءِ أمانةٌ .. وحقُّ الجارِ على جارِه أمانةٌ .. وهكذا بقيَّةُ الحقوقِ .. وأيما تَفريط بحقٍّ من الحقوقِ التي أوجبَها اللهُ تعالى، أو تفريط بأماناتٍ وحقُوقٍ وودائعِ العِبادِ ـ حتى لو كانوا من غيرِ المسلمين ـ فهو خيانةٌ، وغَدْرٌ بالأمانَةِ، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]الأنفال:27. أنَّ هذا الذي تفعلونَه من الخيانةِ للهِ، ولرسولِه، وللناسِ.

* * * * *

إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً

406- [إن تَتَّقُواْ اللّهَ]؛ بطاعَتِه، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، [يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً]الأنفال:29. يَجْعَل لَّكُمْ فَلَقاً وانفِرَاجاً من كل مُغلَقٍ، وضِيقٍ، وعُسْرٍ، لا

يُرجَى له حَلٌّ ولا مخرَجٌ؛ فيَفْلُقُهُ اللهُ فَلْقَاً، ويَفْرُقُه فَرْقَاً، مِن حَيثُ لا تَحتَسِب .. ويَجعَل مِن أمْرِه يُسْرَاً، وفرَجَاً، ومَخرَجاً.

مَفْهُوم المَخالفَةِ؛ إن لَمْ تَتَّقُوا اللهَ، ثمَّ عِشْتُم الاخْتِنَاقَاتِ كُلِّهَا .. فَلا تَلومُنَّ إلَّا أنْفُسَكُم!

* * * * *

وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ

407- [وَيَمْكُرُونَ]؛ يُخطِّطُون .. ويُدَبِّرُون .. ويأتمِرُون .. ويتآمَرُون .. ويَتَنَاجَون .. كيفَ يُحارِبُون الإسلامَ والمسلمين .. وكَيفَ يُنزِلُون الهزائمَ والضَّرَرَ بالمسلمين، [وَيَمْكُرُ اللَّهُ]؛ فيُبْطِلُ مَكْرَهم .. وكَيدَهم .. ويجعلُ مكْرَهم يَرتَدُّ على نحُورِهم، [وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ]الأنفال:30. العالِمُ بمكرِهِم، والقَادِرُ على إبطالِ مَكْرِهِم، وإنزَالُ المكْرِ بِهِم .. وتحويلُ مَكرِهم إلى نَصْرٍ للحقِّ وأهلِه .. وهزيمَةٍ للباطِلِ وأهلِه.

* * * * *

وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

408- [وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ]، فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول:" أَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي "مسلم. أي من أن ينزلَ بهم العذابُ وهو فيهم ومعهم، وهذا الأمان قد رُفِعَ بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبقي الأمانُ الآخر، والدّائم: [وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]الأنفال:33. [لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ]النمل:46. لا يجتمعُ عَذابٌ معَ تَوبةٍ واستِغْفارٍ.

409- [وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]الأنفال:33. مَا دُمْتَ تُلَازِمُ الاستِغْفَارَ، فأَنتَ في أَمَانٍ ...!

* * * * *

فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ

410- تأمَّلوا كم معركةٍ خاضوها ضدَّ الإسلام، وكم هي المليارات التي أنفقوها في سبيلِ حروبهم على الإسلام .. ثم تنقلبُ عليهم حسرات، وانهيارات للميزانيات .. بينما الإسلام في تمدّد، وعلوّ، وظُهور، رَغماً عن أنوفهم، [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ]الأنفال:36.

* * * * *

وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ

411- [وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ]الأنفال:37. الخبيثُ عكسُ الطَّيِّب، وهو كلُّ ما خَبُث وفَسُدَ، وبَطُلَ مِن الأقوالِ، والأعمالِ، والأموالِ، والنَّوايا .. وكلُّ جَهْدٍ مَادِّيٍّ، أو فِكْرِي، أو مَعْنَوي، صَادِرٌ عن الكافرين والمنافقين يُبْذَلُ في نِصرَةِ الباطلِ .. وما أكثره .. يجمعُه اللهُ بعضَه إلى بَعضٍ، ويجعلُ بعضَه فوقَ بعضٍ ككتلةٍ واحدةٍ .. تَبكيتاً وتَحقيراً له، ولأهْلِه .. فيقذِفُه جميعاً في جهنَّم، وبِئسَ المصِير.

* * * * *

لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً

412- [لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً]الأنفال:44. إذا قَضَى اللهُ أمراً في خَلْقِه، كانَ مَقضيّاً، نافِذاً، محقَّقاً، وواقِعاً لا محالَةَ في زمَانِه ومكانِه المُقَدَّرين .. لا يمنعُه مَانِعٌ، ولا يَردُّه رَادٌّ .. ولو اجتمعَت الإنسُ والجنُّ، ومعَهم جميع المخلوقات على أن يمنَعُوه لما قَدرُوا على مَنْعِه!

413- [لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً]الأنفال:44. إذا قَضَى اللّهُ أمراً في خَلْقِه، تَهيَّأت له الأسبابُ، واستشْرَفَت، وانتَظَمَت، وتَدَافَعت، كأنَّها جنُودٌ مجنَّدَةٌ .. كلُّ سَببٍ يُؤدّي ما عليه تجاهَ أمرِ اللهِ .. ثمَّ يُسْلِمُه ويَدفَعُه إلى السَّببِ الآخَرِ ليقُومَ بدَورِه وواجِبِه .. فتَتَناقَلُه الأسبابُ وتتداوَلُه فِيمَا بينها إلى أن يتحقَّقَ ميعَادُه، ومِيْلادُه المقدَّر، الذي لا يَتقدَّمُ ولا يتأخَّر ولو لثَانيةٍ واحِدَةٍ .. ويَصبحُ أمر اللهِ مَفْعُولاً، مَرْئِيًّا، وواقِعَاً مُشَاهَدَاً!

* * * * *

وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً

414- [وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً]، ذِكْر اللِّسَانِ، بالتَّسْبيح، والتَّهليلِ، والتَّحميدِ، والتَّكبيرِ، والدُّعَاءِ .. وذِكْر الجوارح الظَّاهِرةِ، بفِعلِ الطاعَاتِ، كالصَّلاةِ، والصَّومِ، والزَّكاةِ، والحجِّ، والعُمْرَةِ، والجهادِ، وطلَبِ العِلمِ، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ المنكَرِ، وتلاوَةِ القُرآنِ، وغَيرِها مِن الطَّاعاتِ .. وذِكْر البَاطِنِ بالخشْيَةِ، والإخْلاصِ، ومُراقَبَةِ النيَّةِ .. وذِكْر العَقْلِ، بالتدَبُّرِ، والتأمُّلِ، والتَّفكُّرِ بآيَاتِ اللهِ تَعَالى الكونيَّةِ والسَّمْعيَّةِ، [لَّعَلَّكُمْ]؛ إنْ فعلتُم الذِّكْرَ بهذا الوصْفِ، وهَذا الشمُول، وحافَظْتُم عليه، [تُفْلِحُونَ]الأنفال:45. تفُوزُون في الدُّنْيَا، والآخِرَة.

* * * * *

وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

415- [وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ]الأنفال:46. لَا تَدَعُوا فُرجَةً للشيطانِ، ولوساوِسِه، وإملاءاتِه .. فتَخْتَلِفُوا .. وتتفرَّقُوا .. فتتفرَّقَ قلُوبُكم وصفُوفُكم مَشارِبَ، ومذَاهِبَ شَتَّى .. فتَضْعفُون بعدَ أنْ كنتُم أقوياءَ، وتَجبنُون بعدَ أنْ كنتُم شُجعَاناً

عن مواجَهَةِ الأعداءِ، والتَّحديَات .. وتَذْهبَ قوَّتُكم ضَعْفاً ووَهْناً .. وتجرِّئون الأعْدَاءَ عليكُم!

لَا يُذهِبُ قوَّةَ الدولِ والجماعَاتِ كالمنَازَعَاتِ، والاختِلافَاتِ، والصِّراعاتِ الدَّاخليَّةِ على المناصِب، والمكاسِبِ .. والحظُوظ، وحُبِّ التَّسلُّطِ والرياسَةِ .. فالدولَةُ كالشجرةِ قد تَقْوَى على مواجَهةِ الرياح العَاتيَةِ .. لكِنْ لَا تَقْوَى على مواجهَةِ دُودَةٍ تَنخرُ فِيها مِن داخِلِها!

* * * * *

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ

416- [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ]؛ فيُزِيلُها عنهم، ويَستبدِلُها بنَقْمَةٍ، وعَذَابٍ [حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ]الأنفال:53. من الشُّكْرِ إلى الكُفْرِ، ومِنَ الطَّاعَةِ إلى المعْصِيَةِ، ومِنَ العَدْلِ إلى الظُّلْمِ ...!

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ

417- [إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ]الأنفال:58. الذين يخونُون العهودَ والمواثِيقَ .. ويخونُون الدِّينَ؛ فيكتمونَ منه ما يجبُ أن يظهَرَ، ويُعلَن، ويُحرِّفُون معانيَه وأحكامَه عن مواضِعِها، ومُرادِ الشَّارِعِ مِنها .. ويخونُون المؤمنين؛ فيُظاهِرُون الكافرين عليهم .. ويَشتغلُون جواسِيسَ عليهم .. ويخونُون الأعْراضَ، وما أستُؤمنُوا عليه .. ويخونُون الأصدِقاءَ وما لهم مِن حَقِّ الوفَاءِ .. ويخونُون الودَّ القديم .. ويخونُون الشعوبَ؛ فيكتمونَ عنهم النَّصيحَةَ، ويجاملونَهم في الباطلِ .. ويخونُون وظِيفتَهم وعملَهم؛ فلا يَبذلُون الجهدَ المتوقَّع والمرجُو منهم .. ويخونُون الأماناتِ ـ على اختلافِ تَنوعِها ـ وما استؤمِنُون عليه .. فهؤلاء لا يحبُّهم اللهُ .. ولا يمكن أن يكونُوا من أولياءِ الله!

* * * * *

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ

418- [وَأَعِدُّواْ لَهُم]؛ لمواجَهةِ الأعْدَاءِ، [مَّا اسْتَطَعْتُم]؛ أقصَى درَجاتِ القدرَةِ والاستِطاعَةِ .. وليس بعدَ بَذْلِ المُسْتَطاع مُؤاخَذَة ولا مُسَاءَلَة .. إنّما المؤاخَذَةُ تكونُ في حالِ حصُولِ التَّقْصِير، وكان الإعدادُ دونَ حَدِّ الاستِطاعَةِ، وعلى قَدْرِ التَّقْصِيرِ عَن حَدِّ الاستِطَاعَةِ، [مِّن قُوَّةٍ]الأنفال:60. جميعُ ما يَدخُلُ في معنى القُوَّةِ؛ الماديَّة منها والمعنَوِيَّة؛ قُوَّةُ السِّلاح واستخدامَاتِه، وقُوَّةُ الجسَدِ، وقُوةُ المالِ، وقُوةُ العِلْمِ، وقُوةُ الإيمانِ، وقُوةُ الاتِّحادِ، ونَبْذِ الفُرْقَةِ ودواعِيها .. وغيرُها ممَّا يَدخلُ في معنى القُوَّةِ وأسبابِها .. والمؤمنُ القَويُّ خَيرٌ وأحَبُّ إلى اللهِ تعالى من المؤمنِ الضَّعيف.

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

419- [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]الأنفال:64. أي يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، حَسْبُكُم اللهُ.

* * * * *

وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ

420- [وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ]الأنفال:75. وهذا ليس مقصوراً على الإرث والتّوارُثِ وحسب، بل هو يشملُ بذلَ كلّ خيرٍ؛ بما في ذلك النّصرة، والذَّود عن الحقوقِ والحُرمات؛ فالأقربون أولى بالمعروفِ والنُّصرة .. والجارُ الأقربُ؛ له من الحقُوقِ ما ليس للبعِيد.

إذا اشتعلت النّيرانُ في الدُّورِ، أطفئ نارَ بيتك أولاً، ثم نارَ جارِك، ثمَّ نارَ الأقرَبِ فالأقربِ إليك، هذا حكمُ النّقلِ والعَقل.

* * * * *

فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

421- [أَتَخْشَوْنَهُمْ]؛ أتخَافُون مِمّن يَتعيَّن عليكم جِهادَهم، ودَفع شَرِّهِم، والصّدع بالحقّ أمَامَهم، مِنَ الكافِرين والمنَافِقين .. وهم ليْسُوا لهم عليكم سُلطان إلا مَا شَاءَ اللّهُ، [فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ]؛ لما له من حَقٍّ عليكم، ولأنَّه القَادِرُ عليكم، وعليهم، بيدِه الخَيرُ والشَّرُّ، والضُرُّ والنَّفْعُ، [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]التوبة:13. بوعدِ اللهِ ووعيدِه .. وأنه تعالى هو النَّافِعُ والضَّارُ .. وأنه لا يصيبُكم شيءٌ إلا مَا كتبَهُ اللّهُ لكم .. وأنَّكم إليه راجِعُون، وفي الحديث:" لا يَمنَعَنَّ أحَدَكم مَخافَةُ النَّاسِ أنْ يقولَ بالحَقِّ إذا شَهِدَه أو عَلِمَه ". وفي رواية:" لا يمنعَنَّ رجلًا هيبةُ الناسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا رآه أو شهِدَه؛ فإنه لا يُقرِّبُ مِن أجَلٍ ولا يُباعِدُ مِن رِزقٍ ".

* * * * *

قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ..

422- [قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا]؛ لم يقُلْ إن كان آباؤكُم أو أبناؤكُم أو، أو .. على التَّخيير، وإنما جمعَ بينها جميعاً بواو العَطفِ .. فإذَا كانت هذه الأشيَاء على عِظَمِها، وشَرَفِها، ونفَاسَتِها، وعَظِيمِ حَقِّها، مجتمعةً بعضُها معَ بعْضٍ، [أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ]؛ تؤثرُونَها على طاعَةِ اللهِ تعالى، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. قَد لا يقولُ القائلُ بلسانِه: الآباءُ، والأبناءُ، والإخوانُ، و، و، و .. أحبُّ إليَّ مِن اللهِ ورسولِه .. وبُرهانُ صِدقِ قولِه مِن عدَمِه يَظهرُ في الطاعَةِ والمتابعَةِ؛ فإن قدَّمَ طاعةَ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم على طاعةِ مَا ذُكِرَ مِن أشياءٍ؛ فقد صَدَقَ في دَعْواه أنَّ اللّهَ تعالى، ورسولَه صلى الله عليه وسلم أحبُّ إليه مما ذُكِرَ مجتمعاً، وإن كان العكسُ؛ قدَّمَ طاعَةَ هذهِ الأشياءِ

الواردَةِ في الآية أعْلاه، على طاعَةِ الله تعالى، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم؛ فهو كاذِبٌ في دَعْواه أنه يحبُّ اللهَ ورسولَه أكثر مِن جميع مَا ذُكِرَ في الآيةِ أعلاه، مَهمَا زَعَمَ بلسانِه خِلافَ ذلك، [وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ]؛ وكان ما ذُكِرَ أعلاه مِن أشياء وروابِطَ، وعوَالِق سَبباً في تركِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ، [فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ]؛ انتظرُوا حتَّى يأتي اللهُ تعالى بوعيدِه وعذابِه لكم في الدُّنيا والآخِرةِ؛ في الدُّنيا ذِلٌّ، وصَغَارٌ، وفِقدانٌ للعزيزِ، وتيهٌ في الأرضِ، وفي الآخِرةِ عذابُ جهنم وبئسَ المصِير، [وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ]التوبة:24. الكافِرين.

* * * * *

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

423- [وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيتُم مُّدْبِرِينَ]التوبة:25. وذلك أنَّ قلوبَهم تَعَلَّقَت بالكثرةِ والعَدَدِ، وظَنُّوا أن كثرَتَهم هي التي ستنصُرهم مِن دُونِ اللهِ .. وتَعصمُهم من الهزيمةِ .. وكان عددُ المسلمين يَومئذٍ ثلاثةُ أضعافِ أعدائِهم .. إلَّا أنَّها لم تُغنِ عنهم شَيئاً .. فكانَت غفلةً مِنهم دَفَعُوا ضَريبتَها ثمناً باهِظاً .. ليَعْلَموا أنَّ النصرَ مِن عندِ اللهِ؛ فهو سُبحانَه الذي يَنزِّلُ السَّكينَةَ على القلوبِ .. ويُثَبِّتُ الأقدَامَ .. ويُسَدِّدُ الرَّميَ .. ويَنْصُر!

* * * * *

اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ

424- [اتَّخَذُواْ]؛ اليهودُ، [أَحْبَارَهُمْ]؛ عُلماءَهم .. والنَّصارَى، اتخَذُوا [وَرُهْبَانَهُمْ]؛ عُبّادَهم وعلماءَهم [أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ]التوبة:31. وذلك عِندما أطاعُوهم واتَّبَعُوهم في التَّشْرِيعِ، والتَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ بغيرِ سُلطانٍ مِن اللهِ .. فأحَلُّوا لهم ما حَرَّم اللهُ،

وحَرَّمُوا عليهم مَا أحَلَّ اللهُ .. وحَسَّنُوا لهم ما قبَّحَ اللهُ .. وقبَّحُوا لهم ما حَسَّنَ اللهُ .. فأطاعُوهم واتَّبَعُوهم، فاتَّخَذُوهم بذلك أرْبَاباً ومَعْبُودِين مِن دُونِ الله .. وللمتعصِّبَةِ مِن الأمَّةِ لأقوالِ العُلماءِ في الحقِّ والبَّاطِلِ .. فِيما أصَابُوا فيه، وفِيما أخْطَأوا .. حَظٌّ وافِرٌ مِن هذهِ الآيةِ .. فليسَ لليهودِ والنَّصَارَى كُلّ مُرَّةٍ، ولنَا كُلّ حُلْوَة!

425- حظُّ الأمّة من هذه الآية الكريمة:[اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ]التوبة:31. يكمن في التَّعصّب لأقوالِ العلماءِ، ومذاهِبهم، على حسابِ الحق!

* * * * *

وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

426- [يُرِيدُونَ]؛ الكُفَّارُ الظَّلامِيُّون؛ أينما وجِدُوا، وعلى مَدارِ أزمنَتِهم: الماضِي منها، والحاضِرُ، والمسْتقبَلُ، [أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ]؛ دِينَ اللهِ .. وسُمِّي دينُ اللهِ بالنُّورِ؛ لأنه النُّورُ الذي يُبَدِّدُ ظُلَمَ وظَلامَ الكُفْرِ، والشِّركِ، والضَّلالِ .. ويكشفُ الأشياءَ على حَقِيقَتِها .. ويَهدي إلى الحقِّ، والإيمانِ، والصِّراطِ المستقيم؛ الذي لا اعْوِجَاجَ فِيه، [بِأَفْوَاهِهِمْ]؛ تَعبيرٌ عن جميعِ وسائلِ إعلامِهم: المقرُوأة، والمسْمُوعَة، والمرئيَّة؛ التي تَمكرُ الليلَ موصُولاً بالنَّهارِ، والنهارَ موصُولاً بالليلِ، لصَدِّ الناسِ عن دينِ اللهِ، وإطفاءِ ما في قلوبِهم مِن نورِ الحقِّ والهِدَايَةِ، [وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ]؛ يُتِمّ دينَه بيَاناً، ويتمه ظُهوراً وانتشَاراً؛ حتى " لا يَبْقى على ظَهرِ الأرضِ بَيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدْخَلَه اللهُ كَلِمَةَ الإسلامِ؛ بعِزِّ عَزِيزٍ، أو ذُلِّ ذَلِيلٍ "، [وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ]التوبة:32. ذلك؛ فكرهُهم، ومَكْرُهم المتَواصِل ـ مهمَا اشتَدَّ واجتمَعَت له الأسبابُ ـ لن يَقْوَى أن يمنعَ مَشيئةَ اللهِ في أن يُتِمَّ نُورَه.

* * * * *

وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً

427- [وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً]؛ اجتمَعُوا جميعكُم على قِتالِهم، ولا تَختلِفُوا ولا تَفَرَّقُوا، [كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً]التوبة:36. كما يجتمعون جميعَهُم على قتالِكم .. فإذا فرَّقْتُهم العَدَاوات فِيما بينهم، وحَّدَهم وجمعَ صفوفَهم القِتالُ ضِدَّكُم .. فبعضُهم على الإسْلامِ والمسلمين أولياءُ بَعْض!

* * * * *

لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ

428- [قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ]التوبة:53. أي كافِرين .. ولأنَّ الكُفرَ يُحبِطُ العمَلَ .. فَلا يُقبَل معَ الكُفْرِ والشِّرْكِ عَمَل.

* * * * *

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ

429- [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ..]التوبة:60. والمؤلّفةُ قلوبهم فريقان: فريقٌ تطمعُ في دخولِه الإسلام، وفريقٌ تخشى عليه الخروجَ من الإسلام، فكلا الفريقين يجوز أن تؤلّفَ قلوبَهما على الإسلام بالصدقات، والصدقات تشملُ بذلَ كلَّ معروفٍ يساعدُ على تأليفِ قلوبهم على الإسلام، كالتّصدُّق بالمالِ، والإهداءِ، والبرِّ، والمعاملةِ الحسنةِ، وإطعامِ الطَّعام، وأن تسعى في قضاءِ حوائجِهم، وأن تلقاهُم بوجهٍ طَلقٍ، وغير ذلك مما يدخل في معنى الصَّدقات وبذلِ المعروف.

* * * * *

لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

430- [قُلْ أَبِاللهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ]التوبة:65-66. هذه آياتٌ نزَلَت في نفَرٍ قالُوا كَلاماً على وجْهِ التَّهَكُّمِ، والاستِخْفافِ بحقِّ أصحابِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فأنزلَ اللهُ تعالى قولَه:[قُلْ أَبِاللهِ]؛ الذي أثنَى خَيراً على أصحَابِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [وآيَاتِهِ]؛ التي تُثْنِي خَيراً على أصحابِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [وَرَسُولِهِ]؛ الذي أثْنَى خَيراً على أصحابِه، [كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ]؛ تَتَهكَّمُون، وتَسْتَخِفُّون، وتَتَنَدَّرُون؛ فالطَّعنُ بالصَّحَابةِ طَعنٌ بمَن زَكَّاهُم وأثْنَى عليهم خَيراً، [لاَ تَعْتَذِرُواْ]؛ عَمَّا بَدَرَ منكم مِن كلامٍ جَارِحٍ بحقِّ الصَّحابةِ رضي اللهُ عنهم .. فأيّاً كانَ عذرُكم؛ فعذْرُكم مَردُودٌ غير مَقبُول، [قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ]؛ يُفيد مَعنيين: قَد طَرَأ عليكم الكُفرُ والنِّفاقُ، بسببِ استهزائِكُم وتَهكُّمِكُم بأصحابِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، بعدَ أنْ كُنتُم مُؤمنين. والثَّاني قد أظهرتُم كُفركَم ونفَاقَكم، بعد أنْ كُنتم تُظهِرُون الإيمانَ، والأوَّلُ أرجَحُ، واللهُ تعالى أعلم.

* * * * *

نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ

431- [نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ]التوبة:67. كَيْفَما التفَتَّ، وأينَمَا تَوَجَّهْتَ، تَجِد الخرَابَ، والفَسَادَ، والنِّزاعَاتِ، والمجَاعَاتِ، والأَوْبِئَةَ، والأمْراضَ .. وهذا مَردُّه لسَبَبٍ واحِدٍ ـ اعتَرفُوا بذلك أم لم يَعْتَرِفُوا ـ هو البُعْد عنِ اللهِ، [نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ]الحشر:19.

432- [نَسُواْ اللّهَ]؛ نَسُوا حقَّ اللهِ عليهِم؛ وهو أن يَعبدُوه ولَا يُشْرِكُوا به شَيئاً، [فَنَسِيَهُمْ]التوبة:67. فتركَهم لأنفُسِهم يتخبَّطُون، ويَجْهَلُون، ويُفسِدُون .. ويَسيرُون على غيرِ هُدَى ونُورٍ .. فعاقَبَهم مِن جِنْسِ فِعْلِهم.

* * * * *

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

433- [وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]التوبة:72. أعظمُ وأكبرُ نعمةٍ يمنُّ اللهُ تعالى بها على عبادِه المؤمنين يومَ القيامَةِ نِعمةَ الرِّضا؛ فيرضَى عنهم، فلا يَسخطُ عليهم أَبَداً .. أَمَانٌ دائمٌ أَبَداً .. هي نعمةٌ أكبرُ وأعظمُ من الجنَّةِ ذاتِها، ومَا فِيها مِن خَيراتٍ، ونَعيمٍ مُقيمٍ .. كما في الحديث:" فَيَقُولونَ ـ أي أَهْلُ الجنَّةِ ـ: رَبَّنا أعطيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَداً مِنَ العالَمِينَ. فيقولُ: فإنَّ لَكُمْ عِندي أفضلَ مِنْهُ! ـ أي أفضل من الجنَّةِ ونَعيمِها! ـ فَيَقُولون: رَبَّنا وما أفضلُ مِن ذَلكَ؟ فيقولُ: رِضَائِي عَنْكُم؛ فلا أَسْخَطُ عليكُمْ أَبَداً ".

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ

434- [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ]التوبة:73. جهادُ المنافقين في كثير من الأحيان يكون أَشَدّ وأهمّ من جِهادِ الكافِرين، وذلك من أوجه:

منها: من جهةِ غموضِ باطلِ وخطرِ المنافقين، بخلاف الآخرين!

ومنها: مِن جهةِ أن باطلَ المنافقين أسرعُ رواجاً، وأقربُ للتصديقِ، من قبلِ عوام المسلمين، من باطلِ الكافرين!

ومنها: مثَلُ باطلِ المنافقِين، كحريقٍ في داخلِ البيت، بخلافِ الآخرين؛ حريقهم خارج البيت .. فهو ـ من هذا الوجه ـ أشدُّ خطَراً!

ومنها: أن مجاهِدَ المنافقين، أكثر عُرضةً لسِهام النّقدِ والطَّعنِ، والتَّشهِيرِ، مِن قِبل العَوام المغفَّلين، من مجاهِدِ الكافرين .. لذلك كثيرٌ هم الذين يجاهدون الكافرين، ويتهيَّبون من مجاهدةِ المنافقِين .. وقليلٌ هم الذين يجاهدون المنافِقين، ويُغلِظون عليهم!

* * * * *

وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ

435- [يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ]التوبة:74. لكي يَكْفُرَ المرءُ، ويُحْكَم عليه بالكُفْرِ، لا يحتاجُ إلى جَريدةٍ مَليئةٍ بالكُفْرِ .. بل يَكْفِي لكي يُحكَمَ عليه الكُفْرِ، أن تَصْدُرَ منه كلمَةٌ واحِدَةٌ، تَمُّ عن الطَّعْنِ، والاسْتِخْفافِ، باللهِ، وآيَاتِه، ورسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ

436- [وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ]التوبة:81. هذا الوَعِيدُ الشَّديدُ لا يَقْتَصِرُ على مَن يتخلف عنِ الجِهَادِ بذَرِيعةِ الحَرِّ .. بل هو يَطالُ كُلَّ مُتَخَلِّفٍ عن طاعَةٍ، بِذريعَةِ حَرَارَةِ الطَّقْسِ، وبخاصَّة النِّساء اللَّاتي يَتَخَلَّفْنَ عن الحِجَابِ، وارتِدَاءِ الجِلْبَابِ، بمواصَفاتِه الشَّرْعِيَّة، بذَرِيعَةِ حَرارَةِ الطَّقْسِ .. وأن الجوَّ حَارٌّ .. ولهؤلاءِ جميعاً يُقال:[قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ]؛ لو كانُوا يَعلَمُون.

* * * * *

وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ

437- [لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ]التوبة:88. ليسَ خَيراً واحِداً .. أو أَكْثَرَ .. بَل لهم الخَيرَاتُ؛ كُلَّ الخيرَاتِ .. خَيرَاتِ الدُّنْيَا والآخِرَة .. وهذا يَشملُ كلَّ مَن آمَنَ بالرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وجَاهَدَ بمالِهِ ونَفْسِه؛ مَن آمَنَ به في زَمَانِه، ومَن آمَنَ بهِ، وجَاءَ مِن بعْدِه .. لأنَّ الجَّزاءَ على الصِّفَةِ والفِعْلِ، وليسَ على مجرَّدِ الزَّمَن.

* * * * *

مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ

438- [مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ]التوبة:91. أي مِن حَرَجٍ، وطَرِيقٍ لمؤَاخَذَتِهم .. وفيهِ أنَّ المُحْسِنِين ـ عند الكَبَواتِ والعَثَرَاتِ، ومَوْرِدِ المُتَشَابِهات ـ يُتَوَسَّعُ لهم في التَّأْويلِ والأعْذَارِ، وإقَالَةِ العَثَرَاتِ، مَا أَمْكَنَ لِذلكَ سَبِيلاً.

* * * * *

وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ

439- [وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ]؛ هم أصحابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ]؛ اتَّبعوا الصحابَةَ الذين اتَّبَعُوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فلم يحيدُوا عن سُنَّتِهم، وهَدْيهم، وفَهْمِهم لكتَابِ اللهِ، ولسنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. ولم يُقَدِّمُوا فهمَ وتَأويلاتِ الخلَفِ والمتأخِّرين ـ في حال التعارض ـ على فهمِهم، [رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ]؛ رضيَ عن التزامِهم، وفهمِهم، وسَلامَةِ اعتقادِهم، [وَرَضُواْ عَنْهُ]؛ رباً، ومعبوداً، ومَألوهاً .. ورَضُوا عن ثوابِه الجزِيلِ الذي وعدَهم إيَّاه .. وهم مُقابل تحقيقِ المتابعةِ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولما كان عليه الصَّحابة رضي الله عنهم من

فَهمٍ للدِّين، والتزامٍ به .. ومُقابل رِضَاهُم عن اللهِ عزَّ وجل ربّاً ومَعبوداً .. كافأهُم اللهُ:[وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]التوبة:100. والآية فيها أن من يَطعنُ بالصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم، وبالتَّابعين لهم بإحسانٍ ـ وهم كلُّ مَن اتبعهم بإحسانٍ إلى يومِ القِيامةِ ـ فهو يطعنُ بدينِ اللهِ، ويُكذِّبُ بكتابِ الله وآياتِه .. ويردُّ على اللهِ كلامَه .. وهذا لا شَكَّ في كُفْرِه، ومروقِه من الدِّين!

* * * * *

إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

440- [وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ]؛ أقَرُّوا، [بِذُنُوبِهِمْ]؛ بتَقْصِيرِهم وخَطَأهم .. لم يُكَابِرُوا، ولم يُنْكِرُوا .. أو يجَادِلُوا عن خَطأهِم وذُنُوبِهم، [خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً]؛ وهذا حَالُ كَثيرٍ مِن النَّاسِ .. يُحْسِنُون ويُخطِئون .. وهؤلاء أفضلُ بكثيرٍ ممَّن لا يَأتِي إلا بالسَّيئاتِ، أو يَغْلِبُ عليه السَّيئاتِ .. ينبغي أن يُشَجَّعُوا .. وأن يُثْنَى على جانِبِ الخيرِ والصَّلاحِ فِيهم خَيراً .. لا أنْ يُثَبَّطُوا، وتُذْكَرُ سيئاتهم عِند كُلِّ حسَنَةٍ يَقُومُون بِها .. عسَى أن تَقِلَّ وتَضِيقَ مسَاحَةُ السِّيئاتِ لَدَيْهِم .. وهؤلاء:[عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ]؛ فيتَجَاوزُ عن الجَانِبِ الذي أخطَأوا وأَسَاؤوا فِيه، [إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]التوبة:102.

* * * * *

وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

441- أنت في هذه الدنيا مجرّد أجيرٍ مستخدَم، ومُستخلَف ـ لا حريّة ولا حق لك في نفسِك ولا مالِك أن تفعل فيهما ما تشاء ـ واللهُ تعالى ناظرٌ إليك ماذا ستفعل فيما استخدمَك فيه، وفيما استأمنَك واستخلفك عليه:[وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ]التوبة:105.

* * * * *

وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً

442- [وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ]التوبة:107. ونَحْوَ مَسْجِدِ ضِرَارٍ، كُلُّ مَدْرَسَةٍ أو طَاعَةٍ تُنَشَّأُ وتُمَارَسُ على نيَّةِ وقَصْدِ الإضْرَارِ، والتَّفْرِيقِ بين المؤمنين، فلها ولأهْلِها حُكْمُ مَسْجِد ضِرَارٍ .. وبِخَاصَّة أولئك الذين يَطلبُون العِلْمَ والمشْيَخَةَ على نِيَّةِ وقَصْدِ التَّشْوِيشِ على النَّاسِ أمْرَ دِينِهم، والإضْرَارِ بِهم، والتَّفْرِيقِ بينَ المؤمنين .. فهؤلاء مِن حِزْبِ وجمَاعَةِ " مَسْجِد ضِرَارٍ !"

* * * * *

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ ..

443- [أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ]التوبة:109. كما أنَّ البُنيانَ لا يُمكنُ أن يتماسَكَ، ولا أن تقومَ له قائمةٌ ـ وهو سُرعان ما يَتهاوَى ويَنهَار ـ إذا رُفِعَت قوائمُه وطوابِقُه مِن غيرِ أُسسٍ متينةٍ صحيحةٍ ضَارِبَةٍ في أعماقِ الأرْضِ .. كذلك الأعمالُ لا تُقبَلُ، ولا تَتماسَكُ، ولا يمكنُ الانتفاعُ منها إلا إذا أُقِيمَت على دَعائم وأُسُسٍ مَتِينَةٍ من الإيمانِ والتَّوحِيدِ .. والتَّقْوَى والعملِ الصَّالح .. مخافَةً مِن اللهِ، وطَلَباً لِرِضْوانِهِ ومحبَّتِه .. فالتَّوحيدُ هو الأسَاسُ الذي يقومُ عليه البُنيانُ .. والتَّقْوَى، والعملُ الصَّالحُ هي الدَّعائمُ التي تَزيدُ الأسَاسَ متَانَةً وقوَّةً .. أمَّا مَن يأتي يومَ القِيامَةِ بالأعمَالِ الكَثيرةِ مِن غيرِ أُسُسٍ مَتينَةٍ مِن التَّوحِيدِ، والتَّقوَى، والعَمَلِ الصَّالح .. فهَذا مآلُه ومَثَلُه، مَثَلُ:[مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ].

* * * * *

بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ

444- [إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]؛ كل المؤمنين؛ ذُكوراً وإناثاً .. لا يتخلَّفُ عن هذا البيع من المؤمنين أحَدٌ .. فالبيعُ قَد تمَّ، والشَّارِي هو اللهُ تعالى .. اشترَى ما يملِكُه ومَا هو مِن مُلكِه؛ زيادَةً في الفضْلِ، والتَّرغيبِ والتَّشويقِ لمن قَد بَاعَ .. ومَن يجحَدُ هذا البَيع، وهذا الشراء .. ويُريدُ أن يَنقُضَ الصفقَةَ، ويخرجَ مِنها .. أو يريدُ أن يعقدَ صفقةَ البيعِ مرةً ثانيَةً معَ غيرِ اللهِ بعد أن باعَ للهِ .. يخرجُ مباشرةً مِن صِفةِ ومُسَمَّى [الْمُؤْمِنِينَ]، إلى صفةِ ومُسمَّى الكافِرين .. ما هو المبَاعُ، ومَا هو المُشْتَرَى؟ [أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم]؛ وهذا مِن لوازِمِه أن تكونَ حياتُكَ ـ يا عبد الله ـ كلها للهِ .. وأن يكونَ مالُكَ كُلّه للهِ .. فلا يَراكَ اللهُ إلا حيثُ يحبُّ ويَرضَى .. فتكون حيثُ يُريدُ اللهِ مِنكَ أن تكونَ .. ولا تَضَع مالَكَ إلا حيثُ يُحبُّ ويَرضى .. فأنتَ ومالُكَ مملوكان للهِ تعالى، ولا يجوزُ للملوكِ أن يضعَ نفْسَهَ ومالَه، أو أن يتصرَّفَ في شيءٍ مِن نَفْسِه ومالِه إلا حيثُ وفِيما يحبُّ ويَرضَى مالِكُه وخالِقُه .. هذا هو البيعُ .. وهذهِ هي السلعَةُ: النَّفْسُ، والمالُ .. فما هو الثمن؟ [بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ]التوبة:111. ما أعظمَهُ، وأجلَّه، وأرفعه مِن ثمنٍ، وأجْرٍ .. أنْعِم وأكرِم بهِ مِن ثمنٍ عَظِيم .. إنه عطاءُ رب العالمين.

* * * * *

وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ

445- [وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ]التوبة:119. الصِّدقُ عنصرٌ مُرجِّحٌ لتحديدِ المعيَّة؛ فإن وُجِدَ فريقَان، انظر أقربَهُمَا للصِّدقِ، وتَصديقِ الصِّدْقِ، والوَفاءِ بالعُهودِ، فالزَمْهُ .. وكُنْ مَعَه .. فملازَمَتُه مَنجَاةٌ لك في الدُّنيا والآخِرَةِ .. وهذا يَشْملُ الأصحابَ والأصْدِقاءَ؛

فإنَّ الصَّديقَ لا بُدَّ مِن أن يُراعِي عُنصرَ الصِّدْقِ فِيمَن يتخذه صَديقاً .. أمَّا مَن يُعرَف بالكذبِ، وتكذِيبِ الصِّدْقِ، وتَصْدِيقِ الكَذِبِ؛ فيَعتزِلُه، ولا يَتخذه صَديقاً.

* * * * *

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً

446- [وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً]؛ أي إلى الجهَادِ، [فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ]؛ طائفةٌ تغزُو وتُجاهِد، وطائفةٌ تمكثُ وتقْعدُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ [لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ]؛ ليتعَلَّموا الجديدَ من المسائلِ والعِلمِ الذي يَتنزَّلُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ]التوبة:122. وليُعَلِّموا الطائفةَ المجاهدَة ما تَعلَّموه من النبيِّ صلى الله عليه وسلم عندما تَعودُ من الغزوِ والجهادِ .. وفي هذه الآية الكريمة إبطالٌ للقاعِدَةِ المزعُومَةِ الشائعةِ، والتي يتناقَلُها بعضُ المتحَمِّسَةِ " لَا يفتي قاعدٌ لمجاهِدٍ "؛ فهذه قاعدةٌ باطلةٌ، لا أصْلَ لَها، مَردُودٌ عليها بنصُوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ، وفعلِ الصَّحابةِ، والأئمةِ الأربعةِ، وغيرِهم مِن كبارِ أهلِ العِلم.

* * * * *

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ

447- [عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ]التوبة:128. هذه بعضُ صفاتِ سيدنا رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم .. أنْعِم وأكْرِم بها مِن صِفَاتٍ .. ما أنبَلها وأجمَلها وأعظمها مِن صِفات .. فإنَّه صلى الله عليه وسلم يَشتدُّ عليه الألمُ والحزَنُ إذا ما أصابَ المسلمين مَشقَّةٌ أو تَعبٌ .. حريصٌ عليهم أن لا يُصيبُهم أي مكروهٍ في دينِهم، وفي أنفسِهم، ومعاشِهم .. يَسهرُ على راحتِهم، وأمنِهم، وسَعادَتِهم .. ويحيطُهم بالرحمةِ، واللطفِ، والرِّفقِ، والخَيرِ ما أمكنَه لذلك سَبيلاً .. وهو صلى الله عليه وسلم من

هَذا الوجْه أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً .. وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك مَثَلٌ أعْلَى، وقُدوَةٌ حسنةٌ للقادَةِ والأمراءِ مِن بعدِه؛ كيفَ يجبُ عليهم أن يألموا لألمِ الناسِ .. وأن يَعيشُوا حياتَهم وواقِعَهم .. وأن يَقلقُوا لأيِّ أذَى أو ضررٍ ينزلُ بهم، ويعمَلوا جاهدِين على دَفعِه عنْهم .. فالقيادَةُ مسؤوليةٌ وأمانَةٌ .. وليسَت مغنَمَاً، وسَبباً للتَّعالي، والتَّسلُّطِ بالجَبرُوتِ على رقابِ، وأرزاقِ العِباد!

* * * * *

مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ

448- [مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ]يونس:3. أَيَّاً كَانَ هَذا الشَّفِيعُ، سَواءٌ كانَ مِن الأنبياءِ والرُّسُلِ، أو الملائِكَةِ المقرَّبين، أو العُلَماءِ والشُّهدَاءِ .. لا أحَدَ يَستطيعُ أن يَشفعَ يومَ القِيامَةِ مِن تِلقاءِ نَفْسِه إلَّا بَعدَ أن يأذَنَ اللهُ له في أن يَشْفَعَ .. وفِيمَن يَشفَع .. والكَم أو القَدْر الذي يَشفَعُ لهم .. فيحدُّ اللهُ له حَدَّاً ممَّن يُؤذَن له أن يَشفعَ لهم لا يتجاوَزه .. كما لَا يَستطيعُ أحَدٌ أن يَطلبَ الشَّفاعَةَ مِن أحَدٍ، إلَّا بإذنٍ مِن الله .. فالشَّفَاعَةُ كُلُّها للهِ، وبيدِ اللهِ، يمنحُهَا لمن يَشاءُ، وبالقَدْرِ الذي يَشَاء، ويمنعُهَا عمَّن يَشَاء.

* * * * *

قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً

449- [وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا]؛ مَا إن يكشِفَ اللهُ عنهم الشِّدَّةَ، ويَنقَلِبُوا مِن بعدِ العُسْرِ والشِّدَّةِ إلى رخَاءٍ وسَعَةٍ .. بَدَلاً مِن أن يُسرعُوا في الشُّكرِ لله، والدُّخُولِ في عبادَتِه، أن رَفَعَ عنهم الضَّرَّاءَ والشِّدَّةَ .. يُسرعُون إلى ما كانُوا عليه قبلَ الضَّرَّاءِ مِن كُفْرٍ، ومجُونٍ، واستهزاءٍ باللهِ، وآياتِه، وطَعْنٍ في الدِّينِ .. [قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً]يونس:21. أسرَعُ مِنهم في إبطَالِ مَكْرِهم، واستهزَائِهم، وطَعْنِهم .. وإعَادَتِهم ثَانيَةً إلى ما كانُوا عليه مِن الضَّرَّاءِ، والشِّدَّةِ، والعُسْرِ .. عِندَما تكونُ المعركَةُ بين الكافِرين والمؤمنين، قد تكونُ للكافِرين جَوْلاتٌ، وجَوْلات، يَنتَصِرُونَ حِيناً، ويُهزَمُون حِينَا .. أمَّا إذا كانَت معركَتُهم معَ اللهِ تعالى مُبَاشَرَةً .. فاللهُ تعالى لا يُحارَب .. وهو الأسْرَعُ مَكراً، وانتِقَاماً .. والمنتَصِرُ فيها واحِدٌ، وهو اللهُ تعالى.

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم

450- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم]يونس:23. لا يَفْرَحْ بَاغٍ عَادٍ بِظَفْرٍ، فعواقِبُ بَغْيِه سَتَنْقَلِبُ عليه في الدُّنْيَا، غيرَ الذي يُدَّخَر لهُ من العَذابِ في الآخِرَة!

* * * * *

قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ

451- [قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ]يونس:59. ممَّا دَلَّ عليه النَّقلُ والعقلُ أن الكونَ كلَّه ومَا فِيه مِن مخلوقاتٍ وأرزاقٍ .. مخلوقٌ مَرْبُوبٌ للهِ تعالى وحدَه .. فاللهُ تعالى هو الخالِقُ، وهو الذي خَلَقَ .. وهو الرَّازقُ، وهو الذي رَزَقَ .. ومَن كان له الخلْقُ، والمُلْكُ، له الحقُّ وحدَه في أن يحدِّدَ ما هو حَلالٌ، وما هو حَرامٌ .. وأن يقولَ لعبادِه: هذا حَلالٌ، فأحِلُّوه .. وهذا حرامٌ فاجتنِبُوه، وحرِّمُوه .. أمَّا مَن لا يَخلقُ، ولا يملِكُ، ولا يَرزقُ إلا أن يُرزَقَ .. وهو مرْبُوبٌ مخلُوق .. لا يحقُّ له أن يحكمَ على شَيءٍ - مِن تلقاءِ نفْسِه وبغيرِ سلطانٍ مِن اللهِ - لم يخلقْهُ، ولم يملِكْهُ - إلا على وجهِ الاستئمانِ - بأنَّه حلالٌ أو حَرامٌ .. وأن يقولَ للناسِ: هذا حلالٌ فأحِلُّوه .. وهذا حَرامٌ فحرِّمُوه .. ويجعلُ مِن نَفْسِه عليهم رَبَّاً ومُشرِّعَاً!

ولما تجرَّأ فريقٌ من الطغَاةِ - لم يَقتصِرْ وجودُهم على زَمَنٍ دونَ زمَن - على هذا الفِعلِ الشَّنيعِ؛ فزَعمُوا لأنفُسِهم الربوبيَّةَ والألوهيَّةَ .. وأنَّ لهم الحق، في أن يُحلُّوا ويحرِّمُوا ما يَشاؤون .. ومَا على الناسِ إلَّا اتباعُهم وطاعتُهم فِيما يُحلُّون، ويحرمُون .. أنزلَ اللهُ تعالى قولَه فِيهم، تَوبيخاً وتقْريعاً لهم:[قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ]؛ هل استأذَنتُم اللهَ الخالقَ المالِكَ، الذي أنزلَ لكم الرِّزقَ .. فأذِنَ لكم في تحليلِ مَا تُحلُّونَه، وتحريمِ ما تُحرمونَه .. فإن لم يكنْ شيءٌ

مِن ذلك .. واللهُ لم يأذَن لكُم .. فكيفَ تتجرَّؤون على تحليلِ وتَحريمِ مَا لا تَخلقُون ولا تملِكُون .. فتقولُون للناسِ، وبغيرِ سُلطانٍ من اللهِ: هذا حَلالٌ، وهذا حَرامٌ .. [أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ]؛ أم أنَّكم تَكذبُون، فتردُّون تحليلَكُم وتحريمَكُم للأشياءِ إلى اللهِ تعالى كذِباً وزُوراً .. لتضلوا الناسِ باسمِ اللهِ، واللهُ تعالى من ذلك بَرَاء .. فيجتمعُ عليكم وزْرَان: وزرُ تَحليلِ الحرامِ، وتحريمِ الحلالِ .. ووزرُ الكذبِ على اللهِ، ونِسْبَةُ الكَذِبِ إلى الله!

* * * * *

إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ

452- [وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ]؛ أيُّ شَأنٍ مِن شُؤون الدِّينِ والدُّنيَا .. والخطابُ موجهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولأمَّتِه، وللناسِ أجمعين، [وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ]؛ خُصَّت تِلاوةُ القرآنِ الكريم بالذِّكْرِ مِن عمومِ العَمَلِ، و " الشَّأن "؛ لبيانِ فضلِ وشَرفِ التِّلاوَةِ، [وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ]؛ أيَّاً كان هذا العمَل؛ سَواءٌ كان في مجالِ الخيرِ أم الشَّرِّ، وسَواءٌ كان عامَّاً أم خاصَّاً، ومهمَا كان دَقِيقاً أو خَفِيَّاً، [إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً]؛ محيطين بِكم وبأعمالِكم، نراكُم، ومَا تفعلُون، لا يخفَى علينَا مِن شَأنِكُم شَيئاً، [إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ]؛ عندما تخوضُون وتباشِرُون العملَ؛ أيَّاً كانَ هذا العملُ؛ سواءٌ كان العملُ في اتجاهِ الخيرِ أم في اتجاهِ الشَّرِّ .. فنحنُ نعلمُه، ونُبصِره، [وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ]؛ لا يخفَى ولَا يَغيبُ عن اللهِ تعالى شيءٌ مِن خَلْقِه، ولَا مِن أعمالِهم، مهمَا كان هذا الشيءُ دَقيقاً وصَغيراً، وأيَّا كان موقعُه؛ في السَّماءِ أم في الأرضِ، في البرِّ أم في البحرِ، [مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ]؛ حتَّى لو كان هذا الشيءُ بوَزنِ الذَّرَّةِ؛ وهي أصغَرُ جزءٍ من الجِسْم، لَا يمكنُ أن يُرى بالعينِ المجرَّدَةِ .. فاللهُ يعلمُه، ويراه، [فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ]؛ أي أصغَر مِن الذَّرَّةِ؛ وهو ما اكتشفَه العِلمُ مؤخَّراً أنَّ الذَّرةَ على صغرِ حجمِها، يوجدُ ما

هو أصغرُ مِنها، حيثُ أن الذَّرةَ ذَاتها تتكوّنُ مِن جُسيماتٍ دقيقةٍ جِدَّاً من البروتونات، والنيوترونات، [وَلا أَكْبَرَ]؛ من الذَّرَّةِ، [إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ]يونس:61. إلا وهو مدوَّنٌ ومكتوبٌ في الكتابِ الأكبرِ ـ اللوحُ المحفُوظ ـ قبل أن يخلقَ اللهُ الخلقَ بخمسينَ ألفَ سَنَةٍ .. قِمَّةٌ في الضَّبْطِ، والتَّحكُّمِ، والعِلمِ، والإحاطَةِ .. رَبُّ هذه بعضُ صِفاتِه سُبحانه ألَا يَستحِقُّ أن يُعبَد، وأن يُفرَدَ بالعبادَةِ؟! بَلَى .....!

* * * * *

إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً

453- [إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً]يونس:65. لم يَجْعل اللهُ مِنَ العِزَّة شَيئاً لِغَيرِه، تُلتَمَس مِنْه .. فهو سبحانه عَزيزٌ بِذَاتِه، له العِزَّةُ جَمِيعاً .. وما سواه عَزِيزٌ بِهِ لا بِذَاتِه، لا يَمْلِكُ مِن العِزَّةِ شَيئاً إلَّا مَا شَاءَ اللهُ .. ومَن كان يُرِيدُ العِزَّةَ، وسَعَى لها سَعْيَها، فليَطْلُبْها بِطَاعَةِ مَن لَهُ العِزَّةُ جَميعاً.

* * * * *

قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

454- من نِعمِ الله تعالى، وفضلِه، وكمالِ حُجَّته، أن مَنَّ على عبادِه بقرآنَين: قرآنٌ مسطورٌ منزَّلٌ نقرؤه ونتدبّر آياتِه. وقرآنٌ صامتٌ منشورةٌ آياتُه في السماواتِ والأرض، نلحظُها ونتأمّلُها على مدار الوقت، [قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ] يونس:101. أحدُهما يُصدّق الآخر، ويؤكدُ ويدلُّ عليه، إن شَكَكتَ بأحدهما، ناداك الآخر أن انظر في آياتي نظرَ تدبّرٍ وتعقّل، سيَذهبُ عنك ما شَكَكتَ فيه، ويرتدَّ إليك يقينُك، [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ]فصلت:53. أي أن القرآنَ المسطورَ المنزَّل حقٌّ لا ريب فيه.

455- [قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]يونس:101. يَا مَن أكثرتَ مِنَ النَّظَرِ في الأرْضِ، وفي شِعَابِها، ودُرُوبِها، ومَشَاغِلِها .. لَا تَغفَلْ عنِ النَّظرِ إلى السَّماءِ، ومَاذَا في السَّماءِ، ومَاذَا تَنَزَّلَ، ويَتَنَزَّلُ مِن السَّمَاءِ ...؟!

456- هناك كتابٌ مفتوحٌ منشورٌ للجميع، من لا يُحسِن القراءةَ والنظرَ فيه لا يُحسن القراءة والنظر في غيرِه من الكتُب؛ ألا وهو كتابُ السماواتِ والأرض، وما فيهما من آياتٍ باهرات، تدلّ على عظمةِ الخالقِ سبحانه، وأنّه لا إله إلا الله، قال تعالى:[قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]؛ نظرَ اعتبَارٍ، وتدَبُّرٍ، وتأَمُّلٍ، [وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ]يونس:101.

* * * * *

وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ..

457- [وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ]؛ إلَّا اللهُ، فاللهُ تعالى وحده هو الذي يكشفُ الضُّرَّ عَنك .. ولو اجتمعَ الإنسُ والجنُّ على أن يكشفُوا عنكَ ضُرَّاً مِن دُونِ اللهِ تعالى، لَا يَستطيعُون .. وبالتَّالي لا يجوزُ لكَ يا عبدَ اللهِ أن تَلتمِسَ كشْفَ الضُّرِّ مِن غائبٍ، أو ميّتٍ، أو قَبرٍ، فهذا مِن الشّركِ، والمشْركُ هو الذي يَفعلُ ذلك،[وَإِن يُرِدْكَ]؛ اللهُ [بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ]يونس:107. فلو اجتمعَ الإنسُ والجنُّ، وكانَ بعضُهم لبعضٍ ظَهِرِيَّاً على أن يمنَعُوا عنكَ خَيراً كَتبَه اللهُ وأرادَهُ لكَ .. لَا يَقدِرُونَ أن يمنَعُوه عنْكَ .. فالضَّارُّ والنَّافعُ هو اللهُ تَعَالى وحْدَه .. وبالتَّالِي فإنَّ التماسَ النَّفْعِ من غَائبٍ، أو ميّتٍ، أو قَبرِ من الشّركِ، والمشركُ هو مَن يَفعلُ ذلك!

فإن قِيل: فما بالُ الأسبابِ التي يتعَاطَاها النَّاس، ويَنتفعُون بها، كالتماسِ الدَّواءِ، والسَّعي في طلَبِ الخيرِ والرِّزقِ، ودَفعِ الشَّرِّ، وغَيرِها مِن الأمُور ..؟

أقول: السَّعيُ وتَعاطِي الأسباب المتَاحَةِ في دَفْعِ الضُّرِّ، وجَلبِ النَّفعِ .. هذه مَسألَةٌ أُخرَى .. وهي مَشرُوعة .. وأحياناً تكونُ واجِبَةٌ .. على أن يبقَى الاعتقَادُ أنَّ هذه الأسباب والوسائل لَا تَنفعُ، ولا تَضرُّ بذَاتِها .. وإنما اللهُ تعالى هو الذي أودَعَ فيها خاصِيَّةَ الخيرِ أو الضُّرِّ .. إن شاءَ لهذهِ الأسبَابِ والوسَائلِ أن تَعمَلَ عملَها، وتُعطي عطَاءَها، أعطَت وعَمِلَت بإذن رَبِّهَا .. وإن لم يَشَأْ أن تَعملَ عملَها، ولَا تُعطي عطَاءَها، فَلا تُعْطِي عطَاءَها، ولَا تَعمَلُ عملَها المرْجُو .. كَمْ مِن دَوَاءٍ لم يُعطِ عَطاءَه المرجُو .. بَل وأحيَاناً يَزيدُ الدَّاءَ استفْحَالاً، ويكونُ سَبباً في وفاةِ صَاحِبِه .. ليبْقَى القَلْبُ متوكِّلاً على اللهِ، ومُتعلِّقاً بخالِقِه وخالقِ الأسبابِ .. وخَالقِ الدَّاءِ والدَّواء.

* * * * *

وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ

458- [وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ]يونس:107. الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيه .. أن لا أحَدَ يقدرُ أن يردَّ فضْلَ اللهِ عليك، لو أرادَك بفضلٍ أو خَيرٍ .. لو اجتمعَت الإنسُ والجِنُّ، ومعهم الملائكةُ أجمعين على أن يمنعُوا عنكَ خَيراً يُريدُك اللهُ به .. لا يَقدِرُون .. إنَّها لنعمةٌ عظيمةٌ نَسألُ اللهَ تعالى أن يُعرِّفَنَا قَدْرَهَا، وأن يُعينَنا على شُكْرِهَا .. تَصوَّر يا عبدَ اللهِ لو أنَّ مشيئةَ اللهِ تعالى معلَّقةٌ بمشيئةِ أحَدٍ مِن خَلْقِه، لَا يُنجَزُ من مَشيئةِ اللهِ شيءٌ إلَّا بعدَ أن يَشاءَ الآخَرُ .. كم ستكونُ الحسرَةُ، وتكونُ المأساةُ عظيمةٌ على هذا الكونِ كله ومَن فيه .. تأمَّل الراحَةَ النَّفْسيَّة، والاطمئنانَ الذي يَرتدُّ عليك .. وأنتَ تدعُو وتَسأل اللهَ ـ مهما أعظَمتَ في المسْألةِ فليسَ على اللهِ شيءٌ عظيم ـ وأنت تَعْلمُ يقيناً أن لَا أحَدَ يَستطيعُ أن يُحيلَ بين مسألتِك وبينَ اللهِ .. ليسَ بينَك وبينَ اللهِ وسطَاء ولا شُفَعَاء .. ولا بوَّابين تحتاجُ إلى استئذانِهم قبلَ دخُولِك على اللهِ .. للهِ الحمدُ والمنَّةُ والفَضْلُ.

* * * * *

كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ

459- [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ]هود:1. ما مِن مُتشَابَهٍ في القرآن الكريم، إلا وبجوارِه مُحْكَمٌ من القرآن الكريم يُفسِّرُه، وينقلُه من المُتشَابَه إلى المحْكَمِ، ويَصرِف عنه صِفَةَ التَّشَابُه .. فيكون القُرآن الكريم بهذا الاعتبارِ كُلَّه مُحْكَمٌ لا تَشابُه فيه.

المتَشَابَهُ في القرآنِ الكريم أمرٌ نسبي، يختلفُ من شخصٍ لشخص، ومن عالِمٍ لآخَر؛ فما تشَابَه وأشكَلَ معناهُ الرّاجحُ عليك، قد يكون عند غيرِك واضحاً مُحْكَماً .. ثم لو رددْتَ ما تَشابه عليك إلى أهلِ العِلم؛ الذين يعلمون تأويلَ الكِتاب، والمتشابَهَ مِنه، لذَهبَ عنك التَّشابُه والإشكالُ، وأصبحَ المتشابه عليك مُحْكَماً.

* * * * *

مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ..

460- [مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا]؛ من اقتصرَ سَعيُه، وانحصرَت اهتماماتُه في تحصيلِ الدُّنيا ومتاعِها وحَسْب .. وسَعَى لذلك سَعْيَه، وانحصَرَ في ذلك قصْدَه، [نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا]؛ يُعطون في دُنياهم ما سَعَوا إليه، وقَصَدُوه، حتى لو كانُوا كافرين، فالدُّنيا لا تُحجَب عن أحَدٍ؛ فهي معروضة على الجَميعِ، على الكافرين والمؤمنين سَواء، [وَهُمْ فِيهَا]؛ في دُنْيَاهم، [لاَ يُبْخَسُونَ]، لا يُنقَصون ولا يُظلَمون شيئاً مما سَعوا إليه .. فالعطاءُ الدُّنيوي متاحٌ لكلِّ من سَعى له سَعيه، وما كان قَط علامةً على رِضا ومحبَّةِ الخالِق سُبحانه .. [أُوْلَئِكَ الَّذِينَ]؛ انحصرَت مطالِبُهم واهتماماتُهم، ومساعيهم في الدُّنيا، ومتاعِها، وزينتِها وحسب، [لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ]؛ لأن الآخِرَةَ لم تكن من جملة اهتماماتِهم، وحساباتِهم، ولم يَسعوا لها سَعيها، فليس لهم حظٌّ سوى النار، [وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا]؛ في الدُّنيا من عَملٍ صَالح؛ لأنهم لم يكونوا يُريدون من أعمالهم

الصَّالحةِ وجهَ اللهِ، ولا الدَّارَ الآخِرَةِ .. فكافأهم اللهُ على أعمالهم في الدُّنيا، من جِنسِ أعمالهم ومَسْعاهم، فإذا جاء يومُ الآخِرِ، حبطَ وبطلَ ما كانوا يَعملون من عملٍ صَالحٍ؛ لِشِرْكِهِم؛ فالشِّرْكُ يُحبطُ ويبطلُ العملَ، وما كانوا قد عَمِلُوا من عَملٍ صَالحٍ، [وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]هود:15- 16. كما في الحَديثِ الصَّحيحِ الذي أخرجَهُ مسلم:" إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بها في الدُّنْيا ويُجْزَى بها في الآخِرَةِ، وأَمَّا الكافِرُ فيُطْعَمُ بحَسَناتِ ما عَمِلَ بها لِلهِ في الدُّنْيا، حتَّى إذا أفْضَى إلى الآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها ".

* * * * *

أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ

461- [أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ]هود:18. انتَبِهْ أنْ تكونَ مِن الظَّالمين؛ فتَلْعَنُ نَفْسَكَ وأنتَ تَتْلُو القُرآنَ، وأنتَ لَا تَدْرِي!

* * * * *

وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ

462- [وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ]؛ على الدِّينِ وتَبْلِيغِه، [مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ]هود:29. مَا مِن نَبيٍّ إلا وكان يَبتَدئُ قَومَهُ، بقولِه:[لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً]؛ لِيُنزِّه دَعوتَه عنِ الظُّنونِ، وعن المآربِ الدُّنيويّةِ والماديّة .. وهو أَطْهَرُ، وأدْعَى للقبولِ، والاسْتجابَةِ .. والعُلماءُ ورَثَةُ الأنْبيَاءِ في هَذا النَّهْجِ؛ يَنبغي أن يترَفَّعوا عمّا تَرفَّع عنهُ الأنبياءُ، وأن لا يجعلُوا الأجْرَ شَرْطَاً للدَّعْوةِ والتَّبليغ!

* * * * *

فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

463- [فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ]هود:49. لمن يَستبطِئُ النَّصرَ، والفَتْحَ .. ثم بدَت عليه علاماتُ الاستسْلامِ، والركونِ إلى الظَّالمين .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لِمَن تتكالَبُ عليه العِدَى .. وتتَناوشُه سِهامُ الظالمين والمنافقين مِن كلِّ حدَبٍ وصَوْبٍ .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن يَستوحِشُ من الغُربةِ وقلَّةِ الأعْوَانِ والأنصَارِ .. ويَرَى من الناسِ نفُوراً من الحقِّ .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن يستوحشُ طولَ الطَّريقِ .. وتَضعفُ نفْسُه عن المواصَلَةِ وإتمامِ المسيرِ، ومقاومَةِ التَّحدياتِ .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لَمَن أصابتهُ رَهبَةٌ وخَشيةٌ من قوَّةِ الطغاةِ الظالمين وجُندِهم .. وظَنَّ أن لا قائمَةَ للحقِّ وأهلِه .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لَمَن دَاهمتهُ المحنُ والهمُومُ .. وتراكمت عليه البَلايا والخُطُوب .. وظَنَّ أن لا مَنْجَى ولا مخرجَ منها .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لَمَن آلمه ظلمُ الظَّالمين .. ثمَّ لم يجِدْ سَبيلاً ولا مُعيناً للانتصافِ ممَّن ظلمَه .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

* * * * *

وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ

464- [وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ]هود:53. القُوَّةُ التي يَزيدُها اللهُ تعالى بِسَبَبِ الاسْتِغْفَارِ، شَامِلَةٌ

لجميع أنْواعِ القُوَّةِ المادِيَّةِ، والمعْنَوِيَّةِ؛ قُوَّةُ الإيمانِ .. وقُوَّةُ الصَّحَّةِ والجَسَدِ .. وقُوَّةُ العِلْمِ .. وقُوَّةُ المالِ .. والقُوَّةُ العَسْكَرِيَّةِ التي تُعِين على مُواجَهة الأعْدَاءِ.

* * * * *

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى

الملائِكَةُ بين إبراهيم وبين لوط عليهما السلام

465- الملائِكَةُ بين إبراهيم وبين لوط عليهما السلام: لما جاءت الملائكة إبراهيمَ عليه السلام، لم يكن إبراهيم في شدة أو كرب، أو عجلة من أمره، وكان في سعة من الأمن، والأمان، والاطمئنان، والوقت .. لذا أخذ وقتاً ليس بقصير حتى تعرّف على الملائكة، وحتى عرَّفت الملائكة عن نفسها له بأنهم رُسل الله، والمهمَّة التي جاؤوا لأجلها [وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ]؛ وهذه مرحلة السلام، والترحيب بالضيوف، قد استغرقت وقتاً .. [فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ]؛ أي عجل كامل النضج، صغير السن، لحمه طري، مشوي على الرِّضْفِ؛ وهي الحجارة المُحمّاة .. وهذه مرحلة من إعداد الطعام، والعجل الحنيذ لا شك أنها استغرقت وقتاً .. وإلى هنا إبراهيم عليه السلام لا يعرف أن ضيوفه الذين أمامه هم ملائكة الله .. فقدم لهم العجل الحنيذ ليأكلوا [فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ]؛ أي إلى الطعام [نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً]؛ وهذه مرحلة من الحدث أيضاً استغرقت جزءاً من الوقت [قَالُوا لَا تَخَفْ]؛ ومع ذلك فالخوف لا يزال قائماً، ولماذا لا يخاف .. إلى أن جاءه الخبر اليقين المطمئن، والمزيل للخوف كلياً [إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ]هود:69-70. فعلم حينئذٍ أنهم ملائكة، وأنهم مرسلون من الله، فهدأت نفسه، وذهب عنه الرَّوع.

بينما لمَّا جاؤوا لوطاً عليه السلام، كان الموقف مختلفاً؛ كان الموقف عصيباً، وشديداً، ومحرجاً لنبي الله لوط، لا يحتمل هذا التريث والتأخير في الإخبار بأنهم ملائكة مرسلون من الله، [وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ . وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ . قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ . قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ]؛ إلى هنا تصوير للمشهد والحَدَث، ولحجم الكرب، والضيق، والشدة، والحرج الذي نزل بنبي الله لوط عليه السلام .. وهو حجم ضخم بلا ريب .. ولما رأت الملائكة ما رأت، وسمعت ما سمعت .. لم تقل للوطٍ عليه السلام لا تخف .. لا عليك .. أو تنتظر منه الترحيب بهم، وبضيافتهم كما حصل بينهم وبين إبراهم عليه السلام .. لا .. ولا حتى مجرد السلام ورد السلام .. فالمسافة طويلة .. ولوط عليه السلام في كربٍ، وموقف عصيب لا يحتمل التأخير، يحتاج إلى إغاثةٍ عاجلةٍ، وإلى أقل كلمات ـ وأقصر مسافة، وزمن ـ تُدخِل الاطمئنان والأمان إلى قلبه، وتُذهِب عنه الرَّوع، والحرج، وضيق الصدر .. يندفع بها شر قومه .. فقالت الملائكة مباشرة:[يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ]؛ أقل كلمات، بأقل زمن، وأقصر مسافة .. فلما سمع لوط هذه الكلمات .. انتهى الأمر مباشرة، وفي حينه .. أنَّى للأشرار أن يقتربوا منه ومن رُسل الله بسوء .. فذهب عنه الروع والحرج، والضيق كله .. واستبدل كل ذلك بالأمن، والاطمئنان .. ثم بعد ذلك بدأوا يزفّون له مزيداً من البشرى والاطمئنان، والتوجيهات[لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ . فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ]هود:77-81. إلى آخر الآيات الكريمات.

* * * * *

إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ

466- [إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ]هود:102. يَستعجِلُ السُّفهاءُ مِن الكفَّارِ عَذابَ اللهِ .. ويَسألونَ اللهَ نزولَ عِقابِه وانتقامِه بهم؛ ليَتَثبَّتوا ـ بزعمِهم ـ أنَّه الحقُّ، وأنَّ مَا يَدعُو إليه هو الحَقُّ .. فيَظنُّونَ أخْذَ اللهِ كَأخْذِ النَّاسِ بعضِهم بَعضاً .. ويجهلُون أنَّ اللهَ تعالى إذَا أخَذَ يَأخذُ أخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ .. وأنَّ أخْذَهُ أليمٌ شَدِيدٌ .. لا يَقْوَى لأَخْذِه شَيءٌ .. ولا يُماثِلُ أخْذُهُ أخْذَاً .. أخْذُهُ يجعَلُ الدُّولَ، والقُرَى، والدِّيارَ بَلَاقِعَ .. وأثَراً بَعدَ عَينٍ!

* * * * *

إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ

467- [إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ]هود:107. فَعَّالٌ؛ صِيغةُ مُبالغَة تُفيدُ الكثرَةَ والعدَدَ، وتُفيدُ الشدَّةَ، والقوةَ النافذ أمرها، التي لَا يُعجِزُها شيءٌ؛ أي أنَّ اللهَ تعالى كثيرُ الفعلِ لما يُريد، والقَادرُ على فعلِ مَا يُريد؛ ففي وقتٍ واحدٍ قَد يريدُ اللهُ تعالى مِلياراتِ الأشياءِ أن تكونَ في الخلْقِ والوجُود .. فتكونُ ـ مهمَا تَعاظَم شأنُها ـ كما أرادَ وشَاءَ .. وفي الوقتِ الذي شَاءَ .. لا نَتقدَّمُ، ولا نتأخَّرُ ثانيةً واحدَةً.

* * * * *

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ

468- [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ]هود:112. كَما أمرَكَ اللهُ، ورسولُه صلى الله عليه وسلم .. لَا كَما تَرْغَبُ، وتُحِبُّ، وتَهْوَى .. ولا كَما يَأمُرك شَياطِينُ الإنْسِ والجِنِّ!

* * * * *

وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ

469- [وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ]؛ هو المَيْلُ القَلْبِي، ولو كانَ يَسِيراً .. وتَعلُّقُ القَلْبِ بالظَّالمين؛ وأنَّ النَّصرَ لَن يأتي إلَّا مِن خِلاَلِهم، وعَن طَرِيقِهم .. فإنْ فعلتُم ذلك، وتعلَّقَ قَلبُكُم بالكافِرين الظَّالمين، وكان الواجِبُ أن لا يتعلَّق القَلْبُ إلا بخَالِقِه، [فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ]؛ هذا في الآخِرةِ .. أمّا في الدُّنيا؛ [وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء]؛ يَنْصرُونَكُم .. أو يَستطيعُون نَصْرَكُم مِن دُونِ اللهِ، إلَّا مَا شَاءَ اللهُ، [ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ]هود:113. على عَدُوِّكُم .. لأنَّ النَّصرَ كُلَّه مِن عِندِ اللهِ تعالى وحْدَه .. وهَذا لا يتَنَافَى مع الإعْدَادِ، والأخْذِ بالأسْبَابِ.

* * * * *

إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ

470- [إِنَّ الحَسَنَاتِ]؛ الصَّلَواتُ الخَمْسُ، [يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ]هود:114. يَمحينَ السَّيئاتِ وآثارَها، كأنَّها لم تَكُنْ .. ما اجتُنِبَت الكَبَائِرُ، والسَّيئاتُ ذَات العَلاقَةِ بحقُوقِ العِبادِ .. كما في الحديث: " أَرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هلْ يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ؟ قالوا: لا يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ، قالَ: فَذلكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بهِنَّ الخَطَايَا "مسلم. وأثَرُ الصَّلاةِ على السيئاتِ يَقْوَى ويَضْعُفُ، بِحَسْبِ طريقةِ أدَاءِ الصَّلاةِ، فالصَّلاةُ التي تُؤدَّى في وقتِها، وفي جماعَةٍ، ويتَحَقَّقُ فيها الخُشُوعُ، أثَرُهَا على السَّيئاتِ، وعلى إزالَتِها، أعظَمُ وأكبرُ مِن الصَّلاةِ التي لا يَتَحَقَّقُ فِيها ما تَقدَّم ذِكْرُه.

وفي الآيةِ دَلالَةٌ على أنَّ مَن عَظُمَت حَسَناته .. يُتَوَسَّعُ له في العُذْرِ والتَّأويلِ .. عند مَوردِ العَثَرَاتِ، وحُصُولِ الكَبوَات!

471- [إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ]هود:114. مَا أُقْلِعَ عنِ السَّيئاتِ ـ وبخاصَّة إنْ كانَت السّيئاتِ مِن جِهَةِ الشُّبُهَات لا الشَّهَواتِ ـ وكانَت الحَسَنَات بعْدَ السَّيِّئات.

* * * * *

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ

472- غِيَابُ الإصلاحِ والمُصلحين، وارتفاعُ صوتِ المُفسِدين على صوتِ المصلحين، سَبَبٌ في نُزولِ العَذَاب: [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ]هود:117. يَغْلُبُ على أهلِها الإصْلَاحُ .. فَلا يجتمعُ هَلاكٌ بظلمٍ مع إصْلاح.

473- [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ]هود:117. مَوْتُ الصَّالحين، وخُلُو الأرْضِ مِن المُصْلِحين؛ إيذَانٌ في خَرَابِ الأَرْضِ، وهَلَاكِ أهْلِها .. فالمصْلِحُون الذين يَأمرُون بالمعرُوفِ، وينَهَوْن عن المنكَرِ .. ويُصلِحُون ما أفْسَدَ ـ وإذا ما فَسَدَ ـ النَّاسُ .. هُم صَمَّامُ الأمَانِ في الأرْضِ!

* * * * *

وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ

474- [وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ]هود:118-119.

475- [وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ]؛ بأمْرٍ كَوْني؛ كُن فيكُون [أُمَّةً وَاحِدَةً]؛ على الإيمانِ والإسْلامِ، وعلى أتْقَى قلبِ رَجُلٍ .. فهذا أمرٌ هيّنٌ على اللهِ، فالله تعالى لا يُعْجِزُه شيءٌ .. لكن هذا بخلافِ حِكمَتِه سُبحانه من إيجاد الخلْقِ .. لذلك فأهلُ الباطِل،

والدياناتِ الباطِلةِ [وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ] ومتنَازعين ومُتَفرِّقين في الدِّين .. [إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ]؛ إلا المؤمنون المسلمون فيرحمهم الله تعالى من الاختلاف والتنازع والتَّفرقِ في الدِّين .. [وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ]؛ خلقَ أهلَ الباطلِ للفرقَةِ والعَذَابِ .. وخلق أهلَ الإيمان والحنيفية السمحة للرحمةِ والوحدةِ والجماعة والاعتصامِ بحبلِ الله، مَهْمَا اختَلَفَت دِيَارُهم، قلُوبُهم مجتمِعَةً .. فريقٌ إلى السَّعيرِ، وفريقٌ إلى الجنَّةِ، وكل مُيسَّر لما خُلِقَ له، [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ]؛ من الذين اختَلَفُوا وتفرَّقُوا في مِلَلٍ ومذاهب وأديان باطلةٍ، مُغَايرة لِدينِ اللهِ الحقّ الإسلام.

* * * * *

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً

476- [إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً]يوسف:2. لا يَبغضُ العرَبَ، والعربيَّةَ مؤمنٌ صحيحُ الإيمانِ .. وفي الحديث:" أحِبَّ العَرَبَ من قَلبِك ". والمرادُ بالعرَبِ؛ العربُ الذين يتشرَّفُون ويؤمنون بالقرآنِ الكريم .. الذين يَنصرُ اللهُ بهم الدِّينَ .. ومهما تخلَّى العربُ عن القرآنِ الكريم، وابتعدُوا عنه، أذَلَّهم اللهُ، وتفرَّقُوا .. وأصبحُوا ذَيلاً، ومن أطرافِ الأمَم ـ بعد أن كانُوا بالقُرآنِ رأساً، وسادَةً على الأممِ ـ وفقَدُوا خصائصَ، ومقوِّمات عزَّتِهم، ومكانتِهم، وقوَّتِهم!

477- [إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً]يوسف:2. حيثُما وجِدَ الإسلامُ، وُجِدَت معه اللغةُ العربيَّةُ .. وحيثُما وُجِدَ الإقبالُ على القُرآنِ الكريمِ؛ حِفْظاً، وتلاوَةً، ودراسةً، وُجِدَ معه الاهتمَامُ باللُّغَةِ العربيَّةِ .. لا يجتمعُ في قلبِ امرِئٍ حبٌّ للإسلامِ والقُرآنِ الكريمِ .. وبُغضٌ للعربيَّةِ .. فاللغةُ العربيَّةُ ليسَت مجرَّدَ لغَة قومٍ .. وإنما هي لغةٌ عالميَّةٌ .. هي لغةُ القُرآنِ الكرِيم .. ولغَةُ خاتَمِ وسيِّدِ الأنبياءِ والمرسَلين .. ولغَةُ أصحابِه الكِرام رضي الله عنهم أجمَعين .. هي لغَةُ الدِّينِ؛ فمَن رَفَضَها، وعَادَاها فقد رَفَضَ، وعَادَى الدِّينَ!

* * * * *

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ

478- [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ]يوسف:3. أصْدَقَ القَصَصِ، وأجمَلَها، وأمتَعَها، وأَقْوَاهَا، وأنفَعَها .. وما أحوجنا وأبناؤنا إلى أن نعْكِفَ أوَّلاً على قِراءَةِ وتَدبُّرِ قَصَصِ القُرآنِ الكَرِيم، نَستَلْهِمُ منها الحِكَمَ، والعِلمَ، والفَوائدَ، والعِبَر، ونزْدَادُ بها إيمانَاً ويقيناً .. كَمْ هو محزِنٌ ومؤلمٌ أن نرَى أطفالَ المسلمين يَعكفُون على قَصَصٍ مَليئةٍ بالكَذِبِ، والخرَافَات، والفُسُوقِ، والمجُون .. وكثيرٌ منها خيَاليٌّ غير واقِعِي .. بينَمَا تَراهُم

يُعْرِضُون عن قِراءَةِ وتَدَبُّرِ أحسَنِ القَصَصِ؛ قَصَص القُرآنِ الكرِيم .. لا يَعرفُون عنها شَيئاً؟!

* * * * *

وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ

479- [وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ]يوسف:20. مَنْهَجُ الزُّهدِ بالصَّالحِين، والعُلماءِ الربَّانِيين لم يتوقَّفْ عندَ أخوَةِ يُوسُف .. فهو مَنهَجٌ قَائمٌ ومُستَمرٌّ إلى مَا بَعدِ يُوسُف عليه السلام .. فَكَم هؤلاء الذين يَزهدُون بالقُرآنِ، والإقبالِ عليه .. ويَزهدُون بسنَّةِ النبيِّ المصطَفى صلى اللهُ عليه وسلم .. ويَزهدُون بالعلماءِ الربَّانِيين الصّادِقِين .. حتَّى بِتْنَا نَرى القَوْمَ يَستبدِلُون مائةَ عَالِمٍ براقِصَةٍ .. ويحرصُون على الرَّاقِصاتِ الفَاسِقَاتِ أكثَرَ ممَّا يحرصُون على العُلماءِ، وعِلمِهم .. وهؤلاء كُلُّهم على نَهْجِ أُخْوَةِ يُوسُف في الزُّهدِ في الخَيرِ وأهْلِه!

* * * * *

وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ

480- [وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ]؛ أمْرُ اللهِ هو النَّافِذُ في الوجُودِ، لَا رَادَّ، ولَا مُعَقِّبَ لأمْرِه .. وأمْرُ ما سواه لا يَنفذُ منه شيءٌ إلا بإذنِه، ومَشيئتِه؛ فالأمْرُ كُلّه إليه .. ولو اجتمَعَ الأنسُ والجِنُّ على أمْرٍ، وأرادَ اللهُ أمرَاً آخَر فأمْرُ اللهِ تعالى هو الغَالِبُ، وهو النَّافِذُ .. وأمْرُ الإنْسِ والجنِّ هو المغلُوبُ، والمردُود .. ولو غَلَبَ شَياطينُ الإنسِ والجنِّ بعضَ المؤمنين على الوقوعِ في ذَنْبٍ، يَغلبُهم اللهُ تعالى بعَفْوِه، ومَغْفِرتِه، وتَوبَتِه على المؤمنين، ولا يُسْلِمُهم للشَّيَاطِين، [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ]؛ وهم الكُفَّارُ، [لاَ يَعْلَمُونَ]يوسف:21. هذه الحقِيقَة التي لا شَكَّ ولا رَيبَ فِيها!

* * * * *

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ

481- [فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ]؛ فأدخَلَهُ السِّجْنَ، [فَصَرَفَ عَنْهُ]؛ عن يُوسُفَ عليه السَّلام، [كَيْدَهُنَّ]يوسف:34. فصَرَف كَيْدَ النُّسْوَةِ عنه بالسِّجْنِ؛ فجَعَلَ السِّجْنَ حَاجِزاً صَادّاً ومانِعاً لكَيدِ النُّسْوَةِ عن يُوسُف عليه السَّلام .. ومِن أَنْ يَصِلْنَ إليه .. فكانَ السِّجْنُ في ظاهِرِه شَرّاً، وفي باطِنِهِ رحمةً، وخَيراً كَثيراً .. يَنْدَفِعُ به شَرّاً أكبر .. وكم مِن شَرٍّ يكونُ بهذَا المعنى؛ يُقَدِّرُه اللهُ لِيَدْفَعَ به شَرّاً أكبر .. ويُحَقِّق به خَيراً رابِحاً .. وصَاحِبُه لا يَعْلَمُ .. أو قَد لا يَعْلَمُ إلَّا بعدَ حِين!

482- الحسَنَاتُ النَّاجِمَةُ عَن سَجنِ يُوسُف عليه السلام عَديدَةٌ، منها:

1- كانَ السِّجْنُ سَبَباً في صَرفِ كَيدِ النُّسْوةِ عن يُوسُف عليه السلام.

2- كان سَبباً في تبرئتِه ـ أمامَ الملَأ ـ ممَّا رمَتْهُ به امرَأةُ العَزيزِ، مِن زُورٍ وبُهتَانٍ، وإظهَارِ الحقِيقَةِ ...!

3- كان سبباً لدخُولِ يُوسُف عليه السلام على الملِكِ، وتَأويلِ رُؤيَاه ...!

4- كان سبباً في أن أصبحَ يُوسُفُ عليه السلام عَزيزَ مصر، وسَيِّدَ مصر الأول .. إليه يُرَدُّ حُكمُ البِلاد، وإدارَةُ شؤونِها!

5- كان سبباً في إنقاذِ أهلِ مصر، ومَن حولَهَا مِن القُرى، مِن المجَاعَةِ والهَلاكِ ...!

6- كان سبباً لاجتماعِ يُوسف عليه السلام بأبوَيْهِ، وإخْوَتِه، بعدَ فِراقٍ دَامَ عُقُوداً، والإتْيَانِ بِهم إلى مصر ...!

7- كان سبباً في إظهارِ وتحقيقِ تَأويلِ رُؤيا يُوسُف عليه السلام:[إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ]يوسف:4.

كُلُّ هذا الخير، وغيره، ما كانَ سيتَحَقَّقُ لولا السِّجْن وتقدير اللهِ له .. فكم مِن ضَارَّةٍ نَافِعَة .. وكم من شَرٍّ يَعْقُبُه خَيرٌ كثير .. ولو اطَّلعتُم على الغَيْبِ؛ لرضِيتُم بالواقِع، وإنْ كَانَ مُرًّا!

* * * * *

إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ

483- [إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ]؛ ليس الحُكمُ ـ سواءٌ كان كَونيّاً أمْ شَرْعيّاً ـ لأحَدٍ إلَّا للهِ، [أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ]يوسف:40. أَمَرَ أَلاَّ تُطِيعُوا إِلاَّ إِيَّاهُ، في الحُكْمِ والتَّشْرِيع.

* * * * *

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ

484- [وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ]يوسف:53. هذه النَّفسُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ، صديقةُ الشيطانِ، وحليفةٌ له، يمدُّها بحبالِه ووسَاوسِه؛ لتحملَ صاحِبَها على فعلِ مَزيدٍ مِن الخطَايا والسُّوءِ .. وهي أشدُّ ضراوةً على صاحبِها مِن كَيدِ الشيطانِ .. وأحياناً تعملُ مستقلَّةً بمعزلٍ عن الشيطانِ ـ كما في شهرِ رمضان حينما تُصَفَّدُ الشياطينُ ـ تأزُّ صاحبَها أزّاً على فعلِ الخطَايا والمنكراتِ .. وخطُورةُ هذه النفسِ أنَّها كلما مَدَّها صاحِبُها بما تُريدُ شعرَت بالمتْعَةِ المؤقَّتَةِ .. وقالت له هلْ مِن مَزيدٍ .. وهي في صِراعٍ وتَدافُعٍ مُستمرَّيْن مع النفْسِ اللَّوامَةِ .. ولمن تكونُ الغَلَبَةُ منهما يكونُ الإنسانُ؛ فإن غلبَت النفسُ اللَّوامَةُ كان إنساناً صالحاً، وإن غلبَت النفسُ الأَمَّارةِ بالسُّوءِ، كان طالحاً وشريراً.

* * * * *

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

485- كلُّ شيءٍ له بدايةٌ ونهايةٌ .. عَدا العِلمُ؛ له بدايةٌ لكن ليس له نهاية .. فهو بَحرٌ ذو شاطئٍ واحد، لا يُدرَك شاطئهُ الآخَر .. [وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ]يوسف:76. لذا فالإنسانُ مهما كان عالِماً يَظلُّ طالِباً للعِلمِ، ومهما بَلَغَ درجةً من العِلمِ .. يُقالُ له في النهاية:[وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً]الإسراء:85.

* * * * *

فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ

486- [فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ]يوسف:77. فيه تَقريرٌ لمبدأ التَّغَافُلِ، والتَّجَاهُلِ، والتَّعَامِي، والتَّغَاضِي، والتَّغَابِي .. وأن ليسَ كل ما يُعْلَم يُسْتَحْسَنُ أن يُقال!

مِن التَّغَافُلِ ما يَكُونُ إلى حِينٍ، ومِنهُ مَا يكُونُ أَبَدَا.

صَدَقَ القائلُ: ليسَ الذَّكِيُّ بسَيِّدٍ في قَوْمِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِي

* * * * *

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ

487- [قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ]يوسف:86. اللهُ تَعَالى غَيورٌ؛ لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِن اللهِ، ومِن غَيرَتِهِ على عَبدِهِ أن يَراهُ قَد تَعلَّقَ قَلبُه بغَيرِه .. وتوجَّه بحاجَتِه، ومَسْأَلَتِه إلى غَيرِه .. وهو رَبُّهُ، وخَالقُه، ومَالِكُه، والقَادِرُ على أن يجيبَه، ويكشفَ له كَرْبَه .. والبَلاءُ أحيَانَاً يَنزلُ؛ ليُرَى كيفَ سيتعامَلُ العبدُ معَ البَلاءِ؛ هَل سَيَشْكُو اللهَ إلى خَلْقِهِ، وعِبادِه .. أم أنَّه سيَصْبرُ، ويَشْكُو بَلاءَه ومُصَابَه إلى اللهِ وحْدَه ...؟!

وفي الحديث:" مَن تكفَّلَ لي أن لا يَسألَ النَّاسَ شيئًا أَتكفَّلُ لهُ بالجنَّةِ ". لهُ الجنَّةُ للمعنَى المُشَار إليه أعْلَاه.

* * * * *

إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

488- [وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ]يوسف:87. اليَأسُ والقُنُوطُ مِن رحمَةِ اللهِ صِفَةٌ مِن صِفَاتِ الكافِرين؛ لأنَّهم كُفَّارٌ ومُشْرِكُون، فلا يجتمعُ الكُفْرُ والشِّركُ معَ رحمةِ اللهِ .. والرَّجاءِ والأَمَلِ برحمَةِ اللهِ .. لِذا فهم في يَأسٍ وقُنُوطٍ مِنْها .. أمَّا أنتم يا مُؤمنُون، لا يَنبَغِي لكم أن تَتَشَبَّهُوا بِهم، وتَقَعُوا في اليَأسِ والقُنُوطِ مِن رحمةِ اللهِ كَما وقَعُوا؛ لأنَّكم مُؤمنُون، وموحِّدُون، ورحمَةُ اللهِ تُدرِككُم مَهمَا كان مِنْكم مِن عمَلٍ، أو خَطَايَا .. والآيةُ ليسَ فِيها أنَّ اليأسَ كُفْرٌ .. وإنَّما فِيها أنَّ اليَأسَ صِفةٌ لازِمَةٌ ولصِيقَةٌ بالكافِرين .. خَاصَّةٌ بِهم دونَ المؤْمنِين .. لا يجوزُ ولا يَنبَغِي للمؤمنِين أن يقَعُوا فِيها .. أو أن يَتَشَبَّهوا بالكافِرين فِيها.

489- [إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ]يوسف:87. اليأسُ كفرٌ، لأنه يُفيد سوءَ الظَّنِّ بالله، وأنَّ ما نزلَ من بلاءٍ عَصيٌّ على الله كشْفه وصرْفه، فيُفقَدُ معه الأملُ بالله القادِر، ويُلتمَسُ الفَرَجُ، والفُرْقان، وكشْفُ الضرّ من عند غيره، وأنَّى ...!

* * * * *

وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً

490- [وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً]يوسف:100. مَا بين الرُّؤيَا وبينَ تَأويلها أربعُون سَنَةً، وقِيل ثمانُون سَنةً .. فيَا مَن تَسْتَعجِلُ النَّصْرَ .. والظَّفْرَ .. وتَأويلَ الرُّؤيَا .. الصَّبْرَ .. الصَّبْر!

* * * * *

يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

491- [وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ]يوسف:105. الآيَاتُ في السَّمَاوَاتِ والأَرضِ عَدِيدَةٌ جِدّاً مِنها الزَّلَازِلُ، والبرَاكِينُ، والرِّياحُ، والمطَرُ، والثَّلْجُ، والكُسُوفُ، والخُسُوف، وغَيرُها .. الكَافِرُ يَقِفُ عندَ الأسبَابِ الماديَّةِ الظَاهِرَةِ لوجُودِها، ويَردُّ وجُودَهَا للطَّبيعَةِ، ويُعرِضُ عَن الحكمَةِ والغَايَةِ مِنْهَا .. بينما المؤمنُ يَقِفُ على الأسبَابِ المادِيَّةِ الظَّاهِرةِ لوجُودِ الآيَاتِ، ويُؤمنُ بأنَّ اللهَ هو الذي خَلَقَهَا وقدَّرَهَا، لحِكْمَةٍ يُريدُها سُبحَانَه.

492- [وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ]يوسف:105. مَا أكثر الآيَاتِ الكونيَّة الزَّاجِرات المهلِكات التي نزلَت مِن قبل بالظالمين وبقراهم، وتنزلُ اليومَ .. وسَتنزلُ غداً .. ومعَ ذلك يُقابلها الكافرُ الملحدُ بالاستخفَافِ، والإعراضِ .. والتَّهكم .. وعدَمِ الاعتِبارِ .. ويردُّ ما يَراه مِن زواجِرِ الآيَاتِ الكونيَّةِ مِن زلازل، وبراكِين، وعواصِف، ومطَرٍ مدَمِّرٍ .. وفيضاناتٍ .. وحرَائق .. وأدواءٍ .. وغيرها من الآيَاتِ .. إلى الصدْفَةِ، وحركةِ الطبيعَةِ، وإرادةِ الطبيعَةِ .. بعيداً عن إرادَةِ ومشيئةِ اللهِ .. صدَقَ اللهُ العظيم:[وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ]الأنعام:4.

* * * * *

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ

493- [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ]يوسف:106. آمَنُوا بالرُّبُوبِيَّةِ، وأشْرَكُوا في الأُلُوهِيَّةِ .. آمَنوا بأن اللهَ تعالى هو الخالِقُ، وأشرَكُوا في العِبَادَةِ؛ فعَبَدُوا غَيرَه .. صَرَفُوا للهِ النُّسُكَ، والشَّعَائِرَ التَّعبُّدِيَّة، وصَرَفُوا لغيرِه الطَّاعَةَ، والمحبَّةَ، والتَّحاكُمَ .. أولئك هم المشْرِكُون حَقًّا!

494- [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ]يوسف:106. آمَنُوا باللهِ، وآمَنُوا بالطَّاغُوتِ .. فجمَعُوا بين عِبادةِ وطاعَةِ اللهِ، وبينَ عِبادَةِ وطاعَةِ الطَّاغُوت!

* * * * *

قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي

495- [قُلْ]؛ يا مُحَمَّد، [هَـذِهِ سَبِيلِي]؛ طَرِيقِي؛ [أَدْعُو إِلَى اللهِ]؛ إلى الإيمانِ باللهِ، وإلى عِبادَتِه، وتَوحِيدِه، ونَبْذِ الأَنْدَادِ والطَّواغِيت، [عَلَى بَصِيرَةٍ]؛ على بيِّنةٍ ودَليلٍ مِن الكِتَابِ والسُّنَّة، [أَنَاْ]؛ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [وَمَنِ اتَّبَعَنِي]يوسف:108. هذا الوَصْف يَشمَلُ جميعَ مَن آمَن بي، وسَارَ على نَهْجِي، واقْتَفَى سُنَّتِي .. في أيِّ زمانٍ، وأيِّ مَكانٍ .. وإلى أن تَقومَ السّاعَةُ!

* * * * *

أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

496- [أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ]يوسف108. على حُجّة وبيّنةٍ من كِتَابٍ أو سُنَّة.

* * * * *

حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا

497- سنّةُ الله في النّصر، أن يأتي بعد أن يَستبطئه المؤمنون، اختباراً وتمحيصاً لإيمانهم، وصَبرهم، وبعد أن تَستنفدَ الأسبابُ عَطاءاتها .. [حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا]يوسف:110. [مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ]البقرة:214. [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ]محمد:31.

* * * * *

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

498- العِلمُ الذي يتكشَّف للمرءِ بطولِ التَّفكّرِ، والتأمُّلِ، لا يتكشَّف له من خِلالِ قِراءة الكتُب والمجلَّدات، لذا لا بدّ من أن تحملَ نفسكَ ـ يا عبد الله ـ وتدرّبها على قراءَةِ التَّفكّر والتأمّل، كما تحملها على القراءة في الكتب .. وفي القرآن الكريم ورد الحضُّ على التَّفكُّر في مواضع عِدّة، كما في قوله تعالى:[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]الرعد:3. وقال تعالى:[وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ]النحل:44. وقال تعالى:[كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]يونس:24.

* * * * *

حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ

499- [إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ] مِن نِعْمَةٍ إلى نِقْمَةٍ [حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ] الرعد:11. من طَاعةٍ إلى مَعصيةٍ. كذلك الإياب: [إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ] ؛ من نِقْمَةٍ إلى نِعمَةٍ [حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ] من مَعصيةٍ إلى طاعةٍ.

500- [إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ]الرعد:11. لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ مِن ذُلٍّ إلى عِزَّةٍ، ومِن هَزِيمةٍ إلى نَصْرٍ، حتَّى يُغَيِّرُوا مَا بأنْفُسِهم مِن هَوانٍ، ووَهْنٍ، وقُعُودٍ عَنِ الجِّهادِ في سَبيلِ اللهِ .. إلى جِهَادٍ في سبيلِ الله.

501- [إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ]الرعد:11. يَصْلُحُ الاسْتِدْلالُ بالآيةِ الكَريمةِ على الاتِّجاهَيْن: التَّغييرُ مِن النِّعْمَةِ إلى النِّقْمَةِ، ومِنَ النِّقْمَةِ إلى النِّعْمَةِ .. فالآيةُ تحتَمِلُ المعنَيين .. وهو أشْمَلُ وأعَمُّ وأنْفَعُ مِن تَقييدِهَا في اتجاهٍ واحِدٍ فَقَط، ومِن غيرِ دَليلٍ.

* * * * *

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ

502- [فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء]؛ الباطِلُ .. وحُطامُ الدُّنيا .. وكلُّ عمَلٍ أُرِيدَ به الدُّنيا؛ سُرعان ما يَذهبُ، ويَزولُ، ويُنْتَسَى .. فكم مِن مَلِكٍ ذَهَبَ ذِكْرُه، بذهابِ مُلكِه، وكم مِن غنيٍّ كان همُّهُ التَّكاثُرَ وجَمعَ الأموالِ، فذَهبَت بذهابِه، [وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ]، الحقُّ .. التَّوحِيدُ .. والعلمُ النَّافعُ .. والأعمالُ الصالحةِ التي يُرادُ بها الله، واليوم الآخِر، [فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ]الرعد:17. ضَارباً جُذُورَه في الأرضِ .. لا تُؤثِّرُ فيه تَقلُّباتِ الزَّمانِ والمكانِ .. ينتفعُ به صَاحِبُهُ، والنّاسُ .. وتَبقَى مآثِرُه ومحاسِنُه تُذكَر، يُنتفَع بها ما شَاءَ الله .. فالبقاءُ، والقُبولُ، للنافِعِ، والأنْفَع.

* * * * *

سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ

503- [سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ]؛ هذا سلامُ الملائكةِ على المؤمنين، يَدخلُون عليهم مِن كُلِّ بابٍ مِن أبوابِ الجنَّةِ .. يُسَلِّمونَ عليهم، ويُهنئونَهم بالنَّجاةِ والفَوزِ .. فلم يَذْكُرُوهُم بما كان مِنهم مِن طَاعاتٍ كالصَّلاةِ، والصَّومِ، والجهَادِ، وغَيرِها مِن الطَّاعاتِ؛ فلم يَقولُوا لهم سَلاماً عليكم بما صَليتُم، أو بما صُمتُم، أو بما تَصَدَّقتُم، أو بما جاهَدتُم، أو غير ذلك من الطَّاعاتِ .. وإنما خَصُّوهم بوَصْفٍ جامعٍ لجميع معَانِي الخَيرِ والطَّاعاتِ .. وصْفٌ يحبُّه اللهُ تعالى ويَرضَاه، [بِمَا صَبَرْتُمْ]؛ بِمَا صَبَرْتُمْ على البَلاءِ بكلِّ أنواعِه، وعلى التَّكاليفِ، والطَّاعَاتِ؛ فامتثلْتُم الأمْرَ، وانتهيتُم عمَّا نهى اللهُ عنه، بِرِضَى، وقُبولٍ، وتَسْلِيمٍ، مِن دُونِ أدنَى تَعقيبٍ أو مُعارَضَةٍ أو اعتِرَاضٍ، [فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ]الرعد:24. فنِعْمَ العاقِبَةُ والمآلُ الجنَّة، وليسَ النَّار!

* * * * *

لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ

504- [لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ]إبراهيم:7. مِن جِنْسِ النِّعْمَةِ التي تُشْكَر.

505- [لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ]إبراهيم:7. مَا كانَ الشُّكْرُ في شيءٍ إلَّا زَادَه، ومَا نُزِعَ مِن شَيءٍ إلا أَنْقَصَه.

506- مما يزيدُ في النّعم الشُّكر، شكرُ العبدِ لربه المنعم المتفضل عليه بالنّعم، وشكرهُ للمخلوقِ المتسبّبِ له في جلبِ النّعم .. وقوله تعالى:[وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ]إبراهيم:7. يشملُ نوعَي الشكر، شكر العبد لربه صاحب النِّعَم، والمتفضل بها عليه على الحقيقة .. وشكرُ العبدِ للمخلوقِ، الذي تسبّبَ له في جلب النّعم، وشُكره مِن شكرِ الخالِق سبحانه وتعالى، كما في الحديث: "من لا يشكُر الناسَ، لا يشكرُ اللهَ".

507- [لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ]إبراهيم:7. كما أن الشّكر يكون من جنس النِّعمة، كذلك الزّيادة تكون من جنس النّعمة؛ فمن كان عنده فائضُ وقت، فيشكره بالتصدّق به على ذَوي الرّحم، والضَّعف والحاجةِ، والنظر في حوائجِهم، زادَه الله برَكةً في وقتِه، وزاد له في عمره. ومن كان عندَه عِلماً، فيشكرُه ببذلِه لمستحقّيه، ولا يحجبُه عن سَائلِه، زاده الله عِلماً، ومن كان قوياً في بدنه فيشكره بنصرةِ المستضعفين، يزيده الله قوةً في بدنِه، ومن كان من ذوي الشّرَف والمكانة، فيشكرُ هذه النعمةِ بالتواضع، والذلّةِ للمؤمنين، والشَّفاعةِ لهم في الخير، يزيدُه اللهُ شَرَفاً وعزّاً، كذلك يُقال في المالِ، وسائر النّعَم.

* * * * *

أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

508- [أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]إبراهيم:10. استفهامٌ يُفيدُ الإنكارَ والتعجُّبَ، أَبْعَدَ كلِّ هذه الآياتِ الباهِراتِ الكونيَّةِ والسَّمْعيَّةِ المبثوثَةِ مِلْء السَّمعِ والبَصرِ، والدالَّةِ يَقِيناً على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وأنَّه تعالى هو المتفرِّدُ بالخلْقِ، الذي خَلَقَ السماواتِ والأرضِ .. وأنه هو المعبودُ في الوجُود بحقٍّ .. لا تَزالُون يا أيُّها الكفَّار تُجَادِلُونَ وتَشكُّونَ بأنَّ اللهَ حَقٌّ .. أفَلَا تَعْقِلُون؟!

* * * * *

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا

509- [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ]؛ ولأتْبَاعِ الرُّسلِ المؤمنين، [لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا]إبراهيم:13. خيارَان لا ثَالِثَ لهمَا إلا القَتْلُ أو السجْنُ .. إمَّا أن نُخرجكم بالقوَّةِ من أرضِنَا ودولتِنَا، فتهاجرُوا، وتَتِيهوا في الأرضِ، وإمَّا أن تكفرُوا؛ فتَعُودُوا فتَدخلُوا في دِينِنَا، وثَقَافَتِنَا، وعادَاتِنَا، وطَرِيقَةِ حياتِنَا .. وهذا الذي قالَه الكافرُون ليسَ حَديثاً عن مَاضِي الذينَ كَفَرُوا وحَسْب .. بل هو حَديثٌ عِن مَاضِيهم، وحَاضِرِهم، ومُسْتَقْبَلِهِم ـ بصيَغٍ وأَسَاليبَ مُتَعدِّدَةٍ ـ في طَريقَةِ تَعامُلِهم معَ المؤمنين؛ أتْبَاع الرُّسُل!

* * * * *

فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ

510- [فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ]إبراهيم:13. والإهلاكُ يكونُ إما بسَببٍ كونيٍّ؛ كالريحِ، والمطَرِ، والجَدْبِ، والزَّلَازِلِ، والطوفَانِ، والبرَاكِين، والخَسْفِ، وتَسليطِ الأَدْوَاءِ والأَوبِئةِ، وغَيرها .. أو بسببٍ مِن عِندِ الظَّالِمِين؛ فيَضربُ اللهُ الظَّالمين

بالظالمين .. وما أكثرُ الأدلَّةِ من الواقعِ المُشَاهَد، الدَّالَّةِ على هذين النَّوعَين مِن الإهْلاكِ .. وقَليلٌ هم الذين يَعتبرُون، ويتَّعِظُون!

* * * * *

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً

511- [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ]إبراهيم:24-26.

[أَلَمْ تَرَ]؛ دَعوةٌ للنظر بتدبّرٍ، وتَفكُّرٍ، [كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً]؛ للاتعاظِ والاعتبار، [كَلِمَةً طَيِّبَةً]؛ طيبةٌ في ذاتِها، وفي معنَاها، وفي دلالاتِها، وآثارِها .. وعطائها، ونتائجِها .. لا تَطيبُ الحياةُ إلا بها .. هي العاصِمَةُ والمنْجاة .. وهي غايةُ الوجُود، وغايةُ الغَاياتِ؛ ألا وهي كلمةُ التَّوحيد " لا إله إلا الله "، وهي في طِيبها، وجمالِها، وعطائها، [كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ]؛ طيبةٌ في عطائِها، وفي ثمارِها، ومَذَاقِها، ورائحتها، وغذائها .. وظِلِّها، وما تُضفِيه على الطبيعة والوجود من جمالٍ أخَّاذ، [أَصْلُهَا ثَابِتٌ]؛ ضاربةُ الجُّذُورِ في الأرض، والأعماق، لا تُؤثّر فيها الرياحُ والعواصِفُ، مهما اشتدَّت .. كذلك كلمة التَّوحيد " لا إله إلا الله "؛ فهي ضاربةُ الجذُورِ في أعماقِ قلبِ المؤمن، تثبّتُ إيمانَه ويَقينَه .. لا تضرُّه معها الفِتَنُ والمحَن مهما اشتدَّت عليه، [وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء]؛ وكما أن هذه الشجرة فروعها ممتدةٌ في السماءِ على قدرِ امتدادِ جذورها في الأرض .. تمد الوجود بثمارها وعطائها، وجمالها، كما تمد جذورَها الضاربةِ في الأرض بالغذاء، والعطاء .. فهي كما تستمد غذاءها وقوتها من الجذور، كذلك تمد الجذور الضاربة في أعماق الأرض بالقوة والغذاء،

والحياةِ، فالتأثير والعطاء متبادلان بين الجذور والفروع، فكل منهما مؤثر، ويتأثر بالآخر، يأخذ ويعطي .. كذلك كلمةُ التوحيد " لا إله إلا الله "؛ لها فروعها الممتدَّةِ والظاهِرةِ على جوارِح الإنسان، تؤثِّرُ بها وتحملها على الطاعةِ، وتتأثَّر بها فيزدادُ الإيمانُ إيماناً .. فكلٌّ من الظاهِرِ والباطنِ يتأثَّر ويُؤثِّر بالآخر .. والعلاقةُ بينهما متبادلةٌ، زيادة ونُقصاناً، وهو ما يوضّحه حديثُ النبي صلى الله عليه وسلم:" ألا وإنَّ في الجسَدِ مُضغة إذا صلُحَت صَلُحَ الجسدُ كلّه، وإذا فسدت فسدَ الجسَدُ كُله؛ ألا وهي القلب " البخاري. فإذا ازدادَت قوَّةُ " لا إله إلا الله " في القلبِ، ازدادَ صلاحُ وامتثالُ الجوارح الظاهرةِ على الجسَدِ للطاعات، وإذا فسَدت أو ضَعُفَت، فسد وضَعُفَ امتثالُ الجوارح الظاهِرةِ .. كذلك ضعفُ امتثال الفروع الظاهِرة على الجسَدِ، يؤدي إلى ضَعفِ الإيمانِ في القَلبِ؛ فالإيمانُ يَزيدُ وينقصُ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ، ويَنقصُ ويَضعفُ بالمعاصي. [تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا]؛ من خصائص هذه الشجرة الطيبة المباركة أنها ليست موسمية، بل هي دائمةُ العطَاءِ بإذنِ ربها على مدار مواسم السَّنَةِ، وفي كلِّ وقت .. كذلك كلمة التوحيد " لا إله إلا الله "؛ فعطاؤها لا يقتصرُ على زمنٍ دون زمَن، ولا على مكانٍ دونَ مكانِ .. بل عطاؤها لصاحبِها مستمرٌّ على مدارِ الأوقاتِ، وفصولِ السَّنَةِ، وفي كل زمان ومكان .. بها يَميزُ الإيمانُ من الكفرِ والشركِ .. ويَميزُ الخبيثُ من الطَّيبِ .. والحقُّ من الباطلِ .. والمجرم من المصلح .. وتُعرَفُ سُبلُ المجرمين .. فشهادةُ التَّوحيد لصاحِبِها كالكَشَّاف شَديد الإضاءةِ والنُّورِ، يُضيء له في الظُّلمات، يُعَرِّفُه على مواطِن ومخاطِر الأشياءِ، إذْ لولاها لوقعَ في المهالِك والحُفَرِ، وكان كحاطِبِ ليلٍ، [وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]؛ يتفكرون بقيمةِ، وفضلِ، وعظَمَةِ كلمةِ التَّوحيد " لا إله إلا الله "، فيكونُ ذلك لهم سببَ هِداية ورَشَاد.

[وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ]؛ هي كلمةُ الشِّركِ، وكُلُّ كلمةٍ تُعَبِّدُ العَبيدَ للعَبِيدِ، وتضادُّ شهادَةَ التَّوحِيدِ " لا إله إلا الله "، ومَثَلُها في الخُبثِ، والنَّتَانَةِ، والرَّداءَةِ، والقُبْحِ [كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ] خبيثةُ الرَّائحَةِ والطَّعْمِ، والمنظَرِ، والثَّمَرِ، والأثَرِ [اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ]؛ قُلعَت وطُرِحَت فَوقَ الأرضِ؛ لأنها بلا جُذور ممتدَّة في الأرض، تمكِّنُها من الثَّباتِ، ومقاومةِ حركةِ وقوةِ الرِّياح .. كذلك الشِّركُ؛ فهو طارِئ، ومُكتَسبٌ، يتَّسِمُ بالخِفَّةِ، ليس له امتدادٌ عَميقٌ في القَلْبِ والفِطرَةِ، سَهْلُ الاقتِلاعِ، والاسْتِبْدالِ، [مَا لَهَا مِن قَرَارٍ] ثابتٌ في مكانٍ ثابتٍ .. بل تتَقَاذَفُها الرِّياحُ، وتَسفُّها الرِّمَالُ في كلِّ اتجاهٍ .. كذلك الشِّركُ؛ ليس ثَابتاً في صُورةٍ واحدَةٍ، ومحدَّدَةٍ، بل هو مُتعَدِّدُ الصّورِ والأشْكَالِ، قابِلٌ للتَّحْدِيثِ والتَّطويرِ استِمْرارَ كَيدِ شيَاطينِ الإنسِ والجنِّ .. تتَقاذَفُهُ وتتقاسَمُهُ الأهواءُ والرَّغَبَاتُ في اتجَاهَاتٍ عِدَّةٍ، بِحَسْبِ رَغَبَاتِ ومَصالِحِ أصْحَابِه .. فكانَ الرَّجُلُ في الجاهِليَّةِ يَصْنَعُ إلهُ مِن تَمْرٍ، فإذا جَاعَ أكَلَه! وكما قال الصحابي أبو رجاء العطاردي رضي الله عنه:" كُنَّا نَعْبُدُ الحَجَرَ فَإِذَا وجَدْنَا حَجَراً هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الْآخَرَ " .. والمشْرِكُ في الجَّاهِليَّةِ المعَاصِرَةِ، لا يختَلِفُ حَالُه كَثيراً عن حَالِ المشْرِكِ في الجاهِليَّةِ الأُولى!

* * * * *

وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ

512- [وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً]؛ سَاهِياً .. فالسَّهو مهمَا كانَ ضئيلاً ليسَ من صِفَاتِه، وهو لَا يَليقُ به سُبحانَه .. وهو يَتَنَافَى معَ كمالِ وجمالِ أسمائِه الحُسْنَى وصِفَاتِه العُلْيَا .. كما يَتَنافَى معَ مَا يَقتَضِيه الكَونُ مِن ضَبْطٍ وانتِظَامٍ، [عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ]؛ سَواءٌ كان ظلمُهُم مُتَعَلِّقاً بحقِّ اللهِ عليهم، أمْ كانَ ظلمُهُم مُتعلِّقاً بحقُوقِ العِبادِ عليهم .. فاللهُ تعالى عَالِمٌ بهم، وبأعمالِهم، ومحيطٌ بهم، وقَادرٌ عليهم .. وإن قَضَت حِكْمَتُه سُبحانه أن يمهِلَهُم، ويُملِيَ

لهم بالنِّعَم استِدْرَاجاً، ويُؤخِّرَ عِقابَهم، لا تَقْلَقُوا أيُّها المؤمنون، [إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ]؛ عَصيبٍ شَدَيدٍ يُنتصَفُ فيه مِنهم .. في هَذا اليوم؛ لِشِدَّةِ هَولِه، وعذَابِه، [تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ]إبراهيم:42. تَظلُّ أبصَارُهم مُفتَّحَةً مُحدَّقَةً، مَشدُوهَةً، ومَشْدودَةً، لا يَغمَضُ لهم جَفْنٌ مِن هَوْلِ مَا يَرَون، ومَا يَنتَظرهم!

* * * * *

ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ

513- [ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ]؛ أعرِضْ عن الكافِرين؛ الذين رَفَضُوا الإيمانَ، وأعرَضُوا عن الحجَجِ الربَّانيَّة .. ولم يُصغُوا إليها .. أعرِضْ عنهم ودَعْهم وشغْلَهم الشاغِل، وهمَّهُم الأكبر؛ الأكْل، وكيفية تحصيلِه، والتمتُّع بملذَّاتِ الحياةِ الدنيا .. وكأنَّهم لم يُخلَقُوا لغايةٍ إلَّا للأكلِ، والمتَاع، [وَيُلْهِهِمُ] عَن مصيرِهم المحتُوم الذي يتربَّصُ بِهم .. وعن الغَايَةِ التي خُلِقُوا لأجْلِها، [الأَمَلُ]؛ بمزيدٍ من الحياةِ والمتَاع .. والتكَاثُرِ .. فترَى أحدَهم قَد تجاوزَ الستِّينَ والسبعينَ، وهو لا يَزالُ يَضعُ لحياتِه الخطَطَ الخمْسيَّة، والعشْريَّة، ومَا بَعْدها .. وكأنه سيَعيشُ أبَداً .. وقَد لَا يكونُ بينه وبينَ الموتِ أيَّامَاً، وربما سَاعَات، [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ]الحجر:3. سوءَ ما كانُوا فيه منشَغِلين .. وسُوءَ المنقَلَبِ الذي سينْقَلِبون إليه!

* * * * *

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

514- [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]الحجر:9. مِن لوَازِمِ حِفْظِ الذِّكْرِ؛ حِفْظ حَمَلَتِه، وحِفْظ لُغَتِه .. فهما محفُوظَانِ ـ بحِفْظِ الذِّكْرِ ـ إلى يومِ القِيَامَة .. فالقُرآنُ الكَرِيمِ محفُوظٌ وحافِظٌ؛ محفوظٌ مِنَ اللهِ، وهو حَافِظٌ لدِينِ المسْلِمين، وهويَّتِهم، ولُغَتِهم.

515- [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]الحجر:9. مِن أعظَمِ نِعَمِ اللهِ علينا، وعلى أهلِ الأرضِ، أنه تعالى تكفَّل بحفظِ القرآنِ الكريم بنَفْسِه؛ مِن أن يعتريَه الاندِثَارُ، أو التَّحريفُ، أو النَّقصُ، أو الزيادَةُ .. فلم يترُك أمرَ حِفْظِه لِعِبادِه .. وإلا لاعتراه مع الزَّمَنِ، وتَسلّطِ الأهواءِ، ما اعترَى الكُتُبَ السَّماويَّة الأخْرَى مِن الاندِثَار، والتَّحريفِ،

والزِّيَادَةِ، والنقصَانِ .. وكِتَابٌ قَد تكفَّلَ اللهُ تعالى بحفظِه، فَلا ضَيْعَةَ، ولا خَشْيَةَ عليه، مهمَا كادَهُ الكائدُون، وتآمرَ عليه المتآمِرُون!

* * * * *

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ

516- مَا كَانَ للهِ، لا يَقْطَعُهُ الشَّيطَانُ، ولا يَقْدِرُ .. [إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ]الحجر:42.

* * * * *

نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ

517- [نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]؛ لمن أذْنَبَ، ثم أنَابَ، واستَغْفَرَ، وتَابَ، [وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ]الحجر:49-50. لمن أذْنَبَ، ثمَّ أعْرَضَ، ونَأى، وأنِفَ عنِ التَّوبَةِ والاستغْفَار!

* * * * *

وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ

518- [وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ]الحجر:56. لا يَقنَطُ من رحمةِ اللهِ إلَّا الكافرون؛ لأنَّ الكافِرَ ـ إذا ماتَ على كُفْرِه ـ هو الوحيدُ الذي لا تُدرِكُه الرَّحمَةُ .. لِذا فهو يَقْنَطُ مِن رحمةِ اللهِ .. أمَّا المؤمنُ الموحِّدُ مهمَا كان منه مِن عمَلٍ وخَطَايَا .. فالرَّحمةُ تُدركُه .. وبالتَّالي لا يجوزُ له أن يَتَشبَّهَ بالكافِرين، أو يعتقِدَ اعتقادَهم بأنَّ اللهَ لن يَرحمَه .. وهذا معْنَى قد سبَقَت الإشَارَة إليه عِند قولِه تعالى:[وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ].

* * * * *

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ

519- [إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ]الحجر:75 للمتفرِّسين للوجوهِ والأحْوَالِ، فيَخْبُرُونَ حقيقةَ الأشْياءِ، وباطِنَها مِن خِلالِ تَفَرُّسِ ظَاهِرِهَا .. يَكْفِي للدَّلالَةِ على الإيمانِ باللهِ، هذا الفَارقُ الكَبِير بينَ وجُوهِ المؤْمنِين والمؤْمنَاتِ التي يَعْلُوهَا البَهَاءُ والنُّورُ، وبينَ وجُوهِ الكَافِرِين والكَافِرَات التي تَعْلُوهَا الظُّلْمَةُ.

مَهْمَا كانَ الكَافِرُ مِن ذَوِي البِشْرَةِ البيضَاءِ والشَّقْرَاءِ، فإنَّ وجهَهَ تَعْلُوه ظُلْمَةٌ لا تَخفَى على المؤمِنِ المتَفَرِّسِ .. وفي الحديث:" إنَّ للهِ تعالى عبادًا يعرفون الناسَ بالتَّوسُّمِ ". أي بالفراسَةِ.

* * * * *

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ

520- [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ]الحجر:91. فتفرّقُوا فيه فِرَقاً ومَذَاهِباً، فآمَنُوا ببعضِه، وكفَرُوا ببعضِه، أقبلُوا على بعضِه، وأعرضُوا عن بعضِه .. استَسْهَلُوا بعضَهُ، واستَصْعَبُوا بَعضَهُ، فأقبَلُوا على ما اسْتَسْهْلُوه، وأعرَضُوا عَمّا استَصْعَبُوه .. أَقبَلُوا عليه تِلاوةً وتَبَركاً وأعرَضُوا عنه عَمَلاً وتحاكُمًا!

521- [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ]الحجر:91. فآمَنُوا بتلاوَتِه، وكَفَرُوا بالعمَلِ بِهِ، والتَّحَاكُمِ إليه.

522- [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ]الحجر:91. فَرَّقوا بين التِّلَاوةِ والعَمَل .. وبينَ الأحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ، والأحْكَامِ الجِنَائِيَّةِ .. فأخَذُوا بالأوَّلِ، وتَرَكُوا الآخَرَ!

* * * * *

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ

523- [إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ]الحجر:95. تَكَفَّلَ اللهُ تعالى لنبيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بأنَّه سيكفِيه شَرَّ كل مَن يَتعَرَّضُ له بالانتِقَاصِ والاسْتهزَاءِ .. ومِن الكِفَايَةِ الهِدَايَةَ أو الانْتِقَام .. فهذه الآيةُ لا تَقتصِرُ على مَن مَضَى من المستهزِئين .. بل هي تَشملُ مَن مَضَى، ومَا هو آتٍ .. وإلى قِيامِ السَّاعَةِ .. فليَقِر عَيناً .. وأنه تعالى سينتَقِمُ له مِن مُسْتهزِئيه في الدُّنيا قبلَ الآخِرة، بما شَاءَ، وكيفَمَا شَاءَ، ووقتمَا يَشَاءُ .. والواقعُ المشَاهَد دَليلٌ على ذلِك .. فَلا نَعرفُ أحَداً تجرَّأَ على الاسْتهزاءِ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم إلا وطالَهُ نَوعُ عِقَابٍ، وانتِقَامٍ، وتَأدِيبٍ مِن اللهِ تعالى، ولو بَعدَ حِينٍ.

524- الاقترابُ مِن النبيِّ صلى الله عليه وسلم بِسُوءٍ، صُوَرٌ، وأنوَاعٌ، ودَرَجات: مِنها الطَّعْنُ والتَّهَكُّمُ المباشَرُ .. ومِنها التَّهكُّم والاستِخْفَافُ بِسُنَّتِه، ورَدِّهَا تحتَ مَزاعِمِ شَتَّى؛ جامِعُها الجهْلُ والهوَى .. وهؤلاء جميعاً، كُلٌّ بحسبه له حَظٌّ مِن قولِه تعالى:[إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ]الحجر:95.

* * * * *

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ

525- [إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ]الحجر:95. تَكَفَّلَ اللهُ تعالى لنبيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بأنَّه سيكفِيه شَرَّ كل مَن يَتعَرَّضُ له بالانتِقَاصِ والاسْتهزَاءِ .. ومِن الكِفَايَةِ الهِدَايَةَ أو الانْتِقَام .. فهذه الآيةُ لا تَقتصِرُ على مَن مَضَى من المستهزِئين .. بل هي تَشملُ مَن مَضَى، ومَا هو آتٍ .. وإلى قِيامِ السَّاعَةِ .. فليَقِر عَيناً .. وأنه تعالى سينتَقِمُ له مِن مُسْتهزِئيه في الدُّنيا قبلَ الآخِرة، بما شَاءَ، وكيفَمَا شَاءَ، ووقتمَا يَشَاءُ .. والواقعُ المشَاهَد

دَليلٌ على ذلِك .. فَلا نَعرفُ أحَداً تجرَّأَ على الاسْتهزاءِ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم إلا وطالَهُ نَوعُ عِقَابٍ، وانتِقَامٍ، وتَأدِيبٍ مِن اللهِ تعالى، ولو بَعدَ حِينٍ.

526- إذا ضَاقَ صَدرُك بما يَقولُ الكُفَّارُ والمنافِقُون، وبما تَسمَعُ مِنهم مِن أذَى، فافْزَعْ إلى التَّسبِيحِ بِحَمْدِ ربِّك ـ سُبحانَ اللهِ وبِحَمْدِه، سُبحانَ اللهِ العَظِيم ـ وإلى الإكْثَارِ من السّجُودِ؛ يَذهبُ عنك ضِيقُ الصَّدْرِ، كما قال تعالى:[وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ]الحجر:97-98. أي وكُنْ مِنَ العَابِدِين، وخَصَّ من العِبادَةِ السُّجُودِ؛ لِقُربِ السَّاجِدِ وهو سَاجِدٌ مِن رَبِّه.

* * * * *

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

527- [وَاعْبُدْ رَبَّكَ]؛ عِبادَةً دَائمةً متواصِلَةً لا انقطاعَ فِيها، ولا تَوقُّف .. مَهْمَا امتدَّ بِكَ الزَّمَنُ، [حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ]الحجر:99. إلى أن يُدرِكَكَ الموتُ .. فهو الوَقتُ الوَحِيدُ الذي يُسمَحُ لك أن تتوقَّفَ فِيهِ عنِ العِبادَةِ!

* * * * *

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ

528- [أَفَمَن يَخْلُقُ]؛ وهو اللهُ، [كَمَن لاَّ يَخْلُقُ]؛ وهو كُلُّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ اللهِ .. هَلْ يَستويانِ مَثَلاً .. هل تُصرَف العِبادَةُ لمن لا يَخلُقُ، وهو يُخْلَقُ ـ وهو عاجِزٌ عن أن يَخلُقَ شَيئاً ـ كما تُصرَف لمن يَخلُقُ، ولهُ الخلْقُ كُلّه، وهو على كُلِّ شيءٍ قَدير .. وإذا كانَا لا يَستويانِ في الصِّفَاتِ، ولا يُوجَدُ أدْنَى تَشَابُه أو تماثُلٍ بين صِفَاتِ وأفْعَالِ الخالِقِ وصِفَاتِ وأفْعَالِ المخْلُوقِ، فكيفَ يَستويانِ في الحقُّوقِ، [أَفَلا تَذَكَّرُونَ]النحل:17. أفَلَا يكونُ ذلك دَاعِياً لكم لأن تُؤمِنُوا، وتُوحِّدُوا الخالِقَ سُبحَانه، وتُنَزِّهُوه عنِ الشَّرِيكِ؟!

* * * * *

أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ

529- [أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ]النحل:27. كلُّ مَن يُجادِلُ عن الطَّاغُوت .. ويُقاتِلُ ويُخاصِمُ دُونَه .. ويُوالي ويُعادِي فِيه .. سَواءٌ كان هذا الطَّاغُوت صَنَماً مِن حجَرٍ .. أو شجرٍ .. أو بشَرٍ .. أو قَبرٍ .. أو كان نِظاماً جاهليّاً باطلاً .. أو حِزباً .. أو مَنْهجاً باطلاً متَّبعاً .. أو دُسْتوراً وقانُوناً يحلُّ حرَاماً ويُحرِّم حَلالاً .. أو حَاكماً يَزعمُ لنفسِه خاصيَّةَ الحُكمِ والتَّشْريع، والتَّحليلِ والتَّحريمِ مِن دُونِ اللهِ .. فهو ممن سيُوجَّه إليه هذا السؤال التَّقْرِيعي التَّوبِيخي، يومَ القِيامَةِ، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنُون:[أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ]؟! الذين كنتم تُجادِلُون دونَهم، وتَدخلُون في خصُومَاتٍ وعدَاواتٍ مِن أجلِهم .. وأشركتمُوهُم معي فِيما هو خاصٌّ بي، ومِن حَقّي .. أخرجُوهم وأظهرُوهم ـ إن كنتم قادرين ـ لكي يُدافِعُوا ويُجادِلُوا عنكم اليوم .. كما كُنْتُم تُدافعُون وتجادِلُونَ عنهم في الحياةِ الدُّنيا .. وتُعادُون أوليائي مِن أجلِهم .. وأنَّى!

* * * * *

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ

530- الله تعالى لا يَأمرُ ولا يُنَزّلُ إلا خَيراً، فأمرُهُ خيرٌ، ونَهيهُ عن شَرٍّ، الانتهاءُ عنه يُؤدّي إلى خيرٍ، وبهذا يكونُ الأمْرُ والنَّهي خيراً، [وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً]النحل:30. فالتَّنزيلُ كُلُّه وما يَتضمَّنُ من أمرٍ ونَهيٍّ، وإخبَارٍ .. كلُّه خير، ويُؤدّي إلى خَير.

* * * * *

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ

531- [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ]النحل:36. هكذا كانت مَهمَّةُ جَميعِ الأنبياءِ والرُّسلِ معَ أقوَامِهم وأمَمِهم، وهذه هي الغايةُ مِن بَعْثِهم وإرسَالِهم .. وهكذا يجبُ أن تكونَ مَهمَّةُ ورَثتِهم مِن العُلماءِ، والدُّعاةِ إلى الله .. على مَدَارِ العُصُورِ، وإلى أن تَقومَ السَّاعةُ، [أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ]. وأيُّمَا عالِمٍ أو داعِيَةٍ يَنحرِفُ عن هذهِ المهمَّةِ، وهذه الغَايَة .. إلى غَيرِها مِن المهَامِ والغَايات .. يَفْقِدُ مُباشرةً صِفَةَ الدَّاعِيَةِ إلى اللهِ .. وصِفَةَ ورَثَةِ الأنْبِيَاء!

لا يَكْفي أن تَدعُو إلى عبادَةِ اللهِ .. كما لا يَكْفِي أن تَدعُو إلى اجتنَابِ الطَّاغُوتِ، والكُفْرِ به، والبَراءِ مِنه .. وإنَّما يجبُ ـ وحتَّى تكونَ من ورثَةِ الأنبياءِ ـ أن تجمعَ بينَهما مَعَاً في دَعْوَتِك، وجِهَادِك.

532- كثيرٌ من الأنبياءِ قَضَوا نحبَهم، ولم يتمكّنوا من أن يُقيمُوا للإسلامِ دَولةً، فما زحزَحَهم ذلك عن الثَّبات على مبادِئ وقيمِ الإيمان، والمضي في أداءِ مَهَمَّتِهم الأسَاس:[أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ]النحل:36.

* * * * *

فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ

533- [فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]النحل:43. لَمْ يَقُلْ: فقَلِّدُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كنتُم لا تَعلمُون .. كما يحاولُ المتعصّبةُ لأقوالِ ومَذاهِبِ العُلماءِ أن يُفَسِّرُوا الآيةَ الكريمةَ .. وإنَّما المرادُ من الآيةِ الكريمةِ: فاسْأَلُوا أهلَ العِلمِ الذين يَدُلُّوكُم ويَرشُدُوكُم إلى حُكمِ وأدِلَّةِ الكِتابِ، والسُّنَّةِ؛ لأنَّ الحجةَ المُلزِمَةَ في القَولِ المنزَّلِ، وليسَ في القَولِ المأوَّلِ .. في قالَ اللهُ، قالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم .. وليسَ في قَولِ العالِمِ مجرَّداً عن المتابَعةِ لأدلَّةِ الكِتابِ والسُّنَّةِ!

* * * * *

وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ

534- [وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً]، يَعُودُ ـ بعدَ عُمْرٍ طويلٍ ـ كما بَدَأَ؛ يَبُولُ ويَغُوطُ على نفْسِهِ .. يَضعفُ بدَنُه .. ويَضْعُفُ بصَرُه .. وتَضْعُفُ ذاكرتُه ـ ومنهم مَن يَفقِدُها ـ ويَضْعفُ علمُه بالأشياءِ .. والتمييز بينها .. فَيَرِدُّ للدُّنيا مَا أَخَذَ مِنْها .. بَلْ وأضعَافَ ما أَخَذَ مِنها .. ثم يخرجُ مِنها عريَاناً كما أَتَاهَا عرياناً .. [إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ]النحل:70. عالمٌ بكُلِّ شيءٍ، وقَادرٌ عليه.

* * * * *

وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ

535- [يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ]؛ يعرِفُون أن ما هم فيه من النِّعَمِ السَّابِغَاتِ التَّامَّاتِ ـ التي لا تُعَد ولَا تُحصَى ـ هي مِن اللهِ، وبفضلٍ وتَقديرٍ مِن اللهِ، [ثُمَّ يُنكِرُونَهَا

]؛ ثم يجحدُونَها؛ فيكفُرونَ النِّعَمَ، والمُنعِمَ .. ويردُّونَها إلى أنفُسِهم وعزَمَاتِهم .. يردونَها إلى المخلوقِ .. وإلى الأسبَابِ مِن دونِ اللهِ، [وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ]النحل:83. لأنَّ مِن المؤمنين وللأسفِ من يَقعُ في شيءٍ من هذا الخَطأ، عن جَهلٍ، فاستثناهم الله تعالى بقوله:[وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ]؛ ولم يَقُلْ كُلَّهُم .. وفي هذا التعبير القُرآني المخيف، تَحذيرٌ وتَرهيبٌ لهذا الفريقِ الجاهلِ من المؤمنين الذي يَقعُ في شيءٍ من هذا الخَطأ .. مِن أن يتمادَوا في خَطأهم ويُصرُّوا عليه؛ فيُصبحُوا مِن الكافرين!

* * * * *

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ

536- [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ]؛ القُرآنَ الكَرِيم، [تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ]. [لِّكُلِّ شَيْءٍ]، من صيَغ العمُومِ التي تَعمُّ وتشمَلُ كلَّ ما يحتَاجُه الإنسانُ في حيَاتِه الدُّنيا، مِن شؤونِ الدِّينِ والدُّنيا .. فلمْ يحوجَنا هذا الكتابُ العظيم إلى غيرِه؛ إلى قوانين وشرائعَ وضعَهَا الغَرْبُ أو الشَّرقُ .. نحتَكمُ إليها، ونلتَمِسُ فيها الخيرَ، والهُدَى لأنفسِنا، وفي حياتِنَا .. فأبَانَ لنا الحقَّ، ومَا يُؤدي إليه، والبَاطِلَ ومَا يُؤدِّي إليه .. وأبانَ سُبُلَ المجرمين، وفصَّلَ فيها تَفصيلاً واسِعَاً؛ لكي نحذَرَها، ونُحذِّرَ منها، ونبتعدَ عنها .. ومَا مِن خيرٍ يُقرِّبُ إلى اللهِ، وإلى جنَّتِه، وفيه سَعادَتُنا في الدُّنيا والآخِرَةِ، إلا وقد بيَّنَه هذا الكتاب، وحَضَّ عليه، ومَا مِن شرٍّ يُبَعِّدُ عن اللهِ تعالى، ويقرِّبُ إلى النارِ، وفيه شَقاؤنا في الدُّنيا والآخِرة، إلا وقَد بينَه هذا الكتاب، ونَهى عنه، وحَذَّرَنَا منه .. اللهُ تعالى غَيُورٌ؛ لا أحَدَ أغيرَ مِن اللهِ، ومِن غيرَتِه على عِبادِه، أن لا يحوجَهُم إلى غيرِه، وإلى شرعٍ غير شَرْعِه .. [وَهُدًى]؛ من كلِّ زَيغٍ وضَلالٍ .. فمن تمسَّكَ به فلَن يَضِلَّ أبَداً، [وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ]النحل:89. [وَرَحْمَةً .. لِلْمُسْلِمِينَ]؛ لمَا فيه من خَيرٍ، وتلبيةٍ وبيَانٍ لجميعِ ما يحتَاجُون إلى معرفتِه مِن شُؤون الدِّين

والدُّنيا .. فلم يُوقِعْهُم في ذلِّ الحاجَةِ، والطَّلبِ، واستجداءِ القِيَمِ والمفَاهِيمِ مِن الأعدَاء .. [وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ]؛ بالجنَّةِ ونعِيمِها الخالِد الذي لا يَبِيدُ أَبَداً، جَزاءَ تمسُّكِهم بهذا الكِتَابِ، والعَمَلِ بما فِيه.

وفي الآيةِ رَدٌّ على أولئكَ الجَّاحِدين الذين يُحاولُون عَبَثاً أن يَفصُلُوا الإسلامَ عن مَيادِينِ الحياةِ، والحُكمِ، والسِّيَاسَةِ ...!

* * * * *

إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ

537- يقومُ الحكمُ الإسلامي على ركيزتين أساسيتين: الحقُّ، والعدلُ؛ فأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ، من غيرِ إفراطٍ ولا تفريط، وهو الحقُّ الذي ليس بعده إلا الباطل والضلال .. ثم حملَ العبادَ على إنصاف هذه الحقوق من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ؛ وهو العدلُ الذي ليس بعده إلا الظلم والعدوان .. قال تعالى:[وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ]غافر:20. وقال تعالى:[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]النحل:90.

538- [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ] ؛ بالإنصافِ عند الانتصافِ؛ وهو حقّ، [وَالإِحْسَانِ]النحل:90. العَفْو، والصَّفْح؛ وهو فضْلٌ.

539- [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ]النحل:90. بالحقِّ، والفَضْلِ.

* * * * *

وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً

540- [وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً]النحل:92. أَمْثِلَتُه كَثِيرَةٌ، مِنْها: الذي يَرتَدُّ بعدَ إيمانِه، ويُتْبِعُ إيمانَه بالكُفْرِ والشِّرْكِ، فيَحْبُطَ إيمانُه، وعَمَلُه، ويمتنعُ من الانتفاعِ بِه .. ومِنها: الذي يَتَصَدَّقُ على الآخَرِين، ويَبذُلُ لهم المعرُوفَ، ثمَّ يُتْبِعُ مَعرُوفَه وصدقَتَه بالمَنِّ والأذَى .. ومِنها: الذي يَأْتِي بالطَّاعَاتِ على وجْهِ الرِّيَاءِ .. فَلا يَنتفعُ مِن طاعَاتِه في شَيءٍ، بَل وتَنْقَلِبُ عليه سَيِّئات .. ومِنها: الذي يَأتي بالطَّاعاتِ على وجهِ الإخْلاصِ والمتَابَعَةِ .. ثمَّ يَستَغِيبُ النَّاسَ، ويتجسَّسُ على عَوْرَاتِهم، ويُؤْذِيهم في أَنْفُسِهم، وأعْرَاضِهم، وأَمْوَالِهم .. فيُوزِّعُ حسَنَاتِه عليهم إلى أن يَبقَى بلا حَسَناتٍ، وكأَنَّه لم يَفْعَلْ شَيئاً مِن الطّاعَات .. مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ مَن يَكْدَحُ طِيلَةَ نَهارِه، وما يَتَحَصَّل عليه من مَالٍ في آخِرِ يومِهِ يَحْرِمُ نَفْسَهُ وأبنَاءَه مِنْهُ، ويُعطِيه لأعْدائِه، ولمن لا يُحِب .. ومِنها: كُلُّ مَن يَرجعُ أو يَتَرَاجَعُ بَعدَ تَقَدُّمٍ، ويَنْزِلُ بَعدَ صعُودٍ .. وأمثِلَةُ هذا الصِّنْفِ من الناسِ كَثِيرَة!

541- [وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً]النحل:92. هذه امرأَةٌ سَفيهةٌ حمقَاء، كانت تَغزلُ غَزْلَها، وبعد أن تُحْكِمَهُ وتَنتهي منه، تَنقضُه، وتحلُّه مِن جَديدٍ .. وتَعودُ مِن حيثُ بدَأت .. وهكذا كلما أَنْهَت غَزْلَها، وأحكَمَتْهُ، تَعودُ عليه بالكَرِّ والنَّقضِ .. وهي مِثالٌ لكلِّ مَن يبني بناءً جميلاً ثمَّ يعودُ عليه بالهدْمِ والتَّدمِير .. فيهدرُ الطَّاقَاتِ، والأوْقاتِ، والأموالِ، والمواردِ مِن غيرِ طائلٍ ولا فائدةٍ .. ومثَالُه في واقعنا السياسِي الذي يبني دَولةً، ومَرَافقَاً، ومؤسّساتٍ .. ثم يُسلِمُها بإرادتِه لعدوِّه ومُناوئِه ـ باسم الديمقراطيَّةِ والانتخاباتِ الحرَّة! ـ ليعود عليها بالهدْمِ، والتخرِيبِ، والتدميرِ .. فتُصبحُ وكأَنَّها لم تكن قد كانَت!

* * * * *

مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ

542- [مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ]؛ مَا تَدَّخرُونَه، وتُنفقُونَه على أنفُسِكم وشهواتِكم يَفْنَى، ويَزُولُ، ويذهبُ في اتجاهاتٍ عِدَّةٍ، لا يدومُ شيءٌ مِنه لكم، [وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ]النحل:96. ومَا تُنْفقُون مِن أموالِكم وأنفُسِكم في سَبيلِ اللهِ، وتَدَّخرونَه عند اللهِ؛ فهو البَاقي الدَّائمُ؛ الذي يُرْبِيه اللهُ، ويُنميه لكم، وتجدُون نفْعَه أمامكم يومَ القيامَةِ .. والعَاقِلُ من يدَّخِرُ من الفَانِي إلى البَاقي .. ولَمَّا ذَبَحت أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها شَاةً، وقسَّمتها على الجيرانِ، رفَعَت مِنها الذِّرَاعَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ وكانَ أحبَّ الشَّاةِ إليهِ الذِّراعُ، فَلَمَّا جاءَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالت عائشةُ: ما بقي عندَنا منها إلا الذِّراعُ، قال صلى الله عليه وسلم:" كلُّها بَقِيَ إلا الذِّرَاعُ "!

* * * * *

مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً

543- [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً]؛ كلُّ ما يحبُّه اللهُ تَعَالى مِنَ الأقوَالِ والأعمَالِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ، [مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى]؛ فيه أنَّ جَميعَ التَّكَاليف الشَّرْعيَّة ابتدَاءً يُرَادُ بها الذُّكُورُ والإنَاثُ، مَا لم يَرِدْ نصٌّ يخصِّص التَّكليفَ بأحَدِهمَا دُونَ الآخَر، [وَهُوَ مُؤْمِنٌ]؛ لأنَّ الكافِرَ المشْرِكَ لَا ينتفعُ يَومَ القيامَةِ مِن أعمالِه الصَّالحَةِ، [فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً]؛ لا تَعْرِفُ الأمرَاضَ النَّفْسيَّةَ؛ حيَاةً مِلْؤُهَا السَّعَادَة، والقنَاعَة، والرِّضَا، والمعرِفَة .. هذا في الدُّنيا، أما في الآخِرَة:[وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]النحل:97. فيُجْرَى لهم الجزَاءُ، ويَمضي لهم الأجْرُ، على أحسَنِ أعمَالِهم، ويَتجاوَزُ اللهُ عن رَدِيئها .. وأحسَنُ الأعمَالِ هي التي يَتَحَقَّق فيها شَرْطَا القبُول: المتَابَعَةُ، والإخْلاصُ.

544- [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً]؛ هو كلُّ عملٍ يتحقَّقُ فيه شَرْطَان: الموافقَةُ للكتابِ والسُّنَّةِ، والإخْلاصِ، ويَشملُ جميعَ حركَةٍ وأعمَالِ الإنسانِ الظَّاهِرَةِ والباطِنةِ، التي يحبُّها اللهُ تعالى ويَرْضَاها، [مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى]؛ فكما أن الذكُورَ مُطالَبُون بالعمَلِ الصَّالحِ، وبالتكاليفِ الشَّرعيَّةِ، كذلك الإنَاثُ .. فالدِّين لم يُنزَّل لأحدِهما دُونَ الآخَرِ، [وَهُوَ مُؤْمِنٌ]؛ مسلمٌ موحِّدٌ لا يُشركُ باللهِ شَيئاً؛ لأنَّ المشركَ الكافرَ إن عملَ عملاً صالحاً يَنتفعُ به في الدُّنيا دُونَ الآخِرَةِ، فالشركُ يُحبطُ العمَلَ، ويُبطلُه .. فَمَن كانَ بهذا الوَصْفِ الآنِفِ الذِّكْرِ، [فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً]؛ في الحياةِ الدُّنيا؛ فيعيشُ السَّعَادَةَ، وطِيبَ النَّفْس، وانشراحَ الصَّدْرِ، واطمئنانَ القَلبِ، والقنَاعَةَ بالحلالِ ـ وإن قَلَّ ـ والرِّضَا عن اللهِ، والرِّضَا بقضائِه وقدَرِه .. وأن يعيشَ بقَلْبٍ سَليمٍ مِن الأحقَادِ، والحسَدِ، والكآبَةِ، والأمرَاضِ .. ولَا يجوزُ أن يُفهَم مِن قوله:[فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً]؛ خُلُو حيَاتِه في الدُّنيا مِن البَلاءِ ـ كما يُتَصَوَّرُ للبَعْضِ! ـ فهذا الفهمُ خاطِئٌ، وهو مخالفٌ ومناقِضٌ لأدِلَّةِ النقْلِ، والعَقْلِ، والواقعِ المشَاهَدِ، وبخلافِ ما فُطِرَت عليه الدُّنيا، [وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]النحل:97. في الآخِرَةِ فقط بعدَ أن يُدْخِلَ اللهُ المؤمنين الجنَّةَ، ويجزيهم على أعمالِهم الحسنَةِ بما هو أحسَن مِنها؛ يجزيهم الجنَّةَ ونعيمَهَا الدائم المقِيم التي فيها مَالا عينٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سمعَت، ولا خَطرَ على قلبِ بشَرٍ .. في الدَّارِ الآخِرةِ ـ في الجنَّةِ ـ هناك وحَسْب تخلُو الحيَاةُ من البَلاءِ، والمصائِبِ، والمكدِّرات .. والتَّكاليف.

* * * * *

إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ

545- [مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ]النحل:106. الإكراهُ يُبرِّرُ قَولَ الكُفْرِ، لا اعتِقَادَ الكُفْرِ .. مجرَى الكُفْرِ على اللسانِ، لا يجوزُ أن يَصِلَ منه شيءٌ إلى القلْبِ؛ لأنَّ الإكراهَ سُلطانُه على الجوارِحِ الظَّاهرةِ لا البَاطِنَةِ

.. فجازَ دَفْعه بظاهِرِ القولِ عَن ظَاهِرِ البَدنِ، بالقَدْرِ الذي يَندَفِعُ به الإكراهُ، والضَّرَرُ النَّاجِمُ عنه، من غيرِ زِيادَةٍ ولا تَوسّعٍ؛ فإذَا كانَت كلمةُ كُفْرٍ واحِدةٍ تَدفعُ عنه الإكرَاهَ .. لا يجوزُ له حِينئذٍ أن يتطوَّعَ فيزيدُ فيقُول عَشْرَ كلماتٍ أو أكثر .. ثم بعَد ذلك يَعتذرُ لكُفْرِه بالإكراه!

* * * * *

ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

546- [ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ]؛ لَا يكفي أن تكونَ على حقٍّ .. وأن تُراهنَ على الحقِّ الذي أنت عليه، لكي يستجيبَ إلناسُ إليك، وإلى ما تدعُوهم إليه .. إذْ لا بدَّ لك وأنت تدعُو الناسَ إلى الحقِّ؛ إلى دينِ الله الإسلامِ من أن تتوخَّى وتلتزمَ الحِكْمَةَ في دعوتِك؛ وهي الاستدلالُ بالقرآنِ، والسُّنَّةِ .. لشمولِهمَا على كمالِ، وجميع معاني الحُجَّةِ والحِكْمةِ، [وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ]؛ وهي الاستدلالُ على الحقِّ بالعِبَرِ وبما أودَعَ اللهُ تعالى من آياتٍ باهراتٍ في الكونِ، وفي النَّفْس البشريَّةِ، وسَائرِ المخلُوقاتِ .. وما حصَلَ للأمَمِ المكذِّبةِ الظالمةِ مِن هلاكٍ ودمَارٍ، [وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]النحل:125. وهي مواجهةُ الكلمةِ بكلمةٍ أحسَن، والحُجَّة بحجَّةٍ أحسَن، وأبلَغ .. والشُّبهة بالدليلِ القاطع الحاسِمِ الذي يقرُّه النقْلُ والعَقْلُ .. من غيرِ تهجُّمٍ أو بذاءَةٍ أو فُحْشٍ في القولِ .. فإنَّه أدْعَى للقُبُولِ، ولأن يُصْغُوا إليك، وإلى مَا تَدعُوهم إليه.

* * * * *

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

547- [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ]الإسراء:9. هَذَا القُرأنُ يَهْدِي للتي هي أَحْسَنُ، وأعْدَلُ، وأصْوَبُ في كلِّ شيءٍ، وفي جميعِ مَجالاتِ الحيَاةِ الدِّينيَّةِ، والدنْيويَّةِ .. ومَن يَنْشُدُ الهِدايَةَ عن غَيرِ طَريقِ القُرآنِ الكريم فقَد ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً.

* * * * *

وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ

548- [وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ]؛ كثيرٌ من النَّاس، وبخاصَّة الكفارُ الملحدُون يتجرَّأون على اللهِ تعالى بارتكابِ المعاصِي، وبالطعنِ والاستهزاءِ، وبالاعتداءِ على كتابِه؛ ثم يَسألُون عن انتقامِ اللهِ لهم .. فيَدعُون على أنفُسِهم بالشرِّ، ويتمنَّون لأنفُسِهم الشرَّ، وأن يتنزَّلَ بهم الشرَّ، مِن قَبيلِ التَّشكِيك بقدرةِ اللهِ تعالى، وبوجودِه، [وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً]الإسراء:11. يستعجلُ الشرَّ لنفْسِه كما يستعجلُ الخيرَ .. وفاتَ هؤلاء الملحِدُون الجاهِلُون أن اللهَ تعالى لا يُجرَّب ولا يُختبَر .. وإنما يَفعلُ اللهُ ما يشاءُ، وقتَمَا يَشاءُ .. وفقَ حكمتِه وتقديرِه سُبحانه .. فإذا أرادَ اللهُ بهم شَرَّاً لا يَستقْدِمُ ولا يَسْتَأخِرُ ثانيةً واحدَة!

* * * * *

كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً

549- إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون .. هُناكَ الموعِدُ، وهناك المُلتَقَى؛ يومَ تَبيَضُّ وجوهٌ، وتَسوَدُّ وجُوهٌ .. يومَ تَطايرُ القلوبُ مع تَطايرِ الصُّحُف؛ الدَّالّة على فوزِك أو رسُوبِك .. فيُقال لك: [اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً]الإسراء:14. لا يَغيبنَّ ذلك عن ذِهْنِك يا ابنَ آدَم، وأنتَ مُنغمسٌ في دُنياك، ومتَاعِهَا!

* * * * *

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً

550- [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً]الإسراء:15. فيهِ أنَّ اللهَ تعالى لا يُعَذِّبُ أحَداً يومَ القيامَةِ إلا مَن قامَت عليه الحُجَّةُ من جِهَةِ بَلاغِ ونَذَارَةِ الرُّسُلِ .. أمَّا مَن ماتَ ولم تَبْلَغْهُ نذَارَةُ الرُّسُلِ، ولمْ يَسمَعْ برسُولِ زَمَانِه، ولم تَبْلُغْهُ دَعْوَتُه .. فهذَا له حُكْمُ أهْلِ الفَتْرَةِ، الذين مَاتُوا ولمْ يُبْعَث فِيهم رَسُول، ولم تَبلغْهُم نذَارَةُ مَن قَبْلَهُم مِن الرُّسُلِ .. وهؤلاءِ يُؤمَرُون يومَ القِيامَةِ بدخُولِ نَارِ جَهنَّم؛ فمَن أجَابَ وأطَاعَ، نَجا ودَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن أبَى وعَصَا، دَخَلَ النَّارَ .. وكُلٌّ مِنْهم يُلْهَمُ الخِيَارَ الذي كانَ سيَخْتَارهُ في الدُّنْيَا لو بَلَغَتْهُ نَذَارَةُ الرُّسُلِ .. بِحَسْبِ عِلمِ اللهِ فِيهِ.

* * * * *

وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

551- من العلاماتِ المبكّرة المؤذِنَة بزوال القُرى وهلاكها، تسلّط وتأمّر الأشرار المترفين فيها؛ فيُؤمَرون بالطّاعة لله ولرسولِه صلى الله عليه وسلم، فيأبون إلا الفسوق، والعصيان، والظلم، كما قال تعالى:[وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً]الإسراء:16. وقال تعالى:[وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا]الكهف:59. وقال تعالى: [وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ]القصص:59. وقال تعالى:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ] أردنا أن نهلكها [أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا]الأنعام:123. ليظلموا ويفسقوا فيها.

* * * * *

وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً

552- [وَقَضَى رَبُّكَ]؛ حَكَمَ رَبُّكَ، وأَمَرَ، وأَوْجَبَ [أَلَّا تَعْبُدُواْ]؛ أن لا تَعبدُوا أحَداً، ولا شَيئاً، [إِلَّا]؛ أداةُ استثناءٍ بعدَ نَفْيٍ؛ تُفيدُ الحصْرَ والقَصْرَ، [إِيَّاهُ]الإسراء:23. إلَّا اللهُ؛ فهو المعبُودُ بحقٍّ، الذي يجبُ أن تَصرِفَ له جميعَ أنواعِ العِبَادَاتِ؛ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ .. لا مَعْبُودَ في الوجُودِ بحقٍّ سِوَاه.

553- [وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً]الإسراء:23. لِعَظِيمِ حَقِّ الوالِدَين قَرَنَه اللهُ تعالى مع حَقِّهِ على العِبَادِ؛ وهو أن يَعبُدُوه ولا يُشرِكُوا به شَيئاً .. وأنتَ يا ابنَ آدَم إن أردتَ سَعادَةَ الدَّارَين، وكُنتَ حَرِيصاً عليها بحقٍّ، فاطلُبْهَا ـ حَصْراً ـ برضَا اللهِ، ورِضَا الوالِدَين .. وليسَ وراءَ ذَلك ـ مَهْمَا حَاوَلْتَ .. وشَرَّقتَ وغَرَّبْتَ ـ إلَّا الشَّقَاء في الدَّارَين؛ دَارُ الدُّنيَا، ودَارُ الآخِرَةِ.

* * * * *

فَلاَ تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا

554- [فَلاَ تَقُل لَهُمَا أُفٍّ]الإسراء:23. لا تَتَقذَّرْهُمَا، ولا تَتَضَجَّرْ منهما إن صَدَرَت مِنْهُما أو مِن أحَدِهِمَا رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ، أو وجَدتَ مِنهما مَا يُؤذِيكَ، فيَحْمِلُك ذلك على القَولِ لهما " أُفٍّ "! قال محمد بن عبدِ السّلام في كِتَابِه مُوجب دار السّلام:" قال الأصمعي: الأفُّ، وسَخُ الأذُن. والتُّفُّ، وسخُ الأظْفَار. يُقال ذلك عند استِقْذَارِ الشيء، ثم كَثُر حتى استعمَلُوه عند كلِّ ما يتأذَّون به.

قال الزَّجّاج: معناه النَّتن، وهذا قول مجاهد، لأن معنى قوله [فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ]؛ أي لا تتقذَّرهُما كما أنهما لم يتقذَّراك حين كنت تخرأ وتبُول، وفي رواية أخرَى عن مجاهد: إذا وجدت منهما رائحةً تُؤذيك، فلا تَقُل لهما:" أُفٍّ ".

[وَلاَ تَنْهَرْهُمَا]الإسراء:23. أي إذا أخطآ وأذنَبا، وإنما يكون النّهي ـ إن كان ولا بُدّ منه ـ بتمامِ اللطفِ والرّفقِ، واللين والحِكمَةِ .. وهو المراد من قولِه تعالى: [وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً].

* * * * *

فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً

555- [فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً]الإسراء:25. هم كثيرُوا وسَريعُوا الأَوْبَةِ والتَّوبَةِ، والرُّجُوعِ إلى اللهِ .. وهَذا مِن مُقْتَضَاه تِكرارُ الذَّنبِ مِنهم ضَعْفاً من غيرِ اسْتِهانةٍ!

* * * * *

وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ

556- [وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ]؛ أي خَشيةَ الفَقْرِ، والجوعِ .. وخَشْيَةَ النَّقصِ في مواردِ الأرضِ، وتحت زعمِ أن ناتجَ الأرضِ لم يعُدْ يكفِي لعدَدِ سكانِها .. وغيرها مِن المزاعِم الكاذِبةِ .. وقتل الأولادِ في زماننا خشيةَ الفَقرِ يأخذُ صوراً عِدَّة، لم يَقتصِرْ على صورةِ الوأدِ القديمةِ، والقَتْلِ المباشرِ العمْدِ، يَبتدئ باستعمالِ موانعِ وخوانِقِ الحملِ العديدَةِ، والمتنوِّعةِ، بحجةِ تَحسين المستوى المعيشِي للعائلةِ .. وينَتهي باللجوءِ إلى الفيروساتِ المعْديَةِ، والقاتلةِ كفيروس كورُونا، وغيره، وافتعالِ الحروبِ الشيطانيَّةِ الباطلةِ .. لتقليلِ عدد سكان الأرض، كما يزعمون، ويريدون .. وقد باتَ كَثيرٌ مِن السُّفهاءِ يملكُون قنابِلَ نوويةَ مُدمِّرة للأرضِ، ومَا عليها، [نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ]؛ الله

تعالى هو الذي خلقَ الخَلْقَ، وهو الذي تكفَّلَ برزقِ مَن خَلَقَ .. ومَن تكفَّل الله تعالى برزقِه فلا خوفَ ولا ضَيعةَ عليه .. وأيما فَقْرٍ في أي بقعَةٍ مِن بقاعِ الأرضِ، مردُّه إلى طمَعٍ، وجشَعٍ، وأنانيَّةٍ، وظُلمِ الإنْسانِ .. أو لتقصيرٍ في السَّعي، والضَّربِ في الأرْضِ، والأخْذِ بالأسبابِ .. وليسَ إلى نقصٍ في مواردِ الأرضِ، [إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً]الإسراء:31. ذنباً عظيماً، مِن كبائرِ الذنُوبِ والمعاصِي .. لا يَنبغِي أن تُقْدِمُوا عليه!

* * * * *

وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ

557- [وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ]؛ يَشملُ نَوعين من القَتْلِ: قَتْلُ المرْءِ لنَفْسِه بنفْسِه؛ بأيِّ وسِيلةٍ من الوسَائِل، ولأيِّ غَرَضٍ من الأَغْرَاض؛ وهو مَا يُسَمَّى بالانتِحَار .. وقَتْلُ المرْءِ لغَيرِه، [إِلا بِالحَقِّ]الإسراء:33. إلا ما كان على وجْهِ القِصَاصِ والقَوْدِ، ولحَدٍّ من حُدُودِ الله.

* * * * *

وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً

558- [وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً]الإسراء:34. أَوْكَدُ العُهُودِ وفَاءً، وأوجَبُهَا بالوَفَاءِ، المبادِئُ التي تَعتَنِقُها، وتَعِيشُ مِن أجْلِها .. فَلَا تَصْدُقُهَا في مَواضِعٍ .. وتَخُونُها وتَكْذِبُها في مَواضِعٍ ابتغَاءَ عَرَضٍ مِن الدُّنْيَا .. وبحَسْبِ مَا تَتَدَلَّى لك المصالحُ الشَّخْصِيَّة!

الوَفَاءُ للمَبَادِئِ السَّامِيَةِ، والقِيمِ العُلْيَا، شَدِيدُ الكُلْفَةِ والتَّبِعَاتِ .. قَلِيْلٌ مَن يَصْبِرُ عَلَيهَا!

* * * * *

إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً

559- [إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً]الإسراء:36. مَسْؤولٌ عَن الصَّادِرِ عَنْهَا، وعَنِ الوَارِدِ إلَيْهَا.

560- [وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ]؛ لا تَتَّبِعْ .. ولَا تنقَادْ .. ولَا تؤيِّد .. ولا تَنْصُرْ شَيئاً لا تَعرفُ خيرَه مِن شَرِّه، وأينَ هو مِن الحقِّ .. وقبلَ أنْ تَتبيَّنَه، وتَتثبَّتَ منه؛ هل أنتَ في اتباعِك، وانقيَادِك، وتَأييدِك لهذا الشيءِ موافِقٌ للحقِّ المنَزَّلِ أم مخالِفٌ .. السَّفيهُ، والرخِيصُ هو الذي يُصَفِّقُ مع المصفِّقِين، وينعقُ معَ النَّاعِقِين، ويتَّبعُ ويؤيدُ، وينصرُ، ويحدِّدُ موقفَهُ مِن الأشياءِ مِن غيرِ تَثبُّتٍ ولا بينةٍ، ولا مِيزَانٍ يرجعُ إليه .. فيَا أيُّها الإنسانُ لا تحسبُ أنَّك خُلِقْت عَبَثاً، مِن غيرِ مُسَاءلةٍ، ولا محَاسَبةٍ لمَا يكونُ مِنك مِن قَوْلٍ، أو عملٍ، أو اعتقَادٍ، [إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ]؛ وهي مواقعُ التلقِّي التي تتلقَّى الأشياءَ الوارِدَة إليها؛ فإمَّا أن تكونَ عَن طَريقِ السمْعِ، أو البَصرِ، أو الفُؤادِ .. أو عَن طَريقِ مجموعِها .. ولَا يمكن أن يتَسَرَّبَ شيءٌ للإنسانِ إلَا مِن خلالِ مواقعِ التلقِّي هذه، [كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً]الإسراء:36. لذا فهو مسؤولٌ عنها؛ هَل أحسنَ استخدَامَها أمْ أَسَاءَ .. هل استخدَمَها في متابَعةِ الحقِّ ونصرتِه .. أم استخدَمها في مُتابعَةِ البَاطِل ونصْرَتِه .. هَل تَركَها مفتوحَةً مِن غيرِ منَاعَةٍ، ولا حِرَاسَةٍ، ولَا إغلاقٍ، تتلقَّى أوسَاخَ وزبالَةَ الآخَرين .. وهل أطلَقَ لها العنَانَ تجولُ مِن غيرِ لِجَامٍ، ولَا تقْوَى ولا رَقابةٍ في كلِّ وَادٍ وسَاحٍ؟! والعاقلُ مَن يحسنُ مرَاقبةَ نفْسِه، ومحاسَبتها .. ويعدُّ جوَاباً عن جميع مواقفِه التي عارَضَ فِيها أو أيَّدَ ووافَقَ، وتابَعَ .. قبلَ أن يؤولَ أمرُهُ إلى اللهِ .. ويَقِفَ بينَ يَدَيْه سُبحَانَه للحِسَاب.

* * * * *

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ

561- [تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً]الإسراء:44. مَشْهَدٌ مهيبٌ وجَليلٌ .. تَقشعرُّ له الأبدَانُ .. وتخشَعُ له القُلُوبُ .. الكونُ كلُّه وما فِيه مِن كائناتٍ، ومخلوقاتٍ في انسِجَامٍ تامٍّ وفَرِيد .. تَشْتَرِكُ جميعُها في تَوحيدِ الخالِقِ سبحانه وتعالى .. والتَّسْبيح بحَمْدِهِ .. جميعُها يصْدَحُ بهذا الهتَافِ الخَالِدِ العَظِيم " سُبحَانَ اللهِ وبحمدِه "، كما في الحديث:" سُبحان اللهِ وبحمدِه، فإنَّها صَلاةُ كُلِّ شيءٍ "، لا يَشذُّ عن هذا الموكِبِ الفَريدِ المَهِيب، وهذا التَّسبِيح العَظِيمِ إلا الكافرُ الجحُود، فإنَّه يمشي وَحِيداً في الاتجاهِ المُعَاكِس لجميع المخلوقاتِ والكائنَاتِ .. فيرتَطِمُ بها .. ويُؤذيها .. فَتَسْخَطُه وتَلْعَنُه!

أعجبُ للمؤمنِ كيفَ يَشكُو الغُرْبَةَ .. والكَونُ كُله وما فِيه من مخلوقاتٍ في السَّماواتِ، والأرضِ، وفي البَرِّ والبَحْرِ .. جَميعُها تُشارِكُه التَّوحِيدَ، والتَّسبيحَ ...؟!

562- [وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ]الإسراء:44. وفي الحديث:" سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِه، فإنَّها صَلاةُ كُلِّ شيءٍ ". الطيُورُ، والدَّوابُّ، والحيوَاناتُ، والأسْماكُ، والحِيتَانُ في البحارِ .. والشَّجرُ .. والنَّباتُ .. والجبَالُ .. وغيرُها كلُّها تُسبِّحُ بحمدِ رَبِّها، وتقولُ في صَلاتِها:" سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِه " .. وإني لأعجبُ من علماءِ الطبيعَةِ عندما يحلّلون أصواتَ الطيورِ، والحيوَاناتِ، وحركاتها .. يَضعونَ افتراضَات، واحتمالات عِدَّة .. يَستَثنُون مِنها أنَّها بتلك الأصواتِ والحركات التي لا نفقَهُها قَد تكونُ تسبّحُ بحمدِ رَبِّها .. ونحنُ إذْ لا نجزِمُ بأنَّ تلكَ الأصواتِ تَعني بالضَّرورَة التسبيحَ بحمدِ اللهِ .. لكنَّنا لا نَستَثْنِي احْتمَالَ التَّسْبيح مِن جملةِ الاحتمَالاتِ .. كما أنَّنا لا

نَستَثني مِن الاحتِمَالاتِ احتمالَ أنَّها بتلك الأصْواتِ تَدْعُو وتَستَغْفِرُ للعلمَاءِ الذين يُعلِّمونَ الناسَ الإيمانَ والخيرَ .. كما جاءَ ذلك في الحديثِ الصَّحِيح.

* * * * *

إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً

563- [إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً]الإسراء:44. لَا يَعْجِلُ اللهُ على خَلْقِهِ بالعقُوبَةِ الذين يخالِفُون أمرَهُ، ويكفُرونَ به، ولَا يَشْكُرونَه، كما يَعْجِلُ الخلْقُ بَعضُهم على بَعضٍ .. بَل يَصْبرُ، ويُمْهِلُ، ويُمْلِي للظَّالِمِ حتَّى يَظنَّ أنَّه في أمَنَة مِن اللهِ .. ويمنَحُ الفُرَصَ العَدِيدَة للمذْنبين مِن عِبادِه ليتُوبَ على مَن تَابَ، ويَغفرَ لمن يَستَغْفِرَ منهم .. فإذَا شَاءَ أن يأخذَ على الذَّنْبِ ويُعاقِبَ عليه، فأَخْذُه أليمٌ، يَأخُذُ أخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ .. كما في الحَدِيث:" إنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حتَّى إذا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ "البخاري.

* * * * *

وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً

564- [وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً]الإسراء:46. هذا الذي يُغيظُهم مِن القُرآنِ الكريم؛ لم يَذْكُرْ آلهتَهُم التي يَعبدُونَها مِن دُونِ اللهِ بخيرٍ .. ولم يقرْ لآلهتِهم أن يتألَّهوا على العِبادِ .. ولا أن يمارِسُوا عليهم الربوبيَّةَ في الحُكمِ والتَّشرِيع .. كما لَمْ يقرْ للتَّابِعين ما هم فيه مِن الشِّركِ والباطِلِ، وعبوديَّةِ المخلُوقِ .. وإنما دعاهُم إلى عبادَةِ اللهِ تعالى وحدَه، لا شَرِيكَ له .. إلى الانعتَاقِ والتَّحررِ من عبوديةِ العبِيدِ إلى عبادَةِ رَبِّ العَبيدِ .. فقابَلُوا هذه الدَّعوةِ الحَقِّ بالنُّفورِ والإعْرَاضِ .. والتَّحْريضِ .. والأذَى .. وهم بذلِك لا يَضرُّون اللهَ شَيئاً، لَا يَضرُّونَ إلَّا أنْفُسَهم!

* * * * *

وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

565- [وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ]؛ وهم يَدْعُون النَّاسَ إلى الإسلامِ .. وفي تَعامُلِهم مع بعضِهم البَعضِ، وتَعَامُلِهم معَ غيرِ المسلمين، [الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]الإسراء:53. الأَحْسَنُ لَفْظَاً، ومَعْنَاً، وأَثَرَاً .. وهَذا يَسْتَدْعِي مِن المرْءِ أن يَتوقَّفَ .. وأن يَتحرَّى ألفَاظَهُ، ويختَارَ مِنها أحسَنَ مَا عِندَه مِن قَوْلٍ، قَبلَ أن يَقُول.

566- [وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]؛ يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أصدَقُ، وأرفَقُ، وأعدَلُ، وأصوَبُ .. القولُ الذي يترفَّعُ عن الفُحْشِ، والبَذَاءةِ، والظلمِ، والعُدوانِ .. وعن التعصُّبِ، والغُلُو، والجفَاءِ .. وسُوءِ الظَّنِّ .. ويكونُ هذا القول بالتي هي أحسَنُ عندما تخاطبُون غيرَكم مِن غيرِ المسلمين، وأنتم تجادِلُونهم، وتَدعُونهم إلى الإسلامِ .. وفِيما بينَكُم عندما تخاطِبُون وتُعامِلُون بعضَكُم بعضَاً، [إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ]؛ يُفَرِّقُ بين قُلوبِهم، ويُباعِدُ فيما بينَهم، وفِيما يجبُ أن يكونَ قَريباً، ويُوغِرُ فِيما بينهم العدَاوَةَ والبغضَاءَ .. مِن خِلالِ حملِهم على البغي والعُدوانِ في القَوْلِ .. فكم مِن دَمٍ حرامٍ سُفِك .. ورَحِمٍ قُطع بسَبَبِ كلماتٍ قِيلَت، [إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً]الإسراء:53. ظاهِرُ العدَاوةِ للإنسَانِ .. لا تخفَى عَدَاوتُه إلَّا على مَن جمعَ بينَ عمَى البصَرِ والبَصِيرةِ .. فاتخذُوه عَدُوَّاً .. ولا تُصغُوا إليه فِيما يُوحِي إليكُمْ مِن الشَّرِّ، والباطِلِ.

* * * * *

وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً

567- [وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ]؛ المعجزات القاهِرات الباهِرات، والبلاءات التي تَخْضَعُ لها الأعناق، [إِلاَّ تَخْوِيفاً]الإسراء:59. للناسِ؛ لعَلَّهم يُؤمنون، ويَتَّقون، ويَتُوبُون .. ويَتَوقَّفُون عَن غَيِّهم!

568- [وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ]؛ والتي مِنْهَا الزَّلَازِلُ، والبرَاكِينُ، والرِّياحُ، والمطَرُ، والثَّلْجُ، والكُسُوفُ، والخُسُوفُ، وغَيرُها [إِلاَّ تَخْوِيفاً]الإسراء:59. للنَّاسِ؛ عسى أن يَتُوبُوا، ويَستَغْفِرُوا، ويَأْوبُوا إلى رَبِّهم .. كَثيرٌ مِن النّاسِ مَن لا تَعظُهُ كلماتُ اللهِ، تَعِظُه وتَردَعُه الآياتُ الكونيَّةُ .. وفي الأثَرِ أنَّ الكوفَةَ قَد رَجَفَت في عهدِ ابنِ مَسعُود رضي الله عنه، فقال:" يا أيُّها النّاسُ إنَّ رَبَّكُم يَسْتَعْتِبُكُم فَأَعْتِبُوه ". أي يُريدُ مِنكم ـ مِن خلالِ هذه الآية ـ أن تَسْأَلُوه أن يَرفعَ عتبَه عَنْكُم؛ بتوبتِكُم، واستغفَارِكم، وأَوْبتِكُم، وإقْلاعِكُم عن الذُّنوبِ والمعَاصِي.

* * * * *

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

569- [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ]الإسراء:70. كُلُّ بَنِي آدَمَ بغضِّ النَّظَرِ عن اللونِ، أو اللغةِ، أو الجِنْسِ، أو الغِنَى أو الفَقْرِ .. ومِن دونِ تمييزٍ بينَ أحَدٍ وأَحَد .. قد كَرَّمَهُم اللهُ، وفضَّلَهُم، وشرَّفَهم، بالعقْلِ، والتَّكْلِيفِ، والاخْتِيارِ، والاسْتِخلافِ في الأرضِ .. وبإرسَالِ الرُّسُلِ، وإنزالِ الكُتُبِ .. وحُسْنِ الصُّورةِ، والمنطِقِ .. وتَسخِيرِ سَائِرِ المخلُوقاتِ لهم .. هذا تكريمٌ عامٌّ يَشمَلُ جميعَ بَنِي آدَم .. يَشتركُ فيه الجميعُ، لا فَرْقَ فيهِ بين أَسْودَ، وأبيَضَ، ولا بين عربيٍّ، ولا أعْجَمِي .. وهنَاك تكريمٌ خاصٌّ أعْلَى وأَشْرفُ وأفضَلُ ـ لا أثَرَ

فيه للّونِ، أو اللغةِ، أو العِرْقِ، أو الجِنْسِ، أو المالِ ـ يُكرِمُ اللهُ به عبادَهُ المؤمنين؛ يُكرِمُهم بطاعتِه، وعِبادَتِه، وتَوحِيده، والقُرْب منه، [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ]الحجرات:13. وفي الحديث:" يا أيُّها النَّاسُ ألا إنَّ ربَّكُم واحِدٌ، وإنَّ أبَاكُم واحِدٌ، أَلا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ على أعجَمِيّ، ولا لعَجَمِيٍّ على عربِيٍّ، ولا لِأحْمرَ على أسْودَ، ولا لِأسودَ على أحمرَ إلاَّ بالتَّقوَى، النَّاسُ مِن آدَمُ، وآدَمُ مِن تُرَابٍ ".

* * * * *

وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

570- [وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً]الإسراء:73. كانوا ولا يزالون يبحثون عمَّن ينتمي إلى الإسلامِ ـ ولو مجرّد إنتماء ـ فمن وجدُوا فيه زَيغاً عن الحقّ .. وجسَارةً على الطعنِ بالدِّينِ، والتشكيكِ بأحكامِه وثوابتِه، باسمِ الدِّينِ .. قرَّبُوه .. وأغدَقُوا عليه .. وأثنوا عليه وعلى طريقتِه ومنهجِه خيراً .. واتخذُوه صديقاً وحبيباً .. لأن معاولَ الهدْمِ عندما تكونُ مِن الداخلِ تكونُ أشدَّ وطأ على البناءِ وعلى الجماعةِ، وأدْعَى للتشكيكِ، والتنْفيرِ مِن معَاولِ الهدْمِ الخارجيَّةِ .. على اعتبارِ أنَّ الأوَّلَ من الجماعةِ، ومِن داخلِ الصَّفِّ، وينتمي للإسلامِ، ويَعرِفُ عنه أكثرَ من أعدائِه الأصليين من خارجِه .. ولو تأمَّلتَ جميعَ الفِرَقِ والجماعاتِ الضَّالَّةِ؛ التي تقومُ تعاليمُها على البدَعِ، والإحْدَاثِ في الدِّينِ، وعلى الشَّرعِ المبدَّلِ .. تجدُها مخدومَةً، ومدعومَةً، ومقرَّبَةً مِن قِبلَ الكافرين والمشركين على اختلافِ مِلَلِهم!

* * * * *

وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً

571- [قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً]الإسراء: 100. صَدقَ اللهُ العظيم، فهَا هُم قادَةُ الكفرِ والاستكبارِ في العالَم يُفكّرون، ويخطّطُون كيفَ يُنقِصُون عدَدَ سكان الأرضِ، بوسَائلَ غير أخْلاقيّة .. بزَعْمِ أن منتوجَ الأرضِ لَا يكفي لمجموعِ سُكَّانِ الأرضِ .. وأنَّ سكَّانَ الأرضِ أكثر مما تُنتِجُه الأرضُ .. لتبقَى فئةٌ قليلةٌ من البشرِ تعيشُ قِمَّةَ التَّرفِ والرَّفاهيَّةِ والإسْرافِ، لا تتأثَّرُ طريقَةُ حياتِهم بمزاحمةِ النَّاسِ لهم .. يَفعلُون ذلك وهُم لا يملِكُون خزائنَ رحمةِ اللهِ .. ولَا سُلطان لهم على الأرضِ ومخزوناتِها، وإنتاجِها .. فكيفَ لو كانَت خزائنُ الرزقِ وأسبابُه بأيدِيهم .. يَقْدرُون على التَّحكُّمِ بها .. لشَحُّوا في الإنفاقِ، وقتلوا النَّاس فقْراً وجُوعاً؟!

* * * * *

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً

572- [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ]، يا مُحَمَّد، [إِلاَّ مُبَشِّراً]، لِمَن آمَنَ، وعَمِلَ صَالحاً، بالجَنَّةِ ونَعِيمِهَا، [وَنَذِيراً]الإسراء:105. لِمَن كَفَرَ، وأعْرَضَ، بنَارِ جَهنَّم وعَذَابَاتِها.

* * * * *

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ..

573- [وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ]، أعْظَمُ نِعمَةٍ يمنُّ اللهُ تَعَالى بها على الخلْقِ أجمَعِين .. تَسْتَوجِبُ الشُّكرَ والحمدَ .. أنَّ اللهَ تعالى لم يَتَّخِذْ وَلَداً، ولم يكُنْ له شَريكٌ في المُلْكِ، يُقاسمهُمَا المُلْكَ، والربوبيَّةَ، والألوهيَّةَ .. فأسماؤه

الحُسْنَى، وصِفاتُه العُلْيا تَأْبَى أن يكونَ له شَريكٌ يُشارِكُه في المُلْكِ، ويُقاسِمُهُ عِبادَةَ العِبَاد .. فَريقٌ يَعبُدُ هَذا الإله، وفريقٌ آخَر يَعبدُ ذاكَ الإله الآخَر .. كما أنَّ انتظامَ الكَونِ، والحياةِ المستقرَّةِ الآمِنَةِ على هذا الكونِ تَأْبَى هذه الشَّراكَةَ؛ إذْ لو كَانَ له شَريكٌ، لنازَعَه المُلْكَ، ونازَعَهَ العِبادَ، وعِبادَةَ العِبَادِ .. واضطَرَبَ الكونُ .. ولعَاشَ العِبَادُ حياتَهم مُنْقَسِمين في حيرةٍ مِن أمرِهِم؛ مَن يَعبدُون، ولمن يتوجَّهونَ بالعِبادَةِ .. ثم يومَ القِيامَةِ لأيِّ إلهٍ سيتبعون، وتكُونُ الكلمَةُ، وتكونُ الغَلَبَةُ .. ومَن سَتكُونُ له الجنَّةُ، وكم سيكُونُ له مِنها، ومَن سَتكُونُ له النَّارُ، وكَم سيكُونُ له مِنها .. فيَشْتَدُّ التنَافسُ والصِّرَاعُ .. فشَرُّ الشِّرْكِ لا تَقْتَصِرُ عَوَاقِبُه على الحيَاةِ الدُّنيَا، بَل ستمتَدُّ إلى ما بَعد الحياةِ الدُّنيَا؛ إلى يَومِ البَعثِ، والنُّشُورِ، والحِسَابِ .. أعَرفْتَ الآنَ يا عَبدَ اللهِ كَم هي عَظِيمةٌ نِعْمَةُ التَّوحِيدِ .. وكَم تَسْتَوجِبُ مِنْكَ مِن الحَمْدِ والشُّكْرِ؟!

[وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ]؛ ولَمْ يَكُنْ ضَعيفاً؛ يحتاجُ إلى نَصِيرٍ ومُعِينٍ يُزيلُ به ضَعْفَه .. ويُتِمُّ به قوَّتَه وعِزَّتَه .. لَا .. حَاشَاه .. فالضَّعفُ لَا يَتطرَّقُ إليه بحالٍ مِنَ الأحْوَالِ، وكذلك الحَاجَةُ؛ فالجميعُ يحتَاجُ إليه سُبحَانه، يَستَمِدُّ منه القُوَّةَ والحياةَ، والعَوْنَ، وهو الغَنيُّ عن الجميع .. [وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً]الإسراء:111. وعَظِّمْه تَعْظِيماً .. وبَالِغ في تَعظِيمِه وتمجيدِه؛ فهو أهْلٌ لكُلِّ تَعظِيمٍ وتمجيدٍ .. وقُلْ: اللهُ أكْبَرُ كَبِيراً.

* * * * *

كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً

574- [كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً]الكهف:5. هي كلمَةُ الكُفْرِ والشِّرْكِ.

* * * * *

لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً

575- [إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا]، كلُّ مَا على الأرضِ مِن جِبالٍ وسهُولٍ، وبحارٍ وأنهارٍ، ودَوَابٍّ وأنعامٍ، وثمارٍ، وأشجارٍ، ونباتاتٍ، وأموالٍ مصادِرُها شتَّى، وغيرها .. فهي زِينَةٌ .. لها جاذبيَّتُها وبريقُها الأخَّاذِ في نفسِ الإنسانِ .. لماذا هي زِينَةٌ بهذه الجاذبيَّةِ، والفِتْنَةِ، وهذَا الجمَال؟ [لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الكهف:7. فهي موطنُ اختبَارٍ وتمحيصٍ .. وجميعُ موادِّ الاختبارِ متوفِّرةٌ، ومَعروضَةٌ .. لِيُنْظَر كيفَ سيتَصَرَّفُ الإنسانُ بهذه الزِّينَةِ؛ هل سَيتَصرّفُ بِها، ويتعَامَلُ معَهَا وفْقَ مَا أمرَ اللهُ به عن طريقِ أنبيائِه ورسُلِه .. أم أنَّه سيتَصرَّفُ بِها، ويتَعَامَلُ معَهَا وفْقَ هوَاه، ونزوَاتِه، ومَا تُملي عليه شياطِينُ الأنْسِ والجِنِّ .. بَعيداً عَن هَدي وتعاليمِ السَّمَاء!

* * * * *

إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ

576- [إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ]الكهف:13. فيه أنَّ الشَّبابَ أكثَرُ حمَاسَةً، وتَوَقُّدَاً، وإقْدَامَاً مِن الشّيوخِ في نِصْرةِ دِينِ اللهِ .. ومواجَهَةِ بَاطِلِ وظُلمِ الطُّغَاةِ!

* * * * *

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

577- [وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ]؛ ثبتناهم، وجرَّأناهم، وقوّينا قلوبَهم على قولِ الحَقِّ، وأزَلْنا منها الخوف، والوجَل، والتَّردد .. فالموقفُ شديدٌ، وصعب، غير مألوف للعيان، ولا للمسامع .. لا يَقْدِرُ عليه ضُعفاءُ الإيمانِ، ضُعفَاءُ القَلبِ، [إِذْ قَامُوا] ؛ تفيد حركةً جماعيّة جريئةً، ومنظَّمَةً .. تفيد قياماً بعد كُمُونٍ، وسُكُونٍ، وتَدبيرٍ، وتخطيطٍ للزمانِ والمكَانِ المنَاسِبَين، [فَقَالُوا]؛ قولَةَ رجلٍ واحد، للملِك الطاغية الذي زعم لنفسه الربوبية، وأنه إله من دون الله .. قالوا له أمامه وفي وجهه، وعلى ملأ من الناس، وفي حفل مشهود، ومليء بالحاشية والعبيد المقربين، تُمارَسُ فيه طقوسُ الطاعةِ والشّركِ، وتعبيد العبيد للطاغوت .. غير آبهين بترهيب، ولا بقتْلٍ أو صَلْبٍ: [رَبُّنَا]؛ ليس أنت أيُّها الطاغوت المَلِك، فما أنت إلا عبد مملوك ومخلوق، ينتابك ما ينتاب العبيد من نَقْصٍ، وضَعْفٍ، وعَجزٍ، وحاجة، لا تقدر أن تخلق شيئاً .. ولا تلك الأصنام التي تدعونا لعبادتها .. بل ربنا هو الله؛ الذي خلقنا، وربَّانا، ورزقنا، وأنشأنا وفق مشيئته وتقديره [رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] ؛ الذي خلق السماوات والأرض وما فيها من مخلوقات، ثم هَدَى [لَن نَّدْعُوَ]؛ لن نَّعْبُدَ [مِن دُونِهِ] ؛ من دون الله، [إِلَهاً]؛ معبوداً آخر، ولو فعلنا؛ فعبدنا غير الله، وأقررنا له بالربوبية والألوهية، مع ضعفه، وعجزه عن أن يكون خالقاً [لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً] الكهف:14. قولاً في غاية الشَّطَطِ، والظلمِ، والكُفرِ، والبُعدِ عن الحقِّ والصَّوابِ .. ونعوذُ بالله من ذلك .. هذا الموقف الجريء؛ المليء بالإيمان، واليقين، والثبات، والتوكّل .. هذا الصدع بالحق في وجه الطاغوت الظالم ـ وهو أفضَلُ الجهَادِ ـ هو الذي وضع لهؤلاء الفتية ـ الذين آمنوا بربهم، وزادهم اللهُ هُدَى ـ القبولَ في

الأرضِ، وفي السّماءِ .. وهو الذي خلَّدَ ذِكْرَهُم وقِصَّتَهُم في سورة عظيمة؛ سورة " الكهف "!

578- [وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ]؛ الموقِفُ يُوحِي بأنَّه شَدِيدُ الرَّهْبَةِ .. يُخَيِّمُ عليه وعلى مَن فِيه الخَوفُ .. تَتَسَارعُ فيه دَقَّاتُ القُلوبِ؛ فَرَقاً من طاغُوتٍ جَبّار، يأمرُ الناسَ بتأليهِه وعبادَتِه مِن دونِ اللهِ .. لا يُرَدَّ له أَمْرٌ، ومَن يَعصي له أَمْراً، ليس له إلا السّيف وقَطْع العُنُقِ .. إلَّا أنَّ مَعيَّةَ اللهِ لفتيَةٍ موحّدين قد آمَنُوا بربِّهم، تَعْلُو، وتجعَلُ من الصَّعْبِ سَهْلاً، ومن الخَوفِ أَمْناً؛ فَثَبَّتَ اللهُ قلُوبَهم، وقَوَّاها، وجَرَّأَهَا على قولِ الحَقِّ .. ونَزَعَ منها الخوفَ من الطَّاغُوت، [إِذْ قَامُوا]؛ تُفيدُ حَرَكَةً وهِمَّةً، وعَمَلاً جماعيّاً .. ودِقّةً في التَّرتيبِ، والتَّنظيمِ، والتَّوقيتِ .. فقامُوا جميعاً قَوْمَة رجُلٍ واحدٍ، يَقَوِّي بَعْضُهم بَعْضَاً، في وجهِ الطَّاغوتِ .. وفي مجلسٍ على مَلَإٍ من الناسِ، ومِن حاشيتِه المقرَّبين؛ لتعمَّ الفائدةُ، وتَصِلَ الرسالَةُ إلى الجميعِ، ولكي يَصعُبَ على الطَّاغيةِ إخفاء أثَرِ كلماتِهم ودَعوتِهم، [فَقَالُوا]؛ قولَة رجُلٍ واحدٍ، لم يتخلَّف منهم أحَدٌ، قولة حَقّ عند حاكِمٍ كافِرٍ جَائِرٍ؛ [رَبُّنَا]؛ ليس أنتَ أيُّها المَلِكُ الطاغيةُ .. ولا تِلكَ الأصنامُ التي تَعبدونَها مِن دُونِ اللهِ، والتي لا تَنفَعُ ولا تَضُر .. إنَّما ربُّنا الذي نَعبدُه، ويَستحِقُّ أن يُعْبَدَ، هو [رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ]؛ خالِقُ السَّماواتِ والأرضِ .. وما سواه فهو مَربُوبٌ مَخْلُوقٌ لا يستطيعُ أن يخلقَ شيئاً، ومن كان لا يَستطيعُ أن يَخلقَ شيئاً، لا يجوزُ أن يُعبَدَ أو أن تُصرَفَ له العِبادةُ من دُونِ اللهِ،[لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً]؛ لن نعبدَ من دُونِ اللهِ ـ خالِقُنا وخالِقُ السَّماوتِ والأرضِ ـ إلهاً آخَر .. فاستدلُّوا بتوحيدِ الربوبيَّةِ على توحيدِ الألوهيَّةِ؛ إذ أنَّ الربَّ الخالِقَ، المتَفَرِّدَ بالخَلْقِ، هو الذي يجبُ أن يُتَأَلَّه ويُعْبَدَ، لا أحَدٌ سِواه .. ولو طاوَعْنَاكُم فأجبْنَاكُم إلى ما تدعُونَنا

إليه مِن عِبادةِ آلهةٍ غير اللهِ، [لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً]الكهف:14. لقد قُلنا قَولاً بالِغاً في الكُفْرِ، والبُطْلانِ، والانْحِرافِ عن الحَقِّ.

* * * * *

فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ

579- [فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ]الكهف:16. الوَحْيُ لا يَتَنَزَّلُ إلا على الأنبياءِ والرُّسُلِ، وقَد انقطَع بوفَاةِ خَاتَمِ الأَنْبيَاءِ والمرْسَلين صلى الله عليه وسلم .. وبَقِيَ الإلْهامُ، والإلهامُ الشَّديدُ .. أحياناً إذا أرادَ اللهُ من عَبْدٍ شَيئاً، يُقوّي لديه الإلهامَ لفِعلِ هذا الشَّيءِ .. فيجِدُ نَفْسَه مَشْدُوداً لفِعْلِه وتَنْفيذِه .. ويجدُ في نَفْسِه هِمَّةً لفِعْلِ هذا الشَّيء لا يجِدُها في غَيرِه .. وكذلك إذا أرادَ اللهُ مِن عَبدٍ أن لا يَفعل شَيئاً، ألهمَهُ وقَوَّى لديهِ الإلهامَ لاجْتِنَابِه واعتِزَالِه .. وهذا الذي حَصَلَ للفتيَةِ المؤمنين الذين آوَوا إلى الكَهفِ؛ وجَدُوا أنْفُسَهُم مَشْدُودِين إلى اللُّجوءِ إلى الكهفِ والاحتماءِ به، وهم مُطارَدُون من قِبَل الطُّغَاةِ الظَّالمين .. وكأنَّ هُناك من يُخاطِبهم ويقول لهم:[فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته].

* * * * *

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ

580- [وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ]؛ الغَد، بل السَّاعات والدَّقائقُ القَادِمة .. غَيبٌ .. لا يَعلمهُ ـ ولا يَقدرُ عليه ـ إلا اللهُ .. لا تدري ماذا يحصَلُ لك .. وماذَا سيحصَلُ لما وعَدتَ القيامَ به .. وما سيحصَلُ للموعُودِ له .. وقد يُحيلُ بينكَ وبين ما وعدْتَ به حَوائلُ عديدَة، تمنَعُكَ من تَنفيذِ ما قطَعتَ به على نفْسِك، مِنها الموت .. لأجلِ ذلك .. وحتَّى لا تكونُ حانِثاً في وعْدِك، ومَا قطعتُه على نفْسِك .. وحتى

لا تتعرَّض للمساءلةِ ممَّن قد وعدتَه .. استَثْنِ وقُلْ:" إنْ شَاء اللّهُ "، فإن أعانَك اللّهُ على تنفيذِ ما وعدْتَ به، في الزَّمانِ والمكانِ المحدَّدَين، فخَير .. وإن لم تَستطعْ، وحَالَ بينك وبين وعْدِك حَائلٌ، فتُعْذَر، وليسَ عليك شَيء .. ومَا أكثرُ الذين يَعِدُون، ويخطِّطُون لمستقبَلِهم القَرِيب، والبَعيدِ، ثم لم يتمكَّنُوا من إنجازِ شَيءٍ ممَّا وَعَدُوا به، وقَطَعُوه على أنفُسِهم، [وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ]الكهف:23-24. فإن نَسيتَ أن تَقولَ:" إن شَاءَ الله "؛ في حَالِ حديثِك عمَّا ستُنجِزُه في المستَقْبلِ .. ثمَّ تَذكَّرت .. فقُلْ لحظَةَ تَذكُّرك:" إن شاءَ الله " .. وإن نسيتَ أن تقُولَ " بسمِ اللّهِ "، عند ابتدائِك الطعَام .. ثمَّ تَذكَّرْتَ ـ ولو في آخِر طعَامِك ـ فقُلْ لحظَةَ تَذكُّرك:" بسمِ اللّهِ أوَّلَهُ وآخِرَه " .. ونحوه أيَّما ذِكْرٍ يُسَنُّ أن يُقال في زَمَانٍ ومَكانٍ محَدَّدَين .. فمَن نَسِيَه، فليَذْكُرْه حينَما يتَذكَّره.

* * * * *

وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدَاً

581- [وَلَا يُشْرِكُ]؛ لِغِنَاه عَنِ الشَّرِيكِ، ولأنَّ صِفَاته تَأْبَاهُ، [فِي حُكْمِهِ]؛ الكَوْنِي، والشَّرْعِي، [أَحَدَاً]الكهف:26. مِن خَلْقِه.

* * * * *

وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً

582- [وَلَن تَجِدَ] مهما حاولتَ الهروبَ أو التَّخَفي [مِن دُونِهِ]؛ من دُونِ اللّهِ [مُلْتَحَداً]الكهف:27. مَلجأً تَلتَجِئُ إليه، أو مَخبأً تختبئ فيه، يَعصِمُك من الله .. فلا مَلْجَا، ولا مَنْجَا، ولا مُعاذَ تعوذُ وتَلوذُ به من الله .. ومهما حاولت، فاللّهُ مَعَك، وقريبٌ مِنْكَ، وقادرٌ عليكَ حيثما تكُون .. والعاقِلُ يَلوذُ ويتَّقي بِهِ مِنه، ويَفرُّ منه إليه؛ يفرُّ من مَعصيَتِه إلى طاعَتِه، ومن غَضَبِه إلى رِضَاه، ومن عَذَابِه إلى عفوِه ورحمتِه سُبحانه.

* * * * *

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

583- [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ]؛ أمرٌ فيه حَضٌّ وتَرْغِيبٌ على مُلازَمَةِ الأصحابِ المؤمنين الصَّالحين، الصَّادقين، وإن كانُوا مِن الفُقراءِ والمساكِين .. ومهما تَرتَّبَ على صُحبَتِهم ومُلازَمتِهم مِن تَبِعَاتٍ؛ فبملازَمَتِهم السَّلامَةُ مِن الفِتَنِ، والشَّرِّ، والأشْرَارِ، والقَرِينُ بالقَرِينِ يُعرَفُ، [وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ]؛ ولا تَنْصَرِفْ عنهم فتَتركَهم لفَقْرِهم، أو ضَعفِهم، [تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]الكهف:28. فتبتَغِي بَدَلاً مِنهم مُصاحَبَةَ ومُلازَمَةَ الأغنياءِ الأقوياءِ مِن ذَوِي الجَّاه؛ غير الأتْقِيَاءِ .. ابتِغَاءَ عَرَضٍ مِن الدُّنيا .. وابتغاءَ السُّمْعَةِ والرِّيَاءِ!

584- [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ]الكهف:28. فيه حَضٌّ وتَرغِيبٌ على مُلازَمَةِ الأصدقاءِ الصَّالحِين ـ حتى لو كانوا مِن الفُقراءِ؛ فالفَقْرُ ليسَ عَيباً يَسْتَدعِي النُّفورَ والابتعادَ عن أصحابِه ـ والصَّبرِ معَهم على مجاهَدَةِ النفْسِ والحياةِ .. والصّبرِ عليهم إن بَدَرَ منهم ما يُسِيء؛ فهم ـ بعدَ اللهِ ـ خيرُ مُعِين للعبْدِ على شؤونِ دينِه ودُنياه، وعلى مواجهةِ الفِتَنِ والتحدّياتِ التي تَعترضه في حياتِه الدنيا .. ومِن دونِهم يكونُ سَهْلَ المنالِ، وسَهلَ والوقُوعِ في حبَائلِ ومكائدِ الشَّيطانِ!

* * * * *

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

585- [وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]الكهف:28. ولَا تَتجاوَز ولا تَتعدَّى أصدقاءَكَ الصَّالحين، فتَصرفُ بصرَكَ عنهم لفقْرِهم أو ضَعفِهم .. إلى غَيرِهم

مِن الطَّالِحِين؛ من أهلِ الشَّرفِ، والرِّياسَةِ، والغِنَى، والسَّرَفِ .. تبتَغِي بقُرْبِك مِنْهم، ومجالَسَتِك لهم الظُّهورَ، والشَّرفَ، والسِّمعةَ، والفَخْرَ .. فاللهُ تعالى يَنهى عن ذلك.

فإن قِيل: نُصاحِب هؤلاء، وهؤلاء ...؟!

أقول: هذا من التَّناقُضِ بين شَيئين يَستحيلُ اجتماعُهما، أو الجمعُ بينهُمَا؛ إذْ كُل فريقٍ سيشدُّ الحبْلَ إلى طرَفِهِ وجانبِه .. وكلُّ فريقٍ سيعيبُ ما عليه الفَريق الآخَر، من أخلاقٍ وسُلُوك .. وبخاصَّة فريقُ الطَّالحين المسرفين؛ فقد جرَت العادَةُ فِيهم أنَّهم يأنَفُون عن مجالسَةِ ومُصاحَبةِ الفُقراءِ المستضعَفين، وبخاصَّة إن كانوا مِن المؤمنين الصَّالحين .. والمرءُ له قَلبٌ واحِدٌ لا يُطاوعُه على الجمْعِ بين الشيءِ ونقيضِه .. إذْ لا بُدَّ له من الاختِيَارِ، وهو ومَا يختار.

* * * * *

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً

586- [وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً]الكهف:28. ولمَّا كان الصاحِبُ ساحِباً .. وجرَت العادَةُ أن يُصغِي الصَّاحِبُ إلى صاحِبِه .. وأن يتأثَّر بِه، وبكلامِه، وآرَائِه .. جاءَ النَّهيُ عن طاعَةِ الأصحابِ السيئين الضَّالين الفاسِقين؛ الذين تخلُو قلُوبهم مِن الإيمانِ، والخَشيَةِ، وذِكْرِ اللهِ تعالى .. والذين لا يُشيرون على من يُصاحِبونَهُ بخَيرٍ .. إذْ لا يكفي أن لا تُصاحِب الطّالحين الضَّالين الفاسِقين .. بل أيضاً يجبُ أن لا تُصْغِي إلى كلامِهم ونَصائِحهم؛ لأنَّهم لا يَنْصحونَ بخيرٍ .. لا يَنصحونَ إلا بشَرٍّ .. فالإناءُ يَنضحُ ما فِيه .. مِن صفاتِ هؤلاء الضَّالّين الفاسِقين ـ الذين يجب اعتزالهم وعدمُ مُصاحبَتِهم ـ أنَّهم يتَّبعونَ أهواءَهُم؛ فما تُملي عليهم أهواؤهم فهم يتَّبعونَه، ويُثنونَ عليه خَيراً .. فالحقُّ ما يَراهُ هواهُم حَقاً .. والباطِلُ مَا يَراهُ هواهُم

بَاطِلاً .. وكذلك التَّحليلُ والتَّحريمُ .. والتَّحسينُ والتَّقبيحُ مَردُّ ذلك كله إلى أهوَائِهم، ومَا تملي عليهم أهواؤهم .. [وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً]؛ قد انتهى أمرُه وحالُه إلى الإفرَاطِ في الضَّياعِ، والهلَاكِ، ومُجافَاةِ الحقِّ .. ومَن كان بهذا الوصْفِ لا يَنفعُ نفسَه، فضْلاً عن أن ينْفعَ غيرَه!

587- [وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا]؛ عن الكتَابِ والسُّنَّةِ، [وَاتَّبَعَ هَوَاهُ]؛ كمصدَرٍ للتَّشريعِ، والتَّحْسِينِ، والتَّقبيحِ، والتَّحليلِ والتَّحريمِ، [وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً]الكهف:28. غايةٌ في الجَفَاءِ عن الحقِّ .. يَفعلُ ذلك مَن يُعرِض عن استفتاءِ ومُراجعَةِ العلماءِ الربَّانيين الذين يَتَّبعون الكتَابَ والسُّنَّة .. ويُقبِلُ على دُعاةِ الأهواءِ، والضَّلالةِ، والجهلِ .. يَستَفْتِيهم في أمرِ دينِه ودُنيَاه .. فِيما يحلُّ له، وفِيما يحرُم عليه .. وفِيما يجبُ، وفِيما لا يجبُ ...!!

* * * * *

وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً

588- [وَوُضِعَ الْكِتَابُ]؛ كُلٌّ له كتابُه؛ المؤمِنُ له كتابُه يَستلمُه بيمينِه، والكافِرُ له كتابُه يَستلمُهُ بشمالِه، [فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ]؛ خائفين ممَّا مُدوَّنٌ فِيه؛ لأنه لم يدَعْ شَيئاً مِن أعمالِهم وأقوالِهم الظَّاهِرةِ والباطِنَةِ إلَّا وقَد دوَّنَها وأحصَاها، [وَيَقُولُونَ]؛ والدَّهْشَةُ تعلُوهُم مِن هَوْلِ المفَاجأةِ والموقِفِ، [يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً]؛ لم يترُكْ صَغيرةً مِن صغائِرِ الذُّنُوبِ، [وَلَا كَبِيرَةً]؛ مِن كبائِرِ الذُّنُوبِ، ممَّا قَد اقترَفنَاهُ، [إِلَّا أَحْصَاهَا]؛ إلَّا جمعَهَا وعدَّهَا، لم يَفُتْهُ شَيئاً مِنها، ولم يكُنْ بمقدورِهم أن يُنكِرُوا مِنها شَيئاً .. وقَدَّمَ ذِكْرَ الصَّغائِرِ على الكبائِرِ؛ للتنويهِ إلى عَدمِ الاستهانَةِ أو الاستخْفَافِ بِها، [وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً]؛ مُثْبَتاً أمَامَهم في كتَابِهم، يبصرُونَه بأعيُنِهم،

يَقرأُه حتَّى مَن لَمْ يكُنْ في دُنيَاه يُحسِنُ القِرَاءةَ، [وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً]الكهف:49. لأنَّ اللهَ تعالى قد حرَّمَ الظلمَ على نفْسِه، وجَعَلَه بينَ عِبَادِه محرَّماً .. فيُجازِي المسيءَ على إساءَتِه بمَا يَستَحِقُّ، والمحسنَ على إحسَانِه بما يَستَحِقُّ .. ويُعامِلُ عبادَه إمَّا بالعَدْلِ، وإمَّا بالمنِّ والإحسَانِ .. وهو أهْلٌ لأعظَمِ وأجمَلِ وأكمَلِ إحسَانٍ.

* * * * *

مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ

589- [مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ]؛ قَضيَّةٌ لم تكنْ شَاهداً عليها يا ابنَ آدَم، ولا حاضِراً عند حصُولها .. وأنتَ جاهِلٌ بها .. كيفَ تخوضُ فِيها؛ نفياً، وإثباتاً، وإضافَةً، بغيرِ علم .. تعتَمدُ الظنَّ في أحكَامِك الذي لا يُغْنِي من الحقِّ شيئاً .. تُقْحِمُ أنفكَ في قضيَّةٍ لم يُشركك اللهُ فيها، ولا غيرَك .. والتي مِنها طَريقةُ نشأتِك، وابتدَاء خلقِك .. فتُنكرُ آدميَّتَك .. وتُدخِلُ الحشَرات، والدَّواب، والحيوانات، والقرُودَ في أصلِ نشأتِك ووجُودِك .. وتجعلُهم لكَ نَسَباً وصِهْراً .. وكان حريٌّ بك فِيما لم تكُنْ عليه شاهِداً ولا بِه عالماً، أن تعتَمِدَ وتؤمنَ وتُصَدِّقَ بالإخْبَارِ الوارِد في النَّقلِ المنَزَّلِ؛ القُرآنِ الكريم .. فتستريحُ، وتُرِيحُ .. وتَقفُ على حقيقَةِ نشأتِكَ، وحقيقَة خَلْقِ السماواتِ والأرْضِ، ووجودِ الأشياءِ مِن حولِك، بأيْسَرِ الطرقِ وأقْصَرِها، [وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ]؛ شياطِين الأنْسِ، والجنِّ، [عَضُداً]الكهف:51. أعواناً يُعينُوني على خَلْقِ الأشياءِ وإيجادِها .. فالله تعالى غنيٌّ عن الخلْقِ أجمعين.

* * * * *

وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً

590- [وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً]الكهف:54. رغمَ قِيَام الحجَجِ البالِغَةِ، والبراهينِ الساطِعَةِ .. وأنَّ القرآنَ الكريم قدْ أبَانَ وفصَّل كلَّ شَيءٍ .. فلمْ يدَعْ شُبهةً حولَ الحقَائِقِ الكُلِّيَّةِ إلَّا وقَد أجابَ عنها بتفصِيلٍ كافٍ ووَافٍ .. فإنَّ الإنسانَ الكافر مستمرٌّ في الجِدالِ، والمعارَضَةِ، والاعتِرَاضِ بزعْمِ البحثِ عنِ الحقيقَةِ .. وأنه يبحثُ عن الحقيقَةِ .. فيهرمُ ويموتُ وهو لا يزالُ يبحثُ عن الحقيقَةِ .. وهو لا يزالُ في شكٍّ مِن قضيَّةِ الإيمانِ .. وشَكٍّ مِن أن اللهَ تعالى حَقٌّ .. وأنَّه تعالى هو المعبودُ بحقٍّ!

* * * * *

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ

591- [وَرَبُّكَ الْغَفُورُ]؛ لمَن استغفَرَه، وتابَ إليه، مهمَا بلَغَت ذنُوبه، [ذُو الرَّحْمَةِ]؛ الواسِعَةِ التي وسِعَت رحمَتُه جميعَ الخلْقِ؛ فلا يعجلُ عليهم بالعذَابِ والعِقَابِ، والكلُّ يَعيشُ، ويقتَاتُ، ويتراحَمُ مع بني جنْسِه، وغيرِهِم، بما أودَع اللهُ فِيهم مِن رحمَةٍ، [لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا]؛ مِن الخطَايَا، [لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ]؛ في الحياةِ الدُّنيَا، وجعلَ الدُّنيا لهم دارَ حِسابٍ وعِقَابٍ .. لا .. لم يشَأ اللهُ ذلك؛ فالدُّنيا دارُ عمَلٍ، وابتلاءٍ، وتمحيصٍ، واختِبَارٍ، سرعانَ ما نرحلُ عنها .. والآخِرَةُ هي دارُ القَرارِ والحِسابِ .. لا عَمَلَ فيها .. فقد قضَت حِكمَةُ اللهِ تعالى ورحمتُه أن لا يحاسِبَ عبادَه على ذنُوبِهم في دُنياهُم، ولحظة وقوعِهم فيها .. وإنما يُمهِلهم، ويَصبرُ عليهم، ويحلمُ بِهم، إمْهَالاً واستدراجاً .. وزيادَةً في قِيامِ الحجَّةِ عليهم .. لعلَّهم يَستغفرُون، ويَتوبُون، ويَؤوبُون إليه .. وهذا لا

يتنَافى، ولا يمنَعُ مِن أن يُنزِلَ اللهُ ـ إذا شاءَ ـ بعضَ القوارِعِ والعذَاباتِ ببعضِ خلْقِه، ابتلاءً لهم، وتأدِيباً، وزَجْراً عمَّا اقترفتْهُ أيديهم، ولعلَّهم يَرجعُون، [بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ]؛ للحسابِ يوم الآخِر، لن يُخلَفُوه، [لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً]الكهف:58. ملجأً يلتجئون ويَهربُون إليه، ويختبئون فيه .. ينجيهم مِن الحسابِ، والعذابِ الأليمِ، على ما كان مِنهم من صغَائرِ وكبَائرِ الذُّنُوبِ والأعمَالِ.

* * * * *

وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا

592- [وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا]؛ أي عندما ظَلَمُوا، ووقَعُوا في الظُّلمِ .. مِن سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه، وفي القُرَى الظَّالمِ أهلُها، أن لا يَتنَزَّل الهلَاكُ والدمارُ إلا بعدَ فشُو الظُّلمِ، واستعلائِه، واستِحْكَامِه، وبخاصَّة عندما يجتمعُ الظُّلمُ بشُعَبِه الثَّلاث: ظلمُ العَبدِ لحقِّ اللهِ عليه، وظُلمُ النَّفْسِ للنفْسِ، وظلمُ النفسِ للآخَرين، [وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً]الكهف:59. موعداً في الدُّنيا ـ غير العذَاب المُعَد لهم في الآخِرَة ـ يحدّده الخالقُ سبحانه وتعالى لهلاكِهم، لا يَتقَدَّمُ، ولا يتأَخَّر.

* * * * *

هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً

593- [قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً]الكهف:66. فيه أن الكبيرَ أحياناً يَتعَلَّمُ ممَّن يَصْغُرُه .. والعالِمُ يتعلمُ ممَّن هو أقَل منه علماً .. ممَّا ينفردُ بعلمِه الصغيرُ دونَ الكَبيرِ .. وهذا من التَّواضُع في الطَّلَبِ .. وهو لا يُنقصُ مِن قَدرِ

الكَبيرِ، والأعْلَمِ، بل يَرفَعُه ويَزيدُه فَضْلاً .. كما أنَّه لا يَعني أنَّ الصغيرَ أعلمُ من الكبيرِ في مجموعِ شُؤونِ العِلمِ ومسائلِه، أو أنَّه أفضَلُ منه!

* * * * *

قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً

594- [قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً]الكهف:67. مَن يُرِد مُصَاحَبَةَ العُلَمَاءِ، والاستِفَادَةَ مِن عِلمِهم .. عليه أن يُروِّضَ نَفْسَهُ على الأدَبِ، والصَّبرِ على مَا قَد يَسْمَعُهُ أو يَرَاهُ مِنهم ممَّا لَا يَفْهَمُهُ .. فَلَا يَسْتَعْجِل عليهم المسْأَلَةَ والاستِفْهَامَ .. بَل يَلتَمِسُ الوقتَ المنَاسبَ ـ والأسلُوبَ الأَدَبِي الأَحْسَن ـ للاسْتِفْسَار والاسْتِفْهامِ مِنهم مِمَّا قد أشْكَلَ عليه .. وقَد يَرَى مِن بَعْضِهم هَفْوةً أو كَبْوةً أو زَلَّةً ـ فهم غيرُ مَعْصُومِين عن الخَطَأ ـ فَلا يَسْتَعْدِيهِم، ويَسْعَى في تَشْهِيرِهِم، وإعلانِ الحَربِ عليهم لأدْنَى وأوَّل خَطَأ يَراهُ مِنْهم .. بَل يَصْبرُ .. ويحمِلُ نَفْسَهُ على الأَدَبِ، والتَّأَدُّبِ .. ويُقِيلُ عثَرَاتهم .. ويَتَأَوَّلُ لهم مَا أَمْكَن لذلِك سَبِيلاً .. وإلَّا ـ يَا طَالِبَ العِلْمِ ـ لا، ولن تَجِدَ عالماً تَتعلَّمُ، وتَسْتَفيدُ مِنْه!

* * * * *

فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا

595- [فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا]الكهف:77. قد تَنزلَ دَارَ قومٍ .. فلَا يُكرِمُوك .. ولا يُضِيفُوك .. ولا يَعتبرُوك .. ويُغلقُوا أبوابَ الضيافةِ في وجهِك .. فلا تحزَن .. ولا تَقولنَّ أنا فُلانٌ الكَبِير .. أنا الشيخُ والعَالِم .. أنَا، أنا .. ثم أُسْتَقبَل هذا الاستقبالُ غير اللَّائِق .. وأُعامَل هذه المعامَلَة ..؟! لَا تَقُلْ ذلك .. ولا تَفعلْ شيئاً مِن ذلك .. فهو مِن البلاءِ، واختبارٌ لك .. فأنتَ ـ مهما علا قَدْرُك ـ

فإنَّك لن تَعْلُو، ولَن تُسَاوِي نبيَّ اللهِ موسى، والعَبْدَ الصالح الخَضِر عليهما السلام .. قد نزَلا قريةَ يَسْتَطعِمان، ويَسْتَسْقِيان أهلها .. فلمْ يُطعموهما، ولم يَسقُوهما .. وأغْلَقوا أبوابَ الضيافَةِ في وجْهَيهمَا .. وفاتهم أنهم كانوا يُغلِقُون أبوابَهم دونَ عَبدَين صَالحَين، همَا أعلمُ، وأعزُّ، وأكرَمُ، وأتْقَى مَن مَشى على الأرضِ في زمانِهما .. وموسَى عليه السلام لم يُخْبرْ أهلَ القريةِ عن حقيقَةِ نفْسِه، أنَّه نبيُّ اللهِ، يَقتَاتُ، ويُستضَاف بالنبوَّةِ .. حاشَاه أن يفعلَ شيئاً مِن ذلك .. كذلك الخَضِر عليه السلام لم يُعَرِّفْ عن نَفْسِه، ولم يَفْعَل شَيئاً من ذلك .. ولنا فِيهما وفي سلُوكِهما الرَّاقي العَظِيم قدْوَةً ومَثلاً أعْلَى .. وفي الحديثِ، فقَد صحَّ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال:" إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ "مسلم. الخفيُّ؛ الذي لا يَطلُبُ الذِّكْرَ، ولا الشهرَة.

* * * * *

نَخْشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً

596- [وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ نَخْشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً] الكهف:80. فيه أنَّ العُقُوقَ يُعَجِّلُ الآجَالَ .. فهذا مِنَ الخَاصِّ الذي يَعُمُّ .. والسُّنَّةُ قد دَلَّت على ذلك.

597- [وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ نَخْشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً . فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً]الكهف:80-81. فيه أنَّ العُقُوقَ يُعَجِّلُ الآجَالَ، وسَبَبٌ من أسْبَابِ الموْتِ المُبَكِّر.

* * * * *

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً

598- [الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ]؛ أعينُ الكُفَّار، [فِي غِطَاءٍ]؛ سَاترٍ مِن الحِقْدِ، والكراهيَّةِ، والجَّهلِ، يُغطِّي أعينَهم، ويحجبُها، [عَن ذِكْرِي]؛ عنِ القُرآنِ الكَريمِ المُعْجِز والمبهِر للعُقُولِ .. وعن الآياتِ البَاهِراتِ المنشورَةِ في السَّماءِ، والأرضِ، وفي أنْفُسِهم .. الدَّالَّةِ على وحْدانيَّةِ اللهِ تعالى .. وأنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ .. ولا يَقولُ إلا حقَّاً .. فهم يُبْصِرونَها، ولَا يُبصِرونَها؛ يُبْصِرونَها بأعيُنِهم، ولا يُبصرونَها بقلوبِهم، وبَصيرَتِهم، فلا يَهتدُون إلى الإيمانِ باللهِ العَظِيمِ، فكانَ مثلُهم في ذلك مَثَلُ من لا يُبصِرُها، [وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً]الكهف:101. لا يُطيقون أن يَسمَعُوا للقرآنِ الكريمِ؛ لقوَّةِ وصِدقِ كلماتِه، وبراهينِه .. وهو مَالَا تَتَحَمَّلُه أنفُسُهم المشحونَةِ بالحِقدِ والكرَاهِيَّةِ .. ولخوفِهم الشَّديد منه، فهم ـ كانوا ولا يَزالون ـ يَتَواصَون فِيمَا بينَهم؛ الكبيرُ يُوصِي الصَّغيرَ، والسَّابِقُ يُوصي اللاحِقَ، أن لا يَقْرَأَ أحَدُهم القُرآنَ .. ولا يَقترَب مِنه .. ولا يَسْمَح لبصَرِه أن يقعَ عليه .. ولو سَمعُوا؛ سَمعُوا سمَاعاً آليَّاً، وصُورياً؛ مِن غيرِ فهم لِدَلَالاتِ ومُقتَضياتِ ومَقَاصِدِ مَا يَسْمَعُون؛ فلا يُؤمنون .. ولا يَهتَدُون .. فكانَ مَثَلُهم في ذلك مَثَل مَن لا يَسمَعُ ابتِدَاءً!

599- [وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً]الكهف:101. لِشدَّةِ ما رَانَ على قُلوبِهم مِنَ الشِّركِ، والحِقْدِ، والذُّنُوبِ، ولشدَّةِ مَكْرِ الليلِ والنَّهارِ المحِيطِ بِهم .. لا يَستطِيعُون أن يَسْتَمِعُوا للقُرآنِ مجرَّدَ استماعٍ .. ولو اسْتَمَعُوا، لما اسْتَطَاعُوا أن يَسْتَمِعُوا إليه سَماعاً يَنفَعُهم؛ يُؤدِّي بِهم إلى الفِقْهِ والإيمانِ!

600- [وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً]الكهف:101. للقُرآنِ، ولَا لِمَن يُذَكِّرُهُم بالقُرآنِ والسُّنَّةِ .. فيَستَبْدِلُونَ العُلَمَاءَ الرَّبَّانِيِّين، بدُعَاةِ الأهْواءِ، والجهْلِ، والفُسُوقِ؛ الذين يُسمِعونَهم ما يُوافِقُ أهواءَهُم ورَغَبَاتِهم؟!

* * * * *

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء

601- [أَفَحَسِبَ]؛ استفهامٌ يُفيدُ الإنْكارَ، والبُطْلانَ، والتَّعجُّبَ، والاسْتِحَالَةَ، [الَّذِينَ كَفَرُوا]؛ باللهِ العَظِيمِ، [أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي]؛ المؤمنين، [مِن دُونِي أَوْلِيَاء]الكهف:102. يَنتصِرُونَ بهم، ويَستجلبونَ بهم النَّفعَ، ويَدفعون بِهم الضُّرَ .. من دونِ اللهِ الذي بيدِهِ الأمرُ كُلُّه .. هذا مُستَحِيلٌ وغيرُ ممكِنِ التَّحقيقِ؛ لأنَّ النَّفعَ والضُّرَّ، والخيرَ والشَّرَّ كُلُّه بيدِ اللهِ، وهو وحده القَادِرُ على النَّفعِ والضُّرِّ، وعلى أن يَكشفَ الضُّرَّ .. وهو مُستحِيلٌ أيضاً؛ لأنَّ عِبادَ اللهِ المؤمنين هم أولِيَاءُ للهِ تعالى؛ يُوالُون فِيه، ويُعَادُون فِيه .. يُحِبُّونَ فِيه ويَبغضُون فِيه .. يُوالون مَن يُوالي، ويُعادُونَ مَن يُعادِي .. لا يَتخِذُون الكافِرِينَ أولِيَاءَ .. ولو فَعَلَ بَعضُهم؛ فاتَّخَذُوا الكَافِرِينَ أولِيَاءَ .. ونجَحَ الكُفَّارُ في أن يَتَّخِذُوا مِن عِبادِ اللهِ المؤمنين أولِيَاءَ، حِينئذٍ يَخرجُ هؤلاء المؤمنين مبَاشَرةً مِن صِفَةِ ومُسَمَّى " المؤمنين "، ومِن صِفَةِ ومُسَمَّى " عِبَادِي "!

* * * * *

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً

602- [قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً]الكهف:104. هم الأخسَرُون أعمالاً وتوجُّهاً، وفِكراً، وسلُوكاً؛ لأنَّهم يظنُّون أن ما هم فيه مِن الكُفرِ والباطِلِ، والضَّلالِ .. أنَّهم على حقٍّ،

وعلى خَير .. وأنَّهم الأفضَلُ من بين النَّاسِ .. وبالتالي فهم ماضُون في ضلالِهم إلى غايَتِه .. لا يَقبلُون التَّوقُّفَ، ولا المراجعَةَ، ولا النَّظرَ في حقيقَةِ ماهم فِيه .. ولا يَقبلُون مِن أحَدٍ أن يوقِفَ مسْعَاهُم الباطِل الذي يحسَبونَه حقَّاً وخَيراً .. مهمَا أتاهُم من الأدلَّةِ والبراهين الدَّالَّةِ على فسَادِ وضَلالِ ما هم فِيه .. وقومٌ هذا وصْفُهم لا أحَدَ أخْسَر ولا أضَلَّ مِنهم عمَلاً!

* * * * *

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً

603- [الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً]الكهف:104. يَشْملُ فَريقَين مِن النَّاسِ: الكُفَّارُ، الذين آثَرُوا الكُفْرَ على الإيمانِ .. وأَهْلُ البِدَعِ مِن أَهْلِ القِبْلَةِ، الذين لا يَتَحرَّونَ السُّنَّةَ، ويَتَعَبَّدُونَ بالبِدَعِ المُحْدَثَةِ والأَهْوَاءِ .. ثم [يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً]!

604- [الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً]الكهف:104. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ مِن جهةِ الشُّبهاتِ، فهؤلاء هم الأكثَرُ عناداً وتَباهِياً وتمسُّكاً بشبهاتِهم، وانحرافاتِهم الفِكريَّةِ .. إذ نادِرٌ مَن يكونُ ضَلالُه مِن جِهَةِ الشَّهواتِ، ثم يَحسَبُ أنه يُحسِنُ صُنْعاً!

* * * * *

قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي

605- [قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً]الكهف:109. وقال تعالى:[وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]لقمان:27. جرَت العادَةُ عندَ الناسِ أن يُعظِّمُوا، ويَنظرُوا بعينِ الإكبارِ والإعجابِ لمن عُرِفَ بالتَّأليفِ، وكَثُرَت مؤلَّفاته .. ولو نَظرْنَا لأكثرِ عُلماءِ الأرضِ عَطاءً وتَأليفاً لما تجاوَزَت مؤلفَاتُه المائتي كتَابٍ .. ولو نَظَرْنَا إلى أكبرِ وأضخمِ مكتبَةٍ في العالَمِ لَمَا تجاوزَ مجموعُ ما فِيها من كُتبٍ ومؤلفاتٍ " 170 " مليون كتاب .. ولو قِيلَ ـ على سبيلِ المثَال ـ أن مؤلِّفَ مجموعِ هذه الكُتب " 170 " مليون هو شخصٌ واحِدٌ .. كم سيكُون الانبهارُ بِه .. وكم سيُصْرَف له من التَّعظيمِ والتَّوقِيرِ والإجْلالِ .. ولله المثَلُ الأعْلَى .. لو أرَدْنا أن نُفْرِغَ البحرَ بكامِلِه .. يمدُّه سَبعةُ أبحرٍ أخْرَى .. ويتحولُ ماؤُه إلى مِدَادٍ " حِبر " يُكتَبُ به .. كم مِليارِ من الكُتُب والمجلدات تُكتَب بهذا المِدَاد .. لا يمكن أن نضعَ رقماً مَهمَا كَبُرَ تَنتهي عنده الكتَابَةُ .. ثم لو نفَدَت هذه الأبحُر التي تحوَّلَت إلى حبرٍ ومِدَادٍ .. لما نفَدَت كلماتُ اللهِ لسعَةِ علمِه سُبحانه .. والتي كلها مِن حيثُ الإعجازِ والعظمَةِ، والفَائدَةِ ككَلامِ القُرآنِ ... فيا أيُّها النَّاسُ الذين جرَت العَادَةُ فِيهم أن يُعظِّمُوا كُتَّابَهم ومؤلِّفِيهم، ومُؤلَّفَاتِهم .. أليسَ حَرِيٌّ بكم أن تَصرِفُوا التَّعظيمَ والإجلالَ للهِ الواحِدِ القهَّارِ الذي لو تحوَّلَ البحرُ ـ يمدُّه سبعةُ أبحرٍ وأكثر ـ إلى مِدَادٍ يُكتَب به لما نفَدَت كلماتُه .. ولمَا انتَهت الكتُب والمجلَّدَات التي تُكتَب فيها تلكَ الكلمات .. أليسَ حريٌّ بكم أن تَعبدُوه ولا تُشْركُوا بِهِ شَيئاً؟!

606- مَهْما قِيلَ في القُرآنِ الكريم عن بَلاغَتِه، وإعْجَازِه، وعَجَائِبِه، وعَظَمَتِه فهو فَوقَ ذلك؛ لأنَّه كلامُ اللهِ .. واللهُ تعالى قادرٌ على أن يُنزِّل مِن مِثلِ هذا القُرآنِ البَاهِرِ

للعقُولِ عَدداً غيرَ مُتنَاهٍ، لأنَّ كلماته غيرُ مُتناهِيةٍ، ولو تحوَّلَتْ البِحَارُ إلى مِدَادٍ يُكتَب به كَلامُ اللهِ، لنَفِدَت البِحَارُ، ومَا نَفِدَت كَلِماتُ الله:[وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]لقمان:27. [قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً]الكهف:109. وفي هذا بلاغٌ للذين يُعَظِّمون العِلْمَ، والعُلماءَ، وكِتَاباتِهم، ومؤلَّفَاتِهم .. فاللهُ تعالى أعْلَى وأَجَلُّ، وأَوْلى بالتَّعظِيم، فلو جُمِعَت كلماتُ ومؤلَّفَاتُ عُلماءِ الأرضِ كُلِّهم مِن أوَّلِهم إلى آخِرِهم، فهي لا تُوازِي ذَرَّةً في عِلمِ وكلماتِ اللهِ تعالى التي لا حُدُودَ لِنِهَايَتِهَا .. هَذا مَعَ الفَارِقِ الضَّخْمِ ـ الذي لا وَجْه للشَّبَهِ والتَّمثِيلِ فِيه ـ بين كَلماتِ المخْلُوقِ، وكَلِماتِ الخالِقِ العَلِيم القَدِير.

* * * * *

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ

607- [قُلْ إِنَّمَا أَنَا]؛ محمدٌ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ]؛ مِن ولَدِ آدم؛ يأكلُ الطَّعامَ، ويَمشي في الأسواقِ، ويَتزوجُ النِّساءَ .. يَمرضُ، ويألَمُ، ويَحزنُ .. فيه ردٌّ على الغُلاةِ الذين غالُوا في النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وجَحَدُوا آدَميَّته، وأنَّه فوقَ البَشرِ، وأنَّه من نُور، ومِن ثمَّ صَرفُوا له أنواعاً من العِباداتِ كالاستغَاثةِ، والتَّوجه إليه بعدَ موتِه بالطَّلبِ والدُّعاءِ، وهذا من الغُلُو والشِّرك الذي حذَّر منه النبيُّ صلى الله عليه وسلم أشدَّ التَّحذيرِ، كما في الحديث:" لَا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فإنَّما أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولوا: عبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ "البخاري. [يُوحَى إِلَيَّ]؛ هذا الذي يُميزُه عن سائِرِ البَشَرِ؛ أنَّه رسولُ اللهِ، خاتمُ الأنبياءِ والمرسلين، لا يَنطقُ عن الهوى، تجبُ طاعتُه، ومُتابعتُه، في جميع ما يُوحَى به إليه من رَبِّه؛ وهو الكِتاب والسُّنَّة .. وهذا فيه ردٌّ على الجُفَاةِ؛ الذين

جافوا سُنَّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما جاءَ به من عندِ رَبِّه .. واستخفُّوا بِسُنَّتِه، والعملِ بها، والاحتكامِ إليها .. وبعضُهم غالى في الجَفَاء، فقال بالتَّحاكُمِ إلى القُرآنِ دونَ السُّنَّةِ .. وهؤلاء لا يَقِلُّون خَطَراً عن الفَريقِ الأوَّلِ .. ومِن أعظمِ ما يُوحَى إليه، وإلى مَن قَبله من الأنبياءِ والرسل، [أَنَّمَا إِلَهُكُمْ]؛ المألُوه المعبُودُ، المطاعُ والمحبوبُ لذاته، الذي يجب أن تؤلّهوه وتَصرفُوا له العِبادةَ، وتخصُّوه وحدَه بالعبادَةِ، هو [إِلَهٌ وَاحِدٌ]؛ واحدٌ في ذاتِه، وواحدٌ في أسمائِه وصِفاتِه، لا شَريكَ له في الأُلوهيَّةِ ولا في الربوبيَّةِ، ولا في أسمائِه الحُسْنَى، وصِفاتِه العُليا؛ هو اللهُ تعالى، [فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ]؛ يوم القيامةِ، لِقاءً حَسَناً، واللهُ تَعالى راضٍ عنه، [فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً]؛ تتَحَقَّقُ فيه صفة المتابعَةِ للكِتَابِ والسُّنَّة، وكُلُّ عَملٍ مخالف لما جاء في الكِتَابِ والسُّنَّةِ، فهو عملٌ باطلٌ ومَردُود، غير صَالح، لا يجوزُ أن يُدخَل في خانةِ ومَعنى العمَلِ الصَّالح، حتّى لو سُجِّي بعباءَةِ الدِّين، [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]الكهف:110. وهو شرطُ الإخْلاصِ المُنافِي لأدنى دَرجاتِ ومعاني الشِّركِ، الظاهر منه والخَفِي؛ كالرِّياءِ .. وأيُّما عِبادةٍ لا يَتحقَّقُ فيها شَرطُ الإخْلاصِ ـ حتى لو كانت عَمَلاً صَالحاً ـ فهي مردودة على صاحِبها، والله تعالى بريءٌ منها، كما في الحديث القدسي الصحيح:" قالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ "مسلم. وفي رواية عند الترمذي وغيره:" إذا جمعَ اللهُ النَّاسَ يومَ القيامةِ ليَومٍ لا رَيبَ فيهِ، نادَى مُنَادٍ: مَن كانَ أشرَكَ في عَملٍ عملَهُ للهِ أحدًا فليطلب ثوابَهُ من عندِ غيرِ اللهِ؛ فإنَّ اللهَ أَغنى الشُّرَكاءِ عنِ الشِّركِ ".

* * * * *

وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً

608- [فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ]؛ يومَ القِيامَةِ، واللهُ تعالى رَاضٍ عَنْهُ [فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً]؛ موافقاً للسُّنَّةِ، تَتَحَقَّقُ فيهِ صِفَةُ المُتَابَعَةِ للسُّنَّةِ، [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]الكهف:110. الإخْلَاصُ المنَافِي للشِّرْكِ بِنَوعَيْه: الأكْبَرُ، والأصْغَرُ؛ شِرْكُ الرِّيَاء.

609- لأي عمل تعبُّدي شَرطان، لا يُقبَل إلا بهما معاً: أن يكونَ موافقاً للسنَّة، وأن يكون خالصاً لله تعالى، لا يشوبُه شركٌ أو رياء، وهو المراد من قوله تعالى: [لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]؛ أي أصوَبُه، وأخلَصُه. وقوله تعالى:[فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً] ؛ وهو الموافق للسُّنَّةِ، [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]؛ تحقيقُ الإخلاص.

* * * * *

هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ

610- مهما كانت حاجتُك كبيرة، وسؤالُك صَعباً، فجوابُه مِن ربّك:[هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ] مريم:9. [إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة: 20. [إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ]آل عمران : 47. [فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ]البقرة: 186. فلا تتردّد من عرضِ حاجتك عليه؛ فأنت تعرض على قويٍّ، قديرٍ، عليمٍ، غنيٍّ، مَتِين.

* * * * *

خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ

611- [خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ]مريم:12. خُذْ تَعَالِيمَ الكِتَابِ بِقُوَّةٍ وجِدٍّ، لا تَتَهاوَن بِقَلِيلِها ولا بكَثِيرِها، ولا بِفرُوعِهَا ولا أُصُولِها.

* * * * *

وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ

612- [وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ]مريم:31. نَافِعَاً للنّاسِ، آمِرَاً بالمعرُوفِ، ناهِياً عن المنكَرِ .. [أَيْنَ مَا كُنتُ]؛ فخَيرِي ليسَ مَقْصُوراً على بقعَةٍ دونَ بقْعَةٍ .. ولا على نَاسٍ دونَ ناسٍ .. فالأرضُ كُلها للهِ .. والعِبادُ كُلُّهم مِن خَلقِ اللهِ .. وحَيْثُما كُنْتُ وحَلَلْتُ، أَمَرْتُ بالمعرُوفِ، ونَهيْتُ عنِ المنْكَرِ، وعَلَّمْتُ النَّاسَ الخيرَ .. وهكَذا ينَبغي أن يكونَ شَأن المسْلِمِ؛ لَا يكونُ قَبلِيَّاً، ولَا قطْرِيَّاً، ولَا إقلِيمِيَّاً، ولَا قَومِيَّاً .. بلْ يكونُ خَيرُه عالمِيَّاً لجميعِ النَّاسِ!

* * * * *

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

613- [وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ]؛ خَلَقَنِي، وخَلَقَكم، ورَزَقَني، ورزَقَكم، [فَاعْبُدُوهُ]؛ فوحِّدُوه في العِبادَةِ .. فالخالِقُ المتفرِّدُ بالخَلْقِ والربُوبيَّةِ حَقُّه أن يُعبَد، وأنْ يُخَص وحده بالعِبَادَةِ، [هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ]مريم:36. إفرادُ اللهِ تعالى وحدَه بالعبادَةِ هو الصراطُ المستقيم الذي يُوصلُكم إلى النَّجَاةِ، وسعَادَةِ الدَّارَين .. أجرَى اللهُ هذه الكلماتِ على لِسانِ عَبدِه ونبيِّه عيسَى عليه السلام.

* * * * *

وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

614- [وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]مريم:48. اعتِزَالُ ومُباينَةُ ومفاصَلَةُ دَعْوةِ البَاطلِ لا يَلزَمُ منه اعتزالَ الدُّعاةِ إلى البَاطلِ؛ لِذا قُدِّمَ أولاً اعتزالُ دُعاةِ الباطِلِ على اعتزالِ ما يَدعُون إليه من البَاطِلِ .. والموقفُ لا يَستقِيمُ ولا يَصحُّ ولا يَكتَمِلُ إلا باعتزالِهمَا ومُباينَتِهما ومُفَاصَلَتِهما مَعَاً .. وهو الخيارُ الأخيرُ الذي لا بُدَّ منه إن لم يَستجِيبُوا لِندَاءِ ودَعوةِ الحَقِّ .. لأن مخالَطةَ البَاطِلِ وإدْمانَ النَّظَرِ إليه، والسَّماعَ منه، مِن غَيرِ إكراهٍ، ولا إنْكارٍ، ولا قِيامٍ .. تُضعِفُ مَعَاني الحقِّ في النَّفسِ .. وتَمُدُّ الباطِلَ بالقوَّةِ، والحياةِ، وتُضْفِي عليه الشَّرْعيَّةَ .. وربَّما مع الزَّمَنِ واستمرارِ المخَالطَةِ يُصبحُ البَاطِلُ حَقَّاً، وخِلافُهُ هو البَاطِل!

615- [فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]؛ واشتدَّت عليه الغُربَةُ بسبَبِ اعتزالِه ومباينَتِه للمشركين، ولشِركِهم .. أكرَمَهُ اللهُ، وآنَسَه، [وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً]مريم:49. لا أرَى للعَقِيمِ عِلاجَاً لِعِلَّتِه ـ بإذنِ الله تعالى ومَشيئتِه ـ كاعتزالِ الشِّرْكِ والمشْرِكين، والبرَاءِ مِنهم ...!

616- [وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]مريم:48. اعتزالُ البَاطِلِ وتجمعاتِه موقفٌ عَقَدِيٌّ، سياسِيٌّ، وإيجَابِي .. له بَالِغُ الأثَرِ على الظَّالمين، وأنظمَتِهم .. وبخاصَّة لو اجتمَعَت كلمةُ المؤمنين على الاعتزَالِ .. والذي يَمدُّ الظالمين وأنظمتَهم بالحيَاةِ .. هم الأغبيَاءُ مِن ضِعَافِ الإيمانِ الذين يتطلَّعُون للفُتَاتِ الذي يُرمَى لهم على حِسَابِ الكُلِّيَّاتِ، والمصالحِ العَامَّةِ والكَبيرَةِ!

* * * * *

وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً

617- [وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً]مريم:64. لشيءٍ؛ مَهمَا دَقَّ .. وأيَّاً كان نَوعُه .. ومهمَا تَقادَم عليه الزَّمَنُ .. فاللهُ تعالى يَعْلَمُه .. لا يَخْفَى عليه، ولا يَنْسَاه .. وهو عِندَه في كِتَابٍ .. لِكَمَالِ ربُوبيتِه، وأسمائِه، وصِفَاتِه؛ التي تَأبَى صِفَةَ النسيانِ، وكلَّ صِفَةٍ سَلبيَّةٍ تُفيدُ النَّقْصَ، وتتعارَضُ معَ الكَمَالِ .. فأنتَ يا عبدَ الله تَنْسَى مَا كان مِنْك .. حتَّى تظنَّ أنَّكَ في مَأمَنٍ مِن سيئاتِك .. لكنَّ اللهَ تعالى لا يَنْسَى .. وإذَا ما نَزَلت فِيكَ نَازِلةُ بَلاءٍ لا تَتَسَرَّعُ في الاعتِرَاضِ، والسُّؤال: لماذا .. وكيف .. وإنما ابحث عن سَبَبِ ذلك في سِجِلِّ سيئاتِك؛ فإن وجدتَ نَفْسَك في يومِك أو أسبُوعِك الماضِي نَظيفاً مِن السَّيئاتِ .. فابحَثْ في الأشْهرِ .. والسَّنَواتِ الماضِيةِ .. فستَجدُ الكثيرَ ممَّا يُؤخَذُ عليك، وتُعاقَب عليه، واللهُ تعالى يَعْفُو عن كَثِيرٍ!

* * * * *

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى

618- [وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى]مريم:76. وقال تعالى:[فَزَادَهُمْ إِيمَاناً]آل عمران:173. فيه أنَّ الإيمانَ يَزيدُ ويَنقصُ؛ يَزيدُ ويَقوَى بالطَّاعَات، ويَنقُصُ،

ويَضعُفُ بالمعَاصِي .. فإيمانُ الأنبياءِ، والصِّدِّيقِين، والشُّهداءِ ليسَ كإيمانِ مَن هُم دونَهم مَرتبَةً في الالتزَامِ والعمَلِ .. ومَن كان الإيمانُ في قلبِه كالجبالِ، ليسَ كَمَن كانَ في قلبِه مِثْقَالُ خَردَلةٍ من إيمانٍ .. كما أنَّهما لا يَستويَان في الأجرِ والثَّوابِ .. فكما كان إيمانُهم في الدُّنيَا دَرَجَاتٌ، كذلك هُم في الآخِرةِ يَكونُون في الجَنَّةِ دَرَجَات .. وهَذا مِن لوَازِمِه أن يتعاهَدَ المرءُ إيمانَه ويمدَّهُ بالطَّاعَاتِ لكي لا يَذْبُل؛ فيَضْعُف عن مقاومَةِ الشَّهَواتِ، والشُّبُهَات!

كثيرٌ مِن الناسِ يَشكُونَ ضَعْفَهم في مواجهَةِ التَّحدياتِ الخارجِيَّةِ، والمحيطةِ بِهم .. وهَذا مردُّه لضَعْفِ الإيمانِ في قلوبِهم .. وعِلاجُه أن يمدُّوا قُلوبَهم بمزيدٍ مِن التَّقْوَى والطَّاعات.

* * * * *

فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ

619- [فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ]؛ على الكافِرِين المعَانِدِين الملْحِدِين نزُولَ العَذَابِ، [إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً]مريم:84. فاللهُ تَعَالى ليسَ غَافِلاً عَنهم .. وعَن جرائمِهم .. وإنما يَعُدُّ لهم الأيَّامَ، والسَّاعَاتِ، والدقَائقَ، والأنفَاسَ عَدّاً .. فيُحْصِيها عَليهم .. التي تُدْنِيهِم مِن آجَالِهم .. ومِن وعِيدِ اللهِ تعالى وانتقَامِه المقدَّرِ، والمحتُومِ، الذي لا يتَقَدَّمُ ولا يتَأَخَّر!

* * * * *

وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً

620- [وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً]مريم:95. خَالٍ مِنَ الأَخِلَّاءِ، والأنْصَارِ، والأعْوَانِ .. والأقَارِبِ .. يُقَرِّرُه رَبُّه: مَا الذي غَرَّك بِي .. وجَرَّأك عَلَيَّ يا ابْنَ آدَم؟!

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً

621- [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً]مريم:96. محبَّةً وقُبُولاً في السَّماءِ، والأَرضِ .. ولمَن يَلتمسُونَ الودَّ والمَحبَّةَ في قُلوبِ النّاسِ، بطُرُقٍ شَتَّى، ويُنفِقون في سبيلِ ذلك الأموالَ الطَّائلَةَ .. لا تُتْعِبُوا أَنْفُسَكُم .. هذا هو الطَّريقُ الوَحِيدُ لما تَسْعَونَ إليه، وتَسْتَشْرِفُونه:[الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]. وما سِوَاهُ خَرْطُ القَتَادِ.

622- [سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً]مريم:96. مَحَبَّةً؛ يُحِبُّهم، ويُحَبِّبُ بِهم عِبَادَه، في الدُّنْيَا والآخِرَة.

* * * * *

مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى

623- [مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى]طه:2. القُرآنُ تَنَزَّلَ لِنَسْعَدَ، ونَهْنَأَ، ونحْيَا حيَاةً طيِّبةً .. لا لكي نَشْقَى .. وحيثُمَا يُوجَد الشَّقاءُ، وهو العُسْرُ، والإرْهَاقُ، والتَّشَدُّد، والعنَاء، والبؤسُ .. وتحميلُ النَّفْسِ ما لا تُطِيق .. فاعلَمْ أنَّه ليسَ مِن هَدْي الإسلامِ في شَيءٍ .. وهو بخلافِ غَاياتِ التَّنزِيل!

* * * * *

فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى

624- [فَقُولَا]؛ موسى وهارُون عليهما السَّلام، [لَهُ]؛ للطَّاغُوتِ الظَّالِمِ فِرْعَون، [قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى]طه:44. في مَعْرِضِ الدَّعْوةِ والتَّذكيرِ يَختلفُ الحديثُ والأسلوبُ عنِ الحديثِ عند مَعْرِضِ الصَّدْعِ بالحقِّ في وجْهِ طاغِيةٍ ظالم، وعِند النَّذَارَةِ بالوعيدِ الشَّديدِ للمخالفين المعاندين .. ففي الحالَةِ الأوْلَى يَسلكُ الدَّاعِيةُ مَسْلَكَ اللِّين، والرِّفْقِ، واللطفِ، ما أمكَن لذلك سَبيلاً، طَمَعاً في هِدايَةِ الظَّالِمِ .. وفي الحالةِ الثَّانيةِ يَسلكُ مَسْلَكَ الغلْظَةِ، والتَّهديدِ بالوَعيد .. كما فعلَ موسَى عليه السلام مَعَ الطَّاغوتِ فِرْعَون، فقالَ له:[وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً]الإسراء:102. أي هَالكاً ومَلعُوناً، ومَطرُوداً مِن الخَيرِ، والهِدايَةِ .. وهذَا خِطابٌ كما هو مُلاحَظٌ فيه غِلظَةٌ وشِدَّةٌ؛ لأنَّ المقَامَ لم يَعُدْ مَقامَ دَعْوةٍ وتَذْكِيرٍ، وإنما هو مَقامُ إنْذَارٍ، وتخويفٍ، وتَهديد .. وهو مَا يَنبَغِي أن يَتفطَّنَ له الدُّعَاةُ إلى اللهِ .. فلَا يَخلِطُوا بينَ الأمْرَين .. وكَثيرٌ مِنهم مَن يَخلِطُ بينَ الأمْرَيْن، فيَضَعُ أحدَهمَا موضعَ الآخَر!

* * * * *

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى

625- [قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى]طه:50. خَلَقَ الخلْقَ، فأَحْسَنَ الخلْقَ، ثم هَدَى كلَّ مخلُوقٍ إلى منافِعِه في الدُّنيا والآخِرَةِ .. فلا يُوجَدُ مخلُوقٌ لا يَعرفُ مَا ينفَعُه، ومَا يَضرُّه .. والغايَةَ مِن وُجُودِه .. حتَّى الدَّوَاب والحشَرات تهتَدي - بإذنِ رَبِّها - إلى ما ينفَعُها وما يَضُرُّها مِن الطعامِ؛ فَكُلٌّ - منذ السَّاعَاتِ الأُوْلَى مِن ولادَتِه - يُقبلُ على الطَّعامِ الذي يُناسِبُه .. ويُعرِضُ عنِ الطعامِ الذي لَا يُنَاسِبُه .. وهَذا من تمَامِ وكمالِ ربُوبيَّتِه على خَلْقِه، فلمْ يخلقْهم ثم يتركُهم عَبَثاً لأهوَائِهم مِن غيرِ شَرِيعَةٍ تَهدِيهم.

* * * * *

وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى

626- [وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى]طه:73. أحياناً تمتَدُّ العينُ لمتاعٍ مِن متَاعِ الدُّنيَا .. وتَسْتَشْوفُه النَّفْسُ، وتَتمنَّاهُ .. حِينئذٍ جميلٌ أن يتَذَكَّرَ المؤمنُ أن ما عِندَ اللهِ تعالى، ومَا أعَدَّهُ لعبَادِه المؤمنين مِن نَعيمٍ عَظيمٍ .. خيرٌ مِن هذا المتَاعِ .. وأجمَلُ .. وأكمَلُ .. وأدْوَمُ .. لا يَعرفُ انقطاعاً!

* * * * *

وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا

627- [وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا]طه:108. إلَّا الإخْلاصُ؛ يأذَنُ اللهُ له أن يَرفَعَ صَوتَهُ، وأن يُجَادِلَ عَن صَاحِبِه.

* * * * *

إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً

628- أنتَ في دُنيَاكَ مُخَيَّرٌ، تَفْعَلُ أو لا تَفْعَل، تَقُولُ أو لا تَقُول، لأَنَّهَا دَارُ عَمَلٍ .. أما في أُخْرَاكَ، لا خِيرَةَ لَكَ في شَيءٍ، تُسْلَب مِنْكَ حُرِيَّةُ الاختِيَار، حتَّى الكَلَامَ، لا تَقْدِر عليه إلَّا أنْ يُؤذَن لك فيه، وبَعْدَ أن يُحَدَّدَ لَكَ مَاذا تَقولُ، وكَمْ مِنَ الكَلِمَاتِ والأَحْرُفِ تَقُول، لأَنَّها دَارُ جَزَاءٍ وحِسَابٍ [يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً] طه:109. [لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً]النبأ:38. [الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ للهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ]الحج:56. [لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ]غافر:16. فاغْتَنِمْ زَمَنَ خِيرَتِكَ، لِزَمَنٍ لا خِيرَةَ لَكَ فِيه.

* * * * *

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً

629- [وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً]طه:114. لأَنَّ مَا بَعدَه مُعَلَّقٌ به، فَلا زِيَادَةَ في الإيمَانِ، والمعْرِفَةِ، والعَمَلِ إلَّا بزيادَةِ العِلمِ .. فإنْ زَادَ زَادُوا، وإنْ نقصَ نَقصُوا .. وفيهِ أنَّ المرءَ مهمَا طَالَ عمرُه، وبَلَغَ عِلْمُه .. يَظلُّ يَستزيد عِلْماً .. فالعُمْرُ يَنتَهِي، والعِلمُ لا يَنتَهِي، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما قُسِمَ له .. قال ابنُ عُيَيْنَة:" لَمْ يَزَلْ صلى الله عليه وسلم في زِيَادَةٍ حتّى تَوفَّاهُ اللهُ عزَّ وجل ". وقد ركبَ موسى عليه السلام البِحَارَ من أجْلِ أن يَستزيدَ عِلماً مِن الخَضِر.

* * * * *

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

630- [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي]؛ عَن عِبَادَتي، [فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا]؛ مَعِيشَة يجتمعُ فيها الضِّيقُ، والعُسرُ، والشَّقَاءُ، والخَوفُ، والقَلَقُ، والتِّيه، والضَّياعُ، والكآبَةُ، [وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى]طه:124. أعْمَى البَصرِ؛ فيُعاقَب مِن جِنْسِ ذَنْبِه؛ فكَما أعْمَى بَصَرَه في الدُّنيَا عن كتابِ اللهِ، وعن النَّظَرِ في آياتِه، يُبْعَثُ يومَ القِيامَةِ أعْمَى البَصَرِ.

بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ

631- [بَلْ قَالُواْ]؛ الكُفَّارُ عن القُرآنِ الكَرِيم، [أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ]؛ إفادَاتٌ متعدِّدَةٌ مُتَضَارِبَةٌ لَا تثبتُ على رَأي أو قَرَارٍ، ولَا تَقومُ على بُرهانٍ؛ تَنمُّ عن الغَيظِ، والجهلِ، وعنِ الرُّعْبِ الشَّديدِ الذي مَلَأَ صدُورَهم مِن القُرآنِ الكريم، ومِن أثَرِه على نفوسِ وعُقُولِ النَّاسِ .. وأثَرِه على زَوالِ مخصَّصَاتِهم، وامتيازَاتِهم، واستعلائِهم .. يَقُولون ذلك وهم عاجِزُون عن أن يأتُوا بسورَةٍ مِن مِثْلِه .. ثمَّ ينتقلُ الكفَّارُ إلى مطلبٍ آخَر للتَّدليلِ على بُطلانِ القرآنِ بزعمِهم .. والتَّدليلِ على عجْزِهم .. وهذا شأنُ الكفَّار الجاحِدِين ـ العَاجزِين عن مواجَهةِ القُرآنِ وحقَائقِه بالحجَّةِ والعِلمِ والمنطِقِ ـ على مَرِّ العصُورِ والأزمانِ وإلى قيامِ السَّاعَةِ، عندما يُريدُون أن يَفرُّوا من الإيمانِ، ومِن تَبِعاتِه:[فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ]الأنبياء:5. يَستعجِلُون العذَابَ، ونزولَ الآياتِ الماديَّةِ المحسُوسَةِ والمُشَاهَدَةِ .. وفي الوقتِ الذي يشاؤونَه ويحدِّدُونَه .. لأنَّهم لا يُؤمنون إلا بما تُدرِكُه حواسُّهم، وأبصَارُهم .. بل حتَّى بعدَ نزول الآياتِ الماديَّةِ المحسوسَةِ، تجدهم يُكابِرُون، ويقولون عنها: سحرٌ .. وسَاحِرٌ .. والطَّبيعَةُ .. والأسْبَابُ .. ومَن لم تقنعْهُ مُعجِزَةُ القُرآنِ الكريمِ الخالِدَةِ، فلن تقنعَهُ مُعجزَةٌ أُخْرَى!

* * * * *

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً

632- كلما اشتدَّ ظُلمُ القُرَى كان ذلك إيْذَاناً بأفُولِها، وكان بُشرَى خيرٍ للمستضعفين المظلومين، سُنَّةٌ من سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه لا تَتغيّر ولا تتبدّل، [وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ]الأنبياء:11. فالأخْذُ والاسْتِبْدَالُ يكونُ مع الظُّلْمِ لا العَدْل!

الظَّالمُ يَفْرَحُ بظُلْمِه وبَغْيه، ويَغْفَلُ أنَّ حَتْفَهُ فِيما قد فرِحَ به!

* * * * *

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ

633- [بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ]؛ نَرمي بالتَّوحِيدِ، وَمَا وَالَاه، [عَلَى الْبَاطِلِ]؛ على الشِّرْكِ، ومَا وَالَاه، [فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ]؛ فيُزِيلُه، ويُبْطِلُه، ويَقْضِي عليه، [وَلَكُمُ]؛ أيُّها المشرِكُون الكافِرُون، [الْوَيْلُ]؛ العذَابُ الأليمُ، [مِمَّا تَصِفُونَ]الأنبياء:18. ممَّا تَكْذِبُون، وتُكَذِّبُون.

* * * * *

لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ

634- [لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ]؛ لجَلَالِ وكَمالِ صِفاتِه، وعَظَمَةِ أسمائِه الحُسْنَى، ولأنَّه خالِقُ الخلْقِ، ومَالِكُ المُلْكِ، رَبُّ العَالَمِين، لا يَصدُرُ عنه إلا حَقٌّ، وعَدلٌ، وخَيرٌ، وإحْسَانٌ .. ولِكَمالِ ربُوبيَّتِه وألوهيَّتِه لا تُوجَدُ سِلْطَةٌ، أو جِهَةٌ قادِرَةٌ على أن تَسأَلَه، أو أن تُراجِعَه في أمرِ قَضَاه وَشَاءَه، أو أنْ تُحاسِبَه، أو تُعَقِّب عليه، وعلى حُكْمِه، [وَهُمْ يُسْأَلُونَ]الأنبياء:23. وكُلُّ ما سِوَاه فهو عَبدٌ مخلُوقٌ مَرْبُوب، مَملوكٌ، مجبُولٌ على النَّقْصِ، والضَّعْفِ، ليسَ له شَيءٌ ممَّا للهِ تَعَالى من الأسماءِ الحُسْنى، والصِّفَاتِ العُلْيَا .. يُسْأل عن أفعالِه، وأقوالِه، وعن كُلِّ مَا يَصْدرُ عنه، وعن مَدَى أدائِه للأمانَةِ فِيمَا استأمنَه اللهُ عليه واسترْعَاه .. فَلا أحَدٌ غير اللهِ فوقَ المساءَلَة والمحَاسَبَةِ .. ومَن رَضِي لنَفْسه أن يكونَ فوقَ المساءلَة، وأنْ لا يُسْأَلَ عمَّا يَفعَل، فهو طَاغُوت .. وقد جَعَلَ من نفْسِه نِداً للهِ عز وجل، ومَن رضيَ له هذه الصِّفَةِ، وأقَرَّهُ عليها، فقَد أشْرَكَهُ معَ اللهِ فِيما هو مِن خُصُوصيَّاتِ اللهِ تعالى وحدَه، واتَّخذَه نِداً للهِ عزَّ وجل!

* * * * *

كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

635- [وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ] الأنبياء:29. مَن يَقُل منهم إنِ الحِكْمُ إلَّا لي من دُونِ اللهِ؛ فالحقُّ ما أرَاهُ حَقّاً من دُونِ اللهِ، والباطِلُ ما أراهُ باطلاً من دُونِ اللهِ، والحلالُ ما أراه حَلالاً من دُونِ اللهِ، والحرامُ ما أراهُ حَراماً من دُونِ اللهِ، وأنا المطاعُ لِذاتي من دُونِ اللهِ، وأنا المحبوب لِذاتي من دونِ اللهِ؛ فيَّ يُعقد الولاءُ والبراءُ من دُونِ اللهِ، وعلى النَّاسِ طَاعَتي واتِّباعي .. فهؤلاء كلهم يدَّعُون الألوهيَّة من دُونِ اللهِ، وهؤلاء كلهم معنيون، من قولِه تعالى:[وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ].

* * * * *

وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً

636- [وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً]الأنبياء:35. هَل يُقَابَل بَلاءُ الشَّرِّ بالصَّبرِ، وبَلاءُ الخيرِ بالشُّكْرِ ...؟

637- كثيرون هم الذين ينجحون في فتنةِ الشِدَّة، بينما قلّة هم الذين ينجحون في فتنةِ الخير، والرخاءِ، والسّعة! [وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً]الأنبياء:35. [فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]يونس:12. [وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ]المؤمنون:75.

638- [وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً]الأنبياء:35. المَنْعُ والعَطَاءُ، كلاهما اختبارٌ وبَلاء.

* * * * *

كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ

639- [وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ]الأنبياء:85. إنَّهم أنبياءُ اللهِ عليهم الصلاة والسلام .. فِيهم مِن الخِصالِ الحميدَةِ الكَثِير، الكَثِير .. خَصَّ اللهُ تعالى منها بالذِّكْرِ؛ الصَّبْرَ، وأنَّهم كانوا مِن الصَّابِرِين على طاعَتِه، وعلى القيامِ بمهام النبوَّةِ، وتحمُّلِ تبعاتِها .. لما للصبرِ والصَّابرين مِن مَقَام رفيعٍ ومحمودٍ عند الخالقِ سُبحانه وتعالى.

* * * * *

لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

640- [فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ]؛ ظُلْمَةُ بَطْنِ الحُوتِ، وظُلْمَةُ البَحْرِ، وظُلْمَةُ اللَّيلِ .. ظُلماتٌ بَعضُها فوقَ بعضٍ، وأنَّى لِنداءٍ أن يُسمَعَ تَعْلُوه، وتُحِيطُ به هذهِ الظُّلمَات إلَّا مِن رَبٍّ قَدِيرٍ لَا يَخفَى على سَمْعِه، ولا على بصَرِه شَيءٌ، [أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ]الأنبياء:87. استغَاثَةٌ مُسْتَعْجَلَةٌ جمَعَت بينَ التَّوحِيدِ، والتَّسْبِيحِ، والإقْرَارِ بالذَّنْبِ .. لَا يَقْوَى، ولَا يَسْتَعصِي عليها كَرْبٌ .. ولو كانَ المكروبُ في بَطْنِ الحُوتِ!

* * * * *

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

641- [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ]الأنبياء:90. ما أنْبَلَها وأعظَمَها مِن صِفَةٍ؛ إنَّهم لا يَفعلُون الخَيراتِ وحَسْب، بَلْ مَا إن يَستشرِفَ لهم بابُ خَيرٍ وطاعةٍ إلا

ويُسارِعُون إليه، وكأنَّهم في سِباقٍ، اغتِنَاماً لَه قَبْلَ أن يُغْلَقَ دُوْنَهم .. وهذه ليسَت صِفَةً لحْظِيَّةً آنِيَّةً، بل هي دائمةٌ لازِمَةٌ لجميعِ أحْوَالِهم!

642- [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ]الأنبياء:90. في فِعْلِ الطَّاعَات.

643- [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ]الأنبياء:90. هكذا شأن الأنبياء، وأتباع الأنبياء؛ فإنهم في سباقٍ مع الزَّمن؛ فلا تمرُّ ساعةً إلا ويبذلون فيها خيراً لأنفسهم، أو للناس، أو لأنفسهم وللناس معاً، إمّا يأمرون بمعروف، أو ينهون عن منكر .. أو يمشون في حاجةِ مكروبٍ أو محتاج .. أو يُغيثون ملهوفاً .. أو ينصرون مظلوماً .. أو ينفقون من فضل زادهم على ذوي الحاجة والمساكين .. أو يعودُون مريضاً .. أو يزورون رَحِماً .. أو يَلقون إخوانَهم ومن لهم حق عليهم بوجه طلق .. أو يُكرمون جاراً .. أو يُميطون الأذى عن طريقِ النّاس .. أو يغرسون لأنفسهم صدقة جارية تنفعهم بعد الممات .. أو ينشغلون لأنفسهم بالذّكر، والتلاة، والتأمّل، وغير ذلك من أنواع العبادات والطاعات ... سارِعْ يا عبد الله .. ثم سَارِعْ .. ثم سارع وسابِق .. ولا تدع أحداً يَسبِقُك في فِعلِ الخيرات!

* * * * *

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

644- [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ]الأنبياء:107. تُخْرِجُ النَّاسَ مِن الشِّرْكِ إلى التَّوحِيدِ، ومِن المعصيةِ إلى الطَّاعَةِ، ومِن جَوْرِ الأدْيَانِ إلى عَدْلِ ورَحْمَةِ الإسْلامِ، ومِن ضِيقِ الدُّنيَا إلى سَعَةِ ونَعيمِ الدُّنيَا والآخِرَةِ.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ

645- [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ]الحج:6. اللهُ تعالى هو الحقُّ، ومِنه الحقُّ، وإليه الحقُّ .. أسماؤه الحُسنى حَقٌّ، وصفاتهُ العُلْيَا حَقٌّ .. مِن أسمائِه الحقُّ .. وهو الربُّ بحقٍّ، والإله بحَقٍّ، لا مَأْلُوهَ ولا مَعبُودَ بحقٍّ إلَّا الحقُّ .. لا يَقولُ إلا حَقّاً .. يحبُّ الحقَّ، ولا يحكمُ ولا يَأمرُ إلا بالحقِّ .. وَعْدُهُ حَقٌّ .. ووعِيدُه حقٌّ .. والرجوعُ إليه حَقٌّ .. وحسابُه لعِبادِه على ما كان منهم مِن عمَلٍ حقٌّ .. فهو الحقُّ، وما سواهُ البَاطِلُ .. وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللَّهَ باطِلُ "متفق عليه.

* * * * *

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ

646- [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ]؛ على شَكٍّ، ووَجَلٍ، وضَعْفٍ، وعلى وجهِ التَّجْرِيب .. وهو يُؤْثِرُ أن يَبقَى في تدينِه على طَرفِ الدِّين، مِن غيرِ تعمُّقٍ ولا تمكُّنٍ .. حتى إذا وجَدَ مَا لَا يُناسِبَه ولا يُرضيَه سَهُلَ عليه الانسحابُ، والتملُّصُ، والتَّراجعُ، والارتدَادُ عن الدِّين، [فَإِنْ أَصَابَهُ]؛ بسَببِ عِبادَتِه، وتَدَيُّنِه [خَيْرٌ]؛ في نفْسِه، ومَالِه، وأهلِه، وتجارَتِه .. وأَقبلَت عليه الدُّنْيَا بِزُخْرُفِها وزِينَتِها، فَرِحَ، و[اطْمَأَنَّ بِهِ]؛ بالإسلامِ، وبقيَ على تَدَيُنِه، وعبادَتِه التي هي لا تزالُ على حَرفٍ .. وأظهرَ إعجابَهُ بالإسلامِ، وأثنَى عليه خَيراً، [وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ]؛ بلاءٌ وشِدَّةٌ في نفْسِه، ومالِه، وأهْلِه .. ظَنَّ بالإسلامِ سُوءاً، وأثنَى عليه وعلى تعاليمه شَرّاً، وردَّ ما أصَابَهُ مِن بلاءٍ إلى عبادَتِه للهِ، وتَدينِه، وإلى قُربِه مِن الصَّالِحين، [انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ]؛ ارتدَّ عن الإسلامِ إلى الكُفرِ والإلحَادِ .. ظانّاً أنه بذلك يُعاقِبُ الإسلامَ .. وأنَّ في ذلك خلاصَهُ مما نزَلَ به .. وهو

بارتِدَادِه عن الإسْلامِ يخسَرُ ولا يربحُ شَيئاً، ولَا يُعاقِبُ إلا نَفْسَه، [خَسِرَ الدُّنْيَا]؛ فلم يَنكشِفْ عنه البلاءُ، ولم يحصلْ فيها على ما يُريد بسببِ ارتدَادِه عن الدِّين، ولربما تَضَاعفَ عليه ضَنَكُ العَيشِ، [وَالْآخِرَةَ]؛ حيثُ العذَابُ الأَليمُ، والخُلُودُ في نارِ جهنَّم أَبَدَاً، [ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ]الحج:11. الواضحُ والصريحُ، والذي ليسَ بعدَه خُسران .. فهو يُقابِلُ البَلاءَ الذي نزلَ به ـ وهو خُسرَانٌ أَصْغَر ـ بالكُفْرِ، والإلحادِ، والارتدَادِ؛ وهو الخُسرانُ الأكبَرُ .. كالمستجيرِ مِن الرَّمْضَاءِ بالنَّارِ .. وكالذي يَفرُّ مِن المطَرِ فيقفُ تحتَ المزْرَاب!

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

647- [إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ]الحج:14. إن اللهَ تعالى يفعلُ ما يَشاءُ، وقتَمَا يَشاءُ، وكيفَمَا شَاءَ .. لا يُسألُ عمَّا يَفعلُ .. ولَا رَادَّ لفعلِه ومَشِيئتِه رَادٌّ .. لا يحولُ بينَه وبينَ فعلِه ومَا يُريدُ حائِلٌ .. ولا يُلزَم بفعلٍ دُونَ فِعلٍ .. ولا تُحَدَّدُ له مساحةٌ تنحصرُ فيها أفعَالُه .. كما يَفعلُ ـ قليلُو الأدَبِ معَ اللهِ ـ العلمانيُون والليبراليُون .. فيَحْصرُون أعمالَ اللهِ تعالى في السماءِ دُونَ الأرضِ .. وفي اليومِ الآخِرِ دُون الحياةِ الدنْيَا .. وفي المساجدِ والمعابِدِ دونَ غيرِها مِن بقاعِ الأرضِ .. ويَقولُون ـ بزعمهم كَذِباً وزُوراً ـ هذا للهِ، وهذا لهم ولآلهتِهم .. السماءُ للهِ، والأرضُ لهم .. مَا للهِ، لله، وما لقَيصَر، لقيْصَر .. ومَا كان للهِ يَصلُ إلى قَيصَر، وما كانَ لقيْصَر، لَا يصلُ إلى اللهِ .. سَاءَ مَا يَحْكُمون!

* * * * *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ

648- [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ]؛ إخاءٌ، وانسِجَامٌ، وتوافقٌ بينَ جميعِ مخلُوقاتِ الكَوْنِ، السَّماويَّةِ والأرضيَّةِ .. الكلُّ ومِن دُونِ استثناءٍ يَسيرُ ـ في تناغُمٍ عجيبٍ ـ في فلَكِ السُّجُودِ والتَّسبيحِ للهِ عز وجل .. وبصَوتٍ واحِدٍ " سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِهِ "، كما في الحديث:" سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِهِ، فإنَّها صَلاةُ كلِّ شيءٍ، وبِها يُرزَقُ الخَلْقُ ". [وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ]؛ وهم المؤمنون الموحِّدُون؛ فإنَّهم يُشاركون مخلُوقات الكون في السجُودِ والتَّسْبيحِ، ويلتقُون معها في رابطةِ الإيمانِ والتَّوحِيد، [وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ]الحج:18. وهم الكُفَّارُ المشركُون، الملحِدُون، النَّاكِرُون للجميلِ .. فهم وحدهم فقَط ـ مَهمَا كثرُوا ـ الغُرباء الذين يَشذُّون عن هذا النَّسَقِ، والانسِجامِ، والإخاءِ في السُّجودِ، والتَّسْبِيح ...!

* * * * *

وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ

649- [وَمَن يُهِنِ اللَّهُ]؛ فيُذِلُّه، ويُشْقِيه، لسَبَبٍ مِن عندِ المُهَان، وبما كَسَبَت يَدَاه، [فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ]؛ فلو اجتمَعَ الإنْسُ والجنُّ على أن يُعِزُّوه، ويُسْعِدُوه، ويُكْرِمُوه، فلا مُكْرِم له .. فهو يَنتقِلُ مِن شَقَاءٍ إلى شَقاءٍ، ومِن ذُلٍّ إلى ذُلٍّ، ومِن هَوَانٍ إلى هَوانٍ .. وخيَارَاته كلها لا تخرجُ عن دائرةِ الذُّلِّ والشَّقَاءِ، [إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ]الحج:18. من الإذْلالِ، والإعْزَازِ، والإكْرَامِ .. يعِزُّ ويُكْرِمُ مَن يَشَاءُ، ويُذِلُّ ويُهِينُ مَن يَشاء .. لا رَادَّ لأمْرِه وقضَائِه!

* * * * *

وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ

650- [وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ]الحج:30. قَولُ الزُّورِ مِنه ما هو مُتَعلّقٌ بالناسِ؛ فيُشْهَد على المرْءِ بما ليسَ فِيه .. وعلى الواقعِ بِخلافِه .. وعلى الظَّالِمِ بأنَّه مَظلومٌ، وعلى المظلومِ بأنَّه ظالمٌ .. وعلى المُبطِلِ بأنَّهُ مُحِقٌّ، وعلى المحقّ بأنه مُبْطِلٌ!

ومِنه ما هو مُتَعلّقٌ باللهِ عزَّ وجَل، وهو الجانِبُ الأشَدّ جرْمَاً ووزْراً؛ فيُنْسَبُ للهِ ـ زُوراً وكَذباً ـ الشِّرْكُ، والشَّرِيكُ، والولَد .. ومِنه القولُ على اللهِ بغيرِ عِلمٍ .. وتَحليلِ ما حرَّمَ اللهُ، وتَحريمِ ما أحَلَّ اللهُ .. ثم يقولون هو من عندِ اللهِ، وما هو من عِندِ اللهِ!

* * * * *

ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ

651- [ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ]؛ الدِّينُ كُلّه؛ جميعُ التَّعالِيمِ، والشَّرَائِعِ، والأحكامِ التي جاءَ بها الإسلامُ، تَدخلُ في مَعنى شَعَائِرِ اللهِ، وأَعْظَمُ شَعَائِرِ اللهِ التي يجبُ أن يُصرَفَ لها التَّوقِيرُ والتَّعظيمُ؛ أسماءُ اللهِ الحُسْنَى، وصِفَاتُه العُلْيَا، [فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ]الحج:32. فإنَّ تَعظيمَها واحترَامَها علامَةٌ دَالَّةٌ على تَقوَى في القُلُوبِ .. فالتَّعظيمُ لشعائِرِ اللهِ مَبْعَثُهُ تَقْوَى في القَلْبِ .. مَفهومُ المخَالَفَةِ يَقتَضِي أنَّ مَن لم يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ؛ كان ذلك علامةً على انتِفَاءِ التَّقْوَى مِن قَلْبِه .. ومِمَّا يُستفادُ مِن الآيةِ أنَّ الظَاهِرَ بَرِيدُ البَاطِنِ، ودَليلٌ عليه.

652- [ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ]الحج:32. جميع فرائض الإيمان، والإسلام من شعائر الله، وتعظيمها وتوقيرها فرض، وصفة تعظيمها،

كل ما قضى به النقل والعُرف بأنه تَعظيم، وتوقير، فهو تعظيم مشروع، فليس للتعظيم صفة ثابتة لا يجوز تجاوزها، فالزمان، والعرف السائد في بلد من البلدان، ولشعب من الشعوب، دور في تحديد معنى التعظيم والتوقير، وما يدخل في معنى التعظيم المشروع؛ شريطة أن لا يتصف هذا التعظيم بمحظور شرعي، أو يؤدي إلى محظور؛ كالشرك، والتبذير، والإسراف، ونحو ذلك مما نص الشارع على حرمته .. وبالتالي يمكن القول: بأن جميع صور التعظيم والتوقير، والاحترام مباحة ما لم يرد نص يفيد التحريم والحظر .. وكان من الصحابة من يضع القرآن على وجهه ويقول:" إنه كلام ربي، إنه كلام ربي ". فهذا الفعل في نظر الصحابي يدخل في معنى التعظيم والتوقير، وإلا لما فعل ذلك .. ونحوه تقبيل القرآن .. وتكبير خطه عند الطباعة .. ووضعه في البيت في موضع مرتفع يُصان فيه عن صور الامتهان .. وكان من السلف مَن إذا ذُكِر النبي صلى الله عليه وسلم أمامه، يتغيّر لونه، ويشتد بكاؤه، وينحني حتى يصعبَ ذلك على جلسائِه .. وإذا ما قيل له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخفِض من صوتِه .. وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجدِ النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال: أتدريان أين أنتما ...؟!". فهذه الصور من التعظيم والتوقير، ونحوها، كلها مباحة ومستحبة، وتدخل دخولاً كلياً في المراد من الآية الكريمة أعلاه:[ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ]الحج:32.

* * * * *

وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ

653- [لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ]الحج:37. جَميعُ الطَّاعاتِ الظَّاهِرَةِ لن يَصِلَ إلى اللهِ مِنها شَيء .. اللهُ تعالى غَنِيٌّ عَنها .. وعَن جميع عِبادِه .. إنما يَصِلُه مِنَ العَمَلِ الإخْلَاصُ، وتَقْوَى القُلُوبِ.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا

654- [إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا]الحج:38. ضدَّ من يُعادِيهم مِن الظَّالمين، والكافرين، والمشركين .. ضدَّ شياطين الإنسِ والجنِّ .. كيفَ يُدافعُ اللهُ عنهم .. ومتى يُدافعُ عنهم .. وأينَ .. وما هي الوسَائلُ، والجنودُ التي يُسخرُها في الدِّفاعِ عنهم .. وكم يَدفَعُ عنهم من الشَّرِّ والعُدوَان .. قد يتكشَّفُ لنا من ذلك القَليلُ .. والكثيرُ من ذلك لا يعلمُه إلا اللهُ .. لكن اليَقين الذي لا يجوزُ أن يعتريَه الشَّكُّ هو [إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا]. هذا اليقين والشُّعور به مهم جداً في عمليَّةِ التدافُع والصراعِ بين الحقِّ والباطلِ .. يُضفِي على المؤمنين شُعوراً بالنَّشوةِ والانتصارِ قبل أن يخوضُوا المعركةَ .. وهم يخوضُون المعركة .. كما يُضفِي عليهم شُعوراً بالأمنِ والأمانِ .. ولمَ لا .. واللهُ معهم، ويُدافعُ عنهم!

* * * * *

الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ

655- [الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ]الحج:41. لو عَلِمَ اللهُ صِدقنا في تنفيذِ شرطِ الوعد بالتمكين:[أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ]، لحقَّق لنا

الوعدَ بالتّمكين، لا محالَة:[إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ]. لكن لا تزالُ النَّوايا زايغة .. إذْ كثير منا يجد في نفسه حرَجاً من دينِ الله، أو من بعض ما أنزل الله!

* * * * *

فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ

656- [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ]؛ عَن رُؤيةِ الأشْيَاءِ، [وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]الحج:46. عَن رُؤيةِ حَقِيقَةِ الأشْياءِ؛ الدَّالَّةِ على أنَّ اللهَ تعَالى حَقٌّ .. وأنَّ القُرآنَ حَقٌّ .. وأن لَا مَعبُودَ بحقٍّ في الوجُودِ إلَّا الله.

* * * * *

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ

657- [وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ]الحج:78. إفْرَاغُ الجهْدِ .. ونِهايَةُ حُدُودِ الاستِطَاعَةِ ـ قلَّت أم كَثُرَت ـ ثم بَعدَ ذلك يَتَنزَّلُ نَصْرُ اللهُ.

* * * * *

وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ

658- [وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ]الحج:78. حَيثُما يُوجَدُ الحَرَجُ؛ فهو ليسَ مِن دِينِ اللهِ .. وحَيْثُما يُوجَدُ الحرَجُ؛ أعقَبَهُ التَّيْسِيرُ والتَّسْهِيل.

* * * * *

وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ

659- [وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ]المؤمنون:71. لأنَّ الأهواءَ والرَّغبَاتِ لا تَقفُ عِندَ حَدٍّ مُعَينٍ مِن الانْحرافِ، والشُّذُوذِ .. ومَهْمَا ارتَوت تَطلُب المزيدَ، كَمَن يَروي ظَمَأهُ مِن ماءِ البحرِ المالِح .. ولو طاوَعَها الحقُّ المنزَّلُ على ما تُريدُ لمَا بقي مِن معالِمِ الشريعةِ شيءٌ ثابِت، ولأصبَحَ الحلالُ حراماً، والحرامُ حَلالاً .. والمعروفُ مُنكراً، والمنكرُ مَعروفاً .. والحقُّ باطلاً، والباطلُ حَقاً .. والذي يُمدَح ويُطلَبُ اليومَ يُذمُّ غَداً، والذي يُذَم غَدا، يُمدَحُ ويُطلَبُ بعدَ غَدٍ .. وفي ذلك فسَادٌ عَرِيضٌ .. وهلاكٌ للنَّاسِ .. بل وفسَادٌ لنظامِ الكونِ كُلِّه .. ولما اتَّبعَت الكنيسةُ أهواءَ النَّاسِ، ورغباتِهم .. وطَوَّعَ الأحبارُ والرهبانُ الدينَ لأهواءِ ورغباتِ النَّاسِ، فأحَلُّوا لهم الحرامَ، وحرموا عليهم الحَلالَ .. بلغوا من الانحرافِ والشُّذُوذِ والفسوقِ مبلغاً لم يُعرَف مِن قَبل .. إلى درجةٍ أصبحت كنائِسُهم موطناً للعَقْدِ والتزَاوجِ بين اللُّوطِيين " المثليين " .. والشُّذُوذُ مستمرٌ وفي اتِّساعٍ، لا يُعرَف له مُنْتَهى يقِفُ عِندَه، لأن الأهواءَ والرَّغباتِ إن تفلَّتَت من لجامِ الحقِّ المنزَّلِ، لا تَعرفُ حَداً تَقفُ عِندَه .. فهي في تَحْدِيثٍ مُستمرٍّ .. وفي ذلك عِظةٌ وعبرةٌ للعلماءِ من أتباعِ الحقِّ المنزَّل " القرآن الكريم "، أن يَثبتُوا على الحقِّ المنزَّلِ .. وأن لا يُطاوعُوا الناسَ على أهوائِهم ورغباتِهم، بغيرِ سُلطانٍ مِن اللهِ .. فيَضلُّوا ويُضِلُّوا .. ويَهلَكُوا، ويُهلِكُوا .. ولَن يَضرُّوا الحقَّ شَيئاً.

* * * * *

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ

660- [بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ]؛ بالقرآنِ الكريمِ الذي يُديمُ ذِكْرَهم بالخيرِ، ويُعِزَّهُم، ويُعْلي مِن شَأنِهم ومجدِهم، ومَكانتِهم، في الدُّنْيا والآخِرَةِ، إن آمَنُوا وعمِلُوا به، [

فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ]المؤمنون:71. لكن الكفارَ والمشركين عن هذا الخيرِ كُلِّهِ مُعرِضُون، وزاهِدُون!

وفيهِ أنَّ المرءَ على قَدْرِ إقبالِه على القُرآنِ الكريم؛ تِلاوَةً، وتَدَبُّراً، وفهماً، وعملاً، على قَدْرِ ما يُعلي اللهُ تعالى ذِكْرَه في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

661- وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:75-76. وهؤلاء من ذوي الكفرِ والعَمَى المغلَّظين؛ فلو أُخِذوا بالعَذابِ، وشِدّة البلاءِ، لا يتوبون، ولا يَعودون إلى ربِّهم، وإلى رشدِهم .. ولو رُفِع عنهم العَذابُ والبَلاءُ، لا يَشكرون، بل سُرعان ما يَنسون، ويَعودون إلى ما كانوا عليه من الخطَايا؛ ليزدادوا كُفراً، وطُغياناً، وفساداً، كأنهم لم يُبتَلوا من قبل .. وما أكثر هذا النموذَج في زماننا!

هذه الآيات وإن قِيلت في الكافِرين إلا أنَّها تُحْمَل على العُصَاةِ من المسلمين؛ الذين لم يتَّعظوا مما نزلَ بهم من بَلاءٍ، ولو خرجوا منه لعادوا لما كانوا عليه من الإثم، والفسادِ، والظلمِ، والإنحراف، ولربما أشد ...!

* * * * *

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ

662- [وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:76. رغْمَ أنَّ فاتُورةَ الظلمِ تتضاعَفُ .. وتَشتَدُّ تكَاليفُها .. فإنَّ الظَّالمين لا

يتَّعظُون .. ولا يتُوبُون، ولَا يَرجعُون إلى رَبِّهم .. فهم يَستمِرُّون في ظُلْمِهم، وبَغْيِهم، وعُدْوانِهم .. وكأنَّهم لم يُؤخَذُوا بالعَذَابِ!

663- الطُّغاةُ الظّالمون كُلَّما أُخِذُوا بالعَذَابِ، وزِيْدُوا شِدَّةً وعَذَاباً، ازدَادُوا طُغياناً وغَيَّاً، وكُفْراً .. [وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ]؛ تأدِيباً لهم ليتوَقَّفُوا عن ظُلمِهم وغَيِّهم، [فَمَا اسْتَكَانُوا]؛ لِكِبْرِهم وتَعَالِيهم على الحقِّ، فَمَا تَوَاضَعُوا، وخَضَعُوا، [لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:76. ومَا رَغبُوا بالدُّعَاءِ إلى رَبِّهم ليكشِفَ عنهم العَذَابَ .. فالكِبرُ يتملَّكُهم، ويَصدُّهُم عن ذلك؟!

* * * * *

وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ

664- [وَهُوَ يُجِيرُ]؛ لِكمالِ قُوَّتِه، وقُدْرَتِه، وعِزَّتِه، وعُلُوِّ وجَلالِ أسمائِه وصِفَاتِه .. فهو القَادِرُ على أن يحمِيَ مَن يَلُوذُ ويحتَمِي بِه، ويَطلُبُ جوارَه .. فيُجِيرهُ ويحميه مِن كُلِّ شَرٍّ، وطَالِبٍ؛ مهمَا كانَ الطَّالِبُ له قَوِيَّاً، وجَبَّاراً، [وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ]المؤمنون:88. لا يُوجَدُ مخلوقٌ ـ أيَّاً كانت صِفَتُه، ومَهمَا كان قَوِيَّاً ـ يمكنُ أن يُجيرَ ويحمي مَن يُريدُه اللهُ تعالى بِشَيءٍ، أو بِشَرٍّ أو ضُرٍّ .. فهو سُبحانه يُستَعَاذُ به مِن شَرِّ ما خَلَقَ، ولا يُستعَاذُ بمخلُوقٍ مِنْهُ .. وفي الحديث:" ألِظُّوا بيا ذَا الجَلَالِ والإكْرَام ". أي لوذُوا، والجَأُوا، والزَمُوا، وأكثِرُوا مِن هَذا الذِّكْرِ والدُّعاءِ " يَا ذَا الجَلالِ والإكْرام ". ومَن لَزِم ولَاذَ بيَا ذَا الجَلالِ والإكْرَام، مَن ذَا الذي يَقْوَى عَليه ...؟!

* * * * *

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ

665- [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ]؛ ادْفَعْ السَّيئةَ بالحسَنَةِ .. والشرَّ بالخيرِ .. والباطِلَ بالحقِّ .. والجهْلَ بالعِلْمِ .. والفُحْشَ والفجُورَ في القَولِ، بالقَولِ الحسَنِ .. والخلُقَ الرَّدِيَّ بالخلُقِ الرَّفيعِ .. وهذه صِفةٌ نبيلةٌ لَا يَقدرُ عليها إلَّا مَن كظَمَ غَيظَه في اللهِ، وهو قادرٌ على أن ينفذَه، [نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ]المؤمنون:96. أعلمُ بهم وبمقالاتِهم الباطِلَةِ والسيئةِ التي تَصِفُ الحقَّ وأهلَه كذباً وزُوراً بالقولِ السَّيءِ والباطِلِ .. وإنَّا لمجازُوهم على مَا يَقُولُون ويَفعَلُون .. وهذه الآيةُ الكريمةُ وإن كانَ العمَلُ بها منسُوخاً في حالِ التعامُلِ مع العدُوِّ الكافِرِ المحارِبِ ـ كما يَقولُ بَعضُ أهلِ العِلمِ ـ إلا أنَّ العمَلَ بها معَ مَن لا يجبُ قتالُهم من المخالِفين مِن أهلِ القِبْلةِ وغيرِهم، غيرُ مَنْسُوخٍ .. والعملُ بها باقٍ ما بقيَت الحسَنَةُ والسيئةُ .. وبقي الحسَنُ والسَّيءُ.

* * * * *

لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ

666- [حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ]المؤمنون:99-100. الكافرُ لِمَا يَرَى يومَ القيامةِ مِن مَشاهِدِ الخزْيِ والعذَابِ يتمَّنى لو أنَّه يَستطيعُ أن يَعودَ إلى الدُّنيا؛ ليؤمِنَ ويعمَلَ عملاً صالحاً، ويستدرِكَ مَا فاتَه مِن الإيمانِ والعمَلِ، لينجُو مِن عذَابِ يومئذٍ .. والمؤمنُ لِمَا يَرى مِن مشَاهِدِ النَّعيمِ والكرَامَةِ والجِنَانِ، يتمَّنى لو أنَّه يَستطيعُ أن يعودَ إلى الدُّنيا؛ ليَستزِيدَ مِن العمَلِ الصَّالحِ، ليعظُمَ له الأجرُ، وتَعظُمَ له المثوبَةُ والمقاماتُ العُلا .. والفَرْقُ بينَ الأمنِيَتَينِ عَظِيمٌ .. وهَا أنتَ يا ابنَ آدَم ـ يا مَن تَقْرأُ هذهِ الكلمات ـ لا تَزالُ في الحياةِ الدُّنيَا .. والفُرصَةُ لا تزالُ مُتَاحَةً لَك .. ومَعْرُوضَةً عَليك .. فاغْتَنِمْهَا قَبلَ فَواتِ الأَوانِ .. وقبل أن تقول:[ارْجِعُونِ]، فيَقَعُ النَّدَمُ، ولاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً

667- [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً] هَمَلاً من غيرِ أمرٍ، ولا نهي، ولا تكليفٍ نتعبّدكم به [وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ] فتُحَاسَبون على ما كان منكم من عمل [فَتَعَالَى اللهُ] تَنزّه وتَعَاظَم، وتقَدَّسَ اللهُ عن هذا العَيبِ والنَّقص، وعن كلِّ عَيبٍ [الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ]المؤمنون:115-116.

* * * * *

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً

668- [لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً]النور:12. وإن كان لهذهِ الآيةِ الكريمةِ مُناسَبَة .. لكن يُمكن الاستفادَةُ منها، وتَعميمُها على كلِّ مناسَبَةٍ أو حَدَثٍ يحملُ المؤمنين والمؤمنات على أن يَظنُّوا بأنفُسِهم شَرّاً .. فالعِبرةُ بعمومِ اللَّفظ، لا بخصُوصِ السَّبَب .. كم من رَجُلٍ صَالِحٍ؛ له سابقةُ عِلمٍ وبلاءٍ وجِهادٍ .. يَرِدُ موردِاً مُتَشَابهاً للبعضِ .. أو يقولُ كلمةً مُتشابهةً على البَعضِ .. فيخوضُ فيه الخائضُون بين التَّفْسيقِ، والتَّضليلِ، والتَّخوين .. وأحسَنُهم الذي يتوقَّفُ عن الخَوضِ .. تَاركاً مَسَاحةً لاحتمَالِ صحَّةِ خَوضِ الخائضين فِيما يخوضُون فيه!

موقفٌ يحتملُ مِن وجْهٍ ظنَّ الحَسَن .. ومِن وجهٍ آخَر يحتَمِلُ ظَنَّ السّوء .. فيُسَارِعُون إلى تَقديمِ ظَنِّ السّوءِ على الظَّنِّ الحَسَن .. ويُرتِّبُون عليه جَرْحاً وتَعديلاً!

كلمةُ قَذْفٍ تَصدُرُ عَن فاسِقٍ؛ يَرمي بها المؤمنين الصَّالحين .. فيتَنَاولها الناسُ مُباشرةً في مجالسِهم ومنتدياتِهم .. على أنَّها صِدْقٌ .. وأنها الحقيقَةُ التي ما بَعدَها إلا الضَّلال .. ومِن دونِ أن يُكلِّفُوا أنفسَهم عَناءَ التَّبينِ والتَّثَبُّتِ مما يُشيعُه الفسَّاقُ عن عِبادِ اللهِ المؤمنين!

مَا ضَرَّ هؤلاء لو ظَنُّوا بالمؤمنين والمؤمناتِ خَيراً .. وقَدَّمُوا ظنَّ الحسَنِ على ظنِّ السّوءِ .. والتَّفسيرَ الحسَن على التَّفسيرِ السُّوء؟!

ما ضَرَّ هؤلاءِ لو تَبيَّنُوا وتَثَبَّتُوا قبلَ أن يُصَدِّقُوا .. ويتَناقَلوا .. وينْقلُوا .. ما يُشيعُه الفسّاقُ والمنافقُون عن عبادِ اللهِ المؤمنين الصَّالحين، عملاً بقولِه تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ]الحجرات:6.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ..

669- [إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]النور:19. لا يَرضَى الكفارُ، ولا يَهدَأ لهم بَالٌ، ولا يَهنأ لهم عَيْشٌ، أن تَبْقَى الفَواحِشُ والمنكَرات حَبيسةَ حياتِهم الخاصَّةِ والعَامَّةِ .. حتى تَنْتقلَ - عَدْوَى الفواحش - إلى المؤمنين؛ فتَشيع الفَاحِشةُ في جميع مرافقِ حياتِهم، إلى أنْ تدخلَ مساجِدَهم؛ أشَدّ الحصُونِ تحصُّناً ضِدَّ الفواحِشِ والمنكَرات .. ولا يَقبلون بأقلّ من ذلك .. كما أُعْلِن في بعضِ الدول الأجنبيَّةِ عن بعضِ المساجِدِ التي رَفعت رَاياتِ اللواطةِ والمثْليَّةِ والعياذُ بالله .. آملين - مع الضَّغطِ والدِّعايةِ المكثَّفةِ - أن تنتقلَ هذه العادةُ الخبيثةُ إلى بقيَّةِ المساجِدِ، وفي بلادِ المسلمين .. والمساجِدُ التي تَرفعُ تلك الرَّاياتِ تَدخلُ في خانَةِ وطابُورِ " مساجد ضِرَار " التي يجبُ اعتزالها .. والإسراعُ في الخُطَا عند المرورِ من جِوارها !..

وهم يَحرِصُون هذا الحرصِ الشَّدِيدِ على أن تشيعَ الفاحِشةُ في الذين آمَنُوا، ويُنفقونَ في سَبيلِ ذلك الأموالَ الطَّائِلةِ .. وأحياناً يجعلونَ الموافقةَ عليها شَرطاً لمضي كثيرٍ من الاتِّفاقيات والعُقُود السياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ .. ليصدُّوا المؤمنين عن دِينِهم، ولِعلْمِهم بأثَرِ الفَواحِشِ الفَتَّاك على إيمانِ المؤمنين .. وهو آخَرُ ما تَبَقَّى مِن أسْلحتِهم في مواجَهةِ إيمانِ المؤمنين .. صدق الله العظيم:[وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء]النساء:89.

670- [إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا]؛ عَن طَرِيقَين: طَرِيقُ تَيسِيرِ الفَوَاحِشِ لهم، ونَشْرِهَا أمَامَهم، وتَزْيينِهَا، وتَرْغِيبِهم بها؛ ليَقَعُوا فِيها، وفي آثارِها .. وطَرِيقُ التَّجَسُّسِ عليهم، وعلى عَوْرَاتِهم، وكَشْفِ المخبُوءِ والمسْتُورِ مِن حيَاتِهم؛

لِيُشَهِّرُوا بِهِم، وَيَشْمَتُوا، ويُشَمِّتُوا النَّاسَ بِهِم .. أولئك:[لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]النور:19. عَن عبدِ الرحمنِ بن عوف رضي الله عنه، قال:" مَن سَمِعَ بِفَاحِشَةٍ فَأَفْشَاهَا، فهو كالَّذِي أَتَاهَا ". أي في الإِثْمِ. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:" القَائِلُ الفَاحِشَةَ، والذي يَشِيعُ بها، في الإثمِ سَوَاء ". وقال ابنُ عِيَاض:" إنَّ الفَاحِشَةَ لَتَشِيعُ في الذين آمَنُوا، حتَّى إذا بَلَغَت إلى الصَّالِحين كانُوا خُزَّانَها ".

* * * * *

وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء

671- [وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء]؛ فإنَّ الشيطانَ يأمرُ بتركِ الزواجِ الشَّرعي، وتأخِيرِه، وتَعْسيرِه، والتنْفيرِ منه .. والتَّشَدُّدِ فيه .. والاستِعَاضَةِ عنه بالعَلاقَاتِ والممَارَساتِ الجِنسيَّةِ خارِجِ عِشِّ الزَّوجيَّةِ، والحياةِ الزوجيَّةِ .. فالفَاحِشَةُ لا تَنتشرُ كما تَنتشرُ عند العزُوفِ عنِ الزَّواجِ، وتَأخِيره، من الطَّرفين: الذَّكُور والإنَاث، [وَالْمُنكَرِ]النور:21. وهو كل مَا خالفَ وضادَّ المعرُوف.

672- [وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ]النور:21. [وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ]؛ لَن يقتصرَ انحرافُه على الوقوعِ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ .. فالشيطانُ لا يقبلُ منه أن يقفَ عندَ هذا القَدْرِ من المتابعَةِ والانحرَافِ .. فهو لا يَرضَى ولا يكفُّ عنه، إلَّا أن يصبحَ هو ذَاتُه مِن حِزبِ الشَّيطانِ، ومِن الدُّعاةِ إلى حزبِ الشَّيطانِ، يأمرُ بما يأمرُ به الشّيطانُ، [بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ]!

* * * * *

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ

673- [وَالَّذِينَ كَفَرُوا]؛ باللهِ، وملائِكته، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، [أَعْمَالُهُمْ]؛ حَسنَاتُهم، وأعمالُهم الصَّالحةِ .. مَثَلُها؛ [كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ]؛ كحركَةِ وتَمَوُّجِ أشعَّةِ الشمسِ، في يومٍ حَارٍّ، في وقْتِ الظَّهيرَةِ .. تَعْلُو بِقَاعاً مِن الأرضِ مَلْسَاء، لا شجَرَ فِيها، ولا زَرْع، [يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً]؛ إذَا رآهُ الظَّمْآنُ؛ الشَّديدُ العَطَشِ .. مِن بَعيدٍ .. يَحسَبُه ويُخَيَّلُ إليه لشِدَّةِ عَطَشِه أن تِلكَ الحركَةِ والتَّمَوّجِ مِن أشعَّةِ الشَّمسِ هي حركَةٌ وتموُّجٌ للمَاءِ .. فيَقصُدُه مُسْرِعاً، ليَدفَعَ عن نفْسِه شِدَّةَ العَطَش، [حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً]النور:39. حتَّى إذا وصَلَ إليه لم يجِدْهُ مَاءً .. ولا شَيئاً يَنتَفِعُ به .. وإنما وجَدَهُ سَرَاباً لا يَرِدُّ عَطَشاً .. ولا يُنتَفَعُ به في شَيءٍ .. فتَقَع الحَسْرَةُ، والنَّدامَةُ .. ولَاتَ حِينَ مَنْدَم .. كذلك الكَافِرُ لَمَّا بَنَى حَسنَاتِه وأعمَالَهُ الصَّالحةِ على أَسَاسِ الكُفْرِ والشِّركِ .. وليسَ على أَسَاسِ الإيمانِ والتَّوحيدِ .. فيَشتدُّ ظمَأُهُ يومَ القِيامَةِ .. وتَشْتَدُّ حاجَتُه للمَاءِ .. يومَ تَدنو الشمسُ من رؤوسِ العِبادِ كُلٌّ بحسْبِ عمَلِه .. فيَقصدُ أعمالَهُ الصَّالحة عَساهُ يجدُ فِيها ظِلّاً لنَفْسِه .. أو أن تنفَعَهُ في شَيءٍ .. إلا أنَّه يُصدَم عندما يجدُها كسَرابٍ .. لا شَيء .. والسَّبَب أنَّه لم يبنِ حَسنَاتِه وأعمالِه الصالحةِ على أَسَاسٍ مِن الإيمانِ والتَّوحِيدِ .. وإنما بنَاهَا على أَسَاسٍ مِن الكُفرِ، والشِّركِ .. والشِّركُ يُبطِلُ ويُحبِطُ العَمَلَ كُلّه.

* * * * *

وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ

674- [وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً]؛ مِن كتَابِ اللهِ، ومِن سُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. يُبصِرُ به الحقَّ مِن الباطِلِ .. يَهتَدي به إلى الصِّراطِ المستَقِيم .. ويكشِفُ له الأشياءَ على حقيقَتِها مِن غيرِ لبْسٍ ولا غُموضٍ، [فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ]النور:40. يَهتدي به

الطريقَ .. سيظلُّ يتخبَّطُ في ظُلماتِ الكُفرِ، والشِّرْكِ، والضَّلالِ .. يَنتقلُ مِن باطِلٍ إلى باطِلٍ .. يَعيشُ التّيهَ والضَّياعَ .. لا يهتَدي سَبيلاً .. ولا يُحسنُ التمييزَ بين الحقِّ والباطِلِ، ولا بينَ ما يَنفعُه، ومَا يَضرُّه.

والنورُ المستخدَم يخبُو ويقْوَى بحسْبِ ما تمدُّهُ من مَصْدَرِ الطَّاقَةِ والنُّور؛ مِن كتابِ اللهِ تعالى، وسُنَّةِ نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم .. ومَن كان نورُه ضَعيفاً لا يتكشَّفُ له ما يتكشَّفُ ويَظهرُ لمن كان نُورُه قوياً .. ولربما مَرَّ عليه الباطلُ وهو لا يَتنبَّه له بأنَّه باطِلٌ .. وهذا سَببٌ قويٌّ ودَافعٌ للانكبابِ على طَلبِ العِلمِ، والتَّفقُّهِ بما في الكتابِ والسنَّةِ.

* * * * *

وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ

675- [وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً]، كل هذا المنّ، والعطاء، والخير، مقابل:[يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً]النور:55. وعندما يتأخّر الموعود، نحن أمام خيارين: إما الظن بالله تعالى سوءاً، وأنه تعالى قد أخلفَ الميعاد، وهذا مُحالٌ، وهو كفرٌ والعياذُ بالله، وتكذيب لقوله تعالى:[وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ]التوبة:111. وإمَّا أن نتهم أنفسَنا بالتّقصير، وأنها لم تحقّق شرط الموعود كما يجب وينبغي، وهو [يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً]، ولا مناصَ لنا إلا هذا الخيار، لنجتهد طاقَتَنا ووسعنا في تحقيقِ العبادةِ بمعناها العام والخاص؛ الشَّاملِ لجميع ما يحبّه الله تعالى من الأقوالِ والأعمال الظَّاهرةِ والباطنة، وأن نجتنب الشّركَ ما ظهرَ منه وما بطن، ما عظُمَ منه، وما دَقّ .. ولا نتسرّع في تزكيةِ أنفسنا على الله!

* * * * *

وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ

676- [وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ]النور:60. الحرَّةُ تَعيشُ حياتَها مِن غَيرِ زَوْجٍ .. ولَا تَسْتَشْرِفُ الزَّوَاجَ بالسُّفُورِ، وبمَعْصِيَةِ اللهِ .. فَمَا عِندَ اللهِ تَعَالى يُطلَبُ بِطَاعَتِه، لا بمَعْصِيَتِه.

677- [وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ]؛ عنِ الزَّوَاجِ، وأن يَبْقينَ بِلَا زَوْجٍ، [خَيْرٌ لَهُنَّ]النور:60. مِن أن يَتَزَوَّجْنَ مِمَّن لا يَرضَيْن دِينَهُ وخُلُقَه.

* * * * *

لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً

678- [لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً]النور:63. أي لا تنادونَه، ولا تذكرونَه باسمه مجرَّداً " محمد "، مِن دون أن تُضيفوا إليه صِفةَ النّبوّة والرسالة، وتُصلُّوا وتُسلّموا عليه .. كما يخاطِبُ بعضُكم بعضاً، ويَذكرُ بعضُكم بعضاً .. هذا لا يَليقُ ولا يجوز .. وكم يحزُنني عندما أسمعُ لدعاةٍ ووعّاظٍ كبار عندما يأتون في حديثهم على ذِكرِ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم، تراهم يَذكرونَه باسمِه فقط " محمد !"، أو " النبيّ !"، من دون أن يصلّوا عليه .. فيُسيئون لأنفُسهم، ويُقلّلون من قِيمةِ وعظِهم .. وفي الحديث:" البَخيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِندَهُ، فلَمْ يُصَلِّ عليَّ ". هذا فيمن يُذكَر عِندَه، ثم لا يُصلي عليه، فكيف بالذي يَذكرُهُ باسمِه، ثم لا يُصلّي عليه .. صلَّى اللهُ عليه، وعلى آلِه، وصحبِه، وسلَّم تَسْليماً كثيراً؟!

* * * * *

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ

679- [فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ]؛ أمْرِ النَّبيّ محمد صلى الله عليه وسلم؛ فيُعارِضُون أمْرَه بأمْرِ غَيرِه، ويَعْدِلُون عن أمْرِهِ إلى أمْرِ غَيْرِه، ويُقَدِّمُون قَولَ غَيرِه على قَولِه، [أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ]؛ شِرْكٌ؛ فيقَعُون ـ بِسَبَبِ صَنِيعِهم هذا ـ في الكُفْرِ والشِّرْكِ، [أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]النور:63. في الدُّنْيَا قَبلَ وغَيرِ عَذَابِ الآخِرَةِ!

* * * * *

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ

680- [تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ]الفرقان:1. أي القُرآن، وسُمّي فُرقَاناً؛ لأنَّه يَفْرُقُ بين الحَقِّ والبَاطلِ، وبينَ الإيمانِ والكُفرِ، وبينَ التَّوحيدِ والشِّركِ، وبين الهُدَى والضَّلالِ، وبينَ السُّنَّةِ والبِدْعَةِ، وبين العِلْمِ والجَّهلِ .. وبينَ سبيلِ المؤمنين وسبيل المجْرِمين.

* * * * *

وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً

681- [وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ]؛ نَفْسَهُ؛ يُشْرِك باللهِ؛ يَعبدُ مِن دُونِ ـ أو معَ ـ اللهِ آلهةً أُخْرَى، ويَنْسِبُ لهم مِن الخصَائِصِ، والصِّفَاتِ مَا هو للهِ تعالى وَحْدَه، [نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً]الفرقان:19. أليماً شَديداً، خَالِداً فيه أَبَدَاً .. وذلك لأنَّ الشِّرْكَ ظُلمٌ لَا يُوازِيه ولَا يَعلُوه ظُلم.

* * * * *

وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ

682- [وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً]؛ شَاملَةٌ لجميع النَّاسِ، وشرائِحِ المجتمَع .. فِتنَةُ الأبناءِ للآباءِ، والآباءِ للأبناءِ .. والزوج لزوجَتِه، والزَّوجَة لزوجِها .. والغنيّ للفقيرِ، والفقيرِ للغنيِّ .. والصحيح للسَّقيمِ، والسَّقيم للصَّحِيح .. والقويِّ للضعيفِ، والضَّعيفِ للقوِي .. والحكَّامِ للمحكومِين، والمحكُومين للحكَّامِ .. والخادِمِ المستأجَرِ لسَيدِه، والسَّيدِ لخادِمه .. والجارِ لجارِه، والعَكْس .. والصَّاحِبِ لصاحِبِه، والعَكْس .. والأقارِبِ بعضهم لبَعضٍ .. والعلماءِ لتلاميذِهم وأتبَاعِهم، والتَّلامِيذِ والأتباعِ للعلماءِ، [أَتَصْبِرُونَ]؛ على

التَّكاليفِ وعلى أداءِ كُلِّ طَرَفٍ حقُوقَ الطَّرَفِ الآخَر، مِن غيرِ إفراطٍ ولا تَفريطٍ .. إذ لكلِّ فريقٍ حقُوقٌ تُؤدَّى له، وواجِباتٌ يُؤدِّيها، [وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً]الفرقان:20. بَصيراً بمن يَصبرُ على التَّكاليفِ، وأداءِ الحقُوقِ، ومِن لا يَصبِرُ على التَّكاليفِ، ولا يؤدِّي الحقُوقَ.

* * * * *

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً

683- [وَيَوْمَ]؛ القِيامَةِ؛ يومَ تُرَى النَّارُ، والجَنَّةُ عينَ اليَقين، [يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ]؛ حَسرَةً وندامَةً على مَا فَرَّطَ في جَنْبِ اللهِ .. وقوله [عَلَى يَدَيْهِ]؛ فيه دلالةٌ على شدَّةِ الحسْرةِ والنَّدَامَةِ، فهو لم يكتَفِ بِعَضِّ يَدٍ واحِدَةٍ أو بَعْض أصَابِعِ اليَدِ، بل يَعضُّ يَدَيه مَعاً، [يَقُولُ يَا لَيْتَنِي]؛ غايَةُ التمنّي والرَّجَاء، والحَسْرةِ، والنَّدَامَةِ، وأنَّى .. [اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً]الفرقان:27. يا ليتَنِي سلَكْتُ طريقَ الهِدايَةِ معَ الرَّسُولِ، واتبعتُه، فأفُوزُ فَوزاً عَظيماً .. يا ليتَنِي لم أُعَادِي الرَّسُولَ .. يا ليتَنِي لم أتخذْ طريقَ أعداءِ الرَّسُولِ مَنْهجاً وسَبيلاً؛ الذي انتَهى بي إلى ما أنا فيه مِن الحَسْرَةِ والنَّدَامَةِ .. والعَذَابِ الأليم!

684- [وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً]الفرقان:27. هذه الآيةُ لا تخصُّ الكفَّارَ أو من عاصرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم من الكفار وحسب، وإنما كلّ من ردَّ السُّنَّةَ أو عارَضَها بهواه من أهلِ القِبلةِ ـ وعلى مرِّ الأزمان ـ له نصيبٌ من هذه الآية، ويقول يوم القيامة:[يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً].

685- [وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً]الفرقان:27. العَظَماءُ كُثُر .. لا يُلزِمُك أحدٌ مِنهم يا ابنَ آدم .. ولَن تُسأَلَ عن أحدٍ مِنهم

.. إلَّا الرَّسُول صلى الله عليه وسلم الذي ارتَضَاهُ اللهُ تعالى لعبادِه قُدْوةً وأسْوةً حسَنَةً في جميع مجَالاتِ حياتِهم الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ .. فأنت لم تُؤمَر بطاعَةِ ومُتَابَعةِ أحَدٍ إلا الرَّسُول صلى الله عليه وسلم، وما جاءَ به الرسولُ صلى الله عليه وسلم من عندِ رَبِّه .. وفي القَبرِ لَن تُسْأَلَ إلا عن شَخصِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم .. ويومَ القِيامَةِ لن تُسأَل إلا عن الرسولِ صلى الله عليه وسلم .. بما أَجَبْتَهُ .. وأجبْتَ دَعْوَتَه؟!

كلُّ ما عَدَا الرسُول صلى الله عليه وسلم مَهمَا عَظُمَ وعَلَا كَعْبُه، وشَأنُه .. يُخطِئ، ويُصيب .. يُؤخَذُ منه ويُرَدُّ عليه .. يُقالُ له أخطَأتَ وأصَبْتَ .. أحسنْتَ وأسَأتَ .. إلا الرسولُ المعصُومُ صلى الله عليه وسلم؛ فله مِنك كامِل الطَّاعَةِ، والمتابَعةِ، والاسْتِسْلامِ لحُكْمِه، وسُنَّتِه، مِن غيرِ أدْنَى اعتراضٍ، أو مُعَارَضةٍ، أو تَعقِيب .. وإلَّا فَلا إيمانَ ولا إسْلام .. ومن ثمَّ العَضُّ على اليَدَينِ حَسْرَةً، ونَدَامةً!

كلُّ ما عَدَا الرسُول صلى الله عليه وسلم مَهمَا عَظُمَ وعَلَا كَعْبُه، وشَأنُه .. مكانَتُه الحقِيقيَّة، تكمنُ في دَرَجةِ قُربِه أو بُعدِه عن الرسولِ صلى الله عليه وسلم، وعن سبيلِه ودَعوتِه .. وهي القيمَةُ والحقُوق التي أعطاها له الرسولُ صلى الله عليه وسلم .. فكلُّ مَن له حَقٌّ عليكَ من الآباءِ، والعُلماءِ، وغيرِهم .. هو لأنَّ الرسولَ صلى الله عليه وسلم قالَ لك: فلانٌ له حَقٌّ عليك، ثم حَدَّدَ لك صِفَةَ ومَعَالِمَ، وحدُودَ هذا الحقِّ الذي لا يجوزُ تجاوزُه .. وحتَّى لا يُستَغَل هذا الحق استغلالاً خاطِئاً.

* * * * *

يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً

686- [يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي]الفرقان:28-29. لا أضَرَّ على المرءِ ـ سواءٌ كان ذَكَراً أم أُنثى ـ من صاحِبِ السُّوءِ .. يَدلُّه

على الشرِّ، ويحجبُ عنه الخيرَ .. يُزهِّدُه بالطاعاتِ، ويُرغِّبه، ويُزيِّن له المعاصِي .. ما تبنيه الأسرةُ، والمسجدُ، والمدرسةُ معاً يهدُمه قرينُ السُّوءِ .. وقد قِيل: الصاحِبُ ساحِبُ .. وقُل لي معَ مَن تمشي أقلْ لك مَن أنتَ .. والمرءُ يُعرفُ بصاحِبِه .. وفي الحديث:" الرَّجُلُ علَى دينِ خليلِهِ فلينظُر أحدُكُم من يُخالِلُ ". فإذا قامَت القيامَةُ .. وجاءَ اليومُ الموعُود .. وأصبحَ الغيبُ عينَ اليَقين .. قالَ الصاحِبُ الضَّحيَّةُ، والحسَراتُ، والنَّدَامَات تعلُوه، ولَاتَ حِين مَندَم:[يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً]؛ فيتذكرُ صاحبَ السوءِ الذي كانَ سَبباً فيما انتهى إليه من خُذي وعذابٍ .. ويتمنى لو أنه لم يتخذْهُ خَليلاً وصاحِباً .. وبعدَ فواتِ الأوان!

* * * * *

وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً

687- [وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً]الفرقان:29. يرميه في الحفرَةِ، ثم يتخلَّى عنه، ويتبرَّأ منه!

* * * * *

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً

688- [وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً]الفرقان:30. والهَجْرُ أنْوَاعٌ: هَجْرٌ أكْبَرُ، يَتَمَثَّلُ بهجْرِ وإعْرَاضِ الكافرين والمشركين. وهَجْرٌ دُون هَجْرٍ، يَتَمَثَّلُ بهَجْرِ أهْلِ القِبْلَةِ، وهؤلاء دَرَجَات، مِنْهم المُقِلُّ في هَجْرِه، ومِنْهُم المُكْثِرُ .. ومَن يُكثِر مِن تِلاوتِه، لكنَّه لا يَتَدَبَّرُه، ولا يَعْمَلُ به، أو ببعْضِه، يَطَالُهُ حَظٌّ وافِرٌ من مَعنَى الهَجْرِ الوَارِدِ في هذهِ الآيةِ الكريمة.

* * * * *

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ

689- [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ]الفرقان:31. مَن لم يكن له عدوٌّ من المجرمين، ولا يُريدُ أن يكونَ له عدوٌّ من المجرمين، ليس من أتباعِ المرسَلين، وعليه أن ينظرَ أينَ هو من دينِ الله!

690- [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ]الفرقان:31. والعُلماءُ هم ورَثَةُ الأنْبياءِ، فَمَن كانَ من العُلماءِ ليسَ له عَدُوّاً مِن الطُّغَاةِ المجْرِمين .. أو كان حَليفَاً للطُّغَاةِ المجْرِمين .. يخرجُ مِن صِفَةِ العُلماءِ، وصِفَةِ ورَثَةِ الأنْبياءِ!

* * * * *

وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ

691- [وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً]الفرقان:37. هم كذَّبوا بنوحٍ عليه السلام فقَط .. ولَمَّا كان التكذيبُ برسولٍ واحدٍ بمثابةِ التكذيبِ بجميع الأنبياءِ والرُّسُل .. عُدَّ تكذيبُهم بنوحٍ هو تكذيبٌ بجميع الأنبياءِ والرسلِ؛ لأنَّ كلَّ رسولٍ يُصَدِّقُ جميعَ الرسُلِ ـ مَن كانُوا قبلَه، ومَن سيأتي بعدَه ـ ويَدعُو إلى الإيمانِ بجميع الأنبياءِ والرسلِ .. فمن كذَّبَه فيما يَدعُو إليه لزمَهُ التكذيبُ بجميع الأنبياءِ والرسلِ .. والحمدُ لله على نعمةِ الإيمانِ والإسلامِ أن هدَانا اللهُ إلى الإيمانِ بجميع الأنبياءِ والرسُلِ ـ مِن آدَمَ عليه السلام مروراً بجميع الأنبياءِ والرسلِ إلى خاتَمِ الأنبياءِ والرُّسلِ محمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ لا نفرِّقُ بينَ أحَدٍ مِن رُسُلِ اللهِ.

* * * * *

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً

692- [أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ]الفرقان:43. الحَلالُ ما يَراهُ حَلالاً، والحَرامُ ما يَراهُ حَرَاماً، والحقُّ ما يَراهُ حَقّاً، والباطِلُ ما يَراهُ بَاطِلاً .. والجميلُ ما يَراهُ جَميلاً، والقَبيحُ ما يَراهُ قَبِيحاً .. مَدْحُهُ زَيْنٌ، وذَمُّهُ شَيْنٌ .. فهذا الذي يُقالُ له:[اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ]، وما أكثَرُهم!

693- تأملتُ الطواغيتَ الذين يُعبَدون من دونِ الله، فوجدت أكثر الطواغيت شعبيّة وانتشاراً في الأرض، يُعبَد ويُطاع من دونِ الله، طاغوت الهوى .. صدق الله العظيم:[أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً]الفرقان:43. وقال تعالى:[أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ]الجاثية:23. وقال تعالى:[وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ]القصص:50.

* * * * *

إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً

694- [أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً]الفرقان:44. عِندَمَا تَجِدُ مِن الكُفَّارِ مَن يُريدُ أن يجرِّبَ حياةَ الحيوانَاتِ، كالكِلابِ والخنازِيرِ، وغيرِها .. فيُقَلِّدُها في أصواتِها، وحَرَكاتِها، وطَريقَةِ أكْلِها وشُرْبِها .. وهو في قِمَّةِ السعادَةِ والسُّرُورِ .. ومِنهم مَن يَدْفَع أموالاً ليعِيشَ هذهِ التَّجْرِبَةِ .. فإنَّهم بذلك يُصَدِّقُون هذه الآيةِ، ويُفَسِّرُونها تَفْسِيراً عملِيّاً يَعلُو البيَانَ اللفْظِي، [إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً]!

695- [إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ]؛ في اتّباعِ شَهْوَتَي البَطنِ والفَرْجِ، وعَدَمِ الانتِفَاعِ مِن وسَائلِ التَّلَقِي؛ السَّمْعُ، والبَصَرُ، والفُؤَاد، [بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً]الفرقان:44. لتمايُزِ الأَنْعَامِ عنهم بالتَّوحِيدِ، والتَّسْبِيح ...!

* * * * *

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً

696- [وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً]الفرقان:48. طهوراً للأبدانِ من الأَدْرَانِ، وطَهُوراً للأَبْدَانِ مِن الذُّنُوبِ والخَطَايَا، وطَهُوراً للأبدَانِ مِن الأمرَاضِ .. وكانَ مِن السَّلَفِ مَن يَشربُ ماءَ المطَرِ معَ ماءِ زمزَم على نيَّةِ الشِّفاءِ، ويقول: ماءٌ طَهُورٌ معَ ماءٍ مُبَارَكٍ.

* * * * *

فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً

697- [فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ]؛ فِيما يَدعُونَك إليه، ويَنْهونَك عنه، [وَجَاهِدْهُم بِهِ]؛ وادفع شُبهاتهم، وحجَجهم، وباطِلَهم بالقرآنِ الكريم؛ ففيه العِلْمُ والنُّورُ الذي يُحِقُّ الحقَّ، ويُبطِلُ الباطلَ، ويَدفَعُ كلَّ ما يَستدلُّون به عليكَ من شُبَهٍ، وحججٍ، وأباطِيل، [جِهَاداً كَبِيراً]الفرقان:52. جهاداً شديداً تُفرِغُ فيه جَهْدَكَ وطاقَتَك .. فليسَ شيءٌ مِثل القرآنِ تُرَدُّ به شُبَهُ وأباطِيلُ المُبطلين.

كم يَخسر الدَّاعيةُ إلى اللهِ عندما يَحيدُ عن القُرآنِ الكريم وأسلُوبِه إلى غيرِه مِن طُرُقِ علمِ المنْطقِ والكَلامِ في مواجَهةِ حُجَجِ وأباطيلِ المبطلِين، والمُلْحِدين ...؟!

* * * * *

فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ

698- [إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً]الفرقان:70. في هذه الآيةِ الكريمَةِ بُشْرَى عَظِيمَةٌ، وتَرغيبٌ شَدِيدٌ لغيرِ المسلمين، مِن ربٍّ غَفُورٍ رَحيمٍ .. يَتودَّدُ لهم ـ وهو الغَنِيُّ ـ إذا ما تَابُوا وآمَنُوا وعَمِلُوا عَمَلاً صَالحاً .. ليسَ فقط يَغفِرُ لهم سَيئاتِهم التي كانت مِنهم قَبلَ الإسلامِ .. حتَّى يَعودَ أحَدُهُم في الطُّهْرِ مِن الرِّجْسِ والآثَامِ كيَومِ ولَدَتْهُ أُمُّه .. بل يَزيدُهُم مِن فَضْلِه ورَحمتِه، فيُبَدِّلُ سَيئاتِهم التي كانَت مِنْهم إلى حَسَنَاتٍ .. ويجعلُها في الميزانِ يوم القيامةِ في كَفَّةِ الحسَناتِ .. ويُعطيهم على سَيئاتِهم أجْرَ الحَسَنات .. سُبحانَ الله العظيم وبحمدِه، ما أوسع رحمته ومغفرته، وما أكرم وأجمل عطاءه!

* * * * *

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ

699- [وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ]الفرقان:72. الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ مَوَاطِنَ ومَجَالِسَ الظُّلْمِ، والكَذِبِ، والتَّكْذِيبِ، مِن غَيرِ إنْكَارٍ، ولَا بَيَانٍ، ولَا قِيَام.

700- [وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ]الفرقان:72. مِن أعظَمِ الزُّورِ أنْ تَقولَ في دينِ اللهِ ما ليسَ فِيه، وأنْ تُوقِّعَ عن اللهِ تَعالى، وعن رسُولِه صلى الله عليه وسلم، بغيرِ عِلْم.

701- [وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ]الفرقان:72. لا يَشْهَدُونَ على الحقِّ بأنَّه باطِلٌ، ولا على البَاطِلِ بأنَّه حَق.

* * * * *

وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً

702- [وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ]؛ بمجالسِ اللَّغْوِ .. والتَّجمعَاتِ التي يجمعُها ويَسُودُ فِيها اللَّغْوُ؛ وهو البَذَاءةُ، والفُحشُ في القَولِ، والكَلامِ التَّافِه؛ الذي لا فائدةَ مِنه في دِينٍ، ولَا دُنْيَا .. هذه المجالِس والتَّجمُّعَاتِ قَد تكونُ بصُورةٍ شخصيَّةٍ ومُبَاشرَةٍ، وقد تكونُ عبرَ ما باتَ يُعرَفُ بغُرفِ وصفَحَاتِ التَّواصُلِ الاجتمَاعِي؛ وهي أوسَعُ انتِشَاراً وخَطَراً؛ حيثُ غالب الأسماءِ والأعْيانِ التي تُشارِكُ فِيها مجهُولَةٌ، لا تَخشَى على نفْسِها مِن رَقابةِ ومُسَاءلة الناسِ، والمجتمع الذي يَعيشُون فيه .. فترَى أحَدَهم يُرسلُ خرابيشَهُ ولَغْوَه للعَالَم كَمَن يَكتُبُ مِن مِرْحَاضٍ! [مَرُّوا كِرَاماً]الفرقان:72. مُرُورَ الإعْرَاضِ، والتَّرفُّع .. غيرَ آبِهين بما يُقالُ .. يُكْرِمُون أنفُسَهم عن المشاركَةِ .. ويُكرِمُون سمْعَهم، مِن أن تَسمعَ شَيئاً مِن لَغْوِهم .. وأبصَارَهم مِن أن تَقَعَ على شيءٍ من لغْوِهم وفحْشِهم وبَذاءتِهم!

* * * * *

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ

703- قال موسى عليه السلام:[وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ . قَالَ كَلَّا]؛ والضَّمَان [إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ]الشعراء:14-15. ولَمَّا أن قال الربُّ سبحانه [كَلَّا]؛ انتهى الأمْرُ؛ فلم يَعُدْ للطّاغيةِ فرعون رغم طُغيانِه وجَبَروتِه، أيُّ سَبيلٍ أو سُلطانٍ على موسَى عليه السلام!

إذَا أرَادَ اللهُ شَيْئاً، شُلَّت وتَعَطَّلَت جَميعُ الإرَادَاتِ؛ لِتَمْضِيَ إرَادَةُ اللهِ فِيما يُرِيد.

704- [قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ]الشعراء:15. لم يقلْ الربُّ سُبحانه " إنَّا معَكُما "؛ معَ موسى وأخيه هارون عليهما السلام مسْتَمِعُونَ .. بل زِيادَة في الاطمئنانِ، قالَ لهما:[إِنَّا مَعَكُم]؛ معَكُما معيَّة عِلمٍ، وتَوفيقٍ، ونُصرَةٍ، وتأييدٍ .. ومعَ عدوكم فرعون؛ مَعيَّةُ عِلمٍ، وقُدرةٍ، وإحَاطَة، [مُّسْتَمِعُونَ]؛ نسمَعُ ما تَقُولان، وما يُقالُ لكُما، وما سيردُّ بهِ عليكُما فرعونُ ومَلَأُه، [لَا تَخَافَا]طه:46.

* * * * *

لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ

705- [قَالَ]؛ فرعون الطَّاغِية لموسَى عليه السلام، [لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي]؛ مُطَاعاً ومَعبوداً، تُطيعُه، وتَعْبُدُه غَيرِي، [لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ]الشعراء:29. عقوبَةً على عصيانِك، وكُفْرِك بِي .. هذا لِسَانُ حَالِ جَميع طُغَاةِ الأرضِ على مَرِّ العُصُورِ معَ معارِضِيهم؛ إمَّا السجْنُ، وإمَّا القَتْلُ، وإمَّا التَّهْجِيرُ والتَّرحِيلُ، والإخْراجُ مِن الأرضِ .. فهم لا يَملِكُون أدْنَى حُجَّةٍ في تَقريرِ ألوهيَّتِهم وربُوبِيتِهم على النَّاسِ .. وفي تَعْبِيدِ النَّاسِ لذَوَاتِهم .. لِذا عِندَ المعَارَضَةِ سُرعَان مَا يَلتَجِئون إلى العُقُوبَاتِ الماديَّةِ والجَسَديَّة!

* * * * *

وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ

706- [وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ]الشعراء:79. اللهُ تعالى هو الذي يُطعِمُك على وجْهِ الحقيقَةِ، من وجهَين: أولهما أنَّ اللهَ تعالى هو الذي خَلَقَ الرزقَ، وأوجَدَه لك، ويَسَّر وصوله إليك .. ومِن وجْهٍ آخَر، أن اللهَ تعالى بعدَ أن أوصَلَ الرزقَ إليك، هو الذي مَكَّنَك مِن تَناوِلِه، وإساغَتِه، والاستفادَةِ منه .. وهو الذي خَلَقَ الأعضاءَ في جسدِك التي تُحْسِنُ استقبالَ هذا الطعَامِ استقبَالاً حَسَناً، وتمكّنُك مِن الانتفَاعِ به .. وما يُقالُ عن الطعامِ يُقالُ عن الماءِ والشَّرابِ .. وكانَ من أدعيَةِ النبي صلى الله عليه وسلم ـ التي أوصَانا بِها ـ إذا أكَلَ أو شَرِبَ، قالَ:" الحمدُ للَّهِ الَّذي أطعَمَ وسَقَى، وسوَّغَهُ، وجَعلَ لَهُ مَخرَجاً " صحيح أبي داود:3851. إذْ كثيرٌ مَن يَستطيعُ أن يَشتَرِيَ الطعامَ .. وأن يُعِدَّه .. لكن لا يَستطيعُ تناولَه ولا استسَاغَتَه .. ولو أَسَاغَه، استعْصَى، ثم لا يجدُ له مخرَجاً .. ليشْكرَ الصَّحيحُ المُعَافَى، ويَعلم أنَّ الرَّازقَ، والمُطعِمَ على وجهِ الحقيقَةِ هو اللهُ سُبحانه وتعالى.

مَا تَقَدَّمَ لا يمنعُ أن يُحاسَبَ الإنسانُ على منعِه الطَّعامَ والماءَ عن أخِيه الإنسان لأسبابٍ مِن عندِ نَفْسِه، منها: الطَّمَعُ، والجشَعُ، والبَغْي، والفَسَادُ، وسوءُ الإدارَةِ، والتَّوزيع .. وهو مَا يُفسِّرُ حصولَ الفَقْرِ والمجاعَاتِ في بعضِ بقاعِ الأرْضِ .. وهؤلاء يجبُ أن يُؤخَذ على أيدِيهم.

* * * * *

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ

707- [وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ]الشعراء:80. اللهُ هو الذي يَشْفِين .. فالشَّافي على الحقِيقَةِ هو اللهُ تعالى .. أمَّا الأسْبابُ التي نتَعَاطاهَا في عِلاجِ المرَضِ، فهي أولاً

مخلوقَةٌ للهِ، اللهُ تعالى قد خَلَقَها وأَوْجَدَها، وثانياً اللهُ تعالى هو الذي أَوْدَعَ في هذهِ الأسبابِ ـ التي نُسميها دَواءاً ـ خاصِيَّةَ الشِّفاءِ .. ومع ذلك أحياناً يُعطِّلُ الخالقُ في هذه الأسبابِ خاصِّيَّةَ الشِّفَاءِ، ويَمنعها مِن أنْ تَعْمَل عَمَلَها المرجُو .. ليَعلمَ المريضُ أنَّ الشَّافِي على الحقِيقةِ الذي يجبُ أن يَتعلَّقَ القَلْبُ به هو اللهُ.

* * * * *

إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

708- [إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ]الشعراء:89. سَلِيمٌ مِنَ الشِّركِ، والرِّيَاءِ، والنِّفَاقِ، والأَهْوَاءِ، والحِقْدِ على المؤْمِنين .. عَامِرٌ بالإيمانِ، والتَّوحِيدِ، ومَحبَّةِ المؤمِنين.

* * * * *

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ

709- [قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ]الشعراء:96-98. [قَالُوا]؛ الكُفَّارُ الأَتْبَاعُ، لمتْبُوعِيهم، ومَرْؤوسِيهم، ومَعْبُودِيهم، [وَهُمْ فِيهَا]؛ في نارِ جَهنَّمَ؛ بَرلمانهم يَومَئذٍ، [يَخْتَصِمُونَ]؛ يتجادَلُون، ويَتَصَايَحُون، ويَتَلاوَمُون، [تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ]؛ عنِ الحَقِّ، والصِّراطِ المُسْتَقِيم، [مُّبِينٍ]؛ بَيِّنٍ وواضِحٍ، [إِذْ]؛ كُنَّا في حياتِنا الدُّنْيا، [نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ]؛ مِن جِهةِ الطَّاعَةِ والمحبَّةِ؛ فنُطِيعُكُم لذواتِكم فِيما تُشَرِّعُون، وتَأْمُرُون وتَنْهون، بغيرِ سُلْطانٍ مِن اللهِ .. ونُحِبُّكُم لِذَواتِكُم؛ فنوَالي ونُعَادِي فِيكم مِن دُونِ اللهِ!

* * * * *

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ

710- [وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ]الشعراء:183. فرُبَّ دِرْهَمٍ سَبَقَ مَائةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .. ورُبَّ كَسْرَة خُبْزٍ في مَجَاعَةٍ سَبَقَت أَرْطَالاً مِن الدَّقِيق .. ورُبَّ دُعَاءٍ مِن أَشْعَث أَغْبَر مَدْفُوع بالأَبْوَاب، يُغيِّرُ اللهُ به الحَالَ إلى أَحْسَنِ حَالٍ .. ورُبَّ كَلِمةٍ طيبةٍ، أو نَصِيحَةٍ ـ لا يُؤبَهُ لها ـ يَنفعُ اللهُ بها عِبَادَه أكثر مِن عَشَراتِ المواعِظِ .. ورُبَّ إحْسَانٍ على بَهِيمَةٍ أو إمَاطَة أذَى عَن طَرِيقٍ، تكونُ سَبباً في دخُولِ صاحِبها الجَنَّةَ .. فَلَا تُنْقِصُوا مِن قَدْرِ النَّاسِ، ومِن أعمَالِهم، وحُقُوقِهم شَيئاً.

* * * * *

مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ

711- [مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ]الشعراء:207. الكافرُ لجهْلِه وغفْلَتِه، يَظنُّ أنَّ ما يَعيشُه مِن متَاعِ الحياةِ الدنيا، وزينَتِها .. سيعْصِمُه مِن الشَّقاءِ، ومِن العذَابِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .. والحقيقةُ أن المتَاعَ مهمَا تكاثَرَ وتعاظَمَ وتنوَّعَ، لَا يمنعُ عن صاحبِه الشَّقاءَ في الدُّنيا، ولَا العذابَ في الآخِرةِ .. فكَمْ هي الحسْرةُ والنَّدامَةُ عندما يُدركُ الكافِرَ ذلك، يومَ لا يَنفعُ مالٌ، ولا بنُون .. وكَمْ همْ هؤلاءِ الذين اجتمعَ لهم متاعُ الحياةِ الدُّنيا .. حتى ظنُّوا أنَّهم في مَنجَاةٍ من الشَّقاءِ .. انتهَت حياتُهم بالكآبةِ، وجميعِ الأمراضِ النَّفْسِيَّة؟!

* * * * *

وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ

712- 42- لَمَّا نَزَلَت هذه الآية:[وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ]الشعراء:214. قامَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فنَادَى:" يا بَنِي كَعْبِ بنِ لُؤي، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم مِن النَّارِ، يا بَنِي عبدِ مَنَاف، أَنْقِذُوا أَنفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنفُسَكُم مِن النَّارِ، يا بَنِي عبدِ المطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنفُسَكُم مِن النَّار ..."، بهذا الوضُوح يَنبغي أن نُخَاطِبَ الآخرين عندما نَدْعُوهم إلى الإسلام:" أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم مِنَ النَّار ".

* * * * *

قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ

713- [حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ]النمل:18. نملةٌ مِن أضْعفِ وأضْأَلِ مخلوقَاتِ اللهِ .. تحرسُ قومَها وبني جِنْسِها، مِن أضخَمِ جيشٍ على وجْهِ الأرْضِ؛ جَيشٌ قَهَر جبابرةَ ومُلوكَ الأرضِ؛ إنَّه جيشُ سُلَيمَان عليه السلام ..!!

نملةٌ لم يمنعْهَا ضَعْفُها وضَآلةُ حجمِهَا مِن أن تكونَ حارِسَةَ الحرَسِ، وأنْ تحرسَ قومَها في الخطُوطِ الأماميَّةِ المتقدِّمَةِ مِن الخطَرِ الدَّاهِمِ؛ خَطَرُ جَيشِ وجُند سُلَيمان!

نملةٌ لم تفكِّرْ ـ على طريقةِ الأنانيين الانْتِهَازيين ـ بنفْسِها .. كيفَ تنجُو بنفْسِها مِن الخطَرِ .. وليكُنْ بعدَ ذلك لقومِها مَا يكُون .. لَا .. لم تَفعَلْ شيئاً مِن ذلك .. كما يفْعَلُ ذلك كثيرٌ مِن بني الإنْسَانِ .. بل جعلَت نفْسَها وروحَهَا دُونَ قَوْمِها .. وكأنَّها تقولُ لا نجوتُ إن لم ينجُ قَومِي، وأهْلِي .. لا عِشْتُ إن لم يعِشْ بني قَوْمِي .. وأيُّ حياةٍ أعيشُها وبني قَومِي وأهْلِي قد تحطَّمَت بيوتُهم .. وهمُ صَرْعَى كالذَّرِّ تحتَ أقدَامِ جنُودِ سُليمان .. لا نجوتُ إن لم ينجُ بني قومي وجِنْسِي ..!

ثم هي ما إن تَرَى طَلائعَ جيشِ سُليمان قد ظَهَرت .. واقتَرَبَت مِن المنازِلِ .. لم تنتَظِرْ أن تأتي قومَها لتُخبرَهُم خبرَ الجُنْدِ والجيشِ .. فالوقتُ ليسَ لصالِحِها .. وجَيشُ سُليمان أسْرعُ إليهم مِنها .. فَما كانَ مِنها إلا أن صَرَخت وصَاحَت بأعْلَى صَوتِها: يا أيُّهَا النَّمل .. النَّجَاةَ النَّجاةَ .. ادخلُوا حُصُونَكم ومساكِنَكُم .. فإن لم تَفْعَلُوا .. ليحْطِمَنَّكُم سُليمان وجنُودُه وهُم لا يَشْعُرُون!!

تَأمَّل حَرفَ المدِّ ومجيءَ الهمْزَةِ بعدَه في [يَا أَيُّها]؛ مما يُوحِي بنداءٍ .. وقَلَقٍ .. ومَدٍّ في الصَّوتِ والنِّدَاءِ .. وبكلِّ ما أُوتِيَت مِن قُوَّةٍ:[يَا ..... أَيُّها النَّمل]؛ لكي يسمعها قومُها قبلَ أن يَستشْرِفَهم خَطَرُ جيشِ سُليمَان!

نملةٌ لا قِيمةَ ولا وَزنَ لها في ميزانِ القِوَى .. لا تخشَى أكبرَ قُوةٍ على وجهِ الأرض!!

نملةٌ لا قِيمةَ ولا وزنَ لها في ميزانِ القِوَى .. تَفعَلُ كُلَّ هذه الأفاعِيل .. تَفعَلُ ما لا يفعلُه كثيرٌ من الانتهازيين الأنانيين في عَصْرِنا!

كم من إنسانٍ يَفِرُّ مِن مواجهَةِ العدُو .. ولا يُبالي بما يُصيبُ أهلَه وإخوانَه من بعدِه .. فهو في السِّلمِ والحربِ لا يَعرِفُ إلا نَفْسَهُ .. ولا يعرفُ مَصلحةً إلا مَصلحةَ نفْسِه؟!

كم من حارسٍ يُؤتَى إخوانُه من جهتِه بسببِ إهمالِه وتَقْصِيره .. كم مِن حصْنٍ أو مَدينَةٍ تُنْتَهكُ حُرماتِها مِن قِبَلِ العدُو بسبَبِ إهمالِ وتَقصيرِ حرَّاسِهَا .. أتكونُ هذه النملةُ خيراً لقومِها مِنهم لقومِهم وإخوانِهم ..؟؟!

هذه النملةُ ـ على ضَعفِها وضَآلةِ حجمِها ـ تُعطِي دَرساً كبيراً لأولئك الذين يُؤثرُون الرَّاحَةَ والدّعةَ، والفِرَاشَ الوَثِيرَ .. لا يَهمهم مِن أمرِ العامَّةِ وأُمّتِهم شيئاً إلا أنفُسَهم وذَواتهم!

هذه النملةُ ـ على ضَعفِهَا وضَآلةِ حجمِها ـ خيرٌ من أولئك الذين يَقُولون: الحمدُ للهِ أنَّها جَاءَت على أخِي وجَارَي .. ولم تَجئْ عليَّ .. وقد نجوتُ مِنها وإن هلَكَ غَيرِي!

اعلمْ يا أخِي أنَّك مهمَا قَلَّ شَأنُك فأنتَ لسْتَ أقَلَّ شَأناً مِن تلك النملةِ .. فأقَلُّ ما يمكنُكَ القِيام به أن تفعَلَ فِعْلَها معَ قومِك وأهْلِك .. فتُنْذِرَهم الأخطَارَ التي تُداهمهم مِن كلِّ حَدبٍ وصَوْب، وصَبَاحٍ ومَساءٍ؛ الأخطار التي تُداهمُهم في دِينِهم، وفي أخْلاقِهم،

ومَعَاشِهِم، وأمْنِهم، وأوْطانِهم .. وإني أُعِيذُك أن تكونَ هذه النملةُ خَيراً لقومِها وأهلِها، مِنْك لإخوانِك، وأهْلِك، وأُمَّتِك!

* * * * *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

714- [بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]النمل:30. مَا مِن عَمَلٍ تُريدُ القِيامَ به، والاستفَادَةَ مِنه، إلا وهو مملُوكٌ ومخلُوقٌ للهِ ربِّ العَالمِين .. والأَدَبُ يَقتَضِي مِنك قبل أن تَقتَحِمَ عمَلَكَ، الذي هو مِن مخلُوقاتِ اللهِ تعالى ومِن مُلْكِه .. أنْ تَستأذِنَ المالِكَ الخالِقَ فِيما تُريدُ القِيامَ بِه، والاستفادَةَ مِنه .. هذا الاسْتِئذَانُ يَتمَثَّلُ بقولِك " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "؛ أي أستَحِلُّ فِعْلَ هذا الشَّيءِ، وأُقْدِمُ عليه باسمِ اللهِ تَعالى الذي أحَلَّه لي .. ولو استأذَنَتَ غيرَه، في استِحْلَالِك للأَشْياءِ، فقُلْتَ:" باسمِ فُلان .. أيَّاً كان هذا الفُلان "؛ أستَحِلُّ هذه الأشياء، فأنتَ بفِعْلِكَ هذا قد استأذَنْتَ مَن لا يَملِكُ ولا يخلِقُ .. ولا يحقُّ له أن يأذَنَ أو لا يأذَن .. ثم أنَّك بذلك تكونُ قد أشرَكْتَ باللهِ العَظِيم، واللهُ تَعالى يَقُول:[قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ]يونس:59.

* * * * *

لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ

715- [لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ]النمل:40. عكْسُ الشُّكْرِ الكُفر، والكُفْرُ نوعَان: أصْغَرُ، وهو كُفْرُ النِّعْمَةِ، وأكبَرُ، وهو كُفْرُ المُنْعِم.

* * * * *

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً

716- [فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً]؛ خَاليةً مِن الأُنْس، والجمَالِ، والحُبِّ، والسَّكينَةِ، والرَّحمَةِ، [بِمَا ظَلَمُوا]النمل:52. بسببِ ظُلمهم لأنفُسِهم، ولبعضِهم بعضَاً .. فالظلمُ يخرِّبُ العَامِرَ مِن الدِّيارِ، ويجعلُ الدِّيارَ بَلاقِعَ!

* * * * *

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ

717- [قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ]القصص:17. مِن شُكْرِ النِّعَم التي يمنُّ اللهُ بها عليك .. أنْ تكونَ عَوْناً للحقِّ وأهْلِه .. وأن لا تكونَ عَوناً ونَصِيراً للطغاةِ الآثِمين المجرِمين .. ولا عَامِلاً عِنْدَهُم!

يُعرَفُ المرْءُ مِن اصْطِفَافَاتِه؛ هل اصْطَفَّ في طَابُورِ وزُمْرَةِ الطُّغَاةِ المجرِمين .. أَمِ اصْطَفَّ في طَابُورِ وزُمْرَةِ المؤمنين الصَّالِحين؟!

718- [قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ]؛ مِن نِعَمٍ كَثيرةٍ لا تُحْصَى، أعظَمُها نِعْمَةُ الهِدَايَةِ والإيمانِ .. [فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ]القصص:17. أتمِمْ نِعَمَكَ عليَّ، واعصمْنِي مِن أن أكونَ نَصِيراً ومُعِيناً للظَّالمين المجرمين؛ أُجَادِلُ وأُنَاغِفُ عنْهم، وعَن ظُلمِهم .. فتَنْسَلِخُ عنِّي النِّعَمُ، وأَنْسَلِخُ عَنها .. مِن أكبَرِ العوَامِلِ في إزَالةِ النِّعَمِ عن صاحبِها، نصرَةُ الظَّالمين، والجِدَالُ عنهم، وعن ظُلمِهم!

* * * * *

رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ

719- [فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ]القصص:24. لَمْ يَقُلْ رَبِّي إِنِّي فَقِيرٌ .. فهَذا لا يَلِيقُ بأدَبِ النُّبُوَّةِ .. وإنَّما سَألَ سُؤالَ المُقِرِّ بفضلِ اللهِ عليه، وبخيرِه الجَزِيلِ الذي لَمْ يَنْقَطِعْ عنهُ .. والشَّاكِرِ لَه .. وأنَّه في سَاعَتِه ـ وقد بَلَغَ به الجَهْدُ والجُوعُ مَبْلَغَه ـ التي توجَّهَ فِيها بالدُّعَاءِ، فقير لبَعْضِ الخَيرِ الذي كانَ الرَّبُّ سُبحَانَهُ يخصُّهُ بِه، ويُيَسِّرُهُ لَه، وهَذا مِن عَظِيمِ أدَبِ النُّبُوَّةِ .. وعَظِيمِ أدَبِ السُّؤالِ .. قالَ ابنُ عَبَّاس: " كان يَومَئذٍ ـ أي موسى عليه السلام ـ فَقِيراً إلى شِقِّ تَمْرَةٍ "!

* * * * *

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

720- [إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ]القصص:37. لا في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ .. فالظالمُ مهمَا عَلَا واستكبَرَ .. وانتفَشَ .. وتَزيَّن له الظُّلمُ .. مآلُه إلى أفولٍ، وزَوالٍ ذَلِيلٍ .. لا يَدومُ مُلْكٌ، ولا جَاهٌ مع الظُّلمِ .. فالظلمُ هَادِمُ وهازِمُ الدُّولِ والممَالِكِ .. وقَد جَرَت سنَّةُ اللهِ تعالى في كثيرٍ مِن الظالمين، أن يَضربَ الظالمين بالظالمين .. وأن يُسَلِّطَ الظالمين على الظالمين.

* * * * *

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي

721- [وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي]القصص:38. أي مَا عَلِمْتُ لكُمْ مِن مَعْبُودٍ، ومُطَاعٍ تَرجِعُون إليهِ فِيما يأمرُ بهِ، وينْهَى عَنهُ، غَيْرِي .. فأنا المُطاعُ، وغَيرِي يُطاعُ لِذَاتي .. وهَذا لِسَانُ حَالِ جميعِ طوَاغيتِ الأرضِ على مَرِّ التَّارِيخ!

* * * * *

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ

722- [فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ]؛ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولحملَةِ رسالتِه مِن العلماءِ العامِلين مِن بَعدِه .. فيؤمنون ويُسلمون، [فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ]القصص:50. المانعُ الصادُّ لهم عن الإيمانِ، والدخُولِ في الإسلامِ .. ليس لما لديهم من العِلم، ولا لأنَّهم يملكُون الحجَج والبراهينَ التي بها يردُّونَ ما تدعُوهم إليه .. ليسَ شيئاً من

ذلك .. إنما فقط الأهواءُ، والرَّغباتُ، والنَّزَوات، والشَّهوات .. والحرصُ عليها، والخوفُ مِن تقييدِها، أو فوات شيءٍ منها .. هي التي تصدُّهم عن الإيمانِ، والمتَابعَةِ، والدُّخولِ في دينِ الله .. وهي التي تميلُ بهم عن الحقِّ إلى الباطِلِ .. ومَن كان كذلك مهمَا جادَلتَهم، وعَرَضتَ عليهم مِن الحجَجِ والبراهِين والآياتِ البَاهِرات فلن يتَّبعُوك؛ لأنَّ مشكلتَهم ليسَت مِن جهةِ الرغبةِ الصَّادقَةِ في البحثِ عن العِلمِ، والحجَجِ، والبراهِين، وعن الحقائِق .. فمن كانت مشكلتُه ـ التي تحول بينَه وبين الإيمانِ ـ مِن هذا الجانِب وحَسْب، يهونُ أمرُه؛ فهذا ما إن يَسمعَ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم، وبدعوتِه، وبالقرآنِ الذي أُنزِلَ عليه إلا ويؤمِنُ، وينصاعُ ـ راغباً راضياً ـ للحقِّ.

* * * * *

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ

723- [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ]القصص:50. يُريدُ دِيناً على مَقَاسِه؛ يُوافِقُ رَغبَاتِه، وميولاتِه .. يَسيرُ معه حيثُمَا سَارَ، ويُوافِقهُ فِيما يختَارُ .. ينتَقِي مِنه ما يُوافِقُ رَغَباتِه وميولاتِه، ويَردُّ مِنه ما يخالِفُ .. فرَغبَاتُه هي الحَكَمُ على الدِّينِ وأحكامِه .. وهي المقياسُ في تحديدِ ما هو حَقٌّ، وما هو باطِلٌ .. وما هو حَلالٌ، وما هو حَرامٌ .. فهذا قَد ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً .. لا أحَدَ أضلَّ مِنه عن الحقِّ، والصِّراطِ المستقِيم.

* * * * *

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ

724- [إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ]القصص:56. ليسَ بمقدُورِ الأنبياءِ والمرسَلين، وورثتِهم من العُلماءِ العامِلين هِدايَةَ أحَدٍ مِن الناسِ؛ هِدايَةَ تَوفِيقٍ .. مهمَا أحبُّوا له الهِدايَةَ، وأرادُوها له .. فهذا لا يَملِكُونَه، ولا يَقْدِرُون عليه،

وإنَّما يملكونَ أن يَهدُوا الناسَ؛ هِدايةَ دَلالَةٍ إلى الحقِّ، وإلى الصراطِ المستقيم .. أمَّا هِدايَةُ التَّوفِيق لا يَقدِرُ عليها إلا اللهُ سُبحانه وتعالى .. أحيَاناً تجدُ إنساناً تكفِيه كلمَاتٌ قَليلَةٌ .. ووسَائِلُ بَسيطةٌ وقَليلَةٌ ليُصبحَ مُسلماً ومؤمناً .. ويُشهر إسلامَه .. وأحيَاناً تجد إنسَاناً تبذلُ له كُلَّ جهدكَ وجهدَ مَن حَولكَ من العُلماءِ، وتُقدِّمُ له كثيراً من الوسَائلِ التي تُسهِّل عليه الهِدايَةَ .. إلا أنَّه لا يَهتَدِي .. ويظلُّ مُعَانداً مُكابراً .. لتعْلم أنَّ الهادِي ـ هداية تَوفيق ـ هو اللهُ تعالى وحدَه.

725- [إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]القصص:56. أحياناً تحبُّ هدايةَ إنسانٍ قَريبٍ أو صَديقٍ، وتحرصُ على هِدايتِه .. وتُرغِّبُه بالهِدايةِ .. وتسوقُ له الأدلَّةَ النقليَّة والعقْليَّة، التي تساعِدُه على الهِدايةِ، وتحقِّقُ عندَه العِلمَ، وتَدفعُ عنه الجهلَ .. فيُقَابِل جُهودَك وحرصَكَ بالصدِّ والإدْبارِ، والاستهتَارِ .. فتُصَابُ بشيءٍ من الإحباطِ والحزنِ .. هنَا، وفي هذه اللحظةِ أنتَ معنيٌّ مِن خِطابِ اللهِ تعالى:[إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ]؛ فهدايةُ التوفيقِ ليسَت لك، ولا لغيرِك .. فإنَّك لن تَقدرَ على أن تهدي أحَداً هِدايَةَ تَوفيق، وإنما مهمَّتك تقتَصرُ على هِدايةِ البيانِ والدَّلالةِ على الحقِّ، لا غَير، ثم تفوضُ أمرَ هِدايَةَ مَن تُحب إلى اللهِ تعالى، [وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ]؛ فالذي يَهدي هِدايَةَ تَوفيقٍ، ويَقْدرُ على أنْ يهدي الناسَ هِدايَةَ تَوفيقٍ هو اللهُ تعالى وحده، فمنه تُطلَب الهدايةُ، والثباتُ على الهِدايَةِ، [وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]؛ بمن يُريدُ الهدايةَ، ويحرصُ عليها، ويَسعَى لها سَعْيَها؛ فهذا اللهُ تعالى يُسَهِّلُ له الهدايةَ إلى الحقِّ، ويجعله من المهتَدِين .. وهو أعلمُ بالمعانِدين المتكبرين .. فهؤلاء لا يَهديهم اللهُ تعالى، ولا يُسَهِّلُ عليهم أمرَ الهِدايةِ، ولو بُذِلَت لهم جميعُ وسَائل الهِدَاية.

* * * * *

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا

726- [وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا]القصص:58. كم تُفيدُ التَّكثيرِ، أي هي كثيرةٌ تلكَ المدُن التي تمَّ إهلاكُها، ودمَارُهَا، وخرابُها، بسببِ أنَّ النِّعَم التي منَّ اللهُ بها عليهم، بَدلاً مِن أن تحملَ أهلهَا على شُكْرِ الله .. حملتهم على الطُّغيانِ، والأشَرِ، والتَّعَالي، والغُرورِ، والتَّفَاخُرِ، والإسْرافِ، والتَّبذِيرِ .. فَكَفَرُوا النِّعْمَةِ .. فكانَ ذلك سَبَباً في زَوالِ النِّعمةِ عنهم .. واستبدَالِ النِّعمَةِ بنَقْمَةٍ .. لو تَّعظُون مِنْها!

النِّعمةُ تبْقَى، وتَزيدُ، مَا شَكَرْتها، ولم تَكْفُرْهَا .. فإذا كفَرْتَها، فقَد آذَنَت بالرَّحِيل!

* * * * *

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي

727- [قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي]القصص:78. كُلُّ مَن يَردُّ إنجَازَاتِه ـ أيَّاً كانَ نَوعُها ـ للأَسْبابِ مِن دُونِ اللهِ، فهو على مَذْهَبِ وقَولِ الكَافِرِ قَارُون!

* * * * *

ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً

728- لِسَانُ حَالِ المفتونين بالدُّنيا، يقول ـ وعَبْرَ كُلِّ زمَانٍ ـ:[يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ]القصص:79. بينما لِسانُ حالِ المؤمنين، الذين أُوتُوا العِلْمَ، يقول ـ وعبرَ كلِّ زمَانٍ ـ: [ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً]القصص:80.

* * * * *

أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا

729- [أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا]؛ فيستفيدون من إيمانِهم في الدّنيا والآخرة، ويُكتب لهم به القبول، والنجاة، وعلو الدّرجات، [وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ]العنكبوت:2. وهم في المقابل لا يُريدون أن يُختَبَروا بأنواعِ البَلاءات، التي تُعَرّف على صدق إيمانهم من عَدَمه، وتُظهِر حقيقةَ دعواهم [آمَنَّا]؟! لا؛ فالمِنَح، بعد المِحَن، والمَنَح لا بد أن يتقدمها محن.

730- [أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ]العنكبوت:2. المؤمنُ مُبْتَلَى، ويُبتَلَى على قَدْرِ دِينِه .. وأيُّما امرِئٍ تَخْلُو مَعَالجتَهُ للبَلاءِ مِن الصَّبرِ، والاحتِسَابِ، والرِّضَا، والتَّفْويضِ .. فَقَدْ رَسِبَ في اختبارِ البَلاءِ .. ولم يخرُجْ مِن البَلاءِ بخيرٍ .. ولم يَزِدْهُ البَلاءُ إلَّا رَهَقاً.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

731- [وَمَن جَاهَدَ]؛ سَواء كان جِهَادَ قِتَالٍ، أم جِهادَ نَفْسٍ، [فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ]؛ المجَاهِدُ [لِنَفْسِهِ]؛ لمنْفَعَةِ نَفْسِه؛ فهو المنتفعُ من جِهادِه في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وهو الذي يحتَاجُ للجِهَادِ؛ ليسْلَمَ ويأمَنَ في الدُّنيا، وينْعَمَ في الآخِرَةِ .. فلا يَمُنَّنَّ على اللهِ جِهَادَه .. أمَّا اللهُ تعالى فهو الغَنِيُّ عن العِبادِ، وعن جِهادِهم، وعِبادَتِهم، [إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ]العنكبوت:6. فلو كانَ النَّاسُ جميعاً على أتْقَى قَلْبِ رجُلٍ لمَا زَادَ مِن مُلْكِه شَيئاً، ولو كانُوا على أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ، ما نَقَصَ مِن مُلْكِه شَيئاً.

* * * * *

أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ

732- [أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ]العنكبوت:10. أينَ المفَرُّ .. وأينَ المنْجَا، والملْجَا .. فاللهُ تعالى لا يَخفَى عليه شَيءٌ، يَعلَمُ ما تَتواطَؤ عليه قلُوبُ العِبادِ، وما تُضْمِرُه مِن خَيرٍ أو شَرٍّ، قَبل أن تُظهِرَه .. وقادِرٌ على أن يَأخُذَ به، ويُجازي عليه .. عِندما يُحالُ بينَك وبين ما يُضْمرُه المنافقون من شَرٍّ، أو كُفْرٍ .. وبينَك وبينَ كَيدِ ومَكْرِ الأعْداءِ، وما يُحِيكُونَه في الظُلُماتِ .. وعِندَما تُضْمِرُ في قلبِكَ غشّاً أو خِيانَةً، ورِياءً لا يَعلمُه النَّاسُ .. أو حُبّاً، ووفَاءً، وإخْلاصاً لا يُكَافِئكَ عليه النَّاسُ .. وعِندما تَهمُّ بحسَنَةٍ أو سَيِّئةٍ .. وعِندما تَشتَدُّ عليكَ الآلامُ والمحَنُ، وقَلبُكَ يَئِنُّ من وطْأتِها وشِدَّتِها .. ثمَّ لا تَقْوى على رَفْعِ قَضِيَّتِك إلى السَّماءِ .. في جميعِ هذه الحَالاتِ والصُّوَرِ، تَذَكَّر قولَه تعالى:[أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ]، بَلَى .. بَلَى!

* * * * *

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

733- [قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ]العنكبوت:20. أفادَ وجوبَ النّظرِ، بتدبّرٍ، وتفكّر، وتأمّل .. كما أفادَ أنَّ اللهَ تعالى سيمكّنُ الإنسانَ من النظرِ في [كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ]، خَلْقُ الإنسانِ، والكونِ سواء، إذْ يستحيلُ أن يأمرَ اللهُ عبادَه بالنَّظرِ، ثم لا يمكّنُهم من النّظَرِ .. وهو ما يُفسّر تمكّنَ العلماءِ المعاصرين من الوقوفِ على بعضِ الحقائقِ العلميّة الدقيقةِ المتعلّقةِ بخلقِ الإنسانِ، والكون .. وبما يصدّقُ ما وردَ في القُرآن الكريم.

* * * * *

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْكَرِ

734- [إِنَّ الصَّلَاةَ]؛ إنْ تَمَّت المواظَبةُ عليها في وقتِها، وأُقِيمَت بشرُوطِهَا، وواجِبَاتِها، وتحقَّقَ فيها الخُشُوعُ، فهي بِذاتِها ـ مِن غَيرِ مواعِظَ أُخْرَى ولا واعِظِين ـ كَفيلَةٌ بأن [تَنْهَى]؛ صَاحِبها [عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْكَرِ]العنكبوت:45. عن المعاصِي والمنكرَات، والموبِقَات؛ لأنَّ الصَّلاةَ إيمانٌ، وعِظَةٌ وتَذكيرٌ، وذِكْرٌ، وصِلَةٌ بين العبدِ وربِّه، وهي طَهُورٌ تُطهِّرُ صاحِبها مِن الخَطَايا والذُّنُوبِ .. فما بينَ الصَّلاةِ والصَّلاةِ كَفَّارَةٌ لما بينَهُمَا مِن الخَطَايَا .. كما في الحديث:" تَحترِقونَ تحترِقونَ ـ أي بِسَبَبِ مَا تَرتكبُونَه مِن خَطَايَا وذُنُوب ـ فإذا صلَّيتُم الصُّبحَ غَسَلَتْها ـ أي أطفأت النِّيرانَ التي أوْقَدَتها الذُّنُوبُ، وأزَالَت آثارَها ـ ثمَّ تَحترِقونَ تحترِقون، فإذا صلَّيتُم الظُّهرَ غَسَلَتْها، ثمَّ تحترِقونَ تحترِقونَ، فإذا صلَّيتُم العصرَ غَسَلَتْها، ثمَّ تحترِقونَ تحترِقونَ، فإذا صلَّيتُم المَغربَ غَسَلَتْها، ثمَّ تحترِقونَ تحترِقونَ، فإذا صلَّيتُم العِشاءَ غَسَلَتْها، ثمَّ تنامونَ فلا يُكْتَبُ عليكُم حتَّى تَستَيقِظُوا " صحيح الترغيب:357. وصَلاةٌ هذا هو بَعضُ فَضْلِها، وأثَرِهَا .. لا شَكَّ أنَّها يوماً سَتَنْهَى وتَحجِزُ صَاحِبَها عن مُقارَفةِ المعَاصِي والمنْكَرَاتِ .. والحَسْرَةُ تَعظُمُ على مَن يَقارِفُ المعَاصِي والمنكَرَات، وتَكْثُرُ عليه، بينما هو لا يَكُونُ من أهْلِ الصَّلَاةِ!

* * * * *

وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ

735- [وَلَذِكْرُ اللهِ]؛ ذِكْرُ القَلْبِ، واللِّسانِ، والجوارِحِ مَعاً، كالصَّلاةِ؛ فإنَّها تَجمعُ بين الأنواعِ الثَّلاثةِ مِن الذِّكْرِ، [أَكْبَرُ]العنكبوت:45. أفضلُ وأعْظَمُ أجراً مما سِواهُ من الأعمالِ والطَّاعاتِ .. وأكبرُ أثَراً مِن غيرِه مِن الطَّاعاتِ في نهي المرءِ عن الفَحْشَاءِ والمنكَرِ .. وأكبرُ وأقوَى من الخَطَايا والذُّنُوبِ مَهما عَظُمَت .. وأكْبَرُ مِن قِوَى الشرِّ والشَّيطانِ، ومَكَائِدِه .. وأكبَرُ مِن الهمُومِ والغمُومِ مَهْمَا بلَغَت .. وأكبرُ مِنَ الأمراضِ النَّفْسيَّةِ

المستعْصِيَةِ، فَلا يَقوَى مَرَضٌ نَفْسِيٌّ على ذِكْرِ اللهِ .. والذِّكْرُ المتعلّقُ بفعْلِ الواجِباتِ كالصَّلاةِ، والحَجِّ، وغيرها، أعظَمُ وأكبرُ من الذِّكْرِ فِيما سِوَاهَا من الطَّاعَاتِ المتعلِّقَةِ بالنوافِلِ .. والذِّكْرُ المتَعَلّقُ بِمُنَاسِبِه، كالذِّكْرِ المتعلّقِ بالنِّعَمِ عِند ورُودِها، أو الذِّكْرِ المتَعَلّقِ عِند ورُودِ الشَّدائِدِ، ومَا يُناسِبُها مِن أذْكَارٍ، أو الذِّكْرِ المرَافِقِ للتَّدبُّرِ والتَّأمُّلِ، والنَّظرِ في آياتِ اللهِ العظيمةِ والكَثيرةِ، وبما يُناسِبُها مِن أذْكَارٍ .. هذا النوعُ من الذِّكْرِ أعظَمُ وأكبرُ أجراً مِن الذِّكْرِ المجرَّدِ .. وفي كُلٍّ خَيرٍ .. وفي الحديث:" ألا أُنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزْكَاها عِندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم، وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والوَرِقِ، وخيرٌ لَكُم من أن تَلقَوا عدوَّكُم فتضرِبُوا أعناقَهُم ويَضربوا أعناقَكُم؟ قالوا: بلَى. قالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعالى. قالَ معاذُ بنُ جبلٍ: ما شَيءٌ أنجى مِن عذابِ اللهِ من ذِكْرِ اللهِ " صحيح سنن الترمذي:3377. وقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ إنَّ شَرائعَ الإسْلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به؟ قال: لا يَزالُ لسانُك رَطِباً - أي طَرِيّاً - مِن ذِكْرِ اللهِ "صحيح سنن الترمذي:3375. فلا تجْعَلْ بين الذِّكْرِ والذِّكْرِ زَمَناً طَويلاً!

* * * * *

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ لَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

736- [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ]؛ اليهودَ، والنَّصارَى، [إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]؛ الأسلوبُ الذي يجمعُ بينَ قِيَامِ الحُجَّةِ، والرِّفقِ في الخِطَابِ، مِن غيرِ تَعنيفٍ، ولا تجريحٍ، فإنَّ ذلك أدعَى لهم أن يفقهُوا عنكم ما تقُولُون، ويَستجيبُوا لكم إلى ما تَدعونَهم إليه من الإيمانِ .. هذا مَن جنَحَ مِنهم للسِّلْمِ، وللحوارِ، وإلى الإصْغاءِ لنداءِ العَقلِ والفِطْرةِ، [إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ]؛ أمَّا الذين ظلَمُوا ويأبون إلا أن يَركبُوا الظلمَ، والعنفَ، ويَرفضُون الجِدالَ والحوارَ .. فهؤلاء يُعامَلُون ويُقابَلُون بالمثلِ، ويُرَدُّ عليهم من جِنْسِ أفعالِهم، وأقوالِهم، مِن غيرِ عُدوانٍ، ولا زِيادَةٍ في المقابَلةِ، [وَقُولُوا]؛ لهم في حَالِ إعراضِهم،

وعدَمِ إيمانِهم .. أمَّا نحنُ فَلا نتابعُكم على كُفرِكم، وإعْراضِكم، إنَّا [آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا]؛ القُرآنُ الكَريم، [وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ]؛ التَّوراةُ والإنجيلُ، كما أنزلهما اللهُ تعالى على مُوسَى، وعيسَى عليهما السلام، قبل أن يعتريَهما التَّحريفُ، والتَّبديلُ، والإحْداثُ .. لا نُفرِّقُ بينَ أحَدٍ مَن رُسلِ اللهِ، كما لا نُفَرِّقُ بين كُتبِ اللهِ المنزَّلَةِ على أنبيائِه ورُسُلِه، مِن حيث الإيمانِ والتَّصديقِ، والتَّعظيمِ، والتَّوقيرِ، [وَإِلَٰهُنَا]؛ الذي نُؤلِّهُهُ ونعبدُه، [وَإِلَٰهُكُمْ]؛ الذي يجبُ أن تُأَلِّهُوه وتَعْبدُوه، [وَاحِدٌ]؛ إلَهٌ ومَعبُودٌ واحِدٌ في ربُوبيَّتِه وفي ألوهيَّتِه .. إلهٌ واحِدٌ في ذاتِه، وأسمائِه الحُسْنَى، وصِفَاتِه العُلْيَا لَا شَرِيكَ له، [وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]العنكبوت:46. مُسْتَسْلِمُون، خاضِعُون، ومُطِيعُون.

* * * * *

يَا عِبَادِيَ

737- [يَا عِبَادِيَ]العنكبوت:56. مَا أجمَلَ، وأعْظَمَ، وأكْرَمَ، وأشْرَفَ، وأجَلَّ هذا النِّدَاء الخالِد؛ إنَّه محفُوفٌ بأجمَلِ مَعَاني المعيَّةِ، والانتِسَابِ، والاخْتِصَاصِ، والمَحَبَّةِ، والوَلايةِ، والعِنَايَةِ، والرِّفْقِ، واللطْفِ، والرَّحْمَةِ .. مِن رَبِّ السَّماواتِ والأرضِ؛ الذي له الأسْماءُ الحُسْنَى، والصِّفَاتُ العُلْيَا!

* * * * *

إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ

738- [يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ]العنكبوت:56. مِن غَايَاتِ سعَةِ الأرضِ تَحقِيقُ سَلامَةِ العِبادَةِ والدِّين .. فإن ضَاقَت في مَوضِعٍ اتَّسَعَت في مَوْضِعٍ آخَر .. وإن حُوصِرْتَ ومُنِعتَ في أرضٍ من العِبادةِ ومِن إظهارِ الدِّينِ .. وكُنتَ مُضطهداً في دينِك .. تُهاجر إلى سواها مِن الأراضِي الواسِعَةِ التي تَستطِيع أن تظهرَ فيها دينَك .. وتتحقَّق فيها سلامَةُ العِبادَة والدِّين .. فالهجرةُ باقيةٌ وماضيةٌ

إلى قيامِ السَّاعَةِ .. واللهُ تعالى قَد وسَّعَ الأرضَ؛ لكي يجدَ فيها عِبادُ اللهِ الموضعَ الآمِن الذي يأمَنُون فِيه على دِينِهم وأنفُسِهم .. والمؤمنُ حيثُما وجَدَ الموطِنَ الذي تتحقَّقُ فيه سلامَةُ العِبادَةِ والدِّين ـ بنسبةٍ أكثر من غَيرِه ـ حَطَّ وأقَامَ.

* * * * *

وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

739- [وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ]؛ لهي الحياةُ الحقيقيَّةُ لا غَيرها؛ مِن حيثُ الزَّمَن؛ فهي حياةٌ أبديَّةٌ لا يَعقُبها موتٌ ولا فنَاءٌ .. ومِن حيثُ المصير؛ فهي إمَّا نَعيمٌ مُقيم دائمٌ لَا يَنقطعُ، ولا يَشوبُه نَقْصٌ، ولا كَدَر .. وإمَّا عذابٌ أليمٌ، [لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ]العنكبوت:64. هذه الحقيقَة لمَا آثَرُوا الحيَاةَ الدُّنيا القَصيرة الفانِيَةِ، على الحياةِ الآخِرَةِ الدَّائمةِ .. ولعَملُوا للآخِرَةِ، وتَزوَّدُوا لها بالعملِ الصَّالح.

740- [وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ]العنكبوت:64.

[الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا]الأعراف:51. فالعقُوبةُ من جِنسِ فِعْلِهم.

* * * * *

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

741- [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا]؛ وسْعَهم [فِينَا]؛ في طَاعَةِ اللهِ [لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا]العنكبوت:69. سُبُلَ الفَلَاح في الدُّنيَا والآخِرَةِ.

742- [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا]العنكبوت:69. أي الذين جاهدوا أنفسَهم في طاعةِ اللهِ؛ فحملوها على الإئتمار بما أمر الله تعالى به، والانتهاء عمّا نهى عنه،

في زمانِ ومكان الأمر والنّهي .. فمن تحققت فيه هذه المجاهدة العامّة، تكفّل الله بهدايته إلى سُبل الخير، التي تكون سببَ سعادته ونجاته في الدنيا والآخرة.

* * * * *

وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ

743- [وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ]الروم:4-5. أي يَفرحُ المؤمنُون بنَصرِ اللهِ للرومِ مِن أهلِ الكتَابِ، على الفُرْسِ المجوسِ الوثنيين .. وهذه آياتٌ تُحدِّدُ الموقفَ مِن كُلِّ صِراعٍ بين طرفَين، في أيِّ زَمانٍ وأيِّ مَكانٍ، أحَدُهما أقرَبُ للحقِّ مِن الآخَر .. وأقَلُّ شَرّاً وكُفراً مِن الآخَر .. فالنَّقْلُ والعَقْلُ يُلزِمَان بالتَّعاطُفِ مع الفريقِ الأقَلِّ كُفراً وشَرّاً وضَرَراً، وبالفَرَح بنَصْرِهِ على الطَّرفِ الآخَر الأشَد كُفْراً وشَراً!

* * * * *

يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ

744- العالِمُ الجاهل؛ هو العالم الذي يجحد ما يدلُّه عليه علمه، وتدركه حواسه .. مثاله الملحدون من الأطباءِ، وعلماءِ الطبيعة، والفَضَاء؛ الذين يتعرفون على كثيرٍ من دقائقِ الخلقِ والطبيعة، التي تحمل المرء على أن يقول: لا إله إلا الله .. ومع ذلك فهم يأبون ولا يفعلون .. وهؤلاء وإن سُموا علماء، إلا أنهم في النهاية يُقال عنهم:[يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ]الروم:7. ويُقال لهم:[صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ]البقرة:171. وهم يقولون عن أنفسهم يوم القيامة:[وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ]الملك:10.

* * * * *

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

745- [يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ]؛ يُخْرِجُ المؤمنَ مِن الكَافِرِ، [وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ]الروم:19. ويُخْرِجُ الكَافِرَ مِن المؤْمِنِ.

* * * * *

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ

746- [وَمِنْ آيَاتِهِ]؛ الدَّالَّةِ على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وأنَّه على كلِّ شيءٍ قَدِير، [خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ]؛ ومَا فِيهما مِن مخلُوقاتٍ وآيَاتٍ باهِراتٍ محكماتٍ تَشهَدُ أن لا إله إلَّا الله، [وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ]؛ لغاتِكُم؛ التي تَزيدُ عن سَبعَةِ آلافِ لُغَةٍ .. وأصواتُكم؛ فلَا تكادُ تجدُ مِن مليارَاتٍ مِن الناسِ مَن يَتشابَه ويتطَابَق اثنَان في صوتِهمَا، [وَأَلْوَانِكُمْ]؛ تَعَدُّد ألوانِكم، [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ]الروم:22. للعقَلاءِ الذين يُحسِنُون التَّدبرَ والتَّفَكُّر .. والاستدلالَ بالخَلْقِ على الخَالِق .. وأنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ .. وأنَّه تعالى هو وحدُهُ المعبودُ بحقٍّ .. وأنه على كلِّ شيءٍ قَدِير.

* * * * *

فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

747- [فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا]؛ هي الدِّينُ الحَنِيف، والصُّورَةُ الحَسَنَةُ، [لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ]الروم:30. لا تَبدِيلَ للدِّينِ الحَنِيفِ بِدِينٍ آخَر، ولا للصُورَةِ التي صَوَّرَ اللهُ الناسَ عليها، فأحْسَنَ صُوَرَهم، بصُورَةٍ أُخْرَى .. ولَا بوظَائِف أُخْرَى للصُّورَةِ!

* * * * *

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ

748- [ظَهَرَ الْفَسَادُ]؛ ظهرَ الخرابُ، والدَّمارُ، والهلاكُ، [فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ]؛ هذا الخرابُ، والدَّمار عَمَّ وشملَ البَحْرَ، كما عمَّ وشملَ اليابِسَةَ .. وحيثما تَوجَّهتَ تجدُ الفسَادَ والخرَابَ، وتجدُ المعَانَاة، والنَّاسُ تشْكُو، [بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ]؛ بسبَبِ

تَواطُوء النَّاسِ وقادَتِهم وسَاسَتِهم على الظُّلمِ، والفُسُوقِ، والفجُورِ، والتَّقْنِين لهذا الفُسُوق والفُجُور؛ حتى يُصبحَ المصْلحُ المخالِفُ لهم هو الآثمُ والمذْنِب الذي يَستَحِقُّ العِقَاب، [لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا]؛ ليعَذِّبَهم في الدُّنيا ببعضِ ذُنُوبِهم التي ارتَكَبُوهَا .. فهذَا العذَابُ الدُّنيوي الذي يَرونَه، ويَنزلُ بِهم، ما هو إلَّا رسالةٌ مِن اللهِ تعالى لهم؛ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]الروم:41. لعلَّهم يَتوبُون، ويَستغفرُون، ويَعودُون إلى الحقِّ، والطُّهرِ، والاستقامَةِ!

* * * * *

هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ

749- [هَذَا خَلْقُ اللَّهِ]؛ مَا أَعْظَم وأكثَر آيَاتِ اللهِ الباهِرَات في السماواتِ والأرضِ، ومَا فيهما مِن مخلوقَاتٍ عجِيبَةٍ .. الدَّالَّةِ على عَظَمَتِه، ووحْدانِيّتِه .. وأنَّه تعالى هو المعبُودُ بحقٍّ، الذي يَستَحِقُّ العِبادَةَ دونَ غَيرِه .. والمؤمنُ عِندما يَنْظُرُ إلى تِلكَ الآيَاتِ، ويتأَمَّلُها، يَقُولُ للكافِرين الجاحِدين: انْظُرُوا، [هَذَا خَلْقُ اللَّهِ]؛ أَلَا يكفِيكُم للدلالَةِ على وحدانيَّتِه، وربُوبيَّتِه، وألُوهيَّتِه، وأنَّه تعالى هو المعبُودُ بحقٍّ في الوجُود؟! ثم زِيَادةٍ في التَّبْكِيتِ، وإقامَةِ الحُجَّةِ عليهم، يقُولُ لهم:[فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ]؛ الذينَ تَعبدُونَهم مِن دُونِ اللهِ .. مَاذَا خَلَقُوا .. هل يَستطِيعُون أن يخلقُوا شَيئاً مَهمَا كانَ صَغيراً، أو حَقِيراً .. حتى تَعْبدُوهم مِن دُونِ اللهِ .. فالمعبُودُ المستَحِق للعِبَادَةِ لا بُدَّ أن يكونَ خَالِقَاً .. وقادِرَاً على أن يَخلقَ .. الجوابُ الذي يَعْرفُونَه، ويُضْمِرُونَه في أنْفُسِهم .. لَا .. لَا يَسْتَطِيعُون .. إذاً كيفَ تتخذُونَهم آلهةً تَعبدونَهم مِن دونِ اللهِ، [بَلِ الظَّالِمُونَ]؛ الكافِرُون، لاتخاذِهم آلهةً لا يَستطيعُون أنْ يخلُقُوا شَيئاً .. وإعرَاضِم عن عِبادَةِ الخالِقِ لكلِّ شَيءٍ، والقَادِرِ على أن يخلقَ مَا يَشَاء، [فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ]لقمان:11. في ضَلالٍ عن الحقِّ ظَاهِرٍ بيِّن .. والضالُّ لا يَهدِي ضَالّاً.

* * * * *

أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ

750- [أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ]لقمان:14. شُكْرُكَ للوالِدَين؛ هو شُكْرٌ للهِ، وطاعَةٌ له .. لَا يكتَمِلُ شُكْرُكَ للهِ إلَّا بعدَ أن تَشكرَ الوالِدَين .. ومَن لَا يَشكر الوالِدَين لَا يَشكرُ اللهَ .. فاللهُ تعالى خلقَك، وجعَلَهُما سَبباً لخلْقِك ووجُودِك .. فكَما تَشكُر الخالِقَ الذي خلقَك وأوجَدَك، تَشْكُر مَن كانَ سَبَباً في وجُودِك .. ولعظِيمِ حقِّهمَا، وفضلِهمَا خَصَّهما اللهُ بالذِّكرِ بعدَ شُكْرِه، مِن جميعِ مَن لهم حَقُّ الشُّكرِ .. ومِن شُكْرِك لهمَا الاعترافُ

بمعروفِهما، وفضْلِهما عليك ـ ولو لَمْ يكُن لهما فضلٌ عليك سوى أنَّهما كانا سَبباً في وجُودِك، لكفَاهُما فضْلاً ـ وأن تبرَّهما، وتُحْسِن صُحْبَتَهما، وترفِق بهما مِن غيرِ مَنٍّ، ولا كَلَلٍ، ولَا مَلَلٍ .. وأن لَا تغفَل عن الدُّعاءِ لهمَا في حياتِهما، وبعدَ موتِهما .. فمن العقُوقِ؛ الغفْلةُ عن الدُّعاءِ للوالِدَين بعدَ وفَاتِهما، ومِن برِّهما؛ الدُّعاءُ لهما بعدَ موتِهما .. ولا تنسَ أنَّك اليومَ ولدٌ، وبنتٌ .. وغداً تكون ـ وتكوني ـ أباً وأمّاً .. وكما تَدِينُ تُدَان!

* * * * *

وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

751- [وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا]؛ رغْمَ عَظِيمِ حَقِّ الوالدين على الأبناءِ ـ ذكوراً وإناثاً ـ إلا أنَّ هذا لا يعني طاعَتَهما في معصيةِ اللهِ لو أمَرَا الأبناءَ بمعصيةِ اللهِ .. وبخاصَّةٍ إن كانت هذهِ المعصيةُ تَبلغُ درَجَةَ الكُفْرِ والشِّركِ .. إذْ لا طاعَةَ لمخلُوقٍ ـ مهمَا عَظُم حَقُّه وفَضْلُه ـ في مَعصيةِ الله .. وإنَّما الطاعَةُ تكونُ في المعرُوفِ، وفِيما ليس فيه مَعصية لله تعالى، [وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً]لقمان:15. وعَدمُ طاعَتِهما في مَعصيةِ الله .. لا يَنبغِي أن يحملَ الولدَ أو البِنت على مُجافاتِهما، والإساءَةِ إليهِمَا .. لا .. فهذا لا يَستدْعِي ذَاكَ ولا يُبررُه .. حتَّى لو كانَا كافِرَين .. يجبُ على الابنِ المسلمِ أن يُحسنَ إليهِمَا، ويحترَمهمَا، ويُرفِق بِهمَا، ويُلازِمُ صحبَتَهما ومرافقَتَهمَا، ومُجَالستَهُمَا بالمعرُوفِ، وكُلِّ خَير .. وقوله تعالى: [فِي الدُّنْيَا]؛ فيه أنَّ هذه الصُّحْبَة تَنْقَطِعُ في الآخِرَة .. وأنَّ الوالِدَ الكافِرَ في اليومِ الآخِرِ لا يُمكِن أن يَنتَفِعَ مِن وَلَدِه المسلم في شَيء .. كذلك لو كان الوالِدُ مُسلماً، والولَدُ كَافِراً؛ لا يُمكنُ للولَدِ أن يَنتَفِعَ بأبِيهِ في اليومِ الآخِرِ كَما كانَ يَنتفعُ به في الدُّنيا.

752- [وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً]لقمان:15. يُفيدُ مَعنى الملازَمَةِ، والمُرَافَقَةِ، والمجالَسَةِ، وحُسنِ الإقْبالِ والاهتِمَامِ .. فأينَ أبنَاء هذا الزَّمانِ مِن هذا المعنَى العَظِيم،

الذين يُؤثِرُون الجلُوسَ معَ هَواتِفِهم الخاصَّةِ، والأجهزةِ الالكترونيَّةِ السَّاعاتِ الطِّوالِ، على مُجَالستِهم لآبائِهم ولو لِدَقائقَ مَعْدُودَات؟!

* * * * *

إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

753- [يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ]؛ مِن الأذَى بِسببِ أمْرِكَ بالمعرُوفِ، ونَهيكَ عَنِ المنكَرِ .. فإنَّ مَن يَستشرفُ مَهمَّةَ الإصْلاحِ، والأمْرِ بالمعروفِ والنَّهي عَن المنكَرِ، لا بدَّ أنَّه سينَالُه بَعضُ الأذَى، وربما الأذَى الشَّديد مِن حِزبِ المنكَرِ والفَسادِ، وجُمهُورِه .. ولكي يَنجحَ في مَهمَّتِه ودَعوتِه لَا بُدَّ له مِن الصَّبرِ على الأذَى، [إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ]لقمان:17. إنَّ الصبرَ على ما تقدَّمَ ذِكْرُه مِن الواجباتِ والفرائضِ، هي مِن الأمورِ التي يُعزَم ويُشَدَّد على التزامِها والقيامِ بها .. لَا تَقْبَلُ التَّراخِي ولا التَّهاونَ.

* * * * *

وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً

754- [وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً]؛ في أنْفُسِكُم، وفي السَّماءِ .. ومَا تُنتِجُهُ الأرضُ ـ بِبَرِّهَا، وبحرِهَا، وسمائِها ـ مِن خَيراتٍ وثَرواتٍ .. والأنعام، والدَّواب، وغيرها .. ومِن أعظَمِ النِّعَم الظَّاهِرَةِ؛ إرسالُ الرُّسُلِ، وإنزالُ الكُتبِ الهادِيَة إلى الصِّراطِ المستقِيم، [وَبَاطِنَةً]لقمان:20. خَفيَّة غَير ظَاهِرة؛ لا تَعلمونَها .. ولا تَرُونَها .. تجلبُ لكم ـ بإذنِ الله ـ خَيراً كثيراً .. وتَدفعُ عنكم شَرَّاً كثيراً .. وأنتم لا تَعلمُون .. وأنتم عنها وعن شُكْرِها غافِلُون .. وهذه نِعَم عَظيمةُ الشَّأنِ مَن تأمَّلَها، وتَدَبَّرها وجَد العجَبَ العُجَاب؛ وجَدَ بحراً من النِّعَم لا تُعرَفُ له نِهايَة .. كم مِن شرٍّ لا يكونُ بينَك وبينَه سوى ذِرَاع،

فيَصرفَهُ اللهُ عنك ـ بأسبابٍ خَفيَّةٍ ـ وأنت لا تَدْرِي .. وكم مِن خيرٍ عَظيمٍ تُدْبِرُ عنه، فيسُوقُه اللهُ لك ـ بأسبابٍ خَفيَّةٍ ـ وأنتَ عنه رَاغِبٌ رَافِضٌ، وفيه مِن الزَّاهِدين!

* * * * *

وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

755- [وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ]؛ استِسلامٌ، وخُضُوعٌ، وإخلاصٌ، وعبوديَّةٌ، وتَفويضٌ، وانقِيادٌ تَامٌّ للهِ تعالى وحدَه، ولحكْمِه الكَوْنِي والشَّرْعِي .. مِن غيرِ معَارَضَةٍ، ولا اعتِرَاضٍ، ولَا تَعْقِيبٍ، ولا حرَجٍ في النَّفْسِ، [وَهُوَ مُحْسِنٌ]؛ في طاعَتِه وعبادَتِه لرَبِّه، فيعبدُ اللهَ تعالى كأنما يَرَاه .. فمن كانَ بهذا الوصْفِ؛ [فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]؛ العُروةُ التي لا تَنفَصِمُ أبَداً؛ والتي لا مَنجَاةَ للعبدِ إلَّا بِها؛ وهي " لا إله إلا الله "، [وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ]لقمان:22. فجميعُ الأمُورِ ـ خَيرُها وشَرُّها ـ مَرَدُّها ومآلاتها إلى اللهِ؛ فيُجَازِي المحسِنَ على إحسَانِه، والمسيءَ على إساءَتِه.

* * * * *

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ

756- [نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً]؛ وهو المتاعُ الذي يتَقَلَّبُون به في الحياةِ الدنْيَا .. ومتاعُ الحياةِ الدُّنيا مَهمَا طالَ، ومَهْمَا كَثُر، فهو بالنظَرِ لليومِ الآخِرِ، ولما ينتظرُهم بعدَ الموتِ، قليلٌ جِداً؛ لَا شيءَ يُذكَر، [ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ]لقمان:24. ثم نَسُوقُهم سَوْقاً شديداً إلى عذابٍ شديدٍ أليمٍ في نارِ جهنَّم .. فَلا شيءَ أغلَظ وأشَد عَذاباً مِن نارِ جهنم .. العذابُ الذي يُنْسِيهم مَا كانُوا فيهِ مِن لهوٍ، ونَعيمٍ، ومتَاعٍ في الحياةِ الدُّنيا .. كما في الحديثِ، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" يُؤْتَى بأَنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيا مِن أهْلِ النَّارِ يومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللَّهِ يا رَبِّ ..."مسلم.

* * * * *

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

757- [وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ]لقمان:34. يَتَنَقَّلُ الإنسانُ في أمصَارٍ، ومُدنٍ شَتَّى .. يَذهَبُ في الاتجاهَاتِ الأربعَةِ مِن الأرضِ .. وفي البرِّ والبَحْرِ .. وهو لا يَدْرِي في أيِّ بقعَةٍ مِن الأرضِ سيتَوسَّدُ فيها وسَادَةَ التّوقُّفِ عن كلِّ شَيء .. وسَادَةَ الموتِ .. ولو عَلِمَ البُقعَةَ التي سيُدفَنُ فِيها، ويَتَوسَّدُ فيها وسادَةَ الموتِ، لظَلَّ بعيداً عَنْها، هارِباً مِنْها .. لكنَّهُ ـ إذا دَنَا أجَلُه ـ يُسَاقُ إليها سَوْقاً وهو لا يَدرِي .. تَقُودُه الأسبابُ إليها وهو لا يَعْلَمُ أنَّ في استجابَتِه لتلكَ الأسْبابِ حَتْفَهُ، وقَبْرَه .. تَقُودُه الأسْبَابُ التي يَرَى فِيها حياتَهُ، ورِزْقَهُ، وسَعَادَتَهُ إلى مَوتِهِ، ومُوقع قَبْرِه، وهو لا يَدْرِي!

* * * * *

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

758- الإمَامَةُ في الدِّين تُنَالُ بالصَّبْرِ، واليَقِين[وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً]؛ قَادَةً يُقتَدَى بهم في الخَيرِ [يَهْدُونَ]؛ النَّاسَ إلى الحَقِّ، ومُبَايَنَةِ البَاطِلِ [بِأَمْرِنَا]؛ بأمْرِ اللهِ، وإذْنِه، ومَدَدِه لهم بالقُوَّةِ .. وهم نَالُوا هَذَا الشَّرفِ الرَّفيعِ، وهذه المرْتَبَةِ العَالِيَةِ [لَمَّا صَبَرُوا]؛ صَبَرُوا على الطَّاعَةِ، وعلى الأمْرِ، والنَّهي، وعَلى البَلاءِ، ومَشَاقِّ ومُتطلباتِ الدَّعْوةِ إلى الله .. فلم يَسْتَعْجِلُوا شَيئاً قَبْلَ أوَانِه، ولا شَيئاً يَسْتَبْطِئه اللهُ عليهم [وَكَانُوا بِآيَاتِنَا]؛ الشَّرعيَّةِ، والكَوْنيَّة، الدَّالَّةِ على تَوحِيدِه، وعلى وَعْدِه، ووعِيدِه [يُوقِنُونَ]السجدة:24. يُؤمنون إيماناً جَازِماً لا يَعتَريه أدْنَى شَكٍّ.

* * * * *

مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ

759- [مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ]الأحزاب:4. كَافِرٌ، ومُؤْمِنٌ.

760- [مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ]الأحزاب:4. قَلبٌ موحّدٌ، وقَلبٌ مُشْرِكٌ .. قلبٌ يَعبدُ اللهَ، وقلبٌ يَعبدُ الطَّاغوتَ .. إنَّهما لا يجتمعَان في جوفِ امرئٍ واحِدٍ أبَدَاً!

* * * * *

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

761- [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ]؛ في سنَّتِه القوليَّةِ، والعَمَليَّةِ، والتَّقْرِيريَّةِ، [أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]؛ قُدوةٌ، ومَثَلٌ أعْلَى، يُقتدَى بهِ في جميعِ جوانبِ الحيَاةِ، دِقَّهَا وجِلَّهَا، والشَّاملَةِ لجميعِ السُّلوكِ الإنْسَانِي، على اختلافِ تنوعِه، وطبقَاتِه، على امتِدَادِ العُصُور والأزْمَانِ، وإلى يومِ القيامَةِ: السيَاسيَّةُ منها، والاقتصاديَّةُ، والاجتماعيَّةُ، والأخلاقيَّةُ، والقضائيَّةُ، والشَّعائرُ التَّعبديَّةُ، وفي السلمِ والحرْبِ، وفي جميعِ ما جاءَ بهِ مِن عندِ ربِّه، [لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ]؛ لِمَن كان يَرجُو ثوابَه، ويَخْشَى عقَابَه [وَالْيَوْمَ الْآخِرَ]؛ والنَّجاةَ والسَّلامَةَ في اليومِ الآخِرِ، إذْ لا نَجاةَ إلا مِن خلالِ مُتابَعةِ النبي صلى الله عليه وسلم، والاقتداءِ به، [وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً]الأحزاب:21. وكان كَثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل، كثيرَ الذِّكْرِ لحقِّهِ عليه، وهذه موعظَةٌ لا يَتلَقَّاهَا على الوجْهِ الأكمَلِ والأحسَنِ إلا مَن كانَ كذلك، كثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل.

762- قولُه تعالى:[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]الأحزاب:21. مِن مُقْتَضَاه أن نَتوفَّرَ في شَخصِ النبي صلى الله عليه وسلم جميعَ الصِّفاتِ والخِصَالِ التي تُغَطِّي

جميعَ حاجياتِ الإنْسانِ ـ على اختلافِ طبَقاتِه، وتنوعِ أنشطَتِه وأعمالِه ـ وإلى يومِ القيامةِ؛ إذْ حَاشَا الخالق سُبحانَه أن يَردَّكَ إلى قُدوةٍ، ويأمُرِكَ بالاقتداءِ به، ثم لا تجدُ في هذهِ القُدوةِ ما تَقتَدِي به، أو لا يُلبِّي جَميعَ حاجياتِك، في جميعِ مجَالاتِ حيَاتِك.

763- [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ]؛ في سنَّتِه القوليَّةِ، والعَمَليَّةِ، والتَّقْرِيريَّةِ، [أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] ؛ قُدوةٌ، ومَثَلٌ أعْلَى، يُقتدَى بهِ في جميعِ جوانبِ الحيَاةِ، دِقَّهَا وجِلَّهَا، والشَّاملَةِ لجميعِ السُّلوكِ الإنْسَانِي، على اختلافِ تنوعِه، وطبقَاتِه، على امتِدَادِ العُصُور والأزْمَانِ، وإلى يومِ القيامَةِ: السيَاسيَّةُ منها، والاقتصاديَّةُ، والاجتماعيَّةُ، والأخلاقيَّةُ، والقضائيَّةُ، والشَّعائرُ التَّعبديَّةُ، وفي السلمِ والحرْبِ، وفي جميعِ ما جاءَ بهِ مِن عندِ ربِّه، [لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ] ؛ لِمَن كان يخشَى اللهَ، ويَرجُو ثوابَه، ورِضَاه [وَالْيَوْمَ الْآخِرَ]؛ والنَّجاةَ والسَّلامَةَ في اليومِ الآخِرِ، إذْ لا نَجاةَ إلا مِن خلالِ مُتابَعةِ النبي صلى الله عليه وسلم، والاقتداءِ به، [وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً]الأحزاب:21. وكان كَثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل، كثيرَ الذِّكْرِ لحقِّهِ عليه، وهذه موعظَةٌ لا يَتلَقَّاهَا على الوجْهِ الأكمَلِ والأحسَنِ إلا مَن كانَ كذلك، كثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل.

764- قولُه تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]الأحزاب:21. مِن مُقْتَضَاه أن تَتوفَّرَ في شَخصِ النبي صلى الله عليه وسلم جميعَ الصِّفاتِ والخِصَالِ التي تُغَطِّي جميعَ حاجياتِ الإنْسانِ ـ على اختلافِ طبَقاتِه، وتنوعِ أنشطَتِه وأعمالِه ـ وإلى يومِ القيامةِ؛ إذْ حَاشَا الخالق سُبحانَه أن يَردَّكَ إلى قُدوةٍ، ويأمُرِكَ بالاقتداءِ به، ثم لا تجدُ في هذهِ القُدوةِ ما تَقتَدِي به، أو لا يُلبِّي جَميعَ حاجياتِك، في جميعِ مجَالاتِ حيَاتِك.

* * * * *

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

765- لمن يحصِرُ مَهَامَ المرأةِ في مجَالٍ واحِدٍ من مجَالات الحياة، وأنها لم تُخلَق لِسِواه، يقول تعالى:[إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ] ؛ كُلّ الإسْلام، [وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ]؛ كُل الإيمان [وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً] الأحزاب:35. فهي في جميع ما تقدَّمَ ذِكْرُه شريكةُ الرجلِ سواء بسواء، وقال تعالى:[وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ] ؛ وهو الخيرُ كُلّه [وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ] ؛ وهو الشرُّ كُله، [وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]التوبة:71. فيَجبُ عليها نصرةُ دينِ اللهِ كما يجبُ على الرّجلِ، كُلٌّ بحسب استطاعَتِه، وظرْفِه، ومَكَان تَواجِدِه.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّهَ ذِكْراً كَثِيراً

766- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّهَ ذِكْراً كَثِيراً]الأحزاب:41. المُحِب كثيرُ الذِّكْرِ لمن يُحِب، وعَلى قَدْرِ المحبّةِ يكونُ الذِّكْرُ .. ما أحبَّ من نسي .. النسيانُ والمحبَّةُ لا يجتمعان، لذا جاء الأمر بأن نذكرَ اللهَ كثيراً.

* * * * *

وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ

767- قال تعالى:[وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ]الأحزاب:53. الأذَى الصريحُ الذي يمارسُه الكفّارُ، والزَّنادِقَةُ، الكلُّ يَعلَمه .. أمّا الأذَى الخفِي والمبطّن، والذي يمارسه مَن يُحسَبون على الملّة، وأهل القِبلةِ، هو الذي ينبغي تعريتُه، وأن يُشارَ إليه .. من صورِ هذا النّوعِ من الأذَى: الطّعنُ بالسُّنّة، والاستخفافُ، والاستهانَةُ بها، والانتقاصُ من قَدْرِها ومن حُجّيَّتِها .. ومنها، القولُ بالاكتفاءِ بالقرآنِ من دونِ السّنّةِ، والرجوعِ إليها؛ فيخرجونها من دائرةِ الاستدلالِ والاحتجَاج .. ومنها، رَدُّ كثيرٍ من الأحاديثِ بزعم أنها آحادٌ، وظنيّة الدّلالة .. ومنها، تقديمُ العقلِ على الثّابتِ من سُنّته، وجعلُ العقلِ حَكَماً على السُّنّة، يأخُذ منها ما يهوى، ويردُّ ما يهوى .. ومنها، الكذِبُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وكَثرَةُ الاستدلالِ بالأحاديثِ الموضوعةِ المكذوبة، والضّعيفة، على أنها من أقوالِه، وما هي من أقوالِه .. ومنها، الاستخفافُ والانتقاصُ من قَدْرِ أصحابِه الكِرام، والطَّعنُ والغمزُ بهم أو ببعضِهم، وإخراجُهم من دائرةِ المرجعيّةِ التي يُرجَعُ فيها إلى فَهمِهم وأقوالهم في مسائلِ الدِّين .. ومنها، عَدَمُ استحضارِ أقصَى درجَاتِ الأدَبِ، والتَّوقير، عند الحديثِ عن أهلِه، وآلِ بيتِه الكِرام .. ومنها، إماتةُ سنَّته بإحياءِ ما يُضادُّها من البِدَع .. ومنها، الغُلُو في شخصِ النبي صلى الله عليه وسلم، وفي إطرائه، ورَفعِه إلى مقام الألوهيّة، والربوبية .. ومنها، الغُلُو في الأئمّةِ، والشّيوخِ، والتَّعصّب لهم، ولأقوالهم، ورفعهم إلى مَقامِ النَّبيّ صلى اللهُ عليه وسلم .. فهذا كله مما يُؤذي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ولهؤلاء كُلِّهم يُقال:[وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ]، ولهؤلاء كُلٌّ له نصيبه ـ بحسْبِ أذاه ـ من قوله تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً]الأحزاب:57.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

768- [إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]الأحزاب:57. والأَذَى أنواعٌ ودَرَجَات: مِنهُ الظَّاهِرُ، ومِنهُ البَاطِنُ الخفِي، ومِنهُ التَّصْرِيحُ، ومِنهُ التَّلْمِيحُ، ومِنهُ المبَاشَرُ، وغَيرُ المبَاشَرِ .. واللهُ [يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى]طه:7.

* * * * *

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا

769- [وَقَالُوا]؛ الجنُودُ .. العَوَامُّ .. التَّبَعُ .. يومَ يرونَ الحِساب عينَ اليَقِين، [رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا]؛ أَطَعْنَا قَادَتَنا مِن المُلُوكِ، والرؤسَاءِ، والأمراءِ، والأَحْبَارِ، والرُّهْبَانِ .. أَطَعْناهُم في تَكذِيبِ الأنبياءِ والرُّسُلِ .. أَطعنَاهُم في الشِّرْكِ، وعِبادة المخْلوقِ .. في تحليلِ الحرَامِ، وتحريمِ الحَلالِ .. وفي تحْسِينِ القَبِيحِ، وتَقْبيحِ الحسَنِ .. وفي إحْقَاقِ البَاطِلِ، وإبطالِ الحَقِّ .. وفي نصرَةِ الظَّالِمِ على المظلُومِ .. أطعنَاهُم لِذَواتِهم فِيمَا يَأمرونَنَا به، وينَهونَنا عَنه؛ مِن دونِ أن ننظُرَ أينَ هُم مِن الحقِّ فِيمَا يَأمرُون، وفِيمَا يَنهون .. [فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا]الأحزاب:67. فأضلُّونَا ـ بسَببِ طاعَتِنَا لهم تِلكَ الطَّاعَةِ ـ طَريقَ الحقِّ والهِدايَةِ؛ فلم نَهتَدِ إليه .. إنَّه الإقْرَارُ المتأخِّرُ الذي لا ينَفَعَهُم في شَيءٍ .. ولا يَزِيدُهم إلَّا حَسْرَةً ونَدَامَةً!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً

770- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً]الأحزاب:70. قَوْلاً موافِقَاً للكتابِ، والسُّنَّةِ.

* * * * *

اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ

771- [اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً]؛ الشُّكْرُ كما يكونُ بالقَولِ، يكونُ بالعمَلِ، ومِن جِنْس النِّعمَةِ؛ فمَن رُزِقَ المالَ كانَ شُكرُهُ بإخراجِ الزَّكاةِ، وبَذلِه على الفُقراءِ، وذَوِي الحَاجَةِ .. ومن رُزِقَ العِلمَ كانَ شُكرُهُ ببذلِه للنَّاسِ، وعدَمِ كُتمانِه .. ومن رُزِقَ القُوَّةَ كان شُكرُهَا بالأمْرِ بالمعرُوفِ والنَّهي عن المنكَرِ، وإنْصافِ المظلومِ مِن ظَالِمِه، والضَّربِ في الأرضِ وفْقَ طاعَةِ اللهِ .. كذلك شُكْرُ نِعْمَةِ العَينِ والبصَرِ، يكونُ بغضِّ البَصرِ عن المحرَّماتِ، وبالنَّظَرِ في آياتِ الله .. وشُكر السَّمْعِ يكونُ بالاستماعِ إلى القُرآنِ الكريم، ومواعظِ ودرُوسِ العلماء، وكل ما هو نافعٌ، وبإكْرَامِه عن سَماعِ الحرَامِ .. وشكر اللِّسانِ، يكونُ بِذِكْرِ اللهِ تعالى، والصَّدْعِ بالحَقِّ، وقولِ الصِّدقِ، وبإكرامِهِ عن الكَذِب، والزُّورِ، والنَّميمَةِ، والغِيبةِ .. وشُكْرُ القَلبِ أن يكونَ عَامِراً بحبِّ اللهِ تعالى وذِكْرِه، وأن لا يَنطَوِي على اعتقادٍ فاسِدٍ، أو نيَّةٍ باطِلَةٍ ضَارَّةٍ .. وهكذا كُلُّ نِعمةٍ ـ ومَا أكثَرُ نِعَمِ اللهِ علينا ـ يكُونُ شُكرُهَا مِن جِنْسِها، [وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]سبأ:13. مَن يجمَع بين شُكْرِ القَولِ، وشُكْرِ العَمَل.

* * * * *

وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ

772- [وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]سبأ:13. كثيرٌ هم الذين إذا أنْعمَ اللهُ عليهم نِعْمةً، تَطلَّعُوا إلى غيرِهَا، قبل أنْ يَشْكرُوها، ومِن دُونِ أن يَشْكرُوها .. وكأنَّها لم تَكُنْ .. وهكذا هم في تَطلُّعٍ مُستَمِرٍّ إلى تَحصِيلِ مَزيدٍ مِن النِّعَم، مِن دُونِ أنْ يَشْكرُوا مَا لَدَيهم مِنَ النِّعَم .. إلى أنْ يَفْجَأهُم الموت .. ولا يَمْلأُ بَطْنَ ابنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ!

773- [وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]سبأ:13. الّذين يَشْكُرُونَ المخلُوقَ والخالِقَ.

* * * * *

حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ

774- [حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ]سبأ:23. لا يَزالُ الناسُ مِن غيرِ المسلمين مختلفِين فِيما بينَهم .. مَن الجهةِ المخوَّلَةِ التي يحقُّ لها أن تحكمَ على الشيءِ بأنَّهُ حَقٌّ أو باطِلٌ .. مَن له الحقُّ في تحديدِ الحقِّ والباطِلِ .. الخيرِ والشَّرِّ .. وأن يحكمَ على الأشياءِ، فيقول: هذا حَقٌّ فاتَّبعُوه، وهذا باطِلٌ فاجتنِبُوه .. هذا خَيرٌ، وهذا شَرٌّ .. ويكونُ حُكمُه نَافِذاً ومُلزِماً للجميع؟

وللجوابِ عمّا اختلفُوا فيه، يُقال لهم: الذي له الحقُّ في أن يحكمَ على الشيءِ بأنَّه حَقٌّ أو باطلٌ .. ثم يكونُ حُكمه نافِذَاً ومُلزِماً للجميع، هو الذي يتصفُ بجميعِ صفاتِ الكمالِ، والجمالِ، التي لا يعتريها النَّقصُ، أو الضعف مِن جانبٍ من الجوَانبِ .. الغنيُّ بذاتِه عن غيرِه .. ومَا سِواه فقيرٌ إليه .. وهذَا غير متَحقّق إلا باللهِ الواحِد الأحَد، الذي له الأسماءُ الحُسنَى والصِّفاتُ العُلْيَا .. فاللهُ تعالى هو الحقُّ، لا يقولُ إلا حَقّاً .. ولا يَصدرُ عنه إلا حَقاً .. وما سواهُ فهو مخلوقٌ ضَعيفٌ، جاهلٌ، فقيرٌ إلى غيرِه في جميعِ أحوالِه .. ومَن كان جاهِلاً، ضَعيفاً، فَقيراً .. صِفاتُ النَّقصِ تُحيطُ به من كلِّ حدَبٍ وصَوب .. لا يحقُّ له أن يحكمَ على الأشياءِ، فيُحدّد مَن مِنها حقٌّ، ومَن منها باطِلٌ .. ولو فعَلَ، فسوفَ يُخطئُ، ويَظلمُ مَن تحتَهُ، ومَن يتَّبعُه .. ولمَّا تجرَّأ الإنسانُ الضعيفُ الجاهِلُ - في جميعِ العُصُور، وجميعِ الأنظمةِ الوضعيَّةِ على اختلافِ صوَرِها - على أن يتصدَّرَ هذا الحق لنفسِه مِن دونِ الله تعالى .. وجَدْناه يَتعثَّر، ويُخطِئ، ويَظلمُ .. وما يقولُ عنه اليومَ بأنه حقٌّ، غداً يقولُ عنه باطِلاً، وما يقولُ عنه باطلاً، يقولُ عنه غداً حَقاً .. وما يحلِّلُه اليومَ يحرِّمُه غَداً، وما يحرِّمهُ

اليومَ يحلهُ غَداً .. وما يُحَسِّنُه اليومَ، يُقبِّحه غَداً، ومَا يُقبحُه اليومَ، يحسنُه غَداً .. والناسُ بالنسبةِ له، ولأحكامِه وتشريعاتِه لا يَعدُون أن يكونُوا حَقلَ تجارب .. وما ذلك إلا لأنه ضعيفٌ، وعاجزٌ، وجاهلٌ .. لا يحيطُ بكلِّ شيءٍ عِلماً .. ومهمَا أوتي من العِلم، يبقَى جاهِلاً في أمورٍ كثيرةٍ، وهو قياساً إلى عِلمِ اللهِ تعالى لا شيء!

فإن قِيل: كيفَ لنا أن نعلمَ بحكمِ اللهِ على الأشياء ...؟!

أقول: لا سبيلَ إلى ذلك إلَّا عن طريقِ مُتابعَةِ الرُّسُل، وتَصديقِهم، الرُّسلُ الذين أرسلَهم اللهُ تعالى للناسِ، وأوجَبَ على الناسِ طاعتَهم، ومُتابعتَهم، وتَصديقَهم فِيما يُوحَى إليهم من ربِّهم سُبحانه وتعالى .. [قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ]؛ ماذا أوحَى اللهُ تعالى إلى أنبيائِه ورسُلِه، [قَالُوا الْحَقَّ]؛ فجميعُ ما أوحاه اللهُ تعالى إلى أنبيائِه ورسُلِه هو الحقُّ، لا يخرجُ عن معنى الحقِّ المطْلَقِ .. وما سواهُ فهو الباطِلُ .. هذا هو السَّبيلُ، لا سبيلَ آخَر غيره، غير سَبيلِ الضَّلالِ، والكُفْرِ، والضَّياعِ!

* * * * *

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً

775- [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ]؛ لَمْ نرسلْكَ يا محمَّد إلى قومٍ دونَ قَومٍ، أو أمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ، أو إلى جِنْسٍ دُونَ جِنْسٍ، أو لونٍ دُونَ لوْنٍ .. وإنما أرسلناكَ للناسِ أجمَعين في زمَانِك وإلى يومِ القِيامَةِ؛ عُربهم وأعجَمهم، أبيضهم، وأحمرهم، وأسودهم، لا يُستَثْنَى أحَدٌ مِنهم، [بَشِيراً]؛ لمن أطاعَك، وآمَن بكَ، واتَّبعَكَ، بالفوزِ، والجنَّةِ، [وَنَذِيراً]؛ لمن عصَاكَ، ولَمْ يُؤمِنْ بكَ، ولَمْ يتبعْكَ بالخسرَانِ، والعَذابِ الأليم في نارِ جهنَّم، [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ]؛ هم الكُفَّار المعانِدُون، جميعُ الكفَّارِ، في زَمنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وإلى يومِ القِيامَةِ، [لَا يَعْلَمُونَ]سبأ:28. هذه الحقِيقَة، ولا يُؤمنون بِها!

* * * * *

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

776- [وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا]؛ الأتْبَاعُ .. يَقُولون يومَ القِيامةِ .. يَومَ تتكَشَّفُ الحقَائقُ، وتتهاوَى فيه النَّيَاشِينُ، والأوْسِمَةُ، والألْقَابُ، ويكونُ الحكمُ فيه كله لله، [لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا]؛ للمتعَالين عن الحَقِّ، والمستخَفِّين بالخَلْقِ، من المتبُوعِين المُطاعِين مِن الأسْيادِ، والزُّعَماءِ، والحُكَّامِ، [بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ]؛ كان مَكْرُكُم وخِداعكُم لنا متواصِلاً، على مَدَارِ الوقتِ؛ مَكْرُ الليلِ موصُولٌ بمَكْرِ النَّهارِ، ومَكْرُ النَّهارِ موصُولٌ بمَكرِ الليلِ، لم تُعْطُونا فُرصةً للتأمُّلِ، والتَّفكُّرِ، والتَّحررِ من ضغْطِكُم ومكْرِكُم، لننظرَ أين نحنُ من الحَقِّ، [إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ]؛ هذا المكرُ المتواصِلُ مَهما تَعَدَّدت وسَائِلُه، وغايَاتُه ـ وما أكثرها ـ إلا أنَّها جميعها كانت تَصبُّ في غَايةٍ واحدةٍ؛ وهي أن نكفرَ باللهِ العظيم، [وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً]؛ ونَجعلَ له شُركاءَ، نعبدُهم ونُطِيعُهم من دُونِ الله .. وهم في هذا التَّحاور والتَّلاومِ، [وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ]؛ الأتباعُ والمتبُوعِين، الرؤساءُ والمرؤوسِين سَواء .. يُسِرُّون النَّدامَةَ في أنْفُسِهم .. ولاتَ حِينَ مَنْدم .. ندم تنتفي معه الفرصَةُ للمراجعَةِ، والتَّوبةِ، والاسْتدراكِ .. ما أشَدَّه من نَدَمٍ .. ومَا أشدَّها على النفسِ مِن حَسْرَةٍ .. وعلموا أن هذا التَّلاوم والتراجعَ في القولِ بين الأتْباعِ والمتبوعِين لم يعد ينفعهم في شيء .. ولو فعلوا شيئاً منه في الحياةِ الدُّنيا؛ لربما قد نفَعَهُم الشيءَ الكثير، وأنقذهم من هذا الموقِفِ العَصِيب .. فليس أمامهم من خيارٍ إلا العَذَاب:[لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ]؛ لَمَّا تستشرفُ لهم نارُ جهنم بلهيبِها وألسِنَتِها، [وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا]؛ مِن الفَريقَين: الأتباعُ والمتبوعِين .. الأغلال الثقال في أعناقهم وهم يساقون إلى النارِ، وهم في النَّار، ليتابعوا تحاورهم، وتلاومهم في النار، والأغْلالُ في أعنَاقِهم .. [هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]سبأ:33. يعملون من

الكفرِ والشركِ والظُّلمِ .. فاللهُ تعالى مُنَزَّه عن الظُّلمِ .. ولكنَّ المشركين - بشركِهم وكُفْرِهم، وإعراضِهم - كانوا أنفَسَهم يَظْلِمون!

* * * * *

قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ

777- [قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ]؛ بنصيحةٍ واحدةٍ، والنصيحةُ هنا هي لغيرِ المسلمين، وهي [أَن تَقُومُوا لِلَّهِ]؛ لأجلِ اللهِ، والإيمانِ به، ولكي تتعرَّفُوا على الحقيقةِ كما هي من عندِ الله، [مَثْنَى وَفُرَادَى]؛ لأنَّ ما زادَ عن هذا العدَدِ مدعاةٌ للرياءِ، والصَّخَبِ، والجدَالِ، واختلاطِ الأصواتِ والأفكارِ .. وهذا كله يكونُ على حسَابِ التَّفكيرِ السديدِ الهادِئِ الذي يُوصلُ صاحِبَه إلى الحقيقةِ وإلى برِّ الأمَانِ، [ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا]؛ بعقولِكُم .. متجرِّدين للحقيقَةِ، وللحقيقةِ وحَسْب .. بعيداً عن الأهواءِ، والعصبيَّاتِ، والتَّحزباتِ، والأحكامِ السابقَةِ التي قد تُحيل بينكم وبين الحقِّ، [مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ]؛ تتفكَّرَوا بحقيقةِ وصِفاتِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم .. فستجدونَه صادِقاً، أميناً، عَاقِلاً .. قد اجتمعَت فيه أنبلُ وأكملُ وأعظمُ صِفاتِ الإنسانيَّةِ .. وأنَّه على خُلُقٍ عَظيمٍ .. وأنه ليسَ بمجنونٍ كما يشيعُ الكفارُ المغرضُون الحاقِدُون .. وهذا يَستَدْعي منكم أن تؤمِنُوا به، وأن توقِّرُوه، وتصدِّقُوه فيمَا يخبركُم به عن اللهِ تعالى .. وفِيما جاءكُم به مِن عندِ اللهِ .. لا أن تَكْفرُوا به .. فإن أبيتم وأعرضتم، وآثرتم الكفرَ، فاعلمُوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم [إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ]سبأ:46. وفي الحديثِ فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِه الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ

"مسلم. لأن السؤالَ الكبيرَ الذي يُلاحِقُهم، ويُريدُ منهم جواباً؛ كيف تَسمعون بالنبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وبصفاتِه النبيلةِ الراقيةِ التي اجتمعَ فيها الكمالُ البَشري، وتحقَّقت فيه أعظمُ الأخلاقِ وأرفَعُها وأرقَاها .. ثم بعد كل ذلك لا تُصدِّقُونه، ولا تُؤمنُون به أنه رسولُ اللهِ .. وأنه صادقٌ فِيما جاء بِهِ من عندِ ربِّه ..؟!

778- [قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ]سبأ:46. في هذهِ الآيةِ الكريمةِ دَعوةٌ لجميعِ الناسِ؛ مؤمنِهم وكافِرِهم؛ أن يُعْمِلُوا عقُولَهُم، ويُطيلُوا التَّفكُّرَ في صِفاتِ، وسِيرةِ، وحياةِ، وأخلاقِ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم .. فالمؤمنُ يَزدادُ بهذَا التفكُّرِ إيماناً ويقيناً .. والكافرُ يكونُ له سبَبَ هدايةٍ ورشَادٍ .. فأعظمُ وسيلةٍ تُعينُ الكافرَ على الإيمانِ باللهِ تعالى، والدخولِ في دينِه الإسلام، بعدَ القُرآنِ الكريم .. أن يتفكَّرَ بسيرةِ النبي صلى الله عليه وسلم، وبأخلاقِه العظيمَةِ .. ولو فعلَ بتجرُّدٍ آمنَ وأسلمَ لا محالةَ بإذنِ الله تعالى .. ولا يَصدنَّهُ من أن يفعلَ ذلك ما يَراهُ مِن أخلاقٍ غيرِ جيدَةٍ منفِّرَةٍ مِن قِبَلِ بعضِ المسلمين؛ لأن القضيَّةَ تتعلّق بمصيرِه بعدَ الموت .. والحقُّ لا يُعرَفُ بالرِّجَالِ، وما عليه النَّاسُ، وإنما الرِّجالُ يُعرَفُونَ بالحقِّ.

* * * * *

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ

779- [وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ]سبأ:54. لَمَّا رَأَوا العَذَابَ، تَعَالى الحسَرَات والآهَات؛ ويَتمَّنونَ لو تُتاح لهم فرصةٌ جديدةٌ للتَّوبَةِ، والإيمانِ .. وأنَّى لهم ذلك؛ في يومٍ لا يَنفعُ فيه النَّدَمُ، ولا التَّلاومُ، ولا مجالَ فيه لاسْتِئنافِ العمَلِ، ولا فِدَاء!

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

780- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ كلُّ الناسِ؛ الملوكُ والأمراءُ، الحكَّامُ والمحكومُون، الرؤساءُ والمرؤوسُون، الأغنياءُ والفُقراءُ، [أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ]؛ أنتم جميعُكم على مَدارِ الوقتِ، وفي جميعِ أحوالِكُم وتقلباتِكم بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى اللهِ، لَا غِنَى لكم عن اللهِ طرفَةَ عَين .. اعبدُوه ووحِّدُوه .. وسَلُوه مِن فضلِه يُؤْتِكُم، ويَزِدْكُم .. لا تحملنَّكم السَّلامَةُ في وقتٍ من الأوقاتِ، أو الغِنَى في جانبٍ من جوانِبِ الحياةِ على الظلمِ والطغيانِ .. وعلى نسيانِ هذه الحقيقَةِ؛ وهي أنَّكم فقراءُ إلى اللهِ .. وأنَّ مَا أصابَكُم مِن خَيرٍ فهو مِن اللهِ، [وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ]؛ عنكم، وعنِ الخلْقِ أجمعِين؛ لكمالِ غِناه، وكمالِ أسمائِه الحُسنى، وصِفاتِه العُلْيا .. ومَا تقدِّمُوه مِن خَيرٍ، تُقدِّمُوه لأنفسِكُم، [الْحَمِيدُ]فاطر:15. وهو سُبحانه المحمُودُ دَائماً وأبَداً على أفعالِه، وصِفَاتِه، وعطَائِه، ونِعَمِه التي لا تُحصَى.

* * * * *

إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء

781- [إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء]فاطر:28. العالِمُ مَن جمعَ بين العِلمِ، والعمَلِ، واليَقينِ، والخشيَةِ .. وميدانُ التَّنافُسِ والسِّباق فيما بين العُلماءِ يكونُ في العَمَلِ، واليقينِ، والخشْيةِ، والإخْلاصِ .. وعلى قَدْرِ الخَشيةِ يكونُ العِلمُ، وعلى قَدْر العِلمِ تكونُ الخشْيَةُ، ومَن لا خَشْيَةَ له، لا عِلمَ له، فكل منهما لازِمٌ ومَلْزُومٌ للآخَر.

* * * * *

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ

782- [يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ]؛ على الكافِرين مِنهم؛ ففِي الدُّنيَا لهم الشَّقَاءُ، والتِّيه، والضَّيَاع .. وفي الآخِرَةِ - يومَ لا يَنفعُ النَّدَمُ ولا التَّلَاومُ، ولا الغَمُّ والحزَنُ - لهم العَذَابُ الأليم .. فتجتَمعُ عليهم الحسَرَاتُ كُلها؛ حَسَراتُ الدُّنيا والآخِرَة .. والسَّببُ أنَّهم كانُوا [مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ]؛ وبدَعْوَتِه [يَسْتَهْزِئُون]يس:30. يَسْخَرون .. ويَتَهَكَّمُون .. فيندَمون ويَتَحَسَّرُون على ما فَرَّطُوا بحَقِّ أنفُسِهم، ومَا كانَ مِنْهم تِجَاهَ رُسُلِ الله، وتجاهَ دَعْوَتِهم .. وَلاتَ حِينَ مَنْدَم!

783- [يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ]؛ كَمْ فَاتَهُم مِن خَيرٍ، وكَمْ أصَابَهم مِن شَرٍّ .. والسَّبَبُ، أنَّهم [مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون]يس:30. فبَدَلاً من أن يؤمنُوا به، ويُوقِّرُه، ويتَّبعُوه .. يَستهزئون ويَتَهَكَّمُون بهِ وبدَعْوَتِه، وأتْبَاعِه!

784- كلُّ مَن يَسْتَهزئُ بأَتْبَاعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، لاقتِدَائِهم واتِّبَاعِهم للأنبياءِ والرُّسُلِ، فهو يَسْتهزئُ بالأنبياءِ والرسُلِ ذَاتِهم.

* * * * *

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

785- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ]؛ عذَابُ الدُّنيَا، [وَمَا خَلْفَكُمْ]؛ عذَابُ الآخِرةِ .. فإذا اتقيتم عذَابَ الدُّنيَا، وعَذابَ الآخِرةِ؛ بامتثالِ ما أمرَ اللهُ بِه، وبالانتهاءِ عَمَّا نَهى عنه، [لَعَلَّكُمْ]؛ تفيدُ هنا التَّحقيقَ، [تُرْحَمُونَ]يس:45. يرحمكُم اللهُ في الدُّنيا، والآخِرَةِ.

* * * * *

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ

786- [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ]يس:60. كُلُّ مُشْرِكٍ ـ أيَّاً كانت مِلَّتُهُ ـ مِن عَبَدَةِ الشَّيْطَان، وسَيُحَاسَب يَومَ القِيَامَةِ على أنَّهُ مِن عَبَدَةِ الشَّيطَان.

787- إن لم تعبد اللهَ فأنت ـ لا مَحَالَة ـ تَعبدُ الشيطان ـ وإن تسمَّيتَ باللا ديني أو زَعمتَ أنك من الملحدين ـ وداخِلٌ في زِمْرةِ المعنيين مِن قولِه تعالى:[أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]يس:60.

788- [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]يس:60. مَن لا يَعْبُدُ الرحمنَ، فهو لا مَحَالَة ـ أيَّاً كان دِينُه، وكان انتماؤه ـ يَعبدُ الشَّيطانَ، ودَاخِلٌ في طاعَتِه ...!

* * * * *

لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ

789- [لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً]؛ مَن كا مُؤمِناً، حَيّاً بإيمانِه، [وَيَحِقَّ الْقَوْلُ]؛ العَذَابُ، [عَلَى الْكَافِرِينَ]يس:70. على الأحياءِ الأَمْوَاتِ؛ الأحْيَاءُ بأجْسَامِهِم، الأمْوَاتُ بأَرْوَاحِهم، وإيمانِهم، وعقُولِهم!

* * * * *

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ

790- [أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ]يس:77.
يُذَكِّرُ اللهُ الإنسانَ بأصْلِه الذي خلقَه منه .. وجاءَ منه .. وهو جزءٌ صَغيرٌ مِن النُّطْفَةِ، وليسَ كل النُّطْفَة، لا يتعدَّى حجمُه رَأْسَ الإبرَةِ .. كما في الحديثِ الصَّحيح:" مَا مِن كُلِّ المَاءِ يكونُ الوَلَدُ "مسلم. ثمَّ كيفَ أن اللهَ تعالى من هذا الجزءِ الصغير مِن النُّطفَةِ؛ الذي اسمُه الحيوانُ المنوي .. خلقَه وصَوَّرَه فأحسَنَ خَلْقَه وصُورتَه .. ففَلَقَ له العينَين، والأذُنَين، والفَمَ، والأنْفَ، والسَّبيلَين .. وخَلَقَ له أعضاءَه الباطِنَةِ؛ القَلْب، ومَا سِواه .. وخلَقَ لكلِّ عُضْوٍ مِنْهَا وظيفَةً لَا تَستمرُّ الحياةُ ولَا تَسْتَقيمُ مِن دُونِه .. ووَهَب له السَّمْعَ، والبَصَرَ، والفُؤَادَ .. ولمَّا بلَغَ أشُدَّهُ .. كَفَرَ، واستَعْلَى، واستَكْبَرَ .. وأخَذَ يُجادِلُ في اللهِ .. وفي وجُودِه .. وفي أسمائِه وصِفاتِه .. ويُنكر البَعْثَ، والنُّشورَ، والحِسَابَ .. ويُناظِرُ ويتحدَّى مَن يُثبت له وجودَ اللهِ .. وأنَّ اللهَ حَقٌّ .. أينَ الله .. " لا إله والحياةُ مادَّة " .. نحنُ أحرَارٌ في أنفُسِنَا؛ نفْعلُ مَا نَشاءُ .. نحيَا كالبهائِمِ، ونموتُ كالبهائِمِ؛ مِن غيرِ غايَةٍ ولَا رِسَالَةٍ .. ولَا رَقِيبٍ، ولَا حَسِيب .. يَفْعَلُ ذلكَ وأكثَر .. وقَد نَسِيَ خَلْقَهُ وأصْلَه .. وأنَّه جَاءَ مِن جِزْءٍ صَغِيرٍ مِن النُّطفَةِ لَا يَتعدَّى حجمُهُ رَأسَ الإبْرَةِ؛ التي تَسْتَدْعِي منه الإيمانَ، والشُّكْرَ، والتواضُعَ، والانكِسارَ أمَامَ عظَمَةِ اللهِ تعالى، وفَضْلِه عليه .. ألَا تَسْتَحي يَا ابنَ آدَم .. تتطاوَلُ وتَتجرَّأ على خالِقِك، ومالِكِك، خَالِقِ الخلْق، ومَالِكِ المُلْك .. وتُجَادِلُ في وَعْدِه ووَعِيدِه .. وأصْلُكَ مِن نُطفَةٍ قَذِرَةٍ، خَرَجْتَ مِنَ السَّبيلَين: مَرَّةً مِن سَبِيلِ أبِيك، ومَرَّةً مِن سَبيلِ أُمِّك ...؟!!

791- [أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ]يس:77.
وجُودُ الخَصِيمِ الملْحِد، الذي يُخاصِمُ في وجُودِ اللهِ .. وفي حَقِّه على عِبَادِه .. وفي الوَعْدِ والوَعِيدِ .. في زَمَانِنَا .. وعبرَ جَميعِ الأزْمنَةِ والعصُورِ، وبنِسَبٍ مُتَباينَةٍ ومختلفَةٍ .. وإلى قِيامِ

السَّاعَةِ .. هو نفْسُه دَليلٌ صَريحٌ على صِدْقِ هذه الآيةِ الكَريمةِ التي تتَكَلَّمُ عنْهم بهذَا التَّفْصِيلِ، وهذا الوضُوح .. وهو دَليلٌ على وجُودِ اللهِ .. وأنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ .. وأنَّ كلامَه حَقٌّ .. ولو لَمْ يُوجَد هَذا " الخَصِيم "، لكانَ حِينئذٍ يحقُّ لهذا الإنسان أنْ يتَشَكَّكَ، ويُشَكِّك، ويتَسَاءَل .. عَلامَ القُرآنُ يتكَلَّمُ عَن شَيءٍ غير موجُودٍ، ولَمْ يُوجَدْ مِن قَبْل ..؟! فوجُودك يَا مُلْحِد، ودُخُولك في الخصُومَةِ هو بحدِّ ذَاتِه دَليلٌ على أنَّ اللهَ حَقٌّ .. وأنَّ كَلامَه حَقٌّ!

* * * * *

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ

792- [إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ]الصافات:10. صَوْناً لرسالةِ خاتَمِ الأنبياءِ والمرسَلين .. وحتى لا يحصَل الكذبُ على اللهِ، والتحريفُ والتزويرُ لكلامِه .. كان الشيطانُ إذا ما استرَقَ السمْعَ إلى الملائكةِ، ليخطِفَ مِنهم الكلمَةَ والكلمَات .. ثم يُضيفُ إليها بعدَ ذلك مِن هواه مَا شَاءَ مِن الكَذِبِ والتحرِيفِ .. قبل أن يحصلَ شيءٌ من ذلك يُرسلُ الله إليه نجماً شهاباً يثقبه ويحرقُه، ويقتلُه، ويُحيلُ بينَه وبينَ مُرادِه .. وكذلك شياطينُ الأنْسِ في الأرْضِ .. حِفْظاً لكتابِ اللهِ تعالى مِن التَّحريفِ والتزويرِ، وسُوءِ التأويلِ .. كلما انبرَى منهم دَاعيةٌ مِن دُعاةِ الشرِّ والباطِلِ، والتَّحريفِ .. أرسلَ اللهُ إليه دَاعيةً مِن دُعاةِ الخيرِ والحقِّ .. يحرقُه، ويثقبُه، ويحرقُ شرَّه وباطِلَه، ويُبطِلُ دَعْوتَه .. مَا مِن شَرٍّ إلَّا ويُقابِلُه خَيرٌ يَدْحَضه.

* * * * *

وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ

793- كثيرٌ من الآياتِ الباهِراتِ الجاثِمةِ أمَام أعيُنِنَا، لا نَرى فيها إعْجَازاً؛ لأننا أَلِفْنَا رُؤيتها .. ومَا يُطالِبُ به البعضُ من الآياتِ والمعجِزَات، لو تمَّت، وأَلِفْنَا رُؤيتَها، لفَقَدَت في نفُوسِهم صِفَةَ الإعجَازِ، وطَلبُوا غيرَها من الآيَات .. صدق الله:[وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ] الصافات:14.

مَهْمَا أظْهرَ اللهُ تعالى للكافِرين المعاندين مِن آيَاتٍ بَاهِراتٍ؛ في أنْفُسِهم، وفي السَّماوَات، والأرضِ، لَن يَنْقَطِعَ شَكُّهُم، ولن يَتَوَقَّفَ فُضُولُهم، حَتَّى يَقُولوا:[أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً]النساء:153.

* * * * *

وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ

794- [وَقِفُوهُمْ]؛ يا أيُّها الملائكة .. قبلَ أن تَقذِفُوا المشْرِكين الكافرين في نارِ جهنَّم .. احبسُوهم عندَ صراطِ الجحيم، [إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ]الصافات:24. عمَّا كانَ مِنهم في الحياةِ الدُّنيا مِن اعتقادٍ، وقَولٍ، وعملٍ .. وعمَّا أجابُوا بهِ دعوةَ الأنبياءِ والرُّسُل .. وعمّا اقترَفُوه مِن جرَائم وآثَامٍ، بحقِّ الإسلامِ والمسلمين .. وبحقِّ بعضِهم بعضَاً؛ ليعلمُوا سوءَ ما كانُوا فيهِ، وأنَّه السببُ لما هم فِيه!

795- [مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ]الصافات:25. الموقفُ مُهِينٌ، ومُذِلٌّ، ومخيفٌ .. فجهنمُ بلهيبِها مِن أمامِهم .. ليسَ بينهم وبينَها سوى خطوات .. وسوى أن يأتي الأمرُ للملائكةِ بأن يَرمُوا بهم في النَّارِ .. لا هَمَّ لأحدِهم إلا نفْسَه .. وهُم في هذا الموقفِ .. وهذا الشُّعورِ .. يأتيهم السؤالُ التَّقريعي، الذي يَزيدُهم ذلّاً وحَسرةً، ونَدَامةً .. ما لَكُم لا ينصُرُ بعضُكم بعضَاً .. ولَا يُغيثُ بعضُكم بعضَاً كما كنتم تفعلون في الحياةِ الدُّنيا .. أينَ آلهتِكُم التي كنتُم تَعبدونَها مِن دونِ اللهِ؛ هل تَقدرُ على أن تنفعَكُم في شَيءٍ؟!

796- [بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ]الصافات:26. مُسْتَسْلِمُونَ بذلَّةٍ وانكسارٍ لحكمِ اللهِ .. ولمصيرِهم المحتومُ الذي يَستشرِفُهم، ويمتَدُّ بلهيبِهِ إليهم .. لَا قوَّةَ لهم ـ ولا خِيار ـ على الامتناعِ أو الاعتراضِ والمعارضَةِ .. كما كانوا يفعلُون في الحياةِ الدُّنْيا!

797- [وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ]الصافات:27. الأتباعُ والمتبوعُون .. الرؤساءُ، والمرؤوسُون .. الطواغيتُ وجنُودُهم .. يُقْبِلُون على بعضِهم البَعض .. وجْهاً لوجْهٍ .. تَسقطُ يومئذٍ الحواجزُ والمراسِمُ التي كانَت تَفصلُ بينَهم في الحياةِ الدُّنيا .. يَتلَاومُون ..

ويَتعاتَبُون .. ويتجادَلُون .. ويحمِّلُ كلٌّ طرَفٍ الطرفَ الآخَر المسؤوليَّةَ عمَّا وصَلُوا إليه .. وفِيما هُم فيهِ مِن الخزي والعَذَابِ .. وأنَّى يَنفعُ التَّلاومُ؟!

798- [قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ]الصافات:28. قال الأتْباعُ لمتبوعِيهم .. والمرؤوسُون لرؤسائِهم .. والجنودُ لطواغِيتِهم .. كنتم تصدُّونَنا عن الإيمانِ .. وتَصدُّونَ الإيمانَ عَنَّا .. فكنتم حَاجِزاً مانِعاً بيننَا وبينَ كُلِّ خَيرٍ يأتي مِن جهةِ أنبياءِ اللهِ تعالى ورسُلِه .. وإذا مَا تُلِيَت آيةٌ من آيَاتِ اللهِ، كنتم شَديدِي اللَّغو، والصَّخَبِ، والشَّغَبِ حتَّى لا نَفْهم عنِ اللهِ شَيئاً .. فأنتم المسؤولُون عمَّا وصَلنَا إليهِ، وعمَّا نحنُ فيه مِن العَذَابِ!

799- لم يقولُوا لهم " كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الشِّمَالِ "؛ لأنَّ كلَّ ما يأتي مِن جهةِ الشِّمالِ؛ مِن كُفرٍ، وفُسُوقٍ، وضَلالٍ، وشَرٍّ .. كان يَصلُ إليهم بسهولَةٍ، ومِن دونِ عوائق، وموانع .. وكانت جميعُ القنوَاتِ مفتُوحَةً له، وتُرحِّب به .. وله كامِلُ الحريَّة!

800- [قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ]الصافات:29. فيردُّ المتبوعُون، والرؤساءُ على التَّابِعين والمرؤوسِين .. بل المشكلةُ تكمنُ فِيكُم؛ فأنتم كُنْتم كفَّاراً؛ تحبونَ الكفْرَ والعصيانَ، وتَكرهُونَ الإيمانَ والطاعَةَ .. فالذنبُ ذنبُكُم، ولَا تَلومُوا إلا أنْفُسَكُم!

801- [وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ]؛ مِن سُلطَةٍ وقوَّةٍ نكرهَكُم بها على الكُفرِ والعصْيانِ، بل كان كُفرُكُم بمحضِ اختيَارِكم، وإرادَتِكُم، ورِضاكم .. وبكلِّ حريَّةٍ وديمقراطيَّةٍ، [بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ]الصافات:30. ظالمين تَسْتَعْدُون الحقَّ وأهلَه .. وتُوالُون وتَنصرُون مِن يُعادِي الحقَّ وأهلَه .. وهو سَببٌ فِيمَا أنتم فيهِ الآن مِن الخزي والعذَابِ .. هذه هي الحقيقَةُ التي يجبُ أن تَعْتَرفُوا بِها!

802- [فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ]الصافات:31. فكِلَانَا، الأتباعُ، والمتبوعُون .. الرؤساءُ والمرؤوسُون .. غيرُ مَعذُورين .. وكِلانَا شُركَاء في الجرْمِ والوزْرِ .. وكلانا يَستَحِقُّ العذابَ .. وإنَّا وإيَّاكم لذائِقُوا العَذَابِ لا محَالَة .. قَد وجَبَ حكمُ اللهِ فِينا، ووعيدُه لَنَا!

803- [فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ]الصافات:32. فنحنُ ـ الرؤسَاء المتبُوعُون ـ نَعترفُ إنَّا كُنَّا ضَالِّين .. وكلُّ ما فعلنَاه لكم أنَّنَا زَيَّنا لَكُم الكُفْرَ، والفُسُوقَ، والعصيانَ، وكَرَّهْنَا لكُم الإيمانَ .. وأضلَلنَاكُم عنِ الحقِّ .. وأنتم تَابعتمُونا بإرادَتِكُم واختيارِكُم!

804- [فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ]الصافات:33. هَذا التَّلاومُ .. والمراجَعَةُ في القَولِ، وتَبادُلِ التِّهم بين الفَرِيقَين: الأَتْبَاعُ والمتبُوعُون .. لَا يَنفَعُهم في شَيءٍ .. بَلْ لَا يَزيدُهم إلَّا حَسْرَةً ونَدامَةً .. فَكِلَا الفَرِيقَين كما كانُوا شُركَاءَ في الجرْمِ والوِزْرِ في الدُّنْيَا، بعضُهم أولياءُ بَعْضٍ، لا يُعذَرُ فَرِيقٌ دُونَ الآخَر .. كذلك كِلاهُمَا يَومَ القِيامَةِ شُركَاءُ في العَذَابِ.

فِيمَا تَقدَّم مِن آيَاتٍ تَنبيهٌ وتَحذيرٌ للأَتْبَاعِ أن يكونُوا على وَعْيٍ، ودِرَايَةٍ تَامَّةٍ فِيمَا يَتَّبعُون، ومَن يَتَّبعُون .. وأن يكونَ اتِّباعُهم على بيِّنَةٍ، ودَليلٍ، وبَصِيرَةٍ .. وأن لا يُسْلِمُوا رِقَابَهم، وزِمَامَ أمُورِهم للطُّغاةِ الظالمين الآثمين!

* * * * *

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ

805- [إِنَّهُمْ كَانُوا]؛ الكُفَّارُ والمشْرِكُون، [إِذَا قِيلَ لَهُمْ]؛ قالَ لهم الأنبياءُ، وأتباعُهُم مِن المؤمنين، على مَدَارِ التَّاريخ، مِن لَدُن نُوحٍ عليهِ السَّلام، وإلى يومِنَا هذا،

وإلى قِيامِ السَّاعَةِ .. قُولُوا، واشْهَدُوا ظَاهِراً وباطِناً أن:[لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]؛ لا مَأْلُوه ولَا مَعْبُودَ بحَقٍّ في الوجُودِ إلَّا اللهِ .. أدَاةُ الاسْتِثْنَاءِ " إِلَّا " إذا جَاءَت بَعْدَ نَفْيٍ؛ تُفِيدُ الحَصْرَ والقَصْرَ؛ أي أنَّ المعْبُودَ بحقٍّ هو اللهُ تَعالى وحدَه لا شَرِيكَ لَه، ومَا سِوَاهُ فهو البَاطِلُ، [يَسْتَكْبِرُونَ]الصافات:35. يَسْتَعلُون على الحقِّ، ومَا دُعُوا إليه، ويُعْرِضُون عَنه .. ويَحتقِرُون، ويَتَهكَّمُون، ويَسْتَهزِئُون بمَن طالَبَهُم ودَعَاهم إلى هذا الحَقِّ .. إنَّهم يُطِيقُون أن يَسْمَعُوا مِنك كُلَّ دَعْوةٍ، وكُلَّ قَولٍ .. إلَّا " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ "؛ فإنَّهم يَصمُّونَ آذانَهُم، ويُعْرِضُون، ويَسْتَكْبِرُون!

* * * * *

أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ

806- [أَتَدْعُونَ بَعْلاً]؛ أَتَعْبدُونَ صَنماً صنَعْتمُوه بأنفُسِكُم، وسميتُمُوه بَعْلاً، تتوجَّهُون إليه بالعبادَةِ والدُّعاءِ .. وهو صنمٌ لا يَنفعُ ولا يَضرُّ .. وقِيل سُمِّيت مدينةُ " بَعْلَبَك " في لبنان على اسمِ هذا الصَّنمِ، ونِسْبة له، وهي لا تزالُ إلى اليومِ تحملُ هذا الاسمِ .. ومَا أكثر البُعُول في أمصَارِ المسلمين التي تُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ، [وَتَذَرُونَ]؛ عبادَةَ اللهِ، الذي خلقَكُم، وخَلَقَ كلَّ شيءٍ، وهو [أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ]الصافات:125. أحسَنُ الصَّانِعين والمصورِين؛ لأنَّه لا وجُودَ إلَّا لخالِقٍ واحِدٍ فقط، وهو اللهُ رَبُّ العالَمين .. قال القُرطبي في التفسير:" المعنَى أحسَنُ الصَّانعين؛ لأنَّ الناسَ يَصنَعون ولا يَخْلُقون ". وقد حاولَ الإنسانُ المعاصِرُ أن يصنَعَ " رُوبوتات "، يُحاكِي بها الإنسانَ في صورَتِه، و بعضِ أعمالِه .. وهي في حقيقَتِها مهمَا طوَّرُوا بها خاويةٌ مِن الرُّوح، والوَعي، والعواطِفِ، والمشَاعِر .. والدِّمَاغ .. لا يُمكنُ أن تفكِّرَ خارجَ صندُوقِها، وأكثر ممَّا زوَّدَها به الإنسانُ مِن معلومَاتٍ

.. أو أن تعملَ عملاً أكثر ممَّا يأمرُها به، وأكثر ممَّا برمجَها عليه .. شَأنها شأنُ الكمبيوتر؛ فالكمبيوتر على قَدْرِ مُا تُودِعْ فيه مِن برامِج على قَدْرِ مَا يُعطِيك مِن أشياء تَتناسَبُ معَ وظِيفةِ البرامِج التي وُضِعَت فيه .. وهي تَبقَى في دائرةِ المصنُوعَات، وليسَ المخلُوقَات .. لأنَّه لا خالِقَ إلَّا الله!

* * * * *

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ

807- الحسَنَاتُ تُسْتَحْضَر، وتَتَشَفَّع عِندَ موردِ الشَّدَائد، والمصائب .. فأعِدُّوا الحسَنَات، لأيَّامِ الشِّدّة، تنفعُكم بإذن الله .. قال تعالى عن نبيه يونُس لما التَقَمَه الحُوتُ:[فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ]الصافات:143-144. فذُكِرَ له التَّسْبيحُ .. والثَّلاثَةُ الذين دخلُوا الغارَ، فَانْحَطَّتْ على فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عليهم .. استَحْضَرُوا حسَناتهم، وتوسَّلوا بها إلى الله، فانفرَجَت عنهم الصَّخرة .. ولما انطبقَ البحرُ على فرعون، استنجَدَ واستَغاث .. ولم يكُن عنده إلا السَّيئات .. قال الله له:[آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ]يونس:91.

* * * * *

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

808- [سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ]؛ تَنزَّه وتَعَالى اللهُ عن كُلِّ وصفٍ يَصِفُه به الواصِفُون؛ سَواءٌ كان وَصْفُهم يُفيدُ الإثْباتَ أو النَّفيَ؛ لأنَّ وصفَهُم مَبْعَثُه الجَّهل، وبغيرِ سُلطانٍ من الله، [وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ]الصافات:181. إلا المرسَلُون؛ الذين يُبلِّغُون عن اللهِ صِفَاته، وشرائعَه، ولا يخوضُون في صِفاتِ اللهِ إلا بِسُلطانٍ مِن اللهِ،

وبوَحْي .. فهؤلاء ومَن اتَّبَعَهم، واتَّبعَ طريقتَهُم مِن المؤمنين، سَلامٌ عليهم .. وهم مُسْتثنُون مِن البَرَاء.

809- [سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ]؛ نَزَّه الخالِقُ نَفْسَهُ عن جَمِيعِ مَا يَصِفُهُ به المشْرِكُون، والفَلَاسِفَةُ، والمتكَلِّمُون؛ لأنَّهم يَصِفُونَه بَغَيرِ عِلمٍ، ولا سُلْطَانٍ مِن اللهِ، [وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ]الصافات:180-181. ثمَّ استثنى المرْسَلِين ممَّن يَصِفُونَه، فأثْنَى عَليهم وعلى منْهَجِهم خَيْرَاً؛ لأنَّهم لا يَصِفُونَ اللهَ تَعالى إلا بِعِلمٍ وبما يُوحَى إليهم مِن رَبِّهم.

* * * * *

بل الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ

810- [الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ]؛ في مَنَعَةٍ، وحَمِيَّةٍ، وكِبْرٍ، وتَعَالٍ عَلَى الحَقِّ .. هذه الصِّفَةُ أدَّت بِهم إلى الوقُوعِ في الصِّفَةِ الثَّانِيَةِ [وَشِقَاقٍ]ص:2. ومَا دَامُوا في عِزَّة لا بُدَّ أنَّهم سَيَقَعُونَ في شِقَاقٍ؛ أي مُعَادَاةٍ، ومخالَفَةٍ، ومُبَايَنَةِ الحَقِّ وأهْلِه .. فالحَقُّ وأهْلُهُ في شِقٍّ، والذين كَفَرُوا في شِقٍّ آخَر .. وهَذا عَامٌّ لا يَخُصُّ زَمَنَاً دُونَ زمَنٍ، ولا مَكانَاً دُونَ مَكَانٍ.

* * * * *

فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

811- [فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ]ص:22. فاحكُمْ بيننا بالعَدْلِ، ولا تَجُرْ في الحُكمِ؛ فتَميلُ لأحَدِنا على حِسَابِ الآخَر .. قالَهُ الخصْمَان لنبيِّ اللهِ داود عليه السَّلام .. ونبيُّ اللهِ دَاودُ لم يُنكِرْ عليهما قَولَهُما .. وشِدَّتَهما في الخطابِ، والسُّؤالِ .. فصبرَ، وأجابَهُما عَن سؤالِهمَا ومشكلتِهمَا بكلِّ صَبرٍ وحِلْمٍ؛ وهو أهلٌ لكلِّ صبرٍ وحِلمٍ .. بينَمَا في زَماننا لو قِيلَ لشيخٍ يتصدَّرُ الفَتْوَى، والتوقيعَ عنِ اللهِ، وعنِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. ما الدَّليلُ من كتابِ اللهِ تعالى، وسنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم فِيمَا تُفْتِينا فِيه .. وهذا حقٌّ لكلِّ سَائلٍ .. لاشْطَاطَ غضَباً وغَيْظاً، وأنكرَ على سائلِه عن الدَّليلِ .. إذْ كيفَ يتجرَّأ أن يسألَه عن الدَّليلِ فِيمَا يُقرِّرُه، ويُفتِي فِيه، وهو الشيخُ المشهُورُ فُلان ابن عِلّان .. ألا نَثِق بي وبِعلمِي حتى تَسألَنِي عن الدَّليلِ .. وما أكثر هؤلاء المتَسَلِّقين على العلمِ في زمانِنَا!

* * * * *

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ

812- [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ]ص:24. فيه أنَّ القِلَّة لا تَعني دائماً أنَّها على باطلٍ .. أو عَلامَةٌ على البَاطِلِ .. فكَم مِن حَقٍّ أنصَارُه وأتباعُه الواحِدُ، والإثنان، والثَّلاثَةُ .. كما في الحديث:" عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبيُّ معهُ الرَّجُلُ، والنَّبيُّ مَعهُ الرَّجُلَانِ، والنَّبيُّ معهُ الرَّهْطُ ـ وهم الذين لا يتجاوَزُ تعدادهم العَشَرة ـ والنَّبيُّ ليسَ مَعهُ أحَدٌ "متفق عليه.

* * * * *

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ

813- [ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ]ص:42. نبيُّ اللهِ أيُّوب عليه السلام قد ابتلاهُ اللهُ تعالى في جسَدِه بأمراضٍ عَديدَةٍ .. حتَّى ابتعَدَ عنه كلُّ مَن حولَه إلا امرأته الصَّالحة .. فكان صَابِراً محتَسِباً .. ولَمَّا أذِنَ اللهُ تعالى له بالشفاءِ أمرَه أن يغتسلَ بماءٍ بارِدٍ، وليس بماءٍ دافِئٍ أو سَاخِنٍ؛ لِمَا للماءِ البارِدِ ـ بإذنِ الله تعالى ـ من أهميَّةٍ في علاجِ الأمراضِ .. وهذا ما اكتشفَهُ الطبُّ المعاصِرُ .. وتكلَّم عنه مؤخَّراً الدكتور الأمريكي " بيرج "؛ المشهور بالطبِّ البَدِيل .. في تسجيلٍ صوتيٍّ له بعنوان:" فوائدٌ لَمْ أكنْ أعلَمُها عَن الاغتسالِ بالماءِ البارِدِ " .. لَمْ يَكُنْ يَعلَمُها وهو في القَرنِ الواحدِ والعِشرين .. فمن أعْلَمَ محمَّداً صلى الله عليه وسلم .. وأوحَى له هذا الكلام عن أهميَّةِ الاغتسالِ بالماءِ البارِدِ، قَبلَ أكثر من ألفٍ وأربعمائةِ سَنَةٍ؟!

* * * * *

رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ

814- لا يَحمِلَنَّك طولُ البَلاءِ على اليأسِ مِن رحمةِ الله .. فأيُّوبُ عليه السلام بعد ثَماني عَشرَة سَنَة مِن الصَّبرِ على البَلاءِ، جَاءَهُ الفَرَجُ [ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ]ص:42-43. ويَعْقُوبُ عليه السلام بعدَ ثمانينَ سَنَةٍ مِن البَلاءِ، قَال:[عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً]يوسف:83.

* * * * *

إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ

815- [إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ]ص:44. مِن غَاياتِ البَلاءِ إظْهَارُ الصَّبرِ عند المُبْتَلَى؛ هل يَصْبر ويحتَسِب، أم يَتَسَخَّطُ، ويَشْكُو، ويَعتَرِض .. والنَّبي المُبتَلَى أيُّوب عليه السلام .. رغم اجتماعِ البَلاءِ كُلِّه عليه .. إلا أنَّه قد نجحَ في اختبَارِ الصَّبرِ على البَلاءِ نجاحاً عَظيماً، يَليقُ به كنَبي .. فأصبَحَ مَثَلاً أعْلَا يُضرَب في الصَّبرِ على البَلاءِ .. تكفيه شَهادَةُ ربِّه له:[إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً]؛ محتَسِباً، رَاضياً، شَاكراً، [نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ]؛ إنَّهُ شَدِيدُ الإسْراعِ في الإنَابَةِ والرجُوعِ إلى الله.

* * * * *

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ

816- [وَقَالُوا]؛ الكُفَّارُ، وهم في النَّارِ، [مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ]ص:62. مِن الإرهَابيين ...؟!

* * * * *

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

817- [قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ]ص:82. و [لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ]الأعراف:16. هذا هو عملُ الشيطانِ وجُندِه المستمر، والذي لا يَعرفُ التوقُّفَ .. الرَّصْدُ والتربُّصُ شراً بالمؤمنين .. والإغواءُ والإضْلالُ للناسِ أجمعين .. وصَرفُهم عن الطاعةِ إلى المعصيةِ .. فهي حربٌ مستمرةٌ بين الباطلِ بزعامَةِ إبليس اللَّعين، وبينَ الحقِّ وأتباعِه من المؤمنين .. والذي يريدُ أن يُوقفَ المعركةَ، ويُحْدِثَ سَلاماً بين الطَّرفين .. تحت أي زعمٍ ومُسمَّى .. عليه أولاً أن يتَّفقَ معَ إبليس ويأخذَ منه عَهْداً بأن يُوقفَ إغواءَه، وإضلالَه .. وعدَاءَهُ .. وحربَهُ على الحقِّ وأهلِه .. وأنَّى!

* * * * *

وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

818- [وَلَتَعْلَمُنَّ]؛ خِطَابٌ لجميعِ الكَافِرين الجَّاحِدين، والمُكَذِّبين، [نَبَأَهُ]؛ خَبرَ صِدْقِ مَا جَاءَكُم به محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم مِن عِنْدِ رَبِّه، [بَعْدَ حِينٍ]ص:88. عِندَ الموْتِ، وفي اللحْظَةِ الأُوْلَى مِن الموتِ ...!

* * * * *

فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا

819- أَسْوَأُ المَنِّ؛ أنْ تَمُنَّ عَلى اللهِ تَدَيُّنَكَ، وطَاعَتَكَ، وعِبَادَتَكَ، وتَرَى لِنَفْسِكَ بِذَلِك عَلَيه حَقًّا، أو أنَّكَ بِذلِك قَدْ أَسْدَيْتَ إلِيهِ مَعْرُوفًا [إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ]الزمر:7. [فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا]الزمر:41.

* * * * *

قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ..

820- [قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ]الزمر:10. ما وجْهُ التَّرابُطِ بين الأمرِ بالتَّقوَى .. وبينَ قولِه تعالى:[وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ]؟

الترابطُ؛ أنَّ المؤمنين مطالَبُون بأن يتَّقوا اللهَ حَقَ تُقاتِه، وأن يَعبدُوه، ولا يُشرِكُوا به شيئاً .. وقد وسَّع اللهُ لهم الأرضَ، والمواطِنَ لأجلِ ذلك .. فإن ضاقَت عليهم الأمورُ في دِينِهم، وعِبادتِهم، ولم يتمكَّنُوا من تحقيقِ التَّقْوى .. في أرضٍ من الأراضِي أو موطِنٍ مِن المواطِن، تعيَّنَ عليهم أن يُهاجِرُوا إلى أرضٍ أُخرَى بمقدورِهم أن يَعبدُوا اللهَ فيها، ويحقِّقُوا معنى التَّقْوى بصورةٍ أفضَلَ وأحسَن .. إذْ لا يُقبلُ مِنهم أن يعتذِرُوا بضيقِ الأرضِ معَ سِعَتِها .. ومعَ توسِعَتِها لغَرضِ تحقيقِ التَّقْوى، وسلامَةِ العِبادَةِ.

* * * * *

إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ

821- [إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ]الزمر:10. بغيرِ مكيالٍ، ولا ميزانٍ .. لأنَّ أجرَ الصابرين على صَبْرِهم .. أعظَمُ، وأجَلُّ، وأكبرُ مِن أن يُكالَ أو أن يُوضَعَ في ميزانٍ .. ولِعَظِيمِ الأجْرِ لا يُوجَدُ مِكْيَالٌ يَسَعُ أجرَ الصَّابِرين .. إنه عطاءُ اللهِ الواسع والكَثِير بغيرِ حِسَاب!

* * * * *

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

822- [الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ]الزمر:18. أصْوَبَه، وأَقْرَبَهُ للكِتَابِ، والسُّنَّة.

823- [الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ]الزمر:18. المهم عِندَهم القَوْلُ؛ بغَضِّ النَّظَرِ عنِ قَائِلِه .. فالحِكمَةُ ضَالَّةُ المؤمِن؛ وإنْ لم يكُن صَاحِبُها حَكِيماً.

* * * * *

أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

824- [أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ]؛ فسَحَ قَلْبَه لقبولِ الإسلامِ، والدخُولِ فيه؛ فآمَن وصدَّقَ بما أخْبَرَ، وفعلَ ما أمرَ به، وانتهى عمَّا نَهى عنه وزَجَر، [فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ]؛ هذا النور يُقذَفُ في قلبِه منذُ اللحظةِ الأولى لنُطقِه بالشهادَتَين، ودخُولِه الإسلام .. وهو يزيدُ قلبَهُ انشرَاحاً، وراحَةً، ولذَّةً، وسعادَةً، واطمئنَاناً .. ويُضيئ له ظُلمات الطَّريقِ والشُّبهاتِ، ويجعله في حِرْزٍ وحصانَةٍ من الخيارَات الباطِلَةِ، والانحرافِ،

والضَّلالِ .. ويشتَدُّ ضياؤُه ونورُه .. كلما أقبلَ على الإسلامِ وتعاليمِه أكثر .. وهو لا يَستوي مَثلاً معَ مَن يَرفضُ الإسلامَ ويُعرضُ عنه .. ويَضيقُ صَدرُه عن قبُولِه، والإصغاءِ إليه .. فهذا له معيشة ضنْكاً .. يَعيشُ الكآبةَ والشَّقاءَ .. لا يَعرفُ السعادَةَ حقّاً .. مهمَا امتلَك من أسبابِ الغِنَى والمتعةِ والشّهرَةِ .. وخياراتُه تظلُّ باطلةً، يَنتقلُ مِن خِيارٍ باطلٍ إلى خِيارٍ باطلٍ آخَر .. ومِن تجربةٍ باطلَةٍ فاشِلةٍ إلى تجربةٍ باطلةٍ فاشلةٍ أُخْرَى .. لا يَهتَدي سَبيلاً؛ لأنَّه يَفتقدُ النورَ من ربِّه الذي يُضيءُ له الطريقَ، ويُعرفُه على حقيقَةِ الأشياءِ، [فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ]؛ قلُوبُهم لا تُطيقُ أن تَذكرَ اللهَ، ولا أنْ تَقرأَ القرآنَ الكريم، وتقفَ على دلالاتِه ومعجزاتِه الدامِغَةِ الباهِرةِ .. فهؤلاء لهم الويلُ والعذَابُ الأليمُ يومَ القِيامة، [أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ]؛ انحرافٌ ومَيلٌ عن الحقِّ إلى الباطِلِ، وعن الطُّهرِ إلى الرجْسِ، وعن التَّوحيدِ إلى الشِّركِ، [مُبِينٍ]الزمر:22. ظاهرٌ بيّنٌ لمن تأمَّلَ حالَهم، وواقِعَهم!

* * * * *

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ

825- [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ]الزمر:30. [كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ]الرحمن:26-27. قانونٌ عام لا يَتخلّف أبَداً؛ يتربّص بالجميع، لا يَنجُو منه أحدٌ، يَشملُ الجميعَ؛ الشَّريفَ والوضيعَ، الحاكمَ والمحكومَ، الغنيَّ والفقيرَ، الكبيرَ والصَّغيرَ .. إنه قانون الموت؛ هازم اللذات، وقاهر الملوك والجبَابِرة .. تُرَاكَ يا ابنَ آدَم مَن الذي سَنّ هذا القانون وفرَضَه، وسلَّطه عليك، وقهرَك وملذَّاتك به .. ولماذا؟!

الموتُ برهانٌ سَاطعٌ على أن الدُّنيا دارُ عملٍ واختبار، به يُسدَل السِّتار، وينتهي الاختبارُ، ثم إنّ الآخِرةَ هي دار الجَّزاءِ، والقَرارِ، إمَّا إلى جَنّةٍ، وإما إلى نَار [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ]الجاثية:15.

826- [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ]الزمر:30. [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ]العنكبوت:57. إنَّه قانُون الموتِ، قَانُونٌ عامٌّ يَجرِي على الجميع، لا يَستثْنِي أحَدَاً، لا نَبيَّاً، ولا عَالِماً، ولا مَلِكَاً، ولا رَئيسَاً، ولا غَنيَّاً، ولا فَقِيراً .. يَستوي أَمَامَه الجميعُ .. يَخضَعُ له ولسلطانِه الجميعُ .. الكبيرُ والصَّغيرُ .. لا يَسْتَعْصِي عليه أحَدٌ، ولا يَقْدِرُ .. لا عِلاجَ له ولا دَوَاء، ولو اجتمعَ له أطبَّاءُ الأرضِ جميعَاً .. فإذا جَاءَ الأجَلُ تَعطَّلَت الأسبَابُ وتكسَّرَت، وانتفى الانتفَاعُ بها .. قاهِرُ وهَازِمُ اللَّذَّات .. مُؤَدِّبُ الجبَابِرَةِ والطُّغَاةِ .. كفَاهُ واعِظَاً لمن لا تَعِظُه الكَلِمَات .. عِنْدَهُ تَكْثُرُ الحَسَرَات والنَّدَامَات .. والموفَّقُ مَن يُوفقهُ اللهُ للعملِ لمَا بَعدَ المَمَاتِ .. يَتَزَوَّدُ مِن دُنْيَاه بصَالح العمَلِ للحيَاةِ بعدَ الموتِ، حَيثُ تَبتدِئ الحياةُ الحقيقيَّةُ والأزَليَّةُ، التي لا مُنْتَهى لها .. فإمَّا إلى جَنَّةٍ، وإمَّا إلى نَارٍ.

* * * * *

وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

827- [وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ]، كأن تَقُول: أجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ وحدَه، ولإعلاءِ كلمتِه .. أنفقُ مالي في سبيلِ الله .. أُوَالي، وأُعَادِي، أحبُّ وأكرَهُ في اللهِ، ولله، [اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ]، نَفرَتَ، واكْفَهَرَّت قلوبُهم، وامتلأَت غَيْظَاً وكُرْهَاً، وذُعْراً مِمَّا يَسمَعُون، ووصَفُوا القائِلَ: بالتَّخَلُّفِ، والرجعيَّةِ، والتَّعصُّبِ، وأنَّه إنسانٌ ظَلَامِي، [وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ]، ذُكِرَت الطَّواغِيتُ، والأَوْثَانُ، ومَا يُعظِّمونَه، ويَعبدُونه من دونِ اللهِ، كأن تقولَ: أجاهِدُ وأقاتلُ في سبيلِ الوطَنِ، والإنسانيَّةِ،

والقوميَّةِ، وفي سبيلِ الطَّاغُوت .. أُنفِقُ وأُعْطِي، وأخْدُم، وأُوَالي وأُعَادِي، أَحْيَا وأموتُ في سبيلِ الإنسانيَّةِ، والوطَنيَّةِ، والقوميَّةِ، والدِّيمقراطيَّةِ، والعلمانيَّةِ، ونحو ذلك من الاطْلَاقاتِ الشِّرْكِيَّةِ، [إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ]الزمر:45. يَفرَحُون، ويَبْتَهِجُون، ويُسرُّون بِكَ، وبما يَسمعُونه مِنْكَ، ويَصِفُونَك بأوصافِ وألقَابِ التَّفْخِيمِ والتَّعْظِيم، والإعْجَابِ .. وأنَّكَ إنسانٌ تَقَدُّمِي، ومُتَنَوِّرٌ .. ولا يَتردَّدُون حِينئذٍ أن يمنَحُوك أوْسِمةَ البطُولَةِ، والإعجَابِ، والرِّضَا!!

828- الشِّرْكُ لا يَخشَى الشِّركَ مَهمَا تَغَايَرا في الملَّةِ التي يَنتسِبانِ إليها، ومهمَا اختلَفَت صُورتُه، فهما مُتآلِفانِ، مُتَناصِرَان، إنَّما يَخشَى التَّوحِيدَ .. والمشركُون أكثر ما يَبغضُون في الإسلامِ، التَّوحِيدَ، وأكثر مَا يَطرَبُون له، ويَستبشرون به الشِّرْك، كما قال تعالى:[وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ]الزمر:45.

829- في اليَومِ يُقتَلُ في الأمْصَارِ المِئَات، لِغَاياتٍ وضْعِيَّةٍ وَضِيْعَةٍ لا تَرقَى إلى مستوَى الرُّوحِ التي أودَعَهَا اللهُ تعالى في الإنسانِ، فلا يُقلِقُ الإنْسَانِيَّةُ العالميَّةُ من ذَلِك شَيئاً، فإذا ما قُتِل واحدٌ في سَبيل الله، أنكَرَت الإنسانِيَّةُ العَالميَّةُ، وضَجَّت، واشْمَأَزَّت، ونَخَرَت .. صدَقَ اللهُ العظيم:[وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ]الزمر:45.

* * * * *

وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ

830- [وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ]الزمر:47. هذا الوَعيدُ الشَّديدُ والمخيفُ يَشمَلُ كلَّ مَن أَسَاءَ العمَلَ؛ ولم يحقِّقْ في عمَلِه شَرْطَي الإخْلاصِ، والمتابَعَةِ للنَّبي صلى الله عليه وسلم ولِسُنَّتِه، ثم يحسَبُ أنه يُحسِنُ صُنْعَاً، وأنَّ له أجرَاً على عمَلِه .. فإنَّه يُفَاجَأ يومَ القِيامَةِ بما أعَدَّ اللهُ له مِن الوَعِيدِ بخلافِ مَا كان يَظنُّ ويحتَسِب ...!

* * * * *

فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا

831- [فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ]؛ أصابَهُ ضيقٌ .. وشدَّةٌ .. وعسرٌ .. وكَرَبٌ .. وهَمٌّ .. وانتفَت الحِيلَةُ .. وضَاقَت به السُّبُلُ والمخارِجُ، وأدرَكَ عجزَهُ .. استَسْلَم و [دَعَانَا]؛ دَعَا اللهَ تعالى وحدَه، واستغَاثَ به، وألحَّ عليه في الطَّلَبِ، وانتَفَى مِن حَوْلِه وقوَّتِه، ونَسِيَ ما سِوَاه من الآلهةِ المزعُومَةِ؛ لعلمِه أن لا أحَدَ يَقدرُ على كشْفِ الضُّرِّ عنه، وما نَزلَ به مِن كَرْبٍ وشدَّةٍ، إلا الله .. يا رب لئن نجيتَنِي مِن هذهِ لأكُونَنَّ من الشَّاكِرين .. [ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا]؛ فإذا استجابَ اللهُ دُعاءَه، وكشَفَ ما بِهِ مِن ضُرٍّ، وأبْدَلَ ضُرَّه، وعُسرَه، وشِدَّتَهُ، خيراً، وسعةً، ونِعمةً، وأمْناً .. وهَدَأت نَفْسُه، وذَهبَ عنه الرَّوعُ والخَوفُ .. نَسِيَ هذا الجحودُ أينَ كانَ، وأينَ صَارَ .. وما كان مِنه مِن دُعاءٍ، واستغاثَةٍ باللهِ عَزَّ وجَل .. وما كانَ مِنه مِن عَهْدٍ .. و [قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ]؛ هذا الخَيرُ الذي أصَابَنِي بعدَ ضِيقٍ وشِدَّةٍ، أنا أستحقُّهُ، والفَضْلُ في تحصيلِهِ مَردُّه إلى جهْدِي، واجتهادِي، وعَرَقِي، وسَعيي، وكَدِّي، وتَفكيري، ومَهَارَاتي، وعِلمي بطرُقِ تَحصِيلِه، [بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ]؛ بَلاءٌ، واختبارٌ، واسْتِدْراجٌ لهذا الإنسانِ الجحُود، الجَّهُول، الكَفُور؛ هَل سَيَشْكُرُ، ويَردُّ الفضْلَ كلَّه للهِ، أم أنَّه سَيكْفُرُ النِّعمَةَ، ويَجحَدُ فضْلَ اللهِ عليه، ويَردُّ

الفَضْلَ لنَفْسِه، [وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ]الزمر:49. أنَّ السَّراءَ بعدَ الضَّرَّاءِ، قد يكونُ فِتنَةً واسْتِدْرَاجاً!

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

832- [إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]الزمر:53. لمن تَابَ واستغفَرَ، يَغفرُ اللهُ له مَهمَا كانَ مِنْه مِن ذَنْبٍ .. فالتَّوبَةُ تجبُّ مَا قَبْلَها، والتَّائِبُ مِن الذَّنْبِ كَمَن لَا ذَنْبَ لَه .. ولمَن لَمْ يتُبْ مِن أهلِ القِبْلةِ يَغفرُ اللهُ لمن شَاءَ؛ إن شَاءَ غَفَرَ، وإنْ شَاءَ عَذَّبَ وعاقَبَ .. إلَّا مَن مَاتَ على الكُفرِ والشِّرْكِ؛ فهذا قد أخَذَ اللهُ على نفْسِه عَهْداً أن لَا يَغفِر له أبَداً، كما في قوله تعالى:[وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:217.

* * * * *

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ

833- [قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ]الزمر:64. كلُّ مَن يَدعُو إلى عبادَةِ غيرِ اللهِ عزَّ وجل، أو يأمر بعبادَةِ غيرِ الله، ولو بجزئيَّةٍ أو صورةٍ مِن صُورِ العِبادَةِ؛ فهو جاهِلٌ بالإلهِ المستحِقِّ للعِبادَةِ .. جاهلٌ بأسماءِ وصِفاتِ الإلهِ الحَقِّ؛ الذي تَأبَى أسماؤُه الحُسنى وصفاتُه العُلْيَا أن يكونَ معَهُ إله وشريكٌ في المُلْكِ، والخَلْقِ، والأمْرِ، والعِبادَةِ .. وهو أيضاً جاهِلٌ بحقيقةِ مَن يَدعو إلى عبادَتِه مِن دونِ اللهِ؛ إذْ كيفَ يَدعُو إلى عبادَةِ مخلوقٍ ضَعيفٍ يُخلَق، ولا يَخلق .. لا يَملكُ لنفْسِه، ولا لغيرِه نفعاً ولا ضَراً إلا ما شاءَ اللهُ .. ومِن هذه الآلهةِ التي يَدعُون إلى عبادتِها الصُّور، والحجارَةُ، والأصنَامُ؛ وهي

لا تَسمعُ، ولا تُبصِر، ولا تَضرُّ، ولا تَنفَع .. فأيُّ جَهلٍ بحقيقَةِ المعبُودِ، وبمن يجبُ أن تُصرفَ له العِبادَةُ يَعلو هذا الجَهْل .. وحينَما لا يَستحون، ولا يَخجَلُون مِن جَهلهم وشِركِهم .. ويَدعون إلى عِبادَةِ هذه الآلهةِ مِن دونِ اللهِ عزَّ وجل، فليس للمؤمنِ سوى أن يقولَ لهم مُنكراً ومُشَنِّعاً:[أَفَغَيْرَ اللَّهِ]؛ خَالِقُ الخلْقِ، وربُّ العَالمين؛ الذي له الأسماءُ الحُسْنَى، والصِّفاتُ العُليَا، [تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ]؟!

وفيه أنَّ المشركَ الذي يعبدُ آلهةً مِن دونِ ـ أو معَ ـ اللهِ، ويَدعُو إلى عبادتِها .. مهمَا أُوتِي من العِلمِ الدُّنيوي .. واجتمَعَ له من العِلمِ الدُّنيَوي .. فهو لا يخرجُ عن صِفَةِ الجَهْلِ، وعن مُسمَّى " الجاهِل "، وهو يَدخل في زُمْرةِ الجاهِلين اسماً، وصِفةً، ومَعنَى .. إذْ ما قِيمَةُ العِلمِ الذي أُوتيَه إذا لم يُوصلْهُ للغايَةِ التي خُلِقَ من أجلِها في هذهِ الحيَاة؟!

* * * * *

ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا

834- [ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ]؛ لَا أقولُ: مِن أكثرِ، التي تُفيدُ التَّبعِيضَ .. بَل أقولُ: أكثرُ مَا يغيظُ الكافِرين - كلُّ الكافِرين على اختلافِ مِلَلِهم وأديانِهم - مِن دينِ اللهِ الإسلامِ، دَعْوَةُ التَّوحِيد، الدَّعْوةُ التي تُفْرِدُ اللهَ تعالى وحدَه بالعبادَةِ بمعناها العَامِّ والخاصِّ، الشَّاملة لجميعِ مَا يحبُّه اللهِ تعَالى ويَرضَاه من الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ .. فإذَا ما دَعوا إلى عبادةِ اللهِ وحدَه كَفَرُوا بالدَّعْوةِ، وامتَلأُوا غَيظاً وحِقْداً، على الدَّعْوةِ والدَّاعِي، [وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا]غافر:12. وإذَا مَا دُعُوا إلى الشِّركِ، الذي يُشَرْعِنُ عِبادَةَ اللهِ تعالى معَ عِبادَةِ المخلُوق .. الشركُ الذي يَصرفُ العبادَةَ للخالِقِ والمخلُوقِ سَواء، أيَّاً كانت صِفَةُ هذا المخلُوقِ .. قد يَكونُ هذا المخلُوقُ إنساناً، وقد يكونُ حجَراً وصَنماً، وقَبراً، وقد يكونُ شجرةً، وبقرةً، وقد يكونُ شمساً أو قمراً ونجماً، أو شَيطاناً، وغيرَ ذلك .. فحينئذٍ وحَسْب يؤمنُون باللهِ كشريكٍ، وكواحِدٍ من مجموعِ الآلهةِ العديدة التي تُعبَد، وتُصرَف لها العِبادَة .. وهذا إيمانٌ فاسِدٌ باطِلٌ مَردُودٌ، يُرْدِيهِم، ولَا يَنفَعُهم في شَيءٍ .. فاللهُ تعالى أغنَى الأغنياءِ عنِ الشِّرْكِ، والشُّرَكَاء!

* * * * *

لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ

835- [لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ]غافر:17. محكمةُ السَّماءِ .. يومَ القِيامَةِ .. مكتوبٌ على بابِها، [لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ]؛ كما كُنتم تظَّالَمُونَ في حَياتِكُم الدُّنيَا .. فالعِبادُ يومَ القِيامَةِ إمَّا أنْ يُؤخَذُوا بعَدلِ اللهِ .. وإمَّا أن يؤخَذُوا بعفوِ ورحمةِ وإحسانِ اللهِ .. واللهُ تعالى يَفعلُ مَا يَشَاء .. عَامَلَنَا اللهُ تعالى بعفْوِه، ورحمَتِه، وإحسَانِه .. وصَلَّى اللهُ على سيدنا ونبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلم.

* * * * *

إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ

836- [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ]غافر:26. هذه ذَريعةُ الطّغاةِ والفراعِنة على مرِّ العُصورِ، وفي عَصْرِنا، وإلى يومِ القِيامةِ، في محاربتهم للحَقِّ وأهلِه، وصَدِّ الشُّعوبِ عن دينِ اللهِ!

837- [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ]؛ يُبَدِّلُ طَريقَةَ حياتِكم، وعبادَتِكم، وطاعتِكم لي، إلى عِبادةِ وطاعةِ اللهِ، [أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ]غافر:26. فيُظهرُ دِينَه التَّوحِيدِي، على دينِكُم الشِّرْكِي .. يُظهِرُ عِبادةَ وطاعَةَ اللهِ على عِبادةِ وطاعَةِ الطَّاغُوتِ .. هذا هو مِقياسُ الفَسادِ عِند الطُّغاةِ الظَّالمين .. وهذه هي ذَرِيعَتُهم ـ مهما اختلَفَت عِباراتهم ـ على مَدَارِ التَّاريخ والأزمانِ، في محارَبةِ وتَقْتِيلِ الدُّعَاةِ إلى الله ...!

* * * * *

وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ

838- [وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ]، عندمَا تخذُلك الأسبَابُ .. وتَضعفُ عن الانتصَافِ لحقِّك .. ارفَعْ قضيَّتَك إلى اللهِ .. إلى خَالقِ الأسبَابِ، [إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ]غافر:44. فاللهُ يَسمعُكَ ويَرَاك.

أحياناً يُقدِّرُ اللهُ للأسبابِ أن تخذلَك؛ حتَّى تَعودَ، فتقول: يا الله .. ولو عمِلَت الأسبابُ عملَها مِن غيرِ تخلُّفٍ .. لطَغَى الإنسانُ، ونسي أنَّ له ربّاً يُرْجَع إليه!

لَا يَرفعُ الهمَّ، ويُزيلُ الكآبَةَ: كالتفويضِ، والرِّضَا، والتَّسْلِيم.

* * * * *

فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ

839- [فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ]؛ بالآيَاتِ والبَراهِين الدَّالَّةِ على تَوحِيدِ اللهِ تَعالى، وأنَّ اللهَ تعالى هو المعْبُود بِحَقٍّ، وأنَّ مَا سِوَاه فهُو البَاطِلُ، [فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ]؛ في رَدِّ الآيَاتِ، والبَرَاهِينِ، وهَذا لِسَانُ حَالِ الكُفَّارِ على مَدَارِ الأزْمَانِ؛ مِن قَبل، واليوم، وغَداً؛ فبَدَلاً مِن أن يحمِلَهُم العِلْمُ على التَّواضُعِ، وقُبُولِ الحَقِّ، يحْمِلهم عَلى الغُرُورِ، والعُجْبِ، والطُّغْيَانِ، والبَطَرِ، والكِبْر، والاسْتِهزاءِ، ورَدِّ الحق .. [وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون]غافر:83. فيُنْزِل اللهُ بهم العَذابَ الذي كانُوا يَسْتَعْجِلُونَه، وكانُوا به يَجْحَدُون، ويَسْتَهْزِئُون ...!

* * * * *

وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ

840- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنُّوا ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ العَفْوَ مِن غَيرِ عمَلٍ .. فَأَرْدَاهُم وأهلَكَهُم ظَنُّهم!

841- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنَّ الكافرُون المشرِكُون ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ أنَّهم أحبَابُ اللهِ، وخَاصَّتُه .. وأنَّ اللهَ سيَرحمُهم ويُدخِلُهم جَنَّتَه على مَا هم عليه مِن الشِّركِ والكُفْرِ .. فأهلَكَهُم وأردَاهُم ظَنُّهم!

842- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنَّ الكافرُون المشرِكُون ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ أنَّ اللهَ تعالى يَقْبَلُ، ويَرْضَى الشِّرْكَ، والشَّرِيكَ، وأن يُقالَ أنَّ له ولَد .. فأهلَكَهُم وأردَاهُم ظَنُّهم البَاطِل هذا!

843- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنَّ الكافرُون الملحِدُون ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ أنَّ اللهَ تعالى لن يبعَثَهم بعدَ الموْتِ للحِسَابِ، وأنَّه غَيرُ قادِرٍ على أن يحييَهم بعدَ موتِهم، وبعدَ أن يُصبِحُوا رُفَاتاً .. فخابَ ظَنُّهم الباطِل، وأهلَكَهُم وأرْدَاهُم!

844- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. يشملُ كلَّ مَن وصفَ اللهَ تعالى بالظَّنِّ؛ فاعتمَدَ الظَّنَّ في إثباتِ الصِّفَاتِ،

أو نَفْيها، مِن غَيرِ سُلطَانٍ، ولَا دَليلٍ مِن كتابِ اللهِ، أو سُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. فهؤلاء أيضاً يُهلِكُهم ويُردِيهم ظَنُّهُم البّاطِل!

* * * * *

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ

845- [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا]؛ وهو قولٌ يتوارثُه الكافرون فِيما بينهم على مدارِ الأزمانِ؛ مِن قبل، واليوم، وغَداً .. يَتوارثونَه ويتواصَونَ به ـ بصيغٍ مختلفةٍ، وأساليب عَديدةٍ ـ فَرَقاً من كتابِ اللهِ تعالى، ومِن أثرِه، وجمالِه وقوَّتِه .. يقولُون والرعبُ يملأُ قلُوبَهم:[لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ] ؛ لا تُصغُوا لهذا القُرآن، ولا لما يُتْلَى عليكم منه .. وإذا كانوا يَنهون عن الإصغاءِ إليه، فمن بابِ أولَى أن ينهوا عن قراءتِه، وعن تأمُّلِ وتدبرِ آياتِه؛ فإنه كتاب مُعْجِز، مُبْهِر، يَعلو، ولا يُعلَى عليه .. لا نأمنُ عليكم إن استمعتم إليه، وأقبلْتُم عليه، أن تترُكُوا دينَكُم، وآلهتَكم، وطريقتَكم المُثلى والماجِنةِ في الحياةِ .. وتَدخلُوا في دِينِ الإسْلامِ .. وحتَّى لا يحصلُ شيءٌ من ذلك .. فما هو الحَلُّ، وما هو السَّبيلُ ..؟! [وَالْغَوْا فِيهِ]؛ أحدثوا جميع أنواع الصخب، والضجيج، والتَّشويش، واللهو، واللعب، والتَّخْدِير .. فيختلط كل ذلك مع كلمات القرآن على المسامع، فتتلاشَى المعاني، ويضعف الأثر .. وهم يلجأون إلى هذا الخيار المتخلف والشيطاني؛ لعجزهم عن مواجهة حُجج وبراهين القرآن الكريم بالحجة، والعلم، والمنطق السليم .. ولعجزهم عن أن يأتوا بسورة من مثله .. وهذا الذي نشهده اليوم من صَخب، وكيد، ومكر على مدار الوقت، ترعاه وسائل إعلام الكافرين الحاقدين، ما هو إلا معنى من معاني [وَالْغَوْا فِيهِ]؛ .. لماذا؟ [لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ]فصلت:26. تغلبون القرآن، وتغلبون أثر القرآن، وتُضعِفُون من أثره على مسامع الناس، وعلى سلوكهم، وتوجههم .. وهم ـ كما ذكرنا من قبل ـ يلجأون إلى هذا الأذى، وهذا

الخيار المتخلف؛ لأنهم يفتقدون الخيار المتحضّر في مواجهة القرآن الكريم، ومواجهة أثره الإيجابي على الناس!

أعرفُ ملحداً؛ كان يقولُ لي، وهو يحاورُني: قُلْ لي مَا شِئتَ .. لكن لا تُسمِعُني آيةً مِن القُرآن!

846- [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا]؛ الرؤساء، والزعماء المتبوعين، لأتباعهم، ولبعضهم البعض:[لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ]؛ لخوفهم منه، ومن إعجازه، ومن قوة براهينه، وحججه على أنفسهم، وعلى أتباعهم .. وفي حال سمعوا أحداً يتلو القرآنَ؛ سواء كان النبي صلى الله عليه وسلم، أو أحد من أصحابه، تواصَوا فيما بينهم، [وَالْغَوْا فِيهِ]؛ أي تمادوا في الشَّغَب، والصَّخَبِ، ورفع الأصوات، حتى لا تصل كلماتُ القرآنِ إلى مسامع الناس، ولو وصلت؛ تصلُ مشوشَةً غير مفهومَةٍ .. وفي زماننا المعاصر لم يَقتصِرْ[وَالْغَوْا فِيهِ]، على الشَّغَبِ، والصَّخب، ورَفْعِ الأصوات .. بل ذهبوا أبعد من ذلك بكثير؛ فجميع وسائل إعلامهم؛ المرئية، والمسموعة، والمقروءة، وما تضخ من برامج، وأفلام، ومسلسلات، وشبهات حول الإسلام، وما يُنفقونه في هذا السبيل، كلها تصب في معنى [وَالْغَوْا فِيهِ]، لماذا كل هذا الجهد .. وكل هذا الإنفاق على هذا الجهد؟ [لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ]فصلت:26. أي لعلّكم تغلبون القُرآنَ، وتغلبون أثَرَ القُرآنِ على الناس، فلا يستمعون إليه، ولو استمعوا إليه يصلهم مشوشاً غير مفهوم .. فيفقد أثره .. ومع ذلك فكتاب الله تعالى رغم كل هذا الكيد والمكر .. وكل هذا اللغو الضخم .. وكل هذه الحواجز .. فهو يشق طريقه إلى قلوبِ وعقول الناس، فيدخلون بسببه الإسلامَ أفواجاً .. وقولُهم [لَعَلَّكُمْ]؛ يُفيد الشَّكَّ وعدم التَّثَبُّتِ واليقين، وأنهم غير متيقنين من جدوى محاولاتهم؛ لعلمهم في

قرارة أنفسهم، أن القرآنَ الكريم كَلامُ الله .. وأنَّه لا يُقَاوَم .. وأنه يَعلُو على كُلِّ ما سواه، ولا يُعْلَى عليه!

* * * * *

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ

847- [وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ]فصلت:31. كنتُ أُحدِّثُ أحفَادِيَ الصِّغار عن مَصيرِ الحيواناتِ يومَ القِيامةِ ـ كل الحيوانات ـ أنَّ اللهَ تعالى يَقتصُّ للمظلومِ مِنها، مِن الظَّالِمِ .. هذا ما دلَّ عليه النصُّ، ويَقتضيه العدلُ الإلهِي .. ثمَّ يقولُ لها:" كونُوا تُراباً " .. فقاطَعَتْنِي حفيدَتي الذَّكِيَّة مَريم .. والدمْعَةُ تُرَقْرِقُ في عَيْنَيها .. وقالَت: إذا طلَبتُ مِن اللهِ تعالى أن يُبقِي لي قطَّتِي " مِيمِي "، هل يُبقيها لي، وهَلْ مِن حَقِّي أن أطلبَ هذا الطلَب ...؟!

سؤالٌ لَمْ يُطرَح عليَّ مِن قَبل .. فأسئلةُ الأطفالِ غَيرُ أسئلةِ الكِبارِ .. قلتُ لها: نعم؛ اللهُ تَعالى يُبقِي لكِ قطَّتك " مِيمِي " .. ولَكِ أن تَطلُبِي هذا الطلَب، وكلَّ مَا تَشْتَهِينَه وتُريدينَه .. فلا يُمنَعُ عنكِ شَيءٌ تُريدينَه، ولَا عنِ المؤمنين شيءٌ يُريدونَه ويتمنونَه يومَ القِيامةِ، وهو مَا يقتضيه قولُه تعالى:[وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ]، أي ما تَطلبُون، وهذا وَعْدٌ مِن اللهِ .. ومَن أصدَقُ وأوْفَى مِنَ اللهِ وَعْدَاً؟!

* * * * *

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً

848- [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً]؛ لَا أحَدَ أَحْسَن، [مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ]؛ دَعَا إلى تَوحِيدِ اللهِ تعالى، وإلى عِبادَتِه، وإلى دينِه، على بصيرةٍ، وعلمٍ، [وَعَمِلَ صَالِحاً]؛ وقَرَنَ دَعوَتَهُ بالعمَلِ الصّالِحِ؛ وهو كُلُّ ما وَافَقَ الكِتَابَ والسُّنَّة .. فلم يَقْتَصِرْ عمَلُه على الدَّعْوةِ مِن

غَيرِ عمَلٍ لما يَدْعُو إليه مِنَ التَّوحِيدِ، والصَّلَاحِ، [وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ]فصلت:33. من المسْتَسلِمين، المنقادِين، والمطِيعين للهِ، ولدينِه .. ولأنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسْلام.

849- [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ]فصلت:33. فيه بيانٌ لأهميَّةِ الدعوةِ إلى اللهِ في إصلاحِ النفْسِ، والجماعةِ، والمجتمَعِ .. كما فيه ترغيبٌ وتشويقٌ لكلِّ مسلمٍ ـ كان ذَكَراً أم أُنْثَى ـ أن يكونَ داعيةً إلى اللهِ تعالى .. وأن يكونَ مِن فئةِ الأحسَنِ من عبادِ اللهِ .. وأن يضعَ لنفْسِه هدَفاً كبيراً؛ وهو أن يكون داعيةً إلى اللهِ .. كل بحسب ما آتاهُ اللهُ من العِلمِ، والفهْمِ، والقُدْرَةِ .. وكل بحسب موقعِه ومكانتِه .. فلو لَمْ تُبلِّغْ ـ يا عبدَ الله ـ إلا آيةً أو حديثاً .. أو تدفعُ عن الإسلامِ شُبهةً أو بدعةً .. أو تكون سَبباً في هدايةِ ضَالٍّ .. أو تدلِّلُ على كلمةٍ أو مقالةٍ طيبةٍ نافِعةٍ، تنفعُ الناسَ في دينِهم ومعَاشِهم .. فأنتَ تدخلُ في عِدادِ الدُّعاةِ إلى اللهِ .. وبخاصَّة مع توفرِ وسائلِ التواصُلِ التي تُساعِدُ على نشرِ الكلمةِ الطيبةِ بأيسَرِ الطرُقِ .. فلا تزهَدنّ بالقليلِ الذي بين يدَيك؛ فقد يكونُ كثيراً في ميزانِ حسناتِك .. وكثيراً عند غيرك ممَّن لم يؤتَ ما آتاكَ اللهُ .. وفي الحديث:" بلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً "البخاري. ومَا مِن صاحِبِ مشروعٍ دعوي ـ مهما ابتدَأ مشروعَه متواضِعاً ـ إلا ولزمَه أمرَان، يتطوَّرَان، ويَزيدَان معَ الزمَنِ، ومِن خلال العملِ الدَّعوي: العملُ على تحسينِ مُستواه الدَّعَوي، والارتقاءُ بنفْسِه إيمانيَّاً، وعلمياً .. والعملُ على تطويرِ وتحسينِ مشروعِه الدَّعَوي؛ ليصبحَ أكثرَ اتسَاعاً وشمولاً .. المهم أن تَنوي، وتَبدَأ يا عبدَ الله!

* * * * *

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

850- [ادْفَعْ]؛ ادفَعْ سيئةَ مَن أساءَ إليك، [بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]؛ ولا أحسَنُ من العَفْوِ والصَّفْحِ، مِن غيرِ عِتابٍ، ولا مَنٍّ، ولا أذَى .. فإن فعَلْتَ ذلك،[فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ]فصلت:34. فالعدُو يَنقَلِبُ صديقاً ومُحِبّاً لك .. بعد أن كان عدوّاً مُبغِضاً .. والآيةُ فيها أن تَقليلَ الأعداءِ والعَداواتِ ـ ما أمكَنَ لذلك سَبيلاً ـ مَطلَبٌ شَرْعيٌّ، وعَقْليٌّ.

851- [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]فصلت:34. ليسَ كُلُّ سَيئةٍ يجوزُ أن تُقابَل بمثْلِهَا .. بَلْ هنَاك كَثِيرٌ مِن السّيئاتِ تُقَابَل وتُدْفَع بالحَسَناتِ .. وبالإحْسَانِ .. وبِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

* * * * *

وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ

852- [وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ]فصلت:41. ومن عِزَّتِه أنَّه لا يَأتي مَن يأبَاه ويُعْرِضُ عنهُ، ولا يَنتَفِعُ بِهِ إلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ وأقبَلَ عَليه.

* * * * *

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ

853- [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ]؛ لَا سَبيلَ للباطِلِ وأهلِه ـ مهمَا حاوَلُوا، ومَكَرُوا، ومِن أيِّ جهةٍ جاؤوا، ومِن أيِّ مِلَّةٍ كانُوا ـ أن يُبْطِلُوا شَيئاً مِن القُرآنِ الكريمِ؛ لَا مِن تَنزيلِه، ولا مِن تَأويلِه .. ولا أن يَزيدُوا عليه حَرْفاً واحِداً، أو يُنقِصُوا مِنه حَرفاً واحِداً .. سَواء هذا الباطِلُ جاءَ مِمَّن سَبقَ نزولَ القُرآن الكريم مِن

الأمَمِ السَّابقةِ مِن الكافرين الحاقِدين، أو ممَّن جاؤوا، ويجيئون بعدَ نزُولِه مِن الكافرين الحاقِدِين، وإلى يومِ القيامَةِ .. فإنَّهم لو اجتمَعُوا جميعُهم على صَعيدٍ واحدٍ، لا يَستطيعُون أن يَأتُوا بسُورةٍ مِن مِثْلِ هذا القُرآنِ، ولا أن يَزيدُوا عليه ـ ولا أن يُنقِصُوا مِنه ـ شَيئاً، ومَن يحاولُ فإنَّه يحاولُ عبَثاً، ومحاولَتُه تَرتَدُّ عليه بالخزْي والخسَرانِ؛ وذلك أنَّ اللهَ تعالى قد تكفَّلَ بحفظِه، ومِن تكَفَّلَ اللهُ بحفظِه فَلَا ضَيعَةَ ولَا خَوْفَ عليه، [تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ]فصلت:42.

* * * * *

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

854- قوله تعالى:[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ] فصلت:53. فيه دليلٌ أن الله تعالى قد أودعَ في الإنسانِ قُدرات كبيرة ـ سواء عرفَها أم جهلها ـ تمكّنُه من الصّعودِ إلى السّماء، ورؤية الآيات واكتشافها، ورؤية ما في النّفس البشريّة من دقائق وعظائم الآيات الباهِرات، واكتشاف واختراع ما يُعَد من لوازم تحقق رؤية الآيات في الآفاق وفي النّفس .. حتى يتبين له أن القرآنَ حقٌّ، وأنّ اللهَ تعالى هو الخالِقُ، وهو الحقُّ، وهو المعبود بحقٍّ.

وقوله تعالى:[سَنُرِيهِمْ]؛ يُفيدُ الاستِقبَالَ، والزَّمَنَ القَادِم .. والاسْتمرَارَ .. إلى مَتى ستَستمرُّ هذه الرؤيَةُ .. غَير محدَّدةٍ بزَمَنٍ نتوقَّفُ عنده الرُّؤيةُ .. وما هي المساحَةُ التي تَشْمَلُها الرُّؤيَةُ، وتمتَدُّ لها .. أيضاً غير محدَّدةٍ بمساحَةٍ محدَّدَةٍ .. مما يُعطي الإنسانَ الرُّخصَةَ والفُرصَةَ لبَذلِ مَزيدٍ مِن البَحثِ، والجهَدِ، والغَورِ في الاكتشافاتِ العلميَّةِ، والاستفَادَةِ مِنْها.

855- مَهْمَا أُوْتِيَ الإنْسانُ مِن عِلْمٍ، فهو بِفَضْلِ [سَنُرِيهِمْ]فصلت53. ثمَّ هو بَعدَ ذلك مَحْكُومٌ ومختُومٌ عليه بقولِه تعالى:[وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً]الإسراء:85.

* * * * *

إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ

856- [وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ]؛ مِن العِبادِ مَن يَسأل اللهَ تعالى أن يُوسِّعَ عليه في الرِّزقِ فوق حاجتِه .. وهؤلاء لَا يَعلمون لو أنَّ اللهَ تَعَالى أجابَهم لما يَطلبُون ويَسألُون لبَغَوا، وظلَمُوا، وأفسَدُوا في الأرضِ .. ولما أحسَنُوا التَّصرُّفَ بنعمةِ الغِنى والسَّعَةِ في الرِّزقِ .. ولقَسَت قلُوبُهم .. واللهُ تعالى يَعلمُ ذلك مِنهم .. فيمنَعُ عنهم التَّوسُّعَ في الرِّزقِ رأفةً ورحمةً بِهم، وهم لَا يَشعرُون، كما يُمنَعُ المريضُ عمَّا يَضرُّهُ مِن الطَّعامِ .. وقَد ابتلى اللهُ أقوامَاً بالغِنَى الفَاحِشِ، بعدَ أن كانُوا فقراءَ؛ فحملَهُم الغِنى على الطُّغيانِ، والظُّلمِ، والفسَادِ، والبَطَرِ، والكِبرِ، والتَّعالِي على الخلْقِ، فكانَ الغِنى عليهم وبَالاً، والأمثِلَةُ على هذا الصنفِ من الناسِ كثيرةٌ مِن الماضِي، والحاضِرِ .. والمستقبَلُ لن يخلُو مِنهم .. سِنَّةُ اللهِ تعالى في الظَّالمين .. وقَد قِيل:" خيرُ الرِّزقِ مَا لا يُطْغِيكَ، ولا يُلْهِيك ". [وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ]؛ ينزِّلُ من المالِ القَدْرَ الذي يَشَاءُ، على مَن يَشَاءُ، والذي يُناسِبُ عِبادَه، [إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ]الشورى:27. خبيرٌ بعبادِه؛ مَن يُفسِدُه الغِنَى ومَن لا يُفْسِدُه، ومَا هو القَدْر مِن المالِ الذي يتحمَّلُه ويَستحقُّه كُلُّ إنسانٍ .. فيُعطي كُلَّ إنسانٍ على قَدْرِ ما يَستطيعُ أن يتحمَّلَ .. إلا مَن أرادَ اللهُ فتنتَه؛ فهؤلاء يمدُّهم بالمالِ استدرَاجَاً .. ليزدادُوا إثمَاً .. وليكونُوا عِبرةً لغَيرِهِم .. وليسَ محبَّةً لهم.

* * * * *

وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ

857- [وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ]الشورى:38. كُلُّ أمْرٍ هامٍّ يهمُّ المسلمين ـ مِمَّا لَا نَصَّ فِيه ـ يخضَعُ للشُّورَى .. وعلى جميعِ المستوَيات .. وفي أيِّ مجالٍ مِن مجَالاتِ الحياةِ .. الخاصَّة والعَامَّة .. الاجتماعيَّةُ، والاقتصادِيَّةُ، والسياسِيَّةُ، والعَسكرِيَّةُ، والأخلاقِيَّة .. وكلما

كان الأمرُ هامّاً، تتعدَّى مصالحُه ومفاسِدُه للغيرِ كلَّما كانت الشُّورَى بحقِّه أوكَد، وأوْجَب .. ومِن محاسِنِ الشُّورَى أنَّها تَستخرجُ صفْوَةَ ما في عقُولِ المستشَارِين .. وتُوزِّعُ المسؤولياتِ والنتَائجَ على جميعِ المستشَارِين؛ فيخفُّ الحِمْلُ مهمَا كان ثَقيلاً .. كما أنَّها وسيلةٌ راقِيةٌ مُتحضّرةٌ للمصَارَحَةِ والمفاتَحَةِ .. والمكاشَفَةِ .. وإخْرَاجِ مَا في النُّفُوسِ من كلامٍ، وأفكارٍ، وآراءٍ .. حَبْسُها في الصُّدورِ يَضرُّ بالجميع!

مِن مَسَاوِئ الاسْتِبْدَادِ، وتَغييبِ الشُّورَى .. عُزُوفُ أهْلِ المشُورَةِ، وأهْلِ الحَلِّ والعَقْدِ عن نَصيحَةِ المستبِدِّ .. وعن إبدَاءِ آرَائِهم له .. وتَركُه يتخبَّطُ ويَتَعَثَّرُ باسْتِبدَادِه!

* * * * *

فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ

858- [فَمَنْ عَفَا]؛ عمَّن ظلمَهُ، وأسْقَطَ حَقَّهُ عليه، معَ قدرَتِه على الانتصَافِ مِنه، ولَمْ يُقابِلْ ظُلمَهُ وسيئتَه بسيئةٍ مماثِلةٍ، [وَأَصْلَحَ]؛ مَا فَسَدَ مِن حِبَالِ الودِّ والتواصُلِ بينَهُ وبينَ ظالمِه، [فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ]؛ فأجرُه ليسَ مِن النوعِ الذي تتَضَاعَف فيه الحسَنَةُ إلى عَشْرةِ أضعَافٍ، إلى سبعمَائةِ ضَعْفٍ .. لَا .. بلْ أجرُه غير معلومٍ ولا محدَّدِ الحجمِ والكَمِّ؛ فهو مَتروكٌ لكَرَمِ، وجُودِ، وعَطاءِ اللهِ .. لَا يَعلمُ كم سيَتَضاعَفُ، ويتعَاظَمُ، ويكبرُ إلَّا اللهُ، [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ]الشورى:40. الذي يَبتدِئُ الظُّلمَ، والذي يَنتصِفُ لمظلمَتِه بظُلمٍ أكبرَ، فيُصْبحُ ظَالماً بعدَما كانَ مَظلُومَاً!

859- بالعَفْوِ تَتَمَتَّع في الدَّارَيْنِ أكْثَرَ مِنَ الانْتِصَافِ، [فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ]الشورى:40. [وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ]النور:22. بَلَى!

860- مِن مَحَاذِيرِ الانْتِصَافِ ـ فِي زَمَانٍ تَغِيبُ فيهِ المحَاكِمُ التي تحْكُمُ بالعَدْلِ ـ قَلِيلٌ مَا يَسْلَمُ مِنَ الإسْرَافِ، فَتُقَابَل السَّيئَةُ بِسَيِّئتَينِ، [وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ]آل عمران:57 . [إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]البقرة:190.

مِن عَلامَاتِ التَّوفِيقِ وحُسْنِ الخِتَام؛ أنْ تَلْقَى اللهَ، وقَدْ عَفَوْتَ عَمَّن ظَلَمَكَ .. [وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ]فصلت:35.

* * * * *

سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ

861- [سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ]؛ كُلُّ مَن شَهِدَ شَهادَةَ زُورٍ أو باطلٍ .. وشَهِدَ على واقعٍ بغيرِ علمٍ، وبخلافِه، ستُكْتَبُ شَهادَتُه، [وَيُسْأَلُونَ]الزخرف:19. وسيُسألون عنها في الموقفِ الأكبر، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنُون!

صدَقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، يأتي زمانٌ تَرُقُّ فيه الأمانَةُ:" يُقالُ للرجُلِ ما أعْقَلَهُ! وما أظْرَفَهُ! وما أجْلَدَهُ! وما في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمانٍ "متفق عليه.

* * * * *

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ

862- [وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ]؛ في المِهَنِ، والميولِ، والهِمَمِ، فلِكُلٍّ بما آتاهُ اللهُ درجَة يَعْلُو بها على الآخَرِ، لا تَكْتَمِلُ الحياةُ ولا تَستقيمُ إلَّا به، [لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً]الزخرف:32. فكَما يَستخدِمُ الكبيرُ الصَّغيرَ، كذلك الصغيرُ يَستخدمُ الكبيرَ .. وكَما يَستخدِمُ الغَنِيُّ الفقيرَ، كذلك الفقيرُ يَستخدمُ الغنيَّ، وكما يَستخدمُ العالِمُ الجاهِلَ، كذلك يستخدم الجاهِلُ العالِمَ، وكَما يَستخدِمُ الحاكِمُ المحكُومين، كذلك يَستخدِمُ المحكُومُون الحاكِمَ .. فَكُلٌّ رَاعٍ ومَرْعِيٌّ، خَادِمٌ ومخدُومٌ، خَادِمٌ للآخَرين فيما خَصَّهُ اللهُ به، مَخدُومٌ فيما يحتَاجُه مِن الآخَرِين .. وبذلك تكتَمِلُ الحيَاةُ وتَستَمرُّ .. وهذا التنوعُ في الهِمَمِ، والمِهَنِ، والميولَات، الذي به تكتملُ الحياةُ وتَسْتَقيمُ، وتَستَمِرُّ، مِن أعْظَمِ الدَّلالاتِ على عَظَمَةِ الخالِقِ سُبحانَه وتعالى.

863- [وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً]الزخرف:32. سُخْرِيّاً؛ ليسَت للتَّعالِي والتَّفاضُلِ، أو للدَّلالة على أفضَلِيَّةِ طبقَةٍ على طبَقة

.. أو فئة مِن شَرائِح المجتمع على فئة أخرَى .. لا .. وإنما هي للدَّلالة على التَّنوّع، والتَّكامُلِ الضَّروري الذي به تنهضُ المجتمَعات .. وتستَمِرَّ الحيَاة .. فالكلُّ ومِن دونِ استِثْناءٍ؛ الحاكمُ والمحكُوم .. الأميرُ والمأمُور .. الغَنِي والفَقِيرُ .. الشَّريفُ والوَضِيعُ .. العَالمُ والمتعَلِّمُ .. الزَّوجُ والزَّوجَةُ .. التَّاجِرُ، والعَامِلُ .. والمزَارِعُ .. كُلُّهم " سُخْرِيّاً "؛ يخدُم بَعضُهم بَعضاً، وكُلُّهم خَادِمٌ في مَواضِع، ومخدُومٌ في مَواضِع بحسَبِ مَوقِعِه .. وهذا من عَظِيمِ حكمةِ اللهِ تَعَالى في خَلْقِه .. تَصوَّروا لو كان كلُّ أفرادِ المجتمَع أطبَّاء أو عُلماء .. أو مُهندِسين .. أو رؤسَاء .. أو مِن ذَوي المهنَةِ الواحِدَةِ .. هل يمكن لهذا المجتمَع أن يَعيشَ أو أن تُكتب له الحياةُ .. فسُبحانَ مَن وزَّعَ الاهتِمامَات، والمهَنَ، والتَّخصُّصات على عبادِه، ورَضَّى كُلَّ امرِئٍ بمهنتِه وعمَلِه؟!

* * * * *

وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

864- [وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً]؛ يجتمعُون على الكُفرِ .. فيظنُّون أنَّ الكُفرَ سببٌ من أسبابِ الغِنَى .. وأن الغِنى علامةٌ دالَّةٌ على رِضَا اللهِ على الكافرين .. فيكفرُون باللهِ، [لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ]الزخرف:33. قِّةُ الغِنَى، والتَّرفِ، والإسرافِ .. إمعَاناً في فِتْنَتِهم وزِيَادةً في الاسْتِدْرَاجِ .. لكِن اللهَ تعالى لم يُقَدِّرْ لهم ذلك؛ فجَعلَ منهم الغَنيَّ والفَقيرَ .. رحمةً بعبادِه المؤمنين، وحتى لا يُفتَنُونَ في دِينِهم .. ومع ذلك يُوجَدُ من ضُعفاءِ الإيمانِ مَن يَنظرُ إلى غِنَى بعضِ الكافِرين، في بَعضِ الأمْصَارِ على أنَّه عَلامَةٌ على صِحَّةِ مَنهجِهم وطريقَتِهم، وعَلامةٌ على أنَّ اللهَ تعالى يحبُّ الكافِرين!

* * * * *

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ

865- [فَاسْتَمْسِكْ]؛ خِطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأمَّته من بَعدِه، بأن يَتَمَسَّكُوا بقوَّةٍ، [بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ]؛ القُرآنُ والسُّنَّة .. وجاءَ الأمرُ بالتمسُّكِ بقوَّةٍ؛ لأنَّ محاولاتِ شَياطينِ الأنسِ والجِنِّ في صَدِّ المؤمنين عن الحَقِّ المنَزَّلِ، وصَرْفِهم عنه، لَا، ولَن تَتوقَّفَ .. فهي مستمرَّةٌ استِمرَارَ الليلِ والنَّهارِ، وعلى مَدَارِ الوقتِ .. مما يَستَدعِي اليقَظَةَ والحَذَرَ، والتَّمسكَ بقوَّةٍ .. وزِيادَة في التَّثْبيتِ على الحقِّ المنَزَّل [إِنَّكَ]؛ أنتَ، ومَن آمَن مَعَك، ومَا أنتم عليه مِن هُدَى وشَرَائِع، [عَلَى صِرَاطٍ] على طَريقٍ ونَهْجٍ [مُّسْتَقِيمٍ]الزخرف:43. حَقٍّ لا رَيْبَ، ولا لَبْسَ، ولا اعوِجَاجَ فِيه .. فَلَا يَحْمِلَنَّكُم كَيدُ الكافِرين ومَكْرُهُم عَلى الشَّكِّ في ذلِك.

866- [فَاسْتَمْسِكْ] ؛ خِطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأمَّته من بَعدِه، بأن يَتَمَسَّكُوا بقوَّةٍ، [بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ] ؛ القُرآنُ والسُّنَّة .. فكلاهما وحيٌ .. وجاءَ الأمرُ بالتمسُّكِ بقوَّةٍ؛ لأنَّ محاولاتِ شَياطينِ الأنسِ والجِنِّ في صَدِّ المؤمنين عن الحَقِّ المنَزَّلِ، وصَرْفِهم عنه، لَا، ولَن تَتوقَّفَ .. فهي مستمرَّةٌ استِمرَارَ الليلِ والنَّهارِ، وعلى مَدَارِ الوقتِ .. مما يَستَدعِي اليقَظَةَ والحَذَرَ، والتَّمسكَ بقوَّةٍ .. وزِيادَة في التَّثْبيتِ على الحقِّ المنَزَّل [إِنَّكَ] ؛ أنتَ، ومَن آمَن مَعَك، ومَا أنتم عليه مِن هُدَى وشَرَائِع، [عَلَى صِرَاطٍ] على طَريقٍ ونَهْجٍ [مُّسْتَقِيمٍ]الزخرف:43. حَقٍّ لا رَيْبَ، ولا لَبْسَ، ولا اعوِجَاجَ فِيه .. فَلَا يَحْمِلَنَّكُم كَيدُ الكافِرين ومَكْرُهُم على الشَّكِّ في ذلك.

* * * * *

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ

867- [فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ]الزخرف:54. أَكْثَرُ مَا يُسَاعِدُ الطُّغَاةِ على الاسْتِخْفَافِ بالشُّعُوبِ، واستِعْبَادِهم: الجَهْلُ، ثمَّ الجُبْنُ، والوَهْن.

868- [فَاسْتَخَفَّ]؛ فِرْعَوْنُ، [قَوْمَهُ] شَعبَهُ؛ باستعبادِهِم، وإذلالِهِم، واحتقَارِهم، واستِصْغَارِهم، وعَدمِ اعتِبَارِهم واستشارَتِهم، واحتِكارِ السُّلطاتِ كلها لنَفْسِه مِن دونِهم، وادِّعائِه الربُوبيَّة والأُلُوهيَّة عليهم، [فَأَطَاعُوهُ]الزخرف:54. فاتَّبعُوهُ، وامتَثَلُوا أَمْرَهُ في زَعمِه وإدِّعائِه الألوهيَّة والربُوبيَّة!

هذا النَّهجُ الفِرعَوني في القِيادَةِ والحُكْمِ .. ليسَ حقبةً مِن الزَّمَنِ قد انقضَت وولَّت .. لَا .. بل هو نَهجٌ مُتجدِّدٌ باستمرارٍ .. نُعَايشُه ونُكابِدُه .. يجدِّدُه طُغاةُ الحُكمِ والظُّلمِ مِن أحفادِ فِرعون ـ على مَدارِ العصُور ـ الذين يَنشدُون طَاعَةَ شعُوبِهم لذواتِهم وحُكمِهم مِن خِلالِ استعبَادِهم، وإذْلالِهم، وظُلمِهم، وتخويفِهم، وسْجنِهم، وتجويعِهم .. وما أكثر الطُّغَاةُ الذين يَسلكُونَ هذا المَسْلك الفِرْعَوني في الحُكْمِ مع شعُوبِهم في زَمانِنَا، لو أَرَدْنَا أن نُعَدِّدَ، ونَذْكُرَ الأسماءَ!

* * * * *

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ

869- [وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ]؛ مَعبودٌ بحقٍّ، لا شَريكَ له .. والمشركُون غالِباً لا يُجادِلُون حولَ هذا الحقِّ؛ لأنَّهم لا سُلطانَ لهم على السَّماءِ .. ولا مَطْمَعَ لهم فيها .. وإنما يُجَادِلُون فِيما لهم فيه سُلطان ومَطْمَعٌ؛ وهي الأرض .. فجَاءَهم الجوابُ، [وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ]الزخرف:84. فكَما هو سُبحانه المَعْبُودُ والمطاعُ بِحقٍّ في السَّماءِ، فهو كذلك

المعبودُ والمطاعُ بحقٍّ في الأرضِ، لا شَريكَ لَه، والتَّسليمُ بأنَّه المعْبودُ بحقٍّ في السَّماءِ، يَقْتَضِي التَّسليمَ بأنَّهُ المعبودُ بحقٍّ في الأرضِ .. فكُلٌّ منهما يَقْتَضِي الآخَر، ولازِمٌ لَه.

* * * * *

وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ

870- [وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي]؛ تُصدِّقُوني بأنِّي رسولُ اللهِ إليكم .. وأبيتم إلَّا الإعراضَ والكفرَ، [فَاعْتَزِلُونِ]الدخان:21. كفُّوا أذاكم وشرَّكُم عني .. ابتعدُوا عنِّي؛ لا تقربوني، ولا أقربُكم .. لي عملي، ولكُم أعمالُكم .. فاعتزالُ الشَّرِّ والأشرارِ خيارٌ دَلَّت عليه نصوصُ الشَّريعةِ، عندما تتحقَّقُ شُروطُه .. وهنا قاعِدةٌ في اعتزالِ الشَّرِّ يحسنُ ذِكرُها: إن كانَ الشَّرُّ واحِداً؛ يجبُ اعتزالُه؛ سواءٌ كان الشرُّ كبيراً، أم صَغيراً .. فإن كان الشَّرُّ شَرَّان متسَاويَان ومتقَارِبَان في الشَّرِّ؛ أيضاً يجبُ اعتزالهما معَاً، حتى لو كانَا يجريَان ـ أو يجري أحدُهمَا ـ عليكَ بغيرِ رِضَاكَ .. وإن كان الشرُّ شرَّان أحدُهما أكبرُ من الآخَر، وأنتَ في الخِيار، لا يجري عليكَ أحدُهمَا، ولا تتأثَّر بأحدِهما ـ في دينِك، ومعَاشِك، وأمْنِكَ ـ يجب اعتزالهمَا معَاً .. أما إن كان الشَّرُّ شرَّان، أحدُهما أكبرُ من الآخَر، وكلاهمَا يجريان عليكَ لا محالَة، وكان لا بدّ لك من الاختيارِ، واختيارُك له دورٌ وأثرٌ في دَفْعِ الشرِّ الأكبَر، هنَا العَقْلُ والنَّقْلُ يُلزِمَانِك باختيارِ أقلِّهما شَرَّاً، وضَرَراً .. وهذا لا يَعني ولا يُفيد بأنَّك تَرضَى الشرَّ الأصغَر، والضَّرَرَ الأصْغَر .. لَا .. وإنما يَعني أنَّك تَرضَى بتقليلِ الشَّرِّ والضَّرَرِ .. وتريدُ دفعَ الشَّرِّ الأكبر بالشَّرِّ الأصغَرِ، والضَّررِ الأكبَر بالضَّرَرِ الأصْغَر .. هذا الذي دَلَّ عليه النَّقْلُ، والعَقْلُ .. وقولُنا باعتزَالِ الشَّرِّ على ضَوءِ مَا ذُكِرَ أعْلَاه؛ لا يَعني اعتزالَ نصْح الأشرَارِ، وعدَمِ أمرِهم بالمعروفِ، ونهيهم عن المنكرِ .. وعدَمِ الأخذِ على يدِ الظَّالِمِ مِنهم .. فهذا أمرٌ آخَر، ومختلِفٌ عن مَعنَى الاعتزالِ الذي أَردناهُ، وأشَرْنَا إليه أعلَاه.

* * * * *

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ

871- [فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ]الدخان:29. مَن ماتَ على الكُفْرِ .. أو استعْجَلَ الموتَ على الكُفْرِ .. فلَن يَضرَّ إلَّا نَفْسَه .. فلا يحسَبنَّ أنه بكفْرِه، واستعْجالِه الموتَ والانتحارَ .. سيَبْكيه الناسُ .. وسَتَبْكيه السَّماءُ والأرضُ .. لَا .. فالسماءُ والأرضُ لا تَبكيان لموتِ كافرٍ، ولا لمُنتَحرٍ يَستعْجِلُ نهايتَه، وإنما تَبكيان لموتِ المؤمنِ الصَّابرِ المحتَسِب؛ فتَبْكيه مواضِعُ عبادَتِه، وسُجودِه وصَلاتِه، وآثارِه الحسَنَة .. هذا مَا يَقتضِيه مَفهومُ المخالفة .. ومَفْهومُ المبَاينَة؛ إذ لو كان المؤمنُ يشتركُ مع الكافرِ في هذه الخاصيَّة؛ وهي عَدَم بكاءِ السماءِ والأرض، لما خُصَّ الكافرُون بالذِّكرِ وحدهم دُون غَيرِهم .. وفي الحديثِ المرْسَل:" ألا لا غُربةَ على مؤمنٍ؛ ما مَاتَ مؤمنٌ في غُربةٍ غابَت عنه فيها بواكيه إلا بكتِ عليه السَّماءُ والأرضُ، ثُمَّ قرأَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم:[فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ]؛ ثُمَّ قال: إنَّهما لَا يَبكِيانِ على كافرٍ ". [وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ]؛ فإذا جاءَ أجَلُهم المكتُوبُ .. وجاءَ أجَلُ عقابِهم .. أُخِذُوا بالعقابِ .. ولَمْ يُمْهَلُوا لحظةً واحِدَة.

* * * * *

مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا

872- [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ]؛ بِمَا في ذلك الخير الذي تعمَلُه لغَيرِك؛ فأنتَ تعمَلُه لنَفْسِك، وخَيرُه يَرتدُّ عليكَ في الدُّنيا والآخِرَةِ، [وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا]الجاثية:15. حتَّى لو أَسأْتَ لغَيرِك؛ فأنتَ على الحقِيقَةِ تُسيءُ لنَفْسِك .. وستَجِدُ عاقِبةَ إسَاءتِك في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ

873- [وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ]الجاثية:19. مَن صَدَقَ اللهَ في ولايَتِه .. صَدَقَهُ اللهُ في ولايَتِه، وكانَ وليًّا، وناصِراً، ومُعِيناً له .. يتعاهَدُه بلطْفِه، وعِنَايَتِه .. ورِعَايَتِه .. ويُقاتِلُ دُونَهُ، ومَعَه .. وهو يَدْرِي أو لَا يَدْرِي .. هذا في الدُّنْيَا .. أمَّا في الآخِرَةِ فتَتَجَلَّى الولايَةُ في أعظَمِ وأكمَلِ صورِها؛ حيثُ الرضْوَانُ، والأمَانُ، والجِنَانُ، والنَّعِيمُ العَظِيمُ المقِيمُ والدَّائمُ .. والجَمَالُ في أكمَلِ وأجَلِّ صوَرِه .. الذي لا يُكَدِّرُه شَيءٌ .. ومَهمَا بالَغْنَا في الوصْفِ فهو أعظَمُ، وألَذُّ، وأجمَلُ!

الناسُ يتخذُون بَعضَهم بَعْضَاً أولياءَ .. وكلُّ وليٍّ مِنهم يعتَدُّ ويعتزُّ بوليِّهِ الآخَر وبقوَّتِه، وجاهِهِ .. فَرِحٌ بِه .. وما أجمَلَك وأقوَاكَ، وأعزَّكَ، وأمنَعَكَ، وأوفَرَكَ حَظَّاً ـ أنتَ يا عبدَ اللهِ ـ أنْ تَتخذَ اللهَ وليًّا لك .. أن تَلوذَ بولايَتِه؛ فلا تُوَالي إلا ما يُحبُّه ويرضَاه لَك .. اللهمَّ أنتَ وليُّنَا فوقَ الأرضِ .. وتحتَ الأرْضِ .. ويومَ العَرْضِ عَلِيك .. وأنْتَ أرحَمُ الرَّاحمين.

* * * * *

سورة الأحقاف

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا

874- [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ]؛ شَهِدُوا ظاهِراً وباطِناً .. بالقولِ والفِعلِ شهادَةَ التَّوحِيدِ " لا إله إلا الله "، [ثُمَّ اسْتَقَامُوا]؛ على العَمَلِ بالتَّوحيدِ، ومقتضياتِه من الطّاعَاتِ، حتَّى المماتِ، ولم يَلتفِتُوا عنه إلى غَيرِه .. فَلا يكفِي القَولُ مِن غيرِ عمَلٍ؛ إذْ لا بُدَّ من الاستِقامَةِ على القَولِ بالعَمَلِ .. والاستقامَةُ تُفيدُ مَعنيَيْن: الثَّبَاتُ على الطَّريقِ المستقيمِ مِن غيرِ التفَاتٍ إلى الطُّرُقِ الأُخْرَى .. والثبَاتُ على الطريقِ إلى المماتِ، ولا يُقبَلُ بأقلِّ من المماتِ بسَاعةٍ واحدةٍ، بَل ولا دَقيقَةٍ واحِدةٍ .. هؤلاء [فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ]؛ ممَّا هو آتٍ، ويَنتَظرُهُم؛ فوقَ الأرضِ، وتحتَ الأرضِ، ويومَ العَرْضِ، [وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ]الأحقاف:13. على مَا فاتَهم، وترَكُوه في الدُّنيا مِن بعدِهِم!

وفي الحديث:" قُلْ آمَنتُ باللهِ، ثمَّ اسْتَقِمْ "مسلم. اسْتَقِم بالعمَلِ على مَا آمَنْتَ به .. هذا هو المطلوبُ مِنك .. وهذا الذي يجبُ أن تحرصَ عليه، وتتمسَّكَ به .. وليسَ عليكَ بعدَ ذلك مِن شَيءٍ .. كما ليسَ لكَ وراءَ ذلك أن تَشترطَ على الإيمانِ، والاستقامَةِ عرَضَاً من عرُوضِ الدُّنيا، أو أن تَبْلُغَ غايَاتِك، وأهدافَكَ في الحيَاةِ الدُّنْيا .. لَا؛ فهذا ليسَ لك .. وإنما هو للهِ تعالى وحدَه، إن شاءَ اللهُ أعطَاكَهُ، وإن شَاءَ منَعَك .. واعلَمْ أنَّ مِنَ الأنبيَاءِ مَن لا يُؤمِنُ بهِ إلَّا الرَّجلُ الواحِدُ!

* * * * *

سورة محمد

إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ

875- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]محمد:7. شَامِلٌ لجميعِ المؤمنين؛ على مُستوى الدَّولَةِ، ومستوى الجماعةِ، ومُستوى الفَرْدِ .. فَمَن نصَرَ اللهَ ولو كان فَرْداً؛ نَصَرَهُ اللهُ، وأظهرَه، وأعْلَى شَأنَه.

876- لا يكنْ همّكَ نَصرُ اللهِ لك، ولكن ليكُنْ همّك الأكبر، نَصرُكَ لله، فإذا ما نصرتَ اللهَ، جاءك نصرُ اللهِ والفَتح، قال تعالى:[إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]محمد:7. فقدّمَ نصرَكَ له، على نصرِه لك، وجعَلَ نَصرَك له شرطاً لنصرِه لك .. ووعْدُ اللهِ لكَ ـ إن نصَرْتَه ـ لَا، ولَن يتخلَّف.

877- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ]؛ بطاعَتِه، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، [يَنصُرْكُمْ]؛ اللهُ على عَدُوِّكُم، [وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]محمد:7. عِندَ لقاءِ العَدُو، ومواجَهتِه .. مَفْهومُ المخالَفَةِ؛ إن لم تَنصُرُوا اللهَ، لا ينصرْكُم اللهُ.

* * * * *

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

878- [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]محمد:19. لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .. ليسَت مجرَّدَ كلماتٍ أو ذِكْرٍ يجرِي على اللسانِ معَ غَفْلةٍ عَن مَعْنَاها، وشرُوطِها، ودَلالاتِها، ولوازِمِها .. بَل هي عِلمٌ ليسَ لمُنتَهاه حَدّ يَقِفُ عِندَه طالِبُ العِلم .. هي بَحرٌ ليسَ لمنتهاه شَاطِئ .. هي كَنْزٌ فوائدُه على مَدَارِ العُصُورِ والدُّهورِ لا تَنْضَبُ، ولا تَعرفُ النُّقصَانَ .. هي تَفسيرٌ دَقيقٌ لحركةِ الوجودِ كُلِّه .. ولو أنَّ ذرَّات الكونِ كُلِّه اتَّحدَت على كتابةِ رِسَالةٍ واحِدَةٍ؛ لكانت

هذه الرِّسالة هي لا إله إلا الله .. " فإنَّ السَّماواتِ السَّبْع، والأرَضينَ السَّبع، لَو وُضِعَتْ في كَفَّةٍ، ووُضِعَتْ لا إلهَ إلَّا اللهُ في كفَّةٍ، لرجَحَت بِهِنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ، ولَو أنَّ السَّماواتِ السَّبعَ، والأرضينَ السَّبعَ، كُنَّ حَلَقَةً مُبهَمَةً لقَصمَتْهُنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ " .. ومَهْمَا أُوتِي المرءُ مِن العِلمِ، يُقال له:[فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]؛ أي استمِرْ في الارْتِقاءِ، والاستِزادَةِ مِن العِلمِ بـ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ "، ولا يَحملنَّكَ العِلمُ بمَعناها، أو ببعضِ فوائدِها وثمارِهَا، أو قراءةُ كتابٍ أو كتابَين عن مَعْنَاهَا، وشُرُوطِها .. على التَّوقُّفِ عن العِلمِ بـ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " .. وإنِّي قد تجاوزتُ السِّتِّينَ مِن العُمرِ في طَلَبِ العِلمِ .. وإني لا أزَالُ أشْعُر أنَّني بحاجَةٍ مَاسَّةٍ للمزِيدِ مِن التَّفَقُّهِ والعِلْمِ بـ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ".

* * * * *

وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ

879- [وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ]محمد:30. لَتَعْرِفَنَّ المنافِقِينَ بمعَانِي ومَرَامِي كلَامِهم، لَا بصَرِيحِهِ .. فهم أجْبَنُ مِن أن يُصَرِّحُوا عمَّا في قلُوبِهم مِن العَدَاوَةِ والكُفْرِ .. لِذَا تَراهُم يلتَجِئونَ إلى المتَشَابَهِ مِن القَوْلِ، حمَّال أوْجُهٍ ومَعَانٍ .. ولَا يخفَى حَالُهم على مَن خَبِرَهم، وخَبرَ أسَاليبَهم مِن أهلِ العِلم .. وهُم يَتَكَاثَرُون في المواطِن التي تكونُ فِيها الشَّوكَةُ للمؤمنِين.

* * * * *

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ

880- [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ]؛ نختبركم بالتَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ؛ مَن سيُطيع، ومَن سيَعْصِي، [حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ]، حتَّى نُظهرَ ظهورَ عَيانٍ المجاهدِين الذين يُجاهِدُون في طاعَتِنا .. والصَّابرين الذين يَصبرُون على تكاليفِ الجهادِ والطَّاعَةِ .. نظهرهُم ممَّن

سواهم، ونميزُهم عَن غَيرِهم؛ ممَّن لا يجاهِدُون، ولا يَصبرُون، [وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ]محمد:31. فنُظهِرُ المطيعينَ، ومَا كان منهم مِن طاعةٍ لله .. والعاصِين، وما كان مِنهم من مَعصيَةٍ لله .. لأن الحِسابَ يومَ القيامَةِ يكونُ على ما يَظهرُ مِن العِبَادِ؛ من اعتقادٍ، وقَولٍ، وعمَلٍ .. وليسَ فقط بما يكونُ من عِلمِ اللهِ بعبادِه .. وهذا من تمامِ وكمالِ حُجَّتِه سُبحانه على خَلْقِه.

881- [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ]محمد:31. فيه أنَّ اللهَ تعالى يَختَبِرُ، ويبْتَلِي، ولا يُخْتَبَر، ولا يُجَرَّب .. فتعَالى اللهُ عن ذلك عُلواً كَبيراً .. فحَذَارِ أن تُلْقِي نفْسَك في تَهلُكَةٍ .. ثم تَقولُ: أريدُ أن أختبرَ الله، وأجرِّبَه هل سينَقُذني، وهل هو قادِرٌ على إنقَاذِي .. حَذَار أن تَفعلَ شيئاً مِن ذلك؛ فهذا من تَلبيسِ إبليسِ عليك .. اللهُ تعالى يَفعَلُ ما يَشاءُ، وقتَمَا يَشاءُ، إذا شَاءَ .. لا رَادَّ لأمْرِه، ولا سُلطانَ لأحَدٍ على أمْرِه!

* * * * *

وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ

882- [وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ]محمد:31. نَكْشِفُ عَن نَوَايَاكُم وخَبايَاكُم، ونُظْهِرُ المخْلِصَ مِنْكُم مِن المُرَائِي.

* * * * *

وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ

883- [وَإِن تَتَوَلَّوْا]؛ عن طَاعَةِ اللهِ، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، [يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ]؛ يُطيعُونَ اللهَ، ورسولَه صلى الله عليه وسلم، [ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ]محمد:38. في العصْيَانِ، وعَدَمِ طاعَةِ اللهِ، ورسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

سورة الفتح

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ

884- [مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ]الفتح:29. مِن أَعظَمِ المِنَنِ والنِّعَمِ على الأرضِ وأهلِهَا؛ إنْسِهِم وجِنِّهم، كافِرِهِم، ومُؤمِنِهم .. الدَّوَاب وما تُنْبتُ الأرضُ .. أنْ أرْسَلَ اللهُ محمَّداً صلى الله عليه وسلم .. تَأمَّلُوا الحياةَ الدُّنيا مِن دُونِ محمَّدٍ كم هي ظَالمةٌ، ومُظْلِمةٌ .. وجَافَّة ومُمِلَّة .. الحمدُ للهِ كثيراً أن أرسَلَ محمَّداً .. والحمدُ للهِ كثيراً أن جَعَلَنا مِن أتْبَاعِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

سورة الحجرات

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

885- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ]الحجرات:1. لا تُقدِّمُوا بين يدَي الكتابِ الذي هو كلامُ اللهِ .. ولا بين يدَي السُّنَّةِ؛ التي هي بلاغُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عن ربِّه .. بقولٍ، أو فهمٍ، أو عمَلٍ .. أو بتحسينٍ أو تَقبيحٍ .. يخالفُ ما جاءَ في الكتابِ والسنَّةِ .. فإيمانُكم يَقتضي منكم الرِّضَا، والتَّسليمَ لحكمِ الكتابِ والسنَّةِ مِن دونِ تَعقيبٍ، ولَا مُعارَضَةٍ، أو اعتراضٍ.

الذين يُعارضُون النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ويقدِّمُون بين يدَيه، فيما أخبرَ عن صِفاتِ ربِّه؛ فينفُون صِفَاتاً أثبتَهَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم، ويُثبتُون صِفاتاً لم يُثبتْهَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم .. مثلُهم مثَل مَن يُعارضُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ويقدِّمُ بين يديه في الحلالِ، والحرَامِ .. ولربما أشَد!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ

886- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ]الحجرات:2. إذَا كانَ مجرَّدُ رَفْعِ الصَّوتِ فَوقَ صَوتِ النَّبي صلى الله عليه وسلم، يُخشَى على صاحِبه أن يحبَطَ عمَلُه، وهو لا يَشعُرُ، ولا يَدْرِي، ولا يُحبِطُ العملَ إلا الشِّركُ والكُفْرُ، كما قال تعالى:[لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ]الزمر:65. فكيفَ بمن يَرفعُ حُكمَهُ، وفَهمَهُ، ورأيَهُ، وقولَه، فوقَ حُكْمِ وسُنَّةِ النَّبي صلى الله عليه وسلم .. لا شَكَّ أنَّه أَوْلَى بالخُذْي والخُسرَانِ، وأنْ يَحبَطَ عمَلُه.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا

887- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا]؛ وفي قراءَةٍ فتَثَبَّتوا .. مِن مَدَى صِحةِ ما جاءكُم به الفاسقُ مِن أنباءٍ، وأخبارٍ .. قبلَ أن تتبنَّوه، وترتّبوا عليه مواقفَ، وأحكاماً، وإجراءات، [أَن تُصِيبُوا قَوْمَاً بِجَهَالَةٍ]؛ حتّى لا تُنزِلُوا عُقوبةً بمن كُذِبَ عليهم، وتَتَّخذوا مِنهم موقِفَاً، وأنتم لحقيقةِ الأمرِ جاهِلُون، [فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ]الحجرات:6. على مَا فرَّطتُم، وعلى ظلْمِكم للبريءِ .. ولاتَ حِينَ مَنْدَم!

هذا الخِطابُ وجِّه للرعِيلِ الأوَّلِ مِن الصَّحابةِ الكِرامِ؛ الذين عُرِفُوا بالعدَالَةِ، والصِّدقِ والتَّصْدِيقِ .. فما يكونُ القولُ في زماننَا الذي فشَا فيه الكذبُ، وفُقِدَت الأمانَةُ، وتَزاحَمَت فيه الأهواءُ، والنّوازِعُ؛ حتَّى في النَّقلِ والإخبارِ .. والإفْتاءِ .. كما في الحديثِ، فقد صحَّ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" احفَظُوني في أصحابِي، ثمَّ الَّذينَ يلونَهُم، ثمَّ الَّذينَ يلونَهُم، ثمَّ يَفشو الكذِبُ حتَّى يَشهدَ الرَّجلُ وما يُستَشهَدُ، ويَحْلِفَ وما

يُستَحْلَفُ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" خَيْرُ أُمَّتي قَرْني، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ إنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ، ويَنْذُرُونَ ولا يَفُونَ، ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ "البخاري.

* * * * *

وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ

888- [وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ]الحجرات:11. من التنابُزِ أن تقولَ لأخيكَ بغيرِ حَقٍّ، ولأدنى خِلافٍ: يا كافر، يا فاسق، يا ظالم .. يا مبتدع .. يا خارجي .. يا مرجئ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ

889- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ]؛ وليسَ كُلّ الظَّنّ؛ لأنَّ مِن الظَّنّ مَا يَنفعُ، وبخاصَّة في مَواطِنِ الصِّرَاعِ والتَّدَافُعِ بينَ الحَقِّ والبَاطِلِ، [إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ]الحجرات:12. وليسَ كُلّه .. والإثمُ منه مَا كانَ في المؤمنين الصَّالحين. وفي الأثَرِ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:" مَنْ لم يَنْفَعْهُ ظَنُّه لم يَنْفَعْهُ يَقِينُه ". وقِيل لعَمْرو بن العاص: مَا العَقْلُ؟ فقال: الإصَابَةُ بالظَّنِّ، ومَعْرِفَةِ مَا يَكُونُ بمَا قَدْ كَان.

* * * * *

وَلَا تَجَسَّسُوا

890- [وَلَا تَجَسَّسُوا]؛ وهو الاطِّلاعُ على خصُوصِيَّاتِ الآخَرين، وعلى كَلِمَاتِهم، مِن دُونِ علمِهم، وإرادَتِهم .. حتَّى الكَشْف عنِ الذُّنوبِ والمذْنبين، لا يجوزُ اعتمادُ التَّجَسُّسِ كوسيلةٍ؛ لأنَّ التَّجَسّسَ فيه ظلمٌ وعدوانٌ على خصُوصيَّاتِ الناسِ؛

مُؤدَّاه إلى إيْغَارِ الصُّدُورِ، وفقدَانِ الثِّقَةِ بين النَّاسِ، وكشْفِ المخبُوءِ، والمسْتُورِ، ومَا قَد سَتَره اللهُ، [وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً]الحجرات:12. والغِيبَةُ؛ ذِكْرُكَ أخاكَ ـ في غَيْبَتِه ـ بما يَكْرَه .. ووجه التَّرابُطِ بين التَّجَسُّسِ والغِيبَةِ؛ أنَّ مَن يتجسَّسُ لا مَحالَة سيقَعُ في الغِيبَةِ على مَن تَجَسَّسَ عليه .. وبخاصَّة إن كانَ المتجَسِّسُ يمتَهِنُ التَّجَسُّسَ كوظِيفَةٍ، ويتجَسَّسُ لصالحِ الآخَرين.

استثناءٌ: يُستَثْنَى مِن التَّجَسّسِ المحظُورِ؛ التَّجَسُّسُ على العَدُو، وعلى تحركاتِه؛ لمعرفَةِ مَكامِنِ ضَعْفِه وقوَّتِه .. كذلك التَّجَسّس على معَاصٍ وجَرَائم يتَعَدَّى ضَرَرُهَا إلى المجتمَعِ والنَّاسِ، كالاتِّجَارِ بالمخدَّراتِ، ونحوَها مِن الجرَائمِ .. أرجُو أن يكونَ هذا النوعِ من التَّجَسُّسِ لا حَرَجَ فِيه.

* * * * *

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

891- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ خِطَابٌ خَالِدٌ موجَّهٌ لجميعِ النَّاسِ على مَرِّ العُصُورِ والأزْمَانِ، [إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى]؛ آدَم وحَوَّاء .. مَهمَا تكاثَرتُم .. وانتَشَرتُم، وتوزَّعْتُم في الأرْضِ .. وتعدَّدَت أنسَابُكم ولغَاتُكم وألوانُكم .. فأنتم جميعاً تَرجِعُون في النَّسَبِ إلى أبَوَين؛ هما آدَم وحَوَّاء .. فَلَا يَستَعلِ بعضُكُم على بَعضٍ، ولا يَفخَر بعضُكُم على بَعضٍ؛ فكلُّكُم مِن آدَم، وآدَم مِن تُرابٍ، [وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ]؛ متَعَدِّدَةُ الأعْرَافِ، والأعْرَاقِ، والألْوانِ، واللُّغاتِ، والأوْطَانِ .. هذا التَّعَدُّدُ والتَّنوُّعُ لا لِكَي نَتقَاتَلُوا، وتَتَحَاسَدُوا، ونتَدَابَرُوا، ويَبْغِي بَعضُكُم على بَعضٍ .. لا .. وإنَّما [لِتَعَارَفُوا]؛ لتَتكامَلُوا، ولتَتَعرَّفُوا على بعضِكم البَعْض؛ وتَتَبادَلُوا العلُومَ، والمعَارِفَ، والمنَافِعَ فِيمَا بينَكم .. فَمَا هو نَاقِصٌ عند شَعْبٍ من الشُّعُوبِ، قد يكونُ موجُوداً عند شَعْبٍ آخَر؛ فيكْتَمِلُ النَّقْص

ويَجبرُ بالتَّعارُفِ عليه، [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ]الحجرات:13. هذا هو الميزَانُ الذي على أَسَاسِه يَتمُّ التَّفَاضُل .. لا اللَّونُ .. ولا الغِنَى .. ولا العِرقُ .. ولا القُوَّةُ .. ولا النَّسَبُ .. ليسَ شَيئاً مِن ذلك .. وإنما التَّفاضُل يكونُ على أَسَاسِ " التَّقْوَى "، والتَّقْوَى وحَسْب .. والمنَافَسَةُ .. والمسَارَعَةُ .. والسِّبَاقُ فِيما بينَكُم .. يَنبغِي أن يكونَ في ميدان " التَّقْوَى " لا غَير .. فالتَّقْوَى يَرْفَعُ أَقْوامَاً، ويَضَعُ أقوامَاً!

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى

892- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى]الحجرات:13. المثْلِيُّون، والحَدَاثِيُّون الليبرَاليُّون، أعْداءُ الفِطْرةِ، يقُولُون: هنَاكَ صِنفٌ ثالِثٌ، مِن دُونِ أعضَاءٍ تَنَاسُلِيَّةٍ، لا هو ذَكَرٌ، ولا هو أُنْثَى .. والتَّحْدِيثُ لا يَزَالُ مُستَمِرَّاً لَدَيهِم، فقد نُفَاجَأ غَداً بصنفٍ رَابِعٍ، وخَامِسٍ .. وعاشِر؟!!

* * * * *

سورة ق

مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

893- [مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]ق:18. رَقِيبٌ مِن الملائِكَةِ حَاضِرٌ على مَدَارِ الوقتِ، مُعَدٌّ لمراقَبَتِه، وتَسجيلِ كُلِّ مَا يَتلَفَّظُ بِهِ من خَيرٍ أو شَرٍّ .. سواءٌ كان صَوتَاً أم كتَابةً .. وهَذا يَستَدْعِي مِن المرْءِ أن يُرَاقِبَ نفْسَه جيداً، ومَا يَصدر عنه مِن قَولٍ .. ويَزِنَ كلماته قبلَ أن يتَلَفَّظَ بها أو يخطَّهَا؛ هل هي في خانَةِ الخَيرِ والحَقِّ أَم في خانَةِ الشَّرِّ والباطِلِ .. وفي الحديث:" وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ على مَنَاخِرِهِمْ في جَهنَّمَ

إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ". وكان من السَّلَفِ مَن يَقُول:" ما شَيءٌ أحقَّ بِطُولِ سِجْنٍ من اللِّسَانِ ". وكان الحسَنُ البصري يقول:" ما عَقَلَ دِينَهُ مَن لَمْ يحفَظْ لِسَانَه ".

* * * * *

وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ

894- [وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم]؛ على الكَافِرِين [بِجَبَّارٍ]ق:45. تُجْبِرُهُم على الإِيمان؛ لِتَمْضِي مَشِيئَةُ اللهِ في خَلْقِه؛ فَرِيقٌ إلى الجَنَّةِ، وفَرِيقٌ إلى السَّعِير.

* * * * *

سورة الذاريات

وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

895- [وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ]الذاريات:21. أفَلَا تُبْصِرُون ـ بصَرَ تمعُّنٍ، وتفَكُّرٍ، وتَدَبُّرٍ ـ مَا في أنْفُسِكُم مِن عجائبِ الخلْقِ والنَّشْأةِ والتَّصْويرِ .. وعجَائبِ النَّفسِ وتَقلُّباتِها، وميولاتِها، ومَا جُبِلَت، وفَطِرَت عليه .. وعجَائبِ الوظَائفِ لكلِّ عُضوٍ مِن أعضَاءِ الجَسَدِ الظاهرَةِ والباطِنَةِ .. الدَّالَّةِ قَطْعاً ويَقيناً على بُطلَانِ القولِ بخرافَةِ الصِّدْفَةِ .. والدَّالَّةِ قَطْعاً ويَقِيناً على أن الخالِقَ والمصوّرَ هو اللهُ تَعَالى وحده .. وأنَّه هو الإلهُ المعبُودُ بحقٍّ، لا إله إلَّا اللهُ .. والدَّالَّةِ قَطْعَاً ويَقيناً أن اللهَ تعَالى لم يَخلُقِ الإنسانَ ـ بهَذا التَّصويرِ البَدِيعِ والفَريدِ ـ عَبَثَاً .. وإنّما خَلَقَهُ؛ ليعبُدَ اللهَ، وليكونَ أهْلاً لتَلَقّي التَّكاليف، والرّسَالات مِن اللهِ تَعالى.

896- [وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ]الذاريات:21. فِيه حَضٌّ على دَوامِ النَّظَرِ في مكنُوناتِ وأسْرارِ النَّفْسِ البَشَريَّةِ؛ النَّظَرُ في شقَّيْهَا النَّفْسِي المعْنَوي .. والجَسَدِي العُضْوِي .. لما تَنْطَوِي على مَعَانٍ وأسرَارٍ عجيبَةٍ فَريدَةٍ .. تتَكَشَّفُ للإنسانِ مع الزَّمَنِ ودوَامِ النَّظَرِ فِيها .. وها هو العِلمُ الحدِيثُ في كلِّ يَومٍ يكشفُ لنا عن سِرٍّ جَديدٍ مِن أسْرَارِ هذه النَّفسِ يتعلَّقُ إمَّا بالجانِبِ الجسَدِي العُضْوِي .. وإمّا بالجانِبِ النَّفْسِي المعنَوِي .. والاكتِشَافَات لا تَزالُ مُستمِرَّةً لا تَتوقَّف .. أفَلا يَدلُ ذلك على الخالِقِ القَدِير؟!

* * * * *

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ

897- قولُه تعالى:[فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ]الذاريات:50. يُفيدُ أنَّ شَرَّاً يُطارِدُك، ويَطْلُبُك بقوةٍ وإلحاحٍ ـ متمثّلاً بالشّيطانِ وجُندِه وأدواتِه ـ لا مَلْجَا ولا مَنْجَا منه إلا باللجوءِ إلى الله، والاحتماءِ به سُبحانَه، والاعْتِصَامِ بحَبْلِه.

898- [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ]الذاريات:50. الخَطرُ يُداهِمُك، ويَطلبُك من جِهَتَين: مِن جِهَةِ الدُّنْيَا بعوالِقِها، وجواذِبِها، وزِينَتِها .. فإنَّها تُلاحِقُكَ، وتُريدُ أن تَسْتَهلِكَ مِنكَ الجهْدَ والوقْتَ .. ومِن جهةٍ أُخرَى الأجَلُ؛ فإنَّه قابعٌ لك بالمرصَادِ، يَطلبُك حَثِيثَاً .. في كلِّ دقيقةٍ يدنُو مِنك لا تَدرِي متَى يُدْرِكُك .. فإذا جاءَ لَا يَستأخرُكَ دقيقةً واحدةً، ولا أدْنَى مِن ذلك .. فالقضيَّةُ إذَاً لا تَستدعِي مِنك المشي والسَّعيَ بهدوءٍ وبِطءٍ، بل ولا حتَّى الهرولَةَ تكفِي للنَّجاةِ .. وإنَّما تتطلَّبُ مِنكَ الفِرارَ بكلِّ ما أُوتِيتَ مِن عَزْمٍ، وقوَّةٍ، وحرَكَة .. عسَاك بعدَها تنجُو مِن الطَّالِبَيْن: الدُّنيَا، والأجَل .. فتَصِل إلى بَرِّ الأمَانِ، قبلَ فوَاتِ الأوَانِ .. لكن الفِرَار إلى مَن .. إلى اللهِ؛ خَالِقك، ومالِكك، ومعبُودك، الذي إليه سَتَرجعُ .. وهو على موعدٍ مَعَك عِندَ الموتِ، ومَا بَعدَ الموتِ .. لَن تُخْلَفَه .. والفِرارُ إليه يكونُ بتوحِيدِه، وعِبادَتِه، وطاعَتِه، وطَاعَةِ رسولِه صلى اللهُ عليه وسلم، والتَّخْفِيفِ مِن العَوَالقِ مَا أمْكَن.

* * * * *

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

899- [وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ]الذاريات:55. لَا تَزهَدَنَّ بالتَّذْكِيرِ .. ولا تَبخَس نفْسَكَ وعِلمَكَ، فتَمتَنِع عنِ التَّذكِيرِ .. ذَكِّرْ ولو بآيَةٍ أو حَدِيثٍ .. فإنَّ المؤمنينَ

سينتَفِعُون بتذكِيرِكَ مَهْمَا كانَ متواضِعاً أو قَلِيلاً .. فإن لم يكُنْ في يَومِك .. قَد يكونُ في غَدِك .. وربَّما بعدَ مَوتِك .. فكم مِن كلمَةِ تَذْكِيرٍ أطلَقَهَا العُلَمَاءُ انتفعَت بها الأجيالُ مِن بعدِهم أكثر مِن الجيلِ الذي يُعاصِرُونَه .. فَذَكِّرْ .. وأخْلِصْ في التَّذْكِيرِ .. ودَع القُبُولَ لله.

* * * * *

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

900- [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ]؛ لشيءٍ، [إِلَّا]؛ أداةُ استثناءٍ بعدَ نَفْيٍ؛ تُفيدُ الحَصْرَ والقَصْر، [لِيَعْبُدُونِ]الذاريات:56. ليعبُدُوا اللهَ تعالى وحدَه، ولا يُشرِكُوا به شَيئاً .. العِبادَةَ العَامَّةَ والشَّامِلَةَ لجميعِ المسَاحَةِ الزَّمَانيَّةِ والمكانيَّةِ التي يَعِيشُها الإنسانُ .. والشَّامِلَةَ لجميعِ ما يحبُّه اللهُ تَعالى من الأعمالِ والأقوالِ الظَّاهِرةِ والبَاطِنَةِ.

الآيةُ قد حدَّدَت الغايَةَ العُظْمَى مِن خَلْقِ الجِنِّ والإنْسِ .. بلْ ومِن الوجُودِ كُلِّه .. الغَايَةَ التي افتقَدَها الإنسانُ المادِّي، وفقَدَ بفقدَانِها الغَايَةَ مِن وجُودِه .. والإحسَاسَ بالاستقرَارِ والأمَانِ .. ليَعِيشَ التِّيْهَ والضَّيَاعَ .. وليَلْهَثَ خَلْفَ شَهواتِه التي لا تَعرِفُ الارتواءَ أبَداً .. مَثَلُه في ذلك:[كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176.

* * * * *

سورة النجم

فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى

901- [فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى]النجم:32. كأن يُقال فلانٌ شَهِيدٌ، وفي الجَنَّةِ ...!

902- [فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى]النجم:32. تَشْمَلُ جميعَ الأعمالِ القَلْبيَّةِ، والأعمَالِ التي يُشترَط لها الإخْلاصُ .. لا يجوزُ تَزكيَةُ الأشخاصِ بها، وبمقتضَاهَا؛ لأنَّها من الأعمالِ الغيبيَّةِ المُضْمَرَةِ التي لا يعلمُهَا إلا اللهُ .. كما في الحديث:" واللَّهُ أعْلَمُ بمَن يُكْلَمُ في سَبيلِهِ "مسلم. وإن كانَ ولا بُد، يُقال: نَحْسَبُ فلاناً كَذا، وكَذا .. ولا نُزَكّيه على اللهِ .. نحسَبُ فلاناً شَهيداً إن شاءَ الله، ولا نُزَكيه على الله .. وفي صحيح البخاري:" باب لا يُقالُ فُلانٌ شَهِيدٌ "، على وَجْهِ الجَزْمِ!

* * * * *

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى

903- [وَأَنَّهُ هُوَ]؛ سُبحانَه الذي [أَضْحَكَ]؛ مَكَّنَ الإنسانَ مِن الضَّحِك .. وخَلَقَ المسَرَّات التي تجعلُه يَضْحَكُ، [وَأَبْكَى]النجم:43. وأنه هو سُبحانه الذي مكَّن الإنسانَ مِن البُكاءِ، وخَلقَ الأحزانَ المُبكيات، التي تجعَله يَبكِي .. فخلَقَ اللهُ تعالى الشيءَ وضِدَّه، وخلَقَ للشيءِ أسبابَه، ولضدِّه أسبابَه؛ ليتحقَّقَ معنى الابتلاء والاختِبَار في هذه الحياةِ الدُّنيا .. فالضحِكُ والبُكاءُ مِن ضروريَّات ومُسْتَلزمات الحياةِ .. ولهمَا آثارٌ إيجابيَّةٌ على النَّفسِ ما لَمْ يَزيدَا عن حدِّ الاعتِدَال.

* * * * *

وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى

904- [وَأَنَّهُ هُوَ]؛ سُبحانَه الذي [أَغْنَى]؛ مَن شَاءَ مِن عِبادِه بالمالِ، والعَطاءِ، وأنواعِ الرِّزقِ .. يُغني مَن يَشاء، ويُفْقِرُ مَن يَشاء، [وَأَقْنَى]النجم:48. وجَعلَ للمالِ الزائدِ عن الحاجَةِ والاستخْدَامِ الآني صَوناً مِن فسَادِه، أُصولاً يُقْتَنى ويُحفَظ بها،

كالذَّهبِ، والفِضَّةِ، والخيلِ، والأنعَامِ، وغيرِها من الأُصُولِ الثابتةِ التي لا تُفْسِدها الأيَّامُ .. يُلتَجأ إليها عندَ الحاجَةِ، وهذا من تمامِ وكمالِ نِعَمِ اللهِ على عِبَادِه.

* * * * *

سورة القمر

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ

905- [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ]، للتِّلاوَةِ، والحفْظِ، والفَهْمِ، والاعتِبارِ، والتَّدَبُّرِ .. وهو الكتابُ الوحِيدُ في الأرضِ الذي يُحفَظُ في الصُّدُور، ويحفظُه غَيباً عَشَراتُ الآلافِ مِنَ الحفَّاظِ، [فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ]القمر:17. فهَلْ مِن مُعْتَبِرٍ ومتدَبِّرٍ .. ومُقْبِلٍ على القُرآنِ بالتِّلاوَةِ، والحفْظِ، والفَهْمِ، والعَمَلِ .. والآيةُ فِيها دَليلٌ على بُطْلانِ مَا يَذْهبُ إليه كثيرٌ مِن القُرَّاءِ والمعلمين الذين يَغلبُ عليهم المبَالَغَةُ، والتَّكلُّفُ والتنطُّعُ في تَدريسِ أحكامِ التَّجْويدِ، فيُعَسِّرُون اليَسيرَ، ويُصَعِّبُون السَّهلَ .. والذي يكونُ غالباً على حِسابِ الخشُوعِ، والفهْمِ، والتَّدَبُّرِ .. وكان مِن السَّلفِ وأهلِ العِلمِ مَن يَكرهُون ذلك .. وأنَا أقول: كلُّ قِراءةٍ للقُرآنِ الكريم تخلُو مِن زِيادَةٍ أو نُقْصَانٍ في المبْنَى والمعنَى .. فهي قِراءةٌ صَحِيحَةٌ، تُجزِئ صاحِبَها، ولا يُطالَبُ بأكثر مِنها .. ومَا وراء ذلك من التوسُّع المباح فهو مندوبٌ بحقِّه، ولمن شَاء!

906- [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ]القمر:17. للحِفْظِ .. وللفَهْمِ .. وللعَمَلِ والمتَابَعَةِ .. ولا حُجَّة لمن يُعرِض عَن كتَابِ الله.

* * * * *

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ

907- [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]القمر:49. لا يُوجَدُ مخلُوقٌ في السَّماواتِ والأرضِ، ولا حَدَث كانَ صَغيراً أمْ كَبيراً .. كانَ خَيراً أم شَرّاً .. إلا بقَدَرٍ، قَدَّرَهُ اللهُ، وشَاءَهُ أن يكونَ .. لا يخرجُ شيءٌ - أيُّ شيءٍ - عن سُلطانِه، وحُكْمِه، وتَقْديرِه، وعِلْمِه .. لِحِكَمٍ عَديدَةٍ قَد يُعْلِمُنَا اللهُ بعضَها، ونَجهَلُ كَثيراً مِنها .. وأحياناً قَد نجهَلُ مُطْلَقَ الحِكْمَةِ، ليَظهرَ دَورُ الإيمانِ، والتَّفويضِ، والرِّضَا، والتَّسليمِ .. والذي يتَعَاطَى تَفسيرَ الأحدَاثِ والنَّوازِلِ والكوارِث - ومَا أكْثَرُهم - ويَنظُر في أسبَابِها بَعيداً عَن هذا المعنى فهو ضَالٌّ مُضِل.

* * * * *

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ

908- قال تعالى:[وَمَا أَمْرُنَا]، لشيءٍ أرَدْنَاه، أيّاً كان هذا الشَّيء [إِلَّا وَاحِدَةٌ]، إلا كلمةٌ واحدةٌ - لا نحتاجُ إلى تِكْرَارِهَا - نقولها كُنْ، فيكونُ هذا الشَّيء، [كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ]القمر:50. كطَرْفَةِ عَينٍ، وأسْرع ما يَقعُ عليه البَصَر.

* * * * *

سورة الرحمن

أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ..

909- [أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ]الرحمن:8-9. لا يَقْتَصِرُ مَعْنَى الميزَانِ، على الميزَانِ الذي تُوزَنُ به الأشياءُ .. لَا .. بل هو يَتعَدَّى ذلك إلى مَعْنى أعَمّ وأشمَل، إلى مَعنى العَدْلِ، الذي تَقومُ عليه السَّماوَات

والأرض .. الميزانُ الذي تُوزَنُ به المعَانِي، والقِيَمُ، والمبَادِئُ، كما تُوزَنُ به الأشياءُ الماديَّةُ المحسُوسَة .. الميزَانُ الذي لا تَستقِيمُ الحياةُ إلَّا به .. الميزانُ الذي لا يُحَابِي أحَدَاً على حِسَابِ الحَقِّ، والحَقِيقَةِ .. الميزانُ الذي يُنصِفُ الحقَّ مِن الباطِلِ .. والمظلُومَ مِن الظالِمِ .. ويُعطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .. الميزانُ الذي به يُوزَنُ الرِّجَالُ، وتُوزَنُ مواقِفُهم .. وأيُّما قَومٍ يَفْقِدُونَ الميزانَ، أو يتَلَاعَبُون بالميزانِ؛ فيَزِيدُون ويُنقِصُون فِيه مِن عِندِ أنْفُسِهم .. يَضطَّرِبُ نِظَامُ حَيَاتِهم، ويُعرِّضُون أنفُسَهم للخَطَرِ، والزَّوَالِ، والدَّمَارِ!

* * * * *

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

910- مهما سَلَكتَ دَربَ الصّعودِ، لا بد من أن تصل إلى مرحلةِ الهبوطِ، ومن ثمَّ الأفُول .. هكذا الإنسانُ .. وهكذا الدُّول .. والأمم .. وهكذا كلّ شيءٍ .. طوراً بعد طورٍ إلى أن يصل إلى الطَّورِ الذي ليس بعدَه إلا الموت، ليصبح أثراً بعد عين، كما قال تعالى:[كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ]الرحمن:26-27. وقال تعالى:[مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً]نوح:13-14.

* * * * *

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ

911- [هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ]؛ طَاعةُ اللهِ ورَسولِه صلى الله عليه وسلم، [إِلَّا الْإِحْسَانُ]الرحمن:60. الجَنَّةُ ونَعِيمُهَا .. ورِضْوَانٌ مِنَ اللهِ لا يَعْقُبُه سخطٌ أبَدَاً .. فيه أيضاً تَقْرِيرٌ لمبدَأ المقَابَلَةِ في الدُّنْيَا؛ فتُقَابَل الحَسَنَةُ بحسَنَةٍ، والإحْسَانُ بإحْسَانٍ .. ويُقابَل المعروفُ بمعروفٍ مِثْله.

* * * * *

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ

912- [فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ]الرحمن:70. في الجِنَانِ زَوْجَاتٌ مِن الحوْرِ العِين .. اختارَهُنَّ اللهُ لعِبَادِه المؤمنين .. وجمَّلَهُنَّ فأحْسَنَ تَجميلَهُنَّ .. جَمَعْنَ بينَ جمالِ النَّفْسِ، ونَفَائِس وكَرَائِم الأخْلَاقِ، وبينَ جَمَالِ وحُسْنِ المظْهَرِ والصُّورَةِ .. فانتَفَت عَنْهُنَّ عيُوبُ ونقَائصُ الخلُقِ والخلْقِ .. والجمَالُ لا يتحقَّقُ ولا يكْتَمِلُ إلَّا بِهمَا مَعَاً .. ومتْعَةُ العِشْرَةِ لا تَتحقَّقُ ولَا تكْتَمِلُ إلَّا بهمَا معَاً .. إذْ مَا قِيمَةُ الجمَالِ الظَّاهِرِ مَعَ قبْحِ البَاطِنِ .. وانتِفَاءِ الأَدَبِ، والحيَاءِ، والخلُقِ الحسَنِ الحَمِيد .. يكفِيهِنَّ جمَالَاً أنَّ الجميلَ؛ الذي لهُ الجمَالُ المُطلَقُ، هو الذي جَمَّلَهُنَّ، وهو الذي يَصفهُنَّ بالجمالِ، وأنَّهُنَّ [خَيْرَاتٌ حِسَانٌ]. فلَكَ بَعدَ ذَلِك أن تَتخيَّلَ وتَتصوَّرَ كم هُنَّ جَميلَات .. ومَهْمَا تَخيَّلْتَ وتَصوَّرتَ فهُنَّ أكثَرُ وأجمَل .. وفي الحديث:" إنَّ أزواجَ أهلِ الجنَّةِ ليُغَنِّينَ أزواجَهُنَّ بأحسنِ أصواتٍ، ما سمِعَها أحدٌ قطُّ، إنَّ ممَّا يُغَنِّينَ بهِ: نحنُ الخيَرَاتُ الحِسَانُ، أزواجُ قَومٍ كرامٍ ...".

* * * * *

سورة الواقعة

أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ

913- [أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ]الواقعة:64. أنتَ تَغْرسُ فقَط؛ تَرمي الغرسَ في مزَارِعه، أمَّا الزَّارع الذي يتعَاهَدُ ويمدُّ الزَّرعَ بأسبابِ الوجُودِ، والنموِّ، والحياةِ، والعطَاءِ .. التي نعلمُ بعضَها، ونجهَلُ كَثِيراً مِنها .. هو اللهُ تعالى وحدَه .. كَمْ مِن زَرْعٍ أحاطَهُ الإنسانُ بجهدِه، وعِنايتِه، وأنفقَ في سبيلِه الأموالَ الطائلَة .. فلم يثمِرْ، ولم يُعطِ عَطاءَه المرجُو .. وتآكلَته الآفَاتُ؛ لتَعْلَم ـ يا عبدَ الله ـ أنَّ الزَّارِعَ على الحقيقةِ هو اللهُ تَعالى، وليسَ أنتَ .. وفي الحديث:" لا يقولَنَّ أحدُكُم: زَرَعْتُ، ولكنْ لِيَقُلْ: حَرَثْتُ ".

ونحوه كل جهْدٍ صَالِحٍ، أو عملٍ نافعٍ .. فأنت مطالبٌ ببذْلِه .. أمَّا الذي يَقبلُ العمَلَ، ويُباركُ فِيه، وينفعُ بهِ، ويضعُ له القبولَ .. متَى، وأينَ .. فمردُّ ذلك كُله إلى اللهِ تعالى وحدَه.

* * * * *

فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ

914- [فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ]الواقعة:70. هَلَّا تَشكرون .. لِمَ لا تشكرون .. ولو شكرتم لكان خيراً لكم .. سؤال تقريعي، يتضمّن عتاباً يلاحق الإنسانَ الكَفُور الجهول عبر جميع الأزمنة، وإلى يومِ القيامةِ، لعله يستحي فيَشكر .. وما أكثر وأعظم النّعم التي تحيط بنا، ونتقلّب بها في يومنا، وساعات ودقائقِ حياتنا .. ثم نمرُّ عليها مرَّ الكرام .. لا نأبه لها، ولا نحتفي بها .. ولا نشكرُ الخالقَ عليها .. وكأنها لم تَكُنْ .. ربَّنا أوْزِعْنا أن نَشكرَ نعمتَك التي أنعمتَ علينا!

* * * * *

سورة الحديد

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

915- [هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ]؛ مِن عَدَمٍ؛ فلَمْ تَكُن، فكَانَت بأمْرِ اللهِ تعالى ومَشيئتِه، وفْقَ مَشيئتِهِ وإرادتِه، فلَم تَتواجَد ذَرَّةٌ واحِدةٌ في الكونِ الفَسيحِ خَارِجَ المسَارِ الذي أرادَها اللهُ أن تكونَ فِيه، [فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ]؛ هل هذه الأيَّامُ - مِن حَيثُ طُولِها وزمَانِها - مِن أيامِ الدُّنيا .. أَم أنَّها من أيَّامِ الآخِرَةِ؛ اليومُ الواحِدُ كألفِ سَنَةٍ مِن سِنِيِ الدُّنْيا، [وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ]الحج:47.؟ العِلمُ عندَ اللهِ، لم يَرِد نَصٌّ من كتابٍ أو سُنَّةٍ يُرجّحُ أحَدَ القولَين .. واللهُ تعالى قَادِرٌ على أن يخلقَ

السَّماوات والأرضَ بِكُن، فيكُون، كلَمْحٍ بالبَصَر، لكن شاءت حِكمَتُه سُبحانه أن يخلقَها في سِتَّةِ أيّامٍ، [ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ]؛ ثمَّ عَلَا على العَرْشِ عُلُوّاً يَليقُ بجلالِه، مِن غَيرِ تكْييفٍ، ولا تَعطِيلٍ، ولا تَشْبيهٍ، ولا تَمثِيل، [يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ]؛ وهو في عُلُوِّهِ على عَرشِه، فَوقَ السَّماواتِ السَّبعِ، وفوقَ الجِنَان .. لا يمنَعُه ذلك أن يَعلمَ ما يدخلُ في الأرضِ من ماءِ المطَرِ، وبذورِ النَّباتَات وجذورها التي تمتدُّ في الأرضِ، ومَن يُدْفَنُ فِيها، وكُلُّ مَا يُلْقَى فِي باطِنها، ويجِدُ في دَاخِلِها مَأْواً لَه، [وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا]؛ مِن نَباتٍ، ومَاء، وزَرْعٍ، وشَجرٍ، وثرواتٍ، ومعَادِن، [وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء]؛ مِن غَيْثٍ، وأينَ يَنزِلُ، وما تتنَزَّلُ به الملائِكَةُ من شؤونِ الأرضِ والعِبَادِ، بأمرٍ مِن اللهِ، [وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا]؛ من أرواَح، وأعمَالِ العِبَاد، وما تحمِلُه الملائكَةُ إلى السَّماءِ مِن شُؤونِ الأرْضِ والعِبادِ، [وَهُوَ]؛ في عَلْيَائِه، وعُلُوِّهِ على عَرْشِهِ، [مَعَكُمْ]؛ بِعِلْمِه، وسَمْعِه، وبَصَرِه، وقدرَتِه، لا يَخفَى عليه شَيءٌ مِن شُؤونِ عِبادِه، وخَلْقِه .. إضافة إلى هذه المعِيَّة، هناك مَعِيَّةُ تَوفِيقٍ، وتَسْدِيدٍ، ونُصْرَةٍ؛ وهذه خَاصَّةٌ بعبادِ اللهِ المؤمنين، [أَيْنَ مَا كُنتُمْ]؛ سَواءٌ كُنتم في البَرِّ أم في البَحْرِ .. فوقَ الأرضِ أَم تحتَ الأرضِ .. لا يُحيلُ حائلٌ بين اللهِ وبينَ عِبادِه يمنعهم من أن يَقُولُوا يا الله .. فأينَمَا كنتم، ومهما كان الظرفُ صَعْباً، وشَديداً عليكم، فاللهُ معكُم يَسمَعُ ويَرَى، وقَادرٌ على أن يُغِيثَكُم، [وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ]؛ من أعمالٍ قَلبيَّةٍ، أو أعمالٍ ظاهِرةٍ على الجوارِح [بَصِيرٌ]الحديد:4. بها، وبكم، لا يخفَى عليه سُبحانه شيءٌ مِن أعمالِكُم.

* * * * *

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ

916- [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ]الحديد:4. المعيَّةُ مَعِيَّتَان: مَعيَّةٌ عَامَّة، شَامِلةٌ لجميع الخلْقِ، الإنْسِ، والجِنِّ .. وهي مَعيَّةُ عِلمٍ، وإرادَةٍ، وسَمعٍ، وبَصَرٍ، وقدرةٍ، وإحاطَةٍ. ومَعيَّةٌ خَاصَّةٌ بالمؤمنين، وهي مَعيَّةُ الهِدايَة، والتَّوفِيق، والتَّسْدِيد، والنُّصْرَة، والتَّأْيِيد.

917- [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]الحديد:4. لَا تَقْلَقْ .. ولا تخَفْ .. ولَا تَحْزَنْ .. أنتَ لَسْتَ بمفرَدِك .. أنتَ معَكَ الله!

* * * * *

لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ

918- الجهادُ قبل الفتح والتَّمكين خيرٌ من الجهاد بعد الفتح والتَّمكين، والمجاهدُ الذي ينطلق للجهاد من تلقاءِ نفسِه، من غير دولة ولا جهة ترعاه، وتكفله، وتكفل أهلَه من ورائه، خيرٌ من المجاهدِ الذي يجدُ الدولةَ ـ أو الجهة ـ التي ترعاهُ، وتكفله، وتكفل أهلَه من ورائه، لا يستويان مثلاً، ولا أجراً، ولا مقاماً عند الله، [لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]الحديد:10.

919- [لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]الحديد:10. هذه الآيةُ الكريمة وإن كان لنزولِها سببٌ متعلِّقٌ بمن أنفقَ وجاهَدَ في سبيلِ اللهِ قبلَ فَتحِ مكَّة، وبينَ مَن أنفقَ وجاهَدَ بعدَ فَتحِ مكَّة .. إلَّا أنَّها تُحمَل أيضاً على كلِّ فتحٍ إسلامي؛ فلا يَستَوي ـ مِن حَيث الأجرِ والثَّوابِ والمكَانَةِ ـ مَن أنفَقَ وجاهَدَ في أوَّلِ الفَتح

والجهادِ، وبينَ مَن أنفقَ وجاهدَ في آخِرِ مراحلِ الفَتحِ والجهادِ .. ولَا يَستَوي مَن أنفقَ وجاهدَ في آخِرِ مراحلِ الفتحِ والجِهَادِ، وبينَ مَن أنفقَ وجاهَدَ بعدَ الفتْحِ والنَّصرِ، والتَّمكِين .. فَلا يَستَوي السَّابقُون معَ المتأخّرين .. حتَّى في العِبادَات؛ لَا يَستوي في الأجْرِ والثّوابِ بينَ مَن يُبكّرُ إلى صَلاةِ الجمعَةِ قَبلَ صُعُودِ الخَطِيبِ إلى المنْبَرِ، وبينَ مَن يأتي إلى صَلاةِ الجمعةِ متأخّراً بعدَ صُعُودِ الخَطيبِ إلى المنْبَرِ .. والآيةُ فيها تَرغيبٌ وحَضٌّ على اغتنامِ فُرَصِ الخيرِ وهي في مرَاحِلهَا الأُوْلى، قبل انقضَائِها، وفواتِ الأوانِ .. فيقَعُ النَّدمُ على التَّفريطِ والتَّخلُّفِ والتَّأخيرِ، ولاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ

920- آيةٌ تختصرُ حقيقةَ الحياةِ الدُّنيا بكلماتٍ، لو عَقلْنَاها:[اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ]الحديد:20.

* * * * *

وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ

921- لا تقومُ للعدلِ قائمة إلا بالكتابِ والحديد معاً، فالكتاب من دون الحديد ضَعف، والحديد من دون الكتابِ ظلم وعلو في الأرض بغير حق .. قال تعالى:[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ]الحديد:25.

* * * * *

سورة المجادلة

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا

922- [قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ]المجادلة:1. للآيةِ الكريمةِ دلَالاتٌ فقهيَّةٌ عظيمةٌ تناولتها كتبُ التَّفسيرِ والفقْهِ .. ليسَ هنا مَوضع بَسْطِها .. وإنما استوقَفَني في هذه الآيةِ الكريمةِ جدالُ المرأةِ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم وحوارِها ومراجعَتِها له في قضيَّةٍ مصيريَّةٍ قَد أهمَّتها .. لها علاقةٌ باستقرارِ حياتِها الزوجيَّةِ والعائليَّةِ .. والنبيُّ صلى الله عليه وسلم ـ فِداه نَفْسي ـ يحاورُها ويُجادِلُها .. ويُصغي إليها .. فَما أسكَتَها، ولَا نَهرَها .. لكونِها امرَأَة .. بل الأكبرُ مِن ذلك أنَّ اللهَ تعالى خالِقَ الخلقِ، ومالِكَ المُلْكِ، ربَّ العالمين .. وهو مِن فوقِ عرشِه قد سمعَ حوارَها مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم .. وسمعَ شَكواهَا إليه .. وهو بنفْسِهِ سُبحَانه تبنَّى قضيَّتَها، وقضيَّةَ الإجابةِ عمَّا تَسأل عنه .. وعمَّا قد أقلَقَها وأهمَّها .. وبها، وبقصَّتِها، وقَضيَّتِها، وجِدالِها أنزَلَ اللهُ سُورةً تُتْلَى إلى يومِ القِيامَةِ، اسمها " سُورَةُ المُجَادَلَة " .. فأيُّ تَشْريفٍ وتكريمٍ يُوازِي هذا التَّشريف والتَّكريم للمرأةِ .. هذه المرأةُ ذاتها قد استوقَفَت عمرَ بنَ الخطَّاب في الطريق، فقالت:" رُويدك يا عُمَر حتى أكلمك كلماتٍ قليلة، قالَ لها: قُولي، قالت: يا عُمر، عَهْدي بك وأنت تُسَمَّى عُمَيرًا في سُوقِ عُكاظ، تُصارِعُ الفِتيان، فلمْ تَذهَب الأيامُ حتى سُمِّيتَ عُمَرًا، ثم لمْ تذهَبْ الأيامُ حتى سُميتَ أميرَ المؤمنين، فاتَّقِ اللهَ في الرعيَّةِ، واعلمْ أنه مَن خافَ الوَعيدَ قربَ مِنه البَعيد، ومَن خافَ الموتَ خَشيَ الفَوْتَ، فبكَى عمرُ رضي الله عنه، فقال الجارُود العَبدي ـ وكان مُرافقاً لعمر ـ: هيه، لقد أكثَرْتِ

وأبكَيْتِ أميرَ المؤمنين، فقالَ عُمر: أوَمَا تَعرفُ هذه؟! هذه خولَةُ بنتُ حَكيمٍ امرأةُ أوْسِ بنِ الصَّامتِ التي سمعَ اللهُ قولَها مِن فوقِ سمائِه، فعُمَر واللهِ أجدرُ أنْ يَسمعَ لَها " .. وفي زمانِنا شيوخٌ جُهَّال إذا تَوجَّهت إليهم امرأةٌ بسؤالٍ أو قضيَّةٍ، وأرادَت أن تحاورَهم فِيها .. زَجَرُوها .. وأَسْكَتُوها لكونِها امرَأة .. ولأنَّ صوتَها عورَةٌ .. زَعَمُوا!

* * * * *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

923- [أَلَمْ تَرَ]؛ ألم تتدبَّر وتَتفكَّر بعقلِك، وتنظُر ببصيرَتِك .. فتعْلَم، [أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ]؛ مِن أجسامٍ ومخلُوقاتٍ، ومِن أعمالٍ وحركاتٍ، وأصواتٍ .. لا يخفَى عليه من مخلُوقاتِه شَيءٌ .. حتى النَّجْوَى، [مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ]؛ يتناجَون سِرًّا، بعيداً عن أعينِ ورقابةِ الناسِ، [إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ]؛ معهم، يعلَمُ ويسمعُ نجواهُم، لا يخفَى عليه من حالِهم ومَا يَضْمِرُونَه ويتَسَارُّون به شيء، [وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ]؛ قلَّ عدَدُهم عن ذلك أو كثر، [إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ]؛ فاللهُ تعالى وهو مستوٍ على عَرْشِه، معهم بعلْمِه، وسمعِه، وبصَرِه، وقُدْرَتِه، [أَيْنَ مَا كَانُوا]؛ سواءٌ كانوا في شَرقِ الأرضِ أم في غَرْبِها، أم في جنُوبِها، أم في شمالِهَا، وسَواءٌ كانُوا فوقَ الأرضِ، في قُصورِها، وحصُونِها، أم تحتَ الأرضِ، في خنادِقِها، وسرَادِيبِها .. وأنتَ يا أيُّها الإنسانُ لا تحسبنَّ أنَّك في نَجْوَاك، وتخَفّيك، واستتارِكَ، تَستطيعُ أن تُخفي شيئاً عنِ اللهِ .. وأنك بمفردِك فِيما تَناجَى به، لا يطَّلعُ عليكَ أحَدٌ .. وأنتم يا أيها المؤمنون لا يحزنكم نجْوَى الكفَّار وتآمُرهم عليكم .. فإن كنتم لا تَعلمون نجواهُم، وما يخطّطُون له .. فاللهُ معَهم يَعلمُ نجواهَم وسِرَّهم، ومَا يُدبِّرون، ويخطّطُون له ضدَّكم، [ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا

عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ]؛ بما كان منهم مِن عملٍ، وفِيما قد تنَاجَوا فيه؛ فمَن عمِل خَيراً وجَدَ خيراً، ومَن عملَ شَرّاً وجَدَ شَرّاً، ولا يلُومَنَّ إلا نفْسَه، [إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]المجادلة:7. من صيغِ العموم الشامِلَةِ لجميع الأشياءِ؛ كبيرها وصغيرها، وسواءٌ كانت في السماواتِ أم كانت في الأرضِ .. فالله يعلَمُها، وقادِرٌ عليها، ويحيطُ بها عِلماً.

* * * * *

سورة الحشر

فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا

924- [فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا]الحشر:2. في كثيرٍ مِن الأحيانِ تَتَراءى الأسبابُ للعيانِ كسَدٍّ مَنيعٍ يمنعُ من النَّيلِ من الأعْداءِ .. تجعل العدوَّ يَشعرُ بالأمَانِ، والاطمئنَانِ، وأنَّه فوقَ أن يُنالَ منه، ومِن هَيبتِه .. فيأتيه اللهُ تعالى مِن حيثُ لا يَظنُّ، ولا يَعلمُ، ولا يخطرُ على بالِه .. فيُسلِّطُ عليه عدوّاً وظالماً مِن جنسِه ولونِه .. ومِن داخلِ صَفِّهِ .. ومِن جهةٍ كانوا للحظَةِ الأخيرَةِ يَعتقدُون أنَّها آمِنَةٌ .. فتتَهاوى تلكَ الأَسْبابُ المنيعةُ كأنَّها بيتُ العَنْكَبُوت .. ليعلمَ الجميعُ أنَّ مكرَ اللهِ أعْلَى، وأكبرُ، وأجَلُّ .. وأنه لا يحولُ بينه وبينَ مشيئتِه حَائِلٌ.

* * * * *

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ

925- [يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ]الحشر:2. تكونُ دِيارُهُم وبيوتُهم عَامِرَةً بالخَيرِ .. والنِّعَمِ والأمَانِ .. فيُقابلُون هذا الخيرَ والنِّعَمَ بالكُفْرِ، والظُّلمِ، والعُصْيَانِ، والفُسُوقِ، والفُجُورِ .. ويُدْخِلُون على بيوتِهم مَا ليسَ مِنْهَا .. فيُخَرِّبُون بذلك بيوتَهم الآمِنَةِ المطمئنَّةِ بأيدِيهم، وإرادَتِهم .. ويَهدِمُون العَامِرَ مِنْهَا .. وكانُوا بِغِنَى عَن ذَلك!

926- [يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ]الحشر:2. الخرَابُ نَوعان: خَرابٌ مَادِيٌّ، يتمثَّلُ بالهدْمِ، والتَّدمِيرِ، والتَّفجِيرِ .. وخَرابٌ مَعْنَوِي، يتمثَّلُ بتخريبِ البيوتِ في الدِّينِ، والخُلُقِ .. وإشاعَةِ الفسَادِ، والمنْكَرَاتِ، والموْبِقَاتِ فِيها .. وهو خَرابٌ أشَدُّ فَتْكاً وأثَراً مِن الخَرابِ الأوَّلِ المادِّي .. وأكْثَرُ شِيُوعاً!

* * * * *

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ

927- [كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ]الحشر:7. أيُّمَا نظامٍ اقتصاديٍّ تقومُ سَياساتُه على تحريكِ، وتَشغيلِ الأموالِ، واستثمارِها ـ بعيداً عن الحرامِ وضمن المشروعِ والمباح ـ ليستفيدَ منها أكبرُ قَدْرٍ ممكنٍ مِن الناسِ .. الإسلامُ يُؤيدُه، ويُبارِكُه، ويُرَغِّبُ به .. وأيما نظامٍ اقتصادِيٍّ تَقُومُ سياسَاتُه على تجميدِ الأموالِ وكنْزِها، لتبقَى متداوَلَةً بين أيدِي فئةٍ قليلَةٍ مِن النَّاسِ .. فالإسلامُ لا يُؤيدُه ولَا يُباركُه .. قال تعالى:[وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ]التوبة:34.

* * * * *

بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى

928- [بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ]الحشر:14. هكَذا كانُوا اليهود مِن قَبل .. وهكذا هُم الآن .. وهكذا هُم غَداً .. ظاهِرُهم يُوحِي أنَّهم مجتمعُون على قَلبِ رجُلٍ واحِدٍ .. بينَما هم في حَقِيقَتِهم، وواقِعِهم مُتَنَاحِرُون .. مُتَدَابِرُون .. مختلِفُون .. ومُتَفرِّقُون في فِرَقٍ، وأحزَابٍ شَتَّى .. أليسَ ذلك دَليلٌ على أنَّ القُرآنَ الذي يَصِفُهم بهذَا الوصْفِ الدَّقيقِ وعلى مَرِّ أزمنَتِهم .. حَقٌّ، وأنَّه كَلامُ اللهِ؟!

* * * * *

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ

929- [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ]الحشر:19. ومن نسيان المرءِ لنفْسِه؛ الغفلةُ عن تعاهدها بما ينفعها، وتجنيبُها ما يَضرُّها .. وعن محاسبتِها، ومُساءلتِها فيما قدّمت، وما أخّرَت، وأين كانت، وكيف أصبحَت، وإلى أين تَصير ...؟!

930- [نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ]الحشر:19. فأنْساهم أنفسَهم وما ينفَعها، ويُصلحها، فعلى قَدرِ نسيانِ العبدِ لخالِقه على قَدْرِ ما يُنسِيه اللهُ نفسَه، ويُنسِيه ما يَنفعها، ويَسعى فيما يَضرُّها .. مفهوم المخالفة يقضي أن العبدَ على قدر ما يَذكرُ اللهَ تعالى، على قدر ما يذكرُ نفسَه، وما يَنفعها ويُصلحها، في الدنيا والآخرة.

931- ونحوه قوله تعالى: [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ]الأنعام:44. مِن نعيمِ وزِينَةِ وزُخرفِ الحياةِ الدُّنيا، فتنةً لهم، فينْسون ـ بسببها، وسبب الانشغالِ بها ـ أنفسَهم، حتَّى يأتيَهم اليَقينُ، فيقعُ النَّدمُ، ولاتَ حِين مَنْدَم .. وفيه أنَّ العقوبةَ والجزاءَ من جِنسِ العمَل.

* * * * *

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ

932- [أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ]الحشر:20. لا نجَاحَ معَ خُسرَانِ الجنَّةِ، ولَا خُسْرَانَ معَ الفَوزِ بالجنَّةِ.

* * * * *

سورة الممتحنة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء

933- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء]الممتحنة:1. مَن كان عدوّاً للهِ فهو عَدوٌّ للمؤمنين، ومَن كان عَدوّاً للمؤمنين فهو عَدوٌّ للهِ .. ومَن أرادَ أن يفرِّقَ بين أعدَاءِ اللهِ، وأعداءِ المؤمنين، ويَتخذَ مِن أعدَاءِ اللهِ أولياءَ، فهو ليسَ مِن المؤمنين.

* * * * *

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ..

934- [قَدْ كَانَتْ لَكُمْ]؛ للمؤمنين؛ كُلّ المؤمنين في كلّ عَصرٍ ومصرٍ، وإلى أن تقومَ الساعَةُ، [أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ]؛ قدوةٌ حسَنةٌ .. في ماذا؟ [إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ]؛ من غيرِ المؤمنين، وخُصَّ القومُ بالذِّكرِ لأنَّهم الأَلْصَقُ، والأقرَبُ، والأصعَبُ .. والذي يَقْدِرُ أن يقولَ الحقَّ لقومِه، يهونُ عليه أن يقولَ الحقَّ للأبعَدِ مِنْهم، [إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ]؛ مِن المشركين مِنكُم، العابدِين لغيرِ اللهِ، [وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]الممتحنة:4. ومن معبوداتِكم، والشِّركِ؛ وهو صَرفُ العبادَة لغيرِ الله، وأن تجعلَ للهِ نِدّاً في أيِّ شيءٍ من خصائصِه، ومن أسمائه الحُسنى، وصِفاتِه العُلْيَا .. وقُدِّم البراءُ من المشركين على البَراءِ من الشِّركِ؛ لأهميته، ولأن البراء من الشِّركِ لا يَسْتلزِمُ البراءَ مِن المشركين .. كما أنَّ المشركين ـ في مرحلةٍ من المراحِل ـ قد يَرضَونَ من المؤمنين أن يتبرَّأوا من الشِّركِ، ومن معبوداتِهم .. على أن لا يتبرَّأوا منهم، وأن تبقى أواصرُ الموالاة والمحبَّةِ قائمة بين الطَّرفين .. وحتى لا يحصلُ شَيءٌ من ذلك، جاء التَّعبيرُ القُرآني وبكلِّ وضُوحٍ [إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ] أوَّلاً !...

* * * * *

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ

935- [وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ]الممتحنة:12. جاء النهي عن قتل الأولاد مباشرة بعد النهي عن الزنى؛ لأن غالب اللَّاتي يقتلن أولادهن، يكون بسبب الزنى؛ ليدفعن عن أنفسهن عار وتبعات الحمل بالزّنى .. وهذا لا يجوز؛ فالخطأ لا يُزال بخطيءٍ مثله أو أكبر منه.

936- [وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ]الممتحنة:12. القَتْلُ نَوْعَان: أَكْبَرُ؛ كالإجْهَاض بعدَ أن تُنْفَخَ الرُّوحُ في الجَنِينِ. وأَصْغَرُ؛ كتَعَاطِي الموانِع، والخَوانِق التي تمنَعُ الحَمْلَ، مِن غَيرِ ضَرُورَةٍ.

* * * * *

سورة الصف

كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

937- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ]؛ تَأمرُون الناسَ بالمعرُوفِ، ولا تأتُونَه، وتَنهونَهم عن المنكَرِ، وتَأتُونَه .. تَعِدُون، وتُعَاهِدُونَ ثم لا تَفُون بوعْدِكُم ولا عهْدِكُم .. فهذا خُلُق مَذمُومٌ، وهو ضَرْبٌ مِن النِّفاقِ .. لا يَليقُ بكم، ولا بدَعْوَاكم الإيمان .. فصنيعُكُم هذا، [كَبُرَ]؛ عَظُمَ [مَقْتاً]؛ سخطاً، وغضَباً شَديداً، [عِندَ اللَّهِ]؛ يومَ القيامةِ، وفي حُكْمِ الله، [أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ]الصف:2-3. فكلُّ مَن لا يُصدّقُ قَولَه بالعمَلِ .. وقالَ قولاً يُكَذّبُه بعَمَلِه .. وكلُّ مَن يَعِد وعْداً ثم لا يَفِي به .. له حَظٌّ مِن هذه الآيةِ الكريمةِ .. وهذا الوَعيدِ الشَّديدِ والمخيفِ .. نَسْألُ اللهَ تعالى السَّلامَةَ، والعَفْوَ والعَافِيةَ.

938- [كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ]الصف:3. لأن الإساءةَ حينئذٍ تكونُ مُضاعفةً؛ إساءة للقائِل الذي يُناقضُ قولُه عملَه، وإساءة للقولِ، وللدعوة ذاتِها، وبريقها، التي تفقد النوذَجَ العمَلي، وإساءة للمدعو؛ إذ يرى فيمن يقولُ ما لا يَفعل مثل السّوءِ لما يَدعو إليه .. فيكون بذلك منفّراً له!

* * * * *

سورة الجمعة

كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً

939- مَثَلُ عُلماءِ السُّوءِ في كِتابِ اللهِ؛ وهم فريقان: فَرِيقٌ رَكَنَ إلى الظَّالمين، وهذا مَثَلُه: [كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176. وفَريقٌ لا يَعمَلُ بما يَعْلَم؛ وهذا مَثَلُه:[كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً]الجمعة:5.

* * * * *

سورة المنافقون

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

940- [وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ]المنافقون:8. العِزَّةُ تكونُ لِلْمُؤْمِنِينَ حَقًّا؛ الذين يَأخذُونَ بأسْبابِ العِزَّة، ويَسْتَوفُون في أنْفُسِهم شُروطَ وشُعَبَ الإيمانِ، ويَسْتَمِدُّون عِزَّتَهم من اللهِ .. فإن حصَلَ نَقْصٌ في مستوى العِزَّةِ كان ذلك دَليلاً على نَقْصٍ في الإيمان.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ

941- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ خطابٌ مِن اللهِ تعالى إلى عِبادِه المؤمنين، في كُلِّ زَمَانٍ، وكُلِّ مكَانٍ .. وعلى المؤمنين إذا سمِعُوا [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]، أن ينصِتُوا، ويُحسِنُوا الاستماعَ، والإصْغَاءَ، ويَستَشْعرُوا عظَمَةَ المُخَاطِب، ليَستَشْعرُوا عظَمَةَ الخِطَابِ، وليَفْهَمُوا ماذَا يُريدُ اللهُ مِنهم، [لَا تُلْهِكُمْ]؛ لَا تُشْغِلْكُم، [أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ]؛ عن طاعَةِ اللهِ تعالى، وعن عبادَتِه، وأدَاءِ الفَرَائضِ في وَقتِها .. وذُكِرَت الأموالُ قَبلَ الأولادِ؛ لأنَّ الأموالَ أكثر مشْغَلَة للإنسانِ مِن الأبنَاءِ .. فالرجُلُ تَراهُ يَنشَغلُ في يومِه مِن أجْلِ تحصِيلِ المالِ وتنمِيتِه عشْرَ سَاعات، وربما أكثر، بينمَا يَنشغلُ معَ أبنائِه ساعَةٍ وربما أقَل، [وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ]؛ فيَنشغلُ بالأموالِ والأَوْلادِ عَن ذِكْرِ اللهِ تعالى، ويُؤثرُهم على ذِكْرِ اللهِ، وطاعَتِه، وعِبادَتِه، وأَدَاءِ الفَرائضِ في وقْتِها، ومكَانِها، [فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ]المنافقون:9. في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

942- [وَأَنفِقُوا]؛ حَضٌّ على الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ؛ وهو يَشملُ النَّفقَةَ الواجِبَة كالزَّكاةِ، والمُسْتَحبَّة كالصَّدقَاتِ، [مِن مَّا]؛ تفيدُ التَّبعِيضِ؛ أي بعضُ المالِ، وليسَ جِلُّه؛ وهذا مِن تَيسيرِ اللهِ على عبادِه؛ إذْ لم يُوجبُ عليهم إنفاقَ جميعِ ما يملكُون ويَزيدُ عن حاجَتِهم، [رَزَقْنَاكُم]؛ فالمالُ ليسَ مالَكَ يا عبدَ اللهِ، وإنَّما هو مالُ اللهِ تعالى وحدَه، وهو الذي رزَقَكَ المالَ وتفضَّلَ به عليك، وأنتَ مُسْتَخْلَفٌ عليه، لِيُنْظَرَ كيفَ ستَتَصرَّفُ

بما استخلفَكَ اللهُ عليهِ، هل ستنْفقُه في سبيلِ اللهِ، في أوجهِ الخيرِ، كما أمرَكَ اللهُ، أم ستمسِكُه بخلاً، وتمتنعُ عن الإنفاقِ، والإحسانِ، [مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ]؛ قبل أن يحتضِرَ، ويُعايِنَ، ويَدنُو منه الأجَلُ، وتَظهرَ علامَاتُ الموتِ وإمَاراتُه التي لا مرَدَّ لها، [فَيَقُولَ]؛ مُتَحسِّراً على ما فاتَه من عمَلٍ .. وعلى الوقتِ الذي كان مُتَاحاً لَه، ولَمْ يحسنْ استغلَالَه، [رَبِّ لَوْلَا]؛ تفيدُ التَّمني والرجاءَ، والطَّلبَ الحثِيث، [أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ]؛ إلى أيَّامٍ قلائِل فقَط .. بل إلى سُويعَات .. أستَدرِكُ فيها بعضَ ما فَاتَني .. يَطلبُ هذا الطَّلبَ، واللهُ تعالى قبلَ ذلك قد أخَّرَه وأمَدَّ بعمرِه عُقُوداً ربما قد تجاوَزَت الستِّين والسَّبعين والثمانين سَنَة، فلم يَتنبَّه في تلكَ العُقُودِ مجتمعةً إلى مَا يتنبَّهُ إليه في الدَّقائقِ أو اللحظَّاتِ الأخِيرةِ مِن حياتِه .. ثم لماذا يَسألُ التَّأخيرَ في الأجَلِ؟ [فَأَصَّدَّقَ]؛ فيتذكَّر الصَّدَقَةَ التي كان يمنعُها وهو في قوَّته، وكانَ قَادِراً على الإنفَاقِ .. ولِمَا للصَّدَقةِ مِن أثَرٍ حسَنٍ على مَا هو مُلاقِيه ويَنتظِرُه، [وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ]المنافقون:10. ممَّن يَقُومون بالواجِبَاتِ، والفَرائضِ، والتي مِنها الحجُّ، وغَيرُها مِن الطَّاعَات .. هذا حالُ أهْلِ التَّقصِير، وهَذا قَوْلُهم .. أمَّا المؤمنُون الصَّالحُون المتصدِّقون، لا يَتحسَّرُون على ما فَاتَهم، ولَا يَسألُون اللهَ هذا السُّؤال .. بَل يَستبْشِرُون خَيراً، ويَفرحُون بما هو مُلاقِيهم، ويَنتَظِرُهم مِن النَّعيمِ المقِيم.

* * * * *

سورة التغابن

وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ

943- [وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ]التغابن:11. لأَحْسَنِ الاعْتِقَادِ، والقَوْلِ، والعَمَلِ .. وخَصَّ القَلْبَ؛ لأنَّه الأَمِيرُ الذي بِهدايَتِه تَهْتَدِي الجوَارِحُ.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ

944- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ خِطَابٌ مِن السَّيِّدِ المَلِكِ، مالِكِ المُلْكِ، وخَالِقِ الخَلْقِ، لكُلِّ مؤمنٍ في كلِّ زمَانٍ، ومَكَانٍ [إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ] مِنْ؛ تُفيدُ التَّبعِيض؛ أيْ إنَّ من أزواجِكُم وأولادِكُم مَن هم ليسُوا كذلك؛ وذلك عندما يكونُون عَوناً لَكُم على الطَّاعَةِ والعِبَادَةِ، [عَدُوًّا لَّكُمْ]؛ وذَلك عِندما يُشْغلونَكُم عَن طَاعةِ اللهِ، وتُؤثِرُون طَاعَتَهم على طَاعَةِ اللهِ .. ويُثَبِّطُونَكُم، ويُجَبِّنُونَكُم عنِ الطَّاعاتِ، وبخاصَّةِ الإنفاق في سبيلِ اللهِ، والجهاد في سبيلِ اللهِ، فالولَدُ كما في الحديث:" مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ "؛ أي مُتَسَبِّبٌ للبُخْلِ والجُّبْنِ، [فَاحْذَرُوهُمْ]؛ أن تُطِيعُوهم في مَعْصِيَةِ اللهِ، أو تُؤْثُرُوهم على طَاعَةِ اللهِ، [وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا]؛ عَن زَلَّاتِهم وأخْطائِهم بحقِّكم، إذْ لا بُدَّ أن يحصَلَ شيءٌ مِن ذلك [فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]التغابن:14. فكما غَفَرتُم لهم، وعَفَوتُم عنهم، يَغْفر اللهُ لكُم، فالجَّزاءُ من جِنْسِ العَمَلِ.

945- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ]؛ عدَاوَتُهم لكم تكمُنُ مِن أربعةِ أوجُهٍ: عندما لا يُعينُون الآباءَ والرجَالَ على طاعةِ اللهِ تعالى، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. وعندما يَصدُّونَهم ويُشغلونَهم عن طاعةِ اللهِ تعالى، وطاعةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. وعندما يَحمِلُونَهم على مَعصيةِ اللهِ تعالى، ومَعصيةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. وعندما يُنقِصونَهم بعضَ حقُوقِهم، وبعضَ ما يجبُ لهم مِن الطَّاعةِ، والبِرِّ، والإحْسَان، [فَاحْذَرُوهُمْ]؛ أنْ يفتنوكُم عن طاعَةِ اللهِ، وطاعةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، فتُؤثِرُوا طاعَتَهم على طاعةِ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم، [وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا]؛ عن تَقصِيرِهم بحقِّكم، هو خَيرٌ لكم، ولهم؛ لأنَّ عدمَ العَفْو والصَّفْح،

والمغفرَةِ يعني نُزولَ العِقَابِ العاجِل بِهم، قبلَ الآجِل، كما في الحديث:" بابان مُعَجَّلان عقُوبتهما في الدُّنيا: البَغْيُ، والعُقُوقُ ". [فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]التغابن:14. يغفرُ اللهُ لكم، ويَرحمكم .. مُقابل عَفْوكم وصَفْحِكم عنهم.

946- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ]التغابن:14. قولُه " أَزْوَاجِكُمْ "؛ تَشمَلُ الرِّجالَ والنِّساءَ سواء، فكما أن الزَّوجةَ أحياناً قد تكونُ فتنةً لزوجِها؛ تَصدُّه عَن دينِه، وتُرَغِّبه بالحرَامِ، وتُثَبِّطَه عن القِيامِ بما يجبُ عليه شَرْعَاً؛ شُحَّاً به، كذلك الزوجُ أحياناً قد يكونُ فتنةً لزوجَتِه؛ يَصدَّهَا عن دِينِها، ويُرغِّبُها بالحرَامِ والمعَاصِي، ويَستغِلُّ صلاحِيَاتِه بطريقَةٍ خاطِئةٍ؛ فيَمنَعُها مِن طاعَةِ اللهِ، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. فحِينَئذٍ يكونُ لها فِتنةً عليها أنْ تحذَرَه .. وأن لا تُؤثرَه، وتؤثِرَ رِضَاه وطاعَتَه على رِضَا، وطاعَةِ اللهِ، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

سورة الطلاق

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

947- [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ]الطلاق:3. مِن حَيثُ لَا يَدْرِي، ولا يَخطرُ على بالِه وتفكِيرِه؛ ليَعْلمَ أنَّ الفَارِجَ، والرَّازِقَ على الحقيقَةِ هو اللهُ تعالى وحدَه.

أحياناً يَتعلَّق قَلبُ العبدِ ببعضِ الأسبَابِ والأبوَابِ .. ويَظلُّ بَصَرُه مَشدُوداً نحوَها .. يَترقَّبُ مِنها الفَرَجَ، والرِّزقَ .. فيَغَارُ اللهُ تعالى على عَبدِه، وعلى قَلبِ عبدِه .. فيَجعلُ له فرَجَاً، ورِزْقاً مِن غيرِ تلك الوسَائلِ والأبوابِ؛ ليتوكَّل على اللهِ تعالى وحْدَه، وليَعْلمَ أنَّ الفَارِجَ والرَّازِقَ على الحقِيقَةِ هو اللهُ تعالى وحدَه.

* * * * *

وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ

948- [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ]؛ وهو الذي يَتَعَاطَى الأسبَابَ المتَاحَةِ والممكِنَةِ بجوارِحِه، وقَلْبُه مُعَلَّقٌ باللهِ، مَلِيءٌ ثِقَةً باللهِ، ليسَ في قَلبِه تَعَلُّقٌ بمخلُوقٍ، [فَهُوَ حَسْبُهُ]الطلاق:3. فهو كَافِيه فِيمَا يَسْعَى ويتَطَلَّعُ إليه .. وهو نَاصِرُه على مَن يُعادِيه .. وعلى التَّحدِّيات، والظرُوفِ القاهِرَةِ، والصَّعْبَةِ المحيطَةِ به .. وهو مُنْجيهِ مِن كُلِّ شَرٍّ يُحَاكُ ضدَّه.

949- [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ]الطلاق:3. لا يُؤتَى المرءُ مَا يَكْرَهُ، إلا مِن جِهَةِ نُقْصَانٍ في التَّوكُّلِ ...!

950- [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ]؛ مَن يَعتمدُ على اللهِ في حاجَتِه وأُمُورِه، ويُعلِّقُ قلبَه باللهِ تعالى وحدَه، ثمَّ يأخذُ بالأسْبَابِ، [فَهُوَ حَسْبُهُ]الطلاق:3. فاللهُ تعالى يكفِيه، ويُغنيه من فَضْلِه .. فإن لَمْ يَكْفِه في حَاجَةٍ من الحوائِج ـ لحكمةٍ يُريدُها ـ يُرضيه، ويُذْهِبُ همَّهُ، وغمَّه، ويَشرحُ له صَدْرَه .. ويجزيه على تَوَكُّلِه خيراً كثيراً.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ

951- [إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ]؛ فأمْرُه نافِذٌ في خَلْقِه لا محَالَةَ .. لا رادَّ لقضائِه وحُكمِه رَادٌّ .. وعلى أيِّ وجهٍ كنتَ يا عبدَ الله؛ سواءٌ آمَنتَ أمْ كفَرْتَ، وسواءٌ عبَدتَ اللهَ أمْ لَمْ تَعبُدْه .. وسواءٌ توكلتَ عليه أم لَمْ تتوكَّل عليه .. وسواءٌ أخَذْتَ بكامِلِ الأسبابِ .. فهذا كلُّه لا يُؤثِّرُ على حُكمِ اللهِ وقضائِه فِيك .. ولَا يَردُّه عنْكَ .. فإيمانُك، وتَوكُّلك،

وعبادَتَك .. تنفعك، ويجزيكَ اللهُ عليها خيراً في الدُّنيا والآخرة، وتقرِّبُك إلى اللهِ .. لكن لَا تَردُّ أمرَ اللهِ عَنْك .. ولا تردَّ عنك شيئاً شَاءَكَ اللهُ به، [قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً]الطلاق:3. أجَلاً ينتهي إليه .. فلَا شَرٌّ يَدُوم، تُدِيمُ الجزَعَ لأجْلِه .. ولا خَيرٌ يَدومُ، تُدِيم الفرَحَ لأجْلِه .. فالكلُّ إلى زَوالٍ، وإلى أجَلٍ ينتهي إليه .. وإنَّا لله وإنَّا إليه راجِعُون.

* * * * *

سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً

952- لا تُتْبِع العُسْرَ، بعسرٍ .. ولا المشقّةَ بمشقة .. ولا الشِّدَّةَ بشدّةٍ .. قال تعالى:[إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً]الشرح:6. [سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً]الطلاق:7.

* * * * *

وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً

953- [وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً]الطلاق:12. " بِكُلِّ شَيْءٍ "؛ من صيَغ العمُوم الشاملةِ للأشياءِ كلِّها؛ الظَّاهِر منها والبَاطِن، والكَبير منها والصَّغير .. لا يخفَى على اللهِ شيءٌ .. وهذا يَسْتَدْعِي مِن الإنسانِ أنْ يَستشعرَ رقابةَ اللهِ تعالى الدَّائمة، التي لا يحولُ بينَها حائلُ ليلٍ أو نهَارٍ، أو ظلمة برٍّ أو بحرٍ، إذَا ما همَّت نفسه بمنكَرٍ .. فإن نَامت عنه أعينُ العِبادِ، وكاميراتِ المراقَبةِ .. فإنَّ عينَ اللهِ تعالى لا تأخُذُها سِنَةٌ ولا نومٌ، ولا يخفَى عليها شَيءٌ .. قال ابنُ جرير الطبري في التفسير:" ولتعلمُوا أيُّها الناسُ أنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ مِن خلقِه محيطٌ عِلماً، لَا يَعزُبُ عنه مِثقالُ ذَرّةٍ في الأرضِ ولَا في السَّماءِ، ولا أصغَرَ من ذلك ولَا أكبر .. فخافُوا أيُّها الناسُ المخالفُون أمرَ رَبِّكم عقوبتَه، فإنه لا يمنعُه مِن عقوبتِكم مانعٌ، وهو على ذلك قادِرٌ، ومحيطٌ أيضَاً بأعمالِكم، فلَا يخفَى عليه مِنها خَاف، وهو محْصِيها عليكم، ليجازِيكُم بها، يومَ تُجزَى كلُّ نفسٍ ما كسَبَت ".

* * * * *

سورة التحريم

وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً

954- [وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ]؛ إلى حَفْصَة بنتِ عُمر رضي الله عنهما، [حَدِيثاً]؛ حديثاً خاصَّاً، وطلبَ منها أن لا تُخبر عائشةَ بما حدَّثَها به، [فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ]؛ فلم تَصْبِرْ على كتمانِ ما اسْتَسَرَّها النبيُّ صلى الله عليه وسلم عليه، فأخبرَت عائشةَ رضي الله عنها،[وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ]؛ فأطلعَه اللهُ تعالى على ما فعلَت حَفْصَةُ، وأنَّها قد أخبرَت عائشَةَ، [عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ]التحريم:3. ولمَّا راجَعَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم وعاتَبَها على فِعلِها، عَرَّفَها ببعضِ حَدِيثِها لعائشَة، وما كان مِنها .. وأعْرَضَ عن ذِكْرِ البَعضِ الآخَر تَكَرُّمَاً، وحَتَّى لا يَزيدُ مِن إحراجِ حفْصَة .. إذْ يكفِي أن تعلم أنَّها أخْطأت، وأينَ يقَعُ خَطَأهَا بأقلِّ عِبارَةٍ أو إشَارَةٍ .. وفي ذلك تَقريرٌ لمبدَأ وخُلُقِ التَّغَافُلِ عَن ملاحقَةِ الهفَوَات، والكَبَوَات .. وعَدَمِ الاستِقْصَاءِ، وافتعالِ التَّحريَّات التي تَضرُّ ولا تَنفَع، وتَزِيدُ مِن إحْراجِ المخطِئ، وبخاصَّة إن ظهرَت عليه علامَاتُ التَّوبَةِ والنَّدَمِ .. ولم يكُن من الذين يُجاهِرُون ويُبَاهُون بذنوبِهم .. قال الحسَن البَصري:" مَا اسْتَقْصَى كَرِيمٌ قَط !"

* * * * *

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ

955- [إِن تَتُوبَا]؛ هما عائشة، وحَفْصَةُ رضي الله عنهما، ومحاولتهما في حمْلِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على مَا يَكْرَه، [إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا]؛ وقَد تابَتَا ولله الحمد، [وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ]؛ تستمرَّانِ في التَّعاونِ فِيما بينكما على معصيةِ النبيِّ صلى الله

عليه وسلم، وأذاه، [فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ]التحريم:4. النبيُّ صلى الله عليه وسلم قد واجَهَ الفُرسَ، والرُّومَ .. وواجَهَ مُشركي العَرَب، وجيوشَهُم .. فلم يحصَلْ مثلُ هذا التَّجييشُ الرَّهيبُ والمخيفُ، والعظيمُ في النُّصرةِ والتَّأييدِ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم .. لكن لَمَّا واجهتهُ مشكلةٌ دَاخليَّةٌ في بيتِه الشَّريفِ، معَ بعضِ نسائِه .. قد شغَلَتْهُ، وآذَت قلبَهُ الطَّاهر الشَّريف .. أوحَى اللهُ إليه:[فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ]؛ ناصِرُهُ، ومُعينُه .. واللهُ تعالى يَكْفِي .. لكن إمعاناً في بيان النُّصْرةِ والتأييدِ لنبيِّهِ صلوات الله وسلامه عليه .. وبيانِ خُطورَةِ ما أقدَمَ عليه بعضُ نسائِه .. قال:[وَجِبْرِيلُ]؛ وهذا يَكْفِي .. لكنَّ اللهَ تعالى زَادَ:[وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ]؛ كلُّ المؤمنين الصَّالحين، وعلى رأسِهم الصِّدِّيق أبي بكر، والفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .. وهذا يَكْفِي .. لكنَّ اللهَ تعالى زَادَ، فقال:[وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ]؛ كُلِّ الملائكةِ؛ المقرَّبُون منهم وغير المقرَّبين .. ولا يَعلمُ تعدَادَهم إلا اللهُ تعالى .. فكلُّهم مجتمعين أعوانٌ وأنصَارٌ للنبي صلى الله عليه وسلم في مواجهةِ المشكلةِ التي تواجِهُه صلى الله عليه وسلم مع بعضِ نسائِه .. داخِلِ بيتِه الشَّريفِ .. لأنَّ مشكلةً واحِدَةً دَاخل البيْتِ وطْؤهَا على قلوبِ الرجالِ أشَدُّ مِن ألفِ مشكلةٍ خارج البيت .. وفي ذلك رِسَالةٌ رَادِعَةٌ، عظيمةُ الشَّأنِ للنساءِ اللاتي يتهاونَّ في إثارَةِ المشاكِلِ ـ ولأتفهِ الأُمورِ ـ مع أزواجهنَّ الصالحين المؤمنين!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً

956- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً]التحريم:6. عِظُوهم وعلِّمُوهم الخيرَ، فخَيرُ مَن تَعِظ؛ نفْسَكَ، ثم الأقرب، فالأقرب.

957- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ كُلّ الذين آمَنُوا .. الرِّجَالُ والنِّساءُ سَوَاء، [قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً]التحريم:6. أَوْلَى الأَنْفُسِ في أن تَتَعَاهَدَهَا بحُسْن التَّعْليمِ، والتَّربيَةِ، والتَّوْجِيه .. وأن تَصْرِفَ لها جَهْدَك وطَاقَتَك .. نَفْسك، ثمَّ الأَقْرَب، فالأَقْرَب مِن أهلِك، وممَّن تُعِيل.

* * * * *

سورة الملك

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً

958- [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ]؛ ليَخْتَبِرَكُم بأنْواعِ البَلاءَاتِ، [أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الملك:2. أصْوَبُهُ، وأخْلَصُه.

959- كل ما يُساقُ إليك يا ابنَ آدم - من خيرٍ أو شرٍّ - لا يخرجُ عن معنى الابتلاء، وهو داخل في معنى قوله تعالى:[الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الملك:2.

960- [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الملك:2. أي أصْوَبَهُ، وأَخْلَصَه .. وأنتَ يا ابنَ آدَم شِئتَ أم أبيْتَ .. رَضِيتَ أم سَخِطْتَ .. وافَقْتَ أم عارَضتَ .. فهِمْتَ أم لم تَفْهَم .. فالحياةُ الدُّنيا لَمْ تُخْلَق للاستِقْرَارِ .. ولا هي دَارُ جَزَاءٍ .. وإنَّما هي دَارُ عُبُورٍ، وبَلاءٍ، واختِبَارٍ .. خيرُهَا وشَرُّهَا، وجميعُ مَا فِيها مِن مَسَرَّاتٍ، ومُكَدِّرَاتٍ، اختِبَارٌ وبَلاءٌ .. وأنتَ المُختَبَر والممْتَحَن في هذا الاختِبَارِ والبَلاءِ .. هل سَتَنْجَحُ في الاختِبَارِ أم ستكُونَ من الخاسِرِين .. هذا ما سَتَعْرِفُه، ويَتَكَشَّفُ لكَ .. ويُعرَف عَنك يَومَ الحِسَاب.

* * * * *

كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

961- [كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ]الملك:8-9. فيهِ أنَّ جميعَ مَن يَدخلُونَ نَارَ جَهنَّم قَد بَلَغَتْهم نَذَارَةُ الرُّسُلِ، فقَابَلُوها بالإعْرَاضِ والتَّكْذِيبِ ...!

* * * * *

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ

962- [وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ]الملك:10. فيهِ أنَّ الكَافِرَ ليس له عَقْلٌ، وإنَّما له ذهْنٌ مِن خِلالِه يَقْتَاتُ ويَعْتَاشُ، ويَعْلَمُ ظَاهِراً مِن الحيَاةِ الدُّنْيَا .. إذْ لو كان له عَقْلٌ؛ لَعَقَلَهُ عنِ الكُفْرِ، وقَادَهُ إلى الإيمَانِ!

* * * * *

فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ

963- ذُكِرَ الرزقُ، فقال تعالى:[فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ]الملك:15. وذُكِرَت الصَّلاةُ، ونحوها مجالسُ العِلمِ والذِّكرِ، فقال تعالى:[فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ]الجمعة:9. وذُكِرَت المغْفرةُ، والجَنَّةُ، فقال تعالى:[وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ]أل عمران:133. وقال تعالى:[سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ]الحديد:21. وذُكِرَ اللهُ، فقال تعالى:[فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ] الذاريات:50. فلا تجعَلْهَا سَواءً في السَّعي، والحَرَكَةِ، والإقْبَال.

964- [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ]الملك:15. فيه حَضٌّ وتَرغيبٌ على عدَمِ التَّقوقُعِ والتَّموضُعِ في مرَاكز وظيفيَّة ضيِّقَة تعجُّ بالسكَّانِ .. فيفُوق عددُ السكانِ الطَّاقَةَ الاستيعابيَّةَ لتلْكَ المواقع والمرَاكز .. وعلى التَّوسُّع والتماسِ الرزقِ في الانتشارِ والحركَةِ في أطرافِ الأرضِ .. فخيراتُ الأرضِ أكبرُ بكثيرٍ مِن عدَدِ سكانِها لو أَحْسَنُوا الانتشارَ فِيها، واستغْلَالَ أطرافِها .. والحركَة فيها

بَرَكَة .. قال تعالى:[وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ]؛ خلقَكُم، وبثَّكُم، ونَشَرَكُم، [فِي الْأَرْضِ]المؤمنون:79.

* * * * *

أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ

965- [أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ]الملك:16.

فِيه أنَّ اللهَ تعالى في السَّماءِ؛ له العُلُو، يَعْلُو، ولا يُعْلَى عليه .. بَائِنٌ عن خَلْقِه .. عَرْشُهُ العَظِيم فَوقَ خَلْقِه، وهو فَوقَ عَرْشِه، سُبحَانه وتعالى .. وفي الحدِيثِ الذي أخرجَه مُسلمُ في صحيحه، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم سألَ جَارِيةً مملوكَةً كانت تَرعَى الغَنَم، فَقالَ لَهَا:" أَيْنَ اللَّهُ؟ قالَتْ: في السَّمَاءِ، قالَ: مَن أَنَا؟ قالَتْ: أَنْتَ رَسولُ اللهِ، قالَ صلى الله عليه وسلم لصَاحِبها: أَعْتِقْهَا، فإنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ".

966- [أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ]الملك:16.

الزَّلازِلُ لَا تَنزِلُ إلا بقَدَرٍ وعِقَابٍ مِن اللهِ .. ولذنُوبٍ مِن عِندِ أَنفُسِنَا .. فإذَا نزَلَت بدَارِ قَومٍ فليُراجِعُوا أنفُسَهم أينَ هم مِن اللهِ .. ومَاذَا بدَرَ مِنهم مِن ذُنُوبٍ ومَظَالِمٍ .. فليَستغفِرُوا اللهَ، ويتُوبُوا إليه .. وذلكَ على مستوَى الحاكم والمحكُوم.

وفي الأثَرِ، أنَّ المدينةَ زُلزِلَت في عَهدِ عمر رضي الله عنه، فقال:" مَا أَسْرَعُ مَا أَحْدَثْتُم، والله لئن عَادَت لأخرجَنَّ مِن بين أَظْهُرِكُم ".

* * * * *

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ

967- [أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ]الملك:21. إِنْ أَمْسَكَ اللهُ المطَرَ، ومَنَعَه عَنْكُم .. مَن هَذا الذي هو قَادِرٌ على أن يَرزقَكُم مِن دُونِه .. وخُصَّ المطرُ بالذِّكرِ، لأنَّ ما سِواهُ مِن الأرْزاقِ مُرتبِطٌ وجُوداً وعَدَماً بنزُولِ المطَرِ .. كما قال تعالى:[وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ]الأنبياء:30.

* * * * *

أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

968- [أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ]؛ مُنْحَني الظَّهْرِ، ووجهُه مُنْكَباً إلى الأرضِ؛ لا يَهتدِي سَبيلاً، ولا لمواطِن الخيرِ مِن الشَّرِّ .. ومثَالُه الكَافِر، [أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]الملك:22. أَمَّن يمشي قائماً مُعتدلاً على صِراطٍ مستقِيمٍ؛ لا اعوجَاجَ فِيه .. يُبصِرُ مَوَاطِنَ الخيرِ والشَّرِّ .. ومثالُه المؤمن؟ والجوابُ: أنَّ المؤمنَ يَقيناً هو الأهدَى سَبيلاً من الكافِرِ.

* * * * *

سورة القلم

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ

969- [وَدُّوا]؛ الكافرُون الظَّالمون، [لَوْ تُدْهِنُ]؛ تَميلُ إليهم، وتُجامِلُهم على ما هُم عليهِ من البَاطِلِ، [فَيُدْهِنُونَ]القلم:9. فيُقابِلونَك بنفْسِ الميْلِ والمجامَلَةِ .. والسَّببُ في رَغْبتِهم الجامحَةِ هذه، أنَّ الحقَّ لو دَاهَنَ وجَامَلَ الباطِلَ .. يمدُّ الباطِلَ بالشَّرعيَّةِ، والقوَّةِ، والحيَاةِ .. ما لا يجِدُه مِن مَصْدرٍ آخَرَ!

* * * * *

سورة المعارج

إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً

970- [إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً]المعارج:19-20. والهلَعُ والجَزَعُ أعلى درجاتِ صورِ ومَعاني القَلَق، لم يستثنِ اللهُ أحَداً من هذا المرضِ العُضَال [إِلَّا الْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ]المعارج:22-23. إلى آخرِ الآياتِ التي تبيِّنُ صِفَةَ هؤلاءِ المصلين المؤمنين.

* * * * *

سورة نوح

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً

971- إذا دَاهمَك بَلاءٌ ـ أيّاً كان نوعُه ـ واجهه بالإستغْفارِ .. فالإستغفارُ دَواءٌ لكُلِّ دَاءٍ .. لا يَقوى عليه شيءٌ .. قال تعالى:[فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً]نوح:10-12. [وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى]هود:3. [وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ]هود:52. [وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ] بأيّ نوعٍ من أنواعِ البَلاءِ والعذَاب [وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]الأنفال:33.

* * * * *

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً

972- [مَا لَكُمْ]؛ اسْتِفْهَامٌ يُفِيدُ التَّعَجُّبَ، والإنْكَارَ، والتَّوبِيخَ، [لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً]؛ لا تُعَظِّمُون اللهَ، ولا تُجِلُّونَه .. ولا تَخافُون بأسَهُ وانتِقَامَه .. ولا تَشْكُرُونَ نِعَمَه، ولا تَحتكِمُون إلى شَرْعِه، ولا تَعْرِفُون له حَقَّاً عَليكُم، ولَا قَدْرَاً، [وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً]نوح:13-14. وهو الذي خَلقَكُم طَوْراً بَعدَ طَوْرٍ، وخَلْقَاً بَعدَ خَلْقٍ؛ وأنتم في بُطُونِ أُمَّهَاتِكم خَلَقَكُم مِن نُطْفَةٍ .. ثمَّ صَيَّرَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً .. ثمَّ صَيَّرَ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً .. ثمَّ صَيَّرَ الْمُضْغَةَ عِظَاماً .. ثم كَسَى الْعِظَامَ لَحْماً .. ثم يُنفَخُ فيه الرُّوحُ والحيَاةُ .. ثم يُولَدُ ويَخرجُ للدُّنيا طِفلاً رَضِيعَاً؛ لا يَعلمُ مِن أمْرِ الدُّنْيَا شَيْئاً .. ثمَّ طِفْلاً يَافِعَاً .. ثُمَّ شَابَّاً مُراهِقَاً .. ثم شَابَّاً رَاشِداً .. ثمَّ رَجُلَاً .. ثمَّ كَهْلاً .. ثمَّ شَيخَاً كَبيراً .. ومِنهم مَن يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ؛ فتَضْعُفُ ذَاكِرَتُه، وحَوَاسُّه؛ بحيث لم يَعُدْ يَعْلم مِن العِلمِ شَيئاً .. فيَعُودُ في عِلمِهِ وضَعْفِهِ طِفْلَاً كما بَدَأَ .. ثم الموتُ الذي به تَتوقَّفُ حَرَكَةُ الحيَاةِ، وحَرَكَةُ التَّطَوُّرِ الإنْسَانِي؟!

* * * * *

سورة الجن

إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً

973- [إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً]الجن:1. من عجائبه التي لا تنتهي أنه يُحيي الموتى .. ويَشفي المرضى .. ويَهدي الضَّالين إلى الصّراطِ المستقيم .. باهِرٌ للعقول .. يَغزو القلوب .. لا مثيل له .. ولا يمكن أن يُؤتى بمثله، أو بمثل سورةٍ من سوَرِه، ولو اجتمعَ الثَّقلانِ على ذلك .. مُعْجِزٌ في حَرْفِه، وكلماتِه، ونَظْمِه، ومعَانِيه، لا يُقاوَم .. ولا يَطالُه ـ على مدارِ الأزمنَةِ والدُّهور ـ تحْرِيفٌ، بحذفٍ أو زِيادة .. محفوظٌ بحفظِ الله له .. مُيَسَّرٌ حِفظُه في

الصّدور .. يَعلُو ولا يُعْلَى عليه .. يُبدّدُ كيدَ الكائدين، وظلمَ وظَلامَ الظالمين، ويُبطِلُ مكرَ الماكرين .. يُحِقُّ الحقَّ، ويُبطلُ الباطل .. ويُتِمُّ نورَه في الأرضِ، كل الأرضِ، ولو كرِهَ الكافرون.

* * * * *

سورة المدثر

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ

974- [وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ]المدّثر:6. أسْوأ المَنِّ أن تَسْتَكْثِرَ على اللهِ عِبادَتَك، وجِهَادَك، ومَعرُوفَكَ .. وتَسْتَطِيلَ بِذَلك عَلى عِبَادِه .. ومَا بِكَ مِن خَيرٍ فَمِنْه وحْدَهُ سُبحانَهُ وتَعالى.

* * * * *

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ

975- [إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ]المدّثر:18-19. لا يُمدَحُ المفكّرُ، وتَفكيرُه، إلا بعدَ النَّظرِ إلى مآلاتِ تَفكيرِه، فإن انتهَى به تفْكيرُه إلى خَيرٍ، أُثْنِيَ عليه خَيراً، وكان مُفكّراً صالحاً، وإن انتهى به تَفكيرُه إلى شَرٍّ، أُثْنِيَ عليه شَرّاً، وكان مُفكّراً طالحاً، وقِيلَ لَه:[فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ]. أي قاتَلَه اللهُ ولعَنَه لسُوءِ ما انتَهَى إليه تَفْكِيرُه الخَاطِئ الآثِم.

* * * * *

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ

976- [وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ]المدّثر:31. لا يمكِنُ للعَقْلِ البَشَري أن يُحصِي عَدَدَ، ونوعيَّةَ جنُودِ الله .. ومَدَى فاعليَّتها وقُوَّتِها .. التي تَعمَلُ عملَ المقَاتِلِ المخلِصِ

عندَ أوَّلِ لحْظَةٍ نتلَقَّى فيها الأمرَ بالقِتَالِ .. كما لا يُمكنُ أن يُحيطَ علماً من أيِّ جِهةٍ يمكنُ أن تَأتِي، ونتوجَّه بحافِلُها .. فلَا يَقْدِرُ على ذلك إلا اللهَ تعالى .. ولو قُلنا الملائِكةَ .. مِن الإنسِ والجنِّ .. أم عوالمَ السماواتِ، والأرضِ، وما فِيها من مخلوقاتِ، ودواب .. الظَّواهِرِ الطبيعيَّةِ مِن مَطَرٍ، وبَرقٍ، وريحٍ، وزَلازِل، وبَرَاكِين .. عَوَالم ومخلوقَاتِ البَحرِ، والبَرِّ .. أمْ جراثيمُ وفيروسَات لا تُرَى بالعَينِ المجرَّدَةِ .. فهي أكثَرُ من ذلك .. بل قد يكونُ من جنودِ اللهِ ما يَسيرُ في داخِلِ جسدك ودَمِك يا ابنَ آدَم .. فإذا جاءَ الأمرُ للدمِ في العروقِ بأن يتجمَّدَ، تجمَّدَ وقتَلَ صاحِبَه .. كأي جنديٍّ من جنُودِ الله يتلَقَّى الأمْرَ .. أو أن يتوقَّفَ عن عملِهِ بشكلٍ جزئِيٍّ أو كُلِّيٍّ .. لفعَلَ بالقَدْرِ الذي يُؤمَرُ بِهِ .. وكذلك بقيَّةُ أعضاءِ الجسَدِ الباطِنَةِ والظَّاهِرة، فهي لا تَعمَل عمَلها إلا بإذنِ اللهِ، وبأمرٍ مِنه .. ومَتَى يأتيها الأمرُ بأن تتوقَّفَ، وتقتُلَ صاحِبَها، فعَلَت مُبَاشرة، ومِن دونِ أدْنَى تَرَدُّدٍ .. فلا تحسبنَّ ـ يا ابنَ آدم ـ أنَّ جنودَ اللهِ محصورَةٌ في الملائكةِ التي تتنَزَّلُ من السَّماءِ بأمرِ رَبِّها .. وحَسْب؟!

* * * * *

سورة القيامة

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ

977- [وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ]القيامة:2. أقسَمَ اللهُ تعالى بالنَّفْسِ اللَّوامَةِ تَشْريفاً وتَعظِيماً لها، لدورِها العظيم في مقاوَمة فيرُوسَات وجراثيمِ السيئاتِ، التي تَأتي مِن جهةِ الشَّهواتِ، ومِن جهة الشُّبهاتِ .. فهي بمثابةِ جهاز المناعةِ في الإنسانِ التي تحملُه على طلبِ مزيدٍ مِن الخيرِ، وفِعْلِ مزيدٍ مِن الخيرِ، فإذا فعلَ خيراً، لم تحملُه على العُجْب، والاستكانَةِ، بَل لامَت صاحِبَها على التَّقليلِ، والتَّقصيرِ، لماذَا لَمْ يزِدْ في هذا الخيرِ، ويَفعلْ

ما هو أكثر مِنه .. وكذلك تَفعلُ مع الشرِّ إذا ما أقبَلَ واستشْرَفَ فهي سرعَان ما تُهاجِمُه، وتُعلِن عليه الحرْبَ، وتُدَافِعُه، وتُقْصِيه بَعِيداً .. وكلَّمَا كانت النفسُ اللَّوامةُ قويَّةً، يمدُّها صاحِبُها بالقوَّةِ والغِذاءِ النَّافِعِ، كانَت أقْوَى على مواجهةِ الفِتَن، والشَّرِّ، والإغراءاتِ .. وكانَت علامَةً على صحَّةِ وحياةِ قَلبِ صاحِبِها .. وفي الحدِيثِ، فقد صَّح عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" مَن سرَّتهُ حسَنَتُهُ وسَاءتْهُ سَيِّئَتُهُ فذلِكم المؤمنُ ". أي هو المؤمنُ حقَّاً .. وهذا الشُّعورُ بالسرورِ عند مَوْرِدِ الحسناتِ، والإساءَةِ عند مَورِدِ السيئاتِ .. مَبْعَثُة النَّفس اللَّوامَة.

* * * * *

أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ

978- [أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ]؛ الكافرُ الملحدُ، الذي يُنكرُ البعْثَ والنشورَ، واليومَ الآخِر [أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ]؛ أنَّا غير قادرين على أن نُعيدَ خَلقَه للبعثِ والنُّشُورِ، وأنَّنا لن نجمعَ عِظامَه، مِن جَديدٍ بعدَ أن أصبَحت رُفاتَاً، ورَميماً؟! [بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ]القيامة:3-4. بل اللهُ تعالى قادرٌ على ما هو أعظمُ ممَّا يَسألُ عنه الإنسانُ الكافرُ، ويُنكرُهُ .. وهو يَعيشُ معَه، ولصيقٌ به، ويرَاه بعينِه في حياتِه .. ألَا وهو البنَانُ؛ أصابعُ اليدِ، وما يتخلَّلها مِن مَسامَاتٍ وبصَمَاتٍ عظيمة تُعَرِّفُ على هويَّةِ صاحِبها، وتميزُه عن سائرِ النَّاسِ .. حيثُ كل إنسانٍ له مساماتُه وبصماتُه الخاصَّة به، والمختلفةِ عن الآخَر .. فمن مجموعِ الناسِ وهمْ بالمليارَاتِ لا يمكنُ أن تجدَ اثنين متَشَابهَين في مَسَامَاتِ وبصَمَاتِ أصابعِ اليَدِ .. فالقادرُ على أن يخلقَ البنانَ بهذا الوصفِ وهذا الإعجَاز، قادرٌ على أن يحي الإنسانَ مِن جَدِيد، ويبعثَهُ وينشرَهُ من قَبرِهِ للحسَابِ يومَ الحسَابِ .. وكَمْ مِن آيةٍ لَصِيقةٍ

بالإنسانِ يَغفَلُ عنها؛ لإلْفِهِ لها .. [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]الحج:46.

* * * * *

بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ

979- [بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ]؛ الكَافِرُ الملْحِدُ؛ الذي يَجحَدُ وجُودَ اللهِ، ويومَ البَعْثِ، والحِسَابِ، [لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ]القيامة:5. هذا هو الحامِلُ والبَاعِثُ له على الكُفْرِ والجُّحُودِ؛ فهو لا يُريدُ مِن كُفْرِهِ وجُحُودِه وإلحَادِه سِوَى الرِّغْبة في الانْعِتَاقِ من تَبِعَاتِ الإيمانِ، ومِن التَّكاليفِ الشَّرعِيَّةِ .. ومن ثَمَّ الانطلاق كالبَهيمَةِ ـ بل أشد ـ نَحْوَ مُسْتَقْبلٍ مَليء بالفُجُورِ والفُسُوقِ .. مُلبِّياً نِداءَ شَهواتِهِ ورَغَباتِه مِن غَير ضَابِطٍ، ولا وَازِعٍ مِن رَقِيبٍ، ولا وَخْذٍ للضَّمِير .. يُعَكِّر عليه انْغماسَهُ في الفُجُورِ، والحَرَامِ .. هذا المعنى يَرِدِّدُهُ الملْحِدُون في كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ، وإن اختَلَفَتِ عِباراتُهم: لا يُوجَدُ إلهٌ يُحاسِب .. لا تَخَافُوا .. افْعَلُوا ما شِئْتُمْ!

* * * * *

بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ

980- [بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ]القيامة:14. لا يَغُرَّنَّكَ مَدْحُ المدَّاحِين لك .. ولا ثَناءُ النَّاسِ عليك بما ليسَ فِيك .. ولا ألقابُ التَّعظِيمِ والتَّفْخِيمِ .. ولا النَّيَاشِين .. التي يمنحكَ إيَّاهَا مَن هُم فوقَكَ في الرُّتَبِ .. فأنتَ أدْرَى النَّاسِ بنفْسِكَ، وبجوانِبِ ضَعْفِك، وتقصِيرِك، وتَفْرِيطِك .. فحاسِبْ نفْسَكَ قَبْلَ أن تُحَاسَب .. واسْألها قبلَ أن

تُسْأَل .. واحملْهَا على الجادَّةِ والاستقَامَةِ .. وكُنْ بعيوبِها خَبيراً بَصِيراً .. قَبلَ أن تَشهدَ عَليكَ، فتُبَصِّرُكَ بعيوبِك، في يومٍ لا يَنفعُ مَالٌ ولا بَنُون إلَّا مَن أتَى اللهَ بقلبٍ سَلِيمٍ.

* * * * *

أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى

981- [أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى]القيامة:36. مُهْمَلاً مِن غَيرِ أمْرٍ ولا نَهْيٍ، ولا شَرِيعَةٍ تُنَظِّمُ له حياتَهُ، وتُبيِّنُ مَا لَه ومَا عَليه .. ومِن غَيرِ بَعْثٍ، ولا نُشُورٍ، ولا حِسَابٍ على مَا كانَ مِنْهُ مِن عَمَلٍ في الحيَاةِ الدُّنْيَا .. كَلَّا؛ فهَذا لَا، ولَن يَكون .. وهو يَتنَافَى معَ حِكْمَةِ وعَدْلِ الخالِقِ سُبحانَه وتَعَالى .. ومَعَ الغَايَةِ التي أوجَدَ اللهُ الوجُودَ لأجْلِهَا.

* * * * *

سورة الإنسان

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً

982- [وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً]الإنسان:8. يُطعِمُون مَا يَشْتَهون ويحبُّون مِن الطَّعَامِ .. فَلا يخصُّون أنفُسَهم بِطيبِ الطَّعَام .. وغيرهم مِن المساكِين بردِيئِه .. وكُلَّما كانت الصَّدقةُ مِمَّا تحب وتَشْتَهي كلَّما كانَت أفضَل، وأعْظَم أجْرَاً.

* * * * *

سورة المرسلات

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً . أَحْيَاء وَأَمْوَاتاً

983- [أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً . أَحْيَاء وَأَمْوَاتاً]المرسلات:25-26. أي ألَمْ نَجعَل الأرضَ جامِعةً، وضَامَّةً، وحَاوِيةً، وكافِيةً لجميع المخلوقات؛ الأحياء منهم على

ظَهْرِهَا، والأموات منهم في بَطنِها .. فعلامَ البَحْثُ للعَيشِ في كَوكَبٍ آخَر، لم يُعَد لاستِقْبالِ وضِيافَةِ الإنْسان؟!

الأرْضُ مِنْها المَنْبَتُ، وفيها المَرْقَدُ، ومِنْها المَبْعَث .. وإنَّا لله وإنَّا إليهِ رَاجِعُون.

* * * * *

سورة النازعات

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى

984- [فَقَالَ]؛ فرْعَونُ، [أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى]النازعات:24. الذي أُرَبِّيكُم وأُنَشِّئُكُم على مَا أَشَاءُ مِن القَوانين، والمبادِئِ، والقِيَمِ، والمعتَقَدَاتِ .. فالذي أَرَاهُ لكم حَلالاً فهو الحَلالُ، والذي أراهُ لكم حَراماً فهو الحرَامُ .. والذي أراهُ لكم حَقَّاً فهو الحقُّ، والذي أراهُ لكم باطِلاً فهو البَاطِلُ .. ليسَ لكم رَبَّاً تَرجِعُون إليه في أيِّ شَأنٍ من شُؤونِ حياتِكُم ودُنيَاكُم غَيرِي .. وإن وُجِدَ، فأنَا الأَعْلَى، وحُكْمِي وقانُونِي هو الأَمْثَلُ والأعْلَى .. وهذا لِسانُ حالِ طُغاةِ وفراعِنَةِ العَصْرِ .. وكُلِّ عَصْرٍ .. كُلُّهم يَتكلَّمون بلسانِ فِرْعَون .. بَلْ بعضُهم قَد فاقَ فرعَونَ في الجرْأةِ والطُّغيانِ، وفي زَعْمِ وادِّعاءِ هذا النوعِ مِن الرُّبوبيَّةِ!

* * * * *

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى

985- [وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ]؛ الوقوف بين يدَي رَبِّه يومَ الحِسَاب، وحَسِبَ لذلك الموقفِ العَصِيبِ حسَابَه، [وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى]؛ فَعَقَلَهَا بِعِقَالِ النَّقْلِ والعَقْلِ، عن أن تَميلَ به إلى الرَّدَى، [فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى]النازعات:40-41. المكانُ الذي يَأوي إليه، ويَأولُ إليه أمرُه .. ويَنتهي به مطافُه.

* * * * *

سورة عبس

قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ

986- [قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ]عبس:17. إن ابتُلِيَ بالسَّرَّاءِ لم يَشْكُرْ، وإن ابتُلِيَ بالضَّرَّاءِ، لم يَصْبِر .. فهو إمّا أنْ تجدَهُ جاحِداً، وإمَّا أنْ تجدَهُ سَاخِطاً!

* * * * *

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ

987- كُلُّ الأصْدِقاءِ يومَ القِيامةِ يَتخَلّون عنك، [يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ]عبس:34. [وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً]المعارج:10. إلّا صديقٌ واحد، فإنَّهُ يُدَافِعُ عنك، ويَتَشَفَّعُ لك، واللهُ تعالى يَقبَلُ شَفاعَتَهُ فيك، هو القُرآنُ الكريم.

* * * * *

لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

988- [لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ]عبس:37. يُشْغِلُه، فَلا يَلْتَفِتُ أَحَدٌ إلى أَحَدٍ.

* * * * *

سورة التكوير

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ

989- [وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ]التكوير:7. جُمِعَت، كُلٌّ مَعَ قَرِينِهِ ومَثِيْلِه؛ الصَّالِحُ مَعَ الصَّالِحِ، والطَّالِحُ مَعَ الطَّالِح.

* * * * *

بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ

990- مَوَانِعُ الحَمْلِ، إنْ لم تكُن لضرورَةٍ طُبيَّةٍ، وَأْدٌ أصْغَر، والَّذين يتعاطونَها لهم حَظٌّ مِن قولِه تعالى:[وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ]التكوير:8-9. سُئِل النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن العَزْلِ ـ وهو أضعفُ صور وحالات موانعِ الحَمْلِ ـ فقال:" ذلك الوَأْدُ الخَفِي "مسلم.

* * * * *

وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ

991- [وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ]التكوير:8-9. الوَأْدُ نوعَان: وَأْدٌ أكبَر، كما كانت صورتُه في الجاهِليَّةِ الأُولَى قَبلَ الإسلامِ .. ووَأْدٌ أصْغَر كما في الجَاهِليَّةِ الحَدِيثَةِ المعَاصِرَةِ، وصُورتُه قَتْلُ الجنينِ وهو في بطنِ أُمِّهِ عَن طريقِ الإجْهَاضِ، ومَوانعِ الحَمْلِ ...!

* * * * *

سورة الانفطار

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ

992- [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ]الإنفطار:6. ما الذي أغْرَاكَ، فَخَدَعَكَ، وجَرَّأكَ على أنْ تَسْتَهِينَ بِرَبِّكَ، وبأمْرِهِ، فتَعْصِيَه .. سُؤالٌ يَنْتَظرُ كُلَّ إنْسَانٍ، فانْظُرْ بِمَاذَا سَتُجِيبُ؟!

* * * * *

سورة المطففين

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ

993- [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ]المطففين:1. شامِلةٌ لجميع أنواع التّطفيف الماديَّة منها والمعنويَّة، ومِن التَّطْفِيفِ؛ أن يحرصَ الصَّديقُ على استيفاءِ كامِلِ حقُوقِه ـ غيرَ مَنقوصةٍ ـ من صَديقِه، ولا يَتوانى عن طَلَبِ المزيد، بينما هو يؤدّي حقوقَ صاحِبِه عليه مَنقوصَةً مَبْخُوسَة!

994- [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ]المطففين:1. في المِيزَانِ، والقَضَاءِ، والحُكْمِ على الأشْيَاءِ، وأَدَاءِ الأَمَانَاتِ، وفي كُلِّ عَمَلٍ يجبُ فِيهِ الاسْتِيفَاء.

995- [الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ]المطففين:2. إذا كان لهم الحَقُّ؛ يَسْتَوفُونَهُ كامِلاً غيرَ مَنْقُوصٍ، لا يُسامحُونَ في القَليلِ مِنه. [وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ]المطففين:3. وإذا كان عليهم الحقُّ يُنقِصُون، لا يُوفُّونَ ما عليهم مِن الحَقِّ كامِلاً!

* * * * *

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ

996- اليَومَ يَضحَكُ الكُفَّارُ مِن المؤمِنين، وغَدَاً يَبكُون، ويَندَمُون، ويَتَمَنَّون لو أنَّهم كانوا في الدنيا في صَفِّ الذين ضَحِكُوا مِنْهم .. ومَا أقصرَ اليومَ الذي يَضحكُون فيه، وما أطولَ اليومَ الذي يَبكُون فيه [إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ] . [فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ]المطففين:29-34.

* * * * *

سورة الطارق

فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ

997- [فَمَا لَهُ]؛ للطُّغاةِ الظالمين؛ الذين تحوطُهُم قوّةُ الجندِ؛ يَستعلُون بهم على البِلادِ والعِبَاد، [مِن قُوَّةٍ]؛ لديهم تمنَعُ عنهم عذَابَ اللهِ يومَ القِيامَةِ [وَلَا نَاصِرٍ]الطارق:10. من غيرِهِم ينصرُهم، ويَدفعُ عنهم عذابَ الله!

* * * * *

سورة الغاشية

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ

998- [لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ]الغاشية:6. شَوكٌ غَليظٌ شَديدٌ يَعلقُ في حَلاقِيمِهم .. لَا يَستَطِيعُون ازدِرَادَه ولا إخْراجَه .. فكَما كانُوا يأكلُون في دُنيَاهم ألوانَ الأطعمَةِ الشَّهيَّةِ، ثم يَكْفرُونَها، ولا يَشكرُون اللهَ عليها، يُعَاقَبُون يومَ القِيامَةِ مِن جِنْسِ كُفْرِهم وذَنْبِهم، فيكونُ طعَامُهم [مِن ضَرِيعٍ].

* * * * *

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ

999- [فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ]الغاشية:21-22. لَسْتَ بقادِرٍ على هِدايَةِ النَّاسِ إلى الإيمانِ هدايَةَ تَوفِيقٍ .. وحمْلِهم عَليه .. فهذا ليسَ لكَ، وإنَّما هو للهِ تعالى وحدَه .. وهذا لا يمنَعُ من أن تُذَكِّر، وأن تَهدِي الناسَ إلى الإيمانِ هِداية دَلَالَةٍ .. وأن تَأمرَهم بالمعرُوفِ، وتَنهَاهُم عن المنكَرِ .. وتجاهِدُ مَن وجبَ عليكَ جِهادُه .. وهَذا خِطابٌ موجَّهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولأمَّتِه مِن بَعدِه.

* * * * *

سورة الفجر

والفجر. وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ

1000- [والفجر. وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ]الفجر:1-3. أي عشر ذي الحجة. والقَسَمُ هنا للتشْرِيفِ وبيَانِ الفَضْلِ. [وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ]؛ قال صلى الله عليه وسلم:" العشرُ عشرُ الأضحَى، والوترُ يَومُ عَرَفة، والشَّفعُ يومُ النَّحْرِ ". وكذا فسَّرَ الشفعَ والوترَ ابنُ عباس، وعكرمةَ والضَّحاكُ. قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:" مَا مِن أيَّامِ العمَلُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى اللهِ من هذهِ الأيامِ؛ يعني أيَّامَ العَشْرِ. قالوا: يا رسولَ الله ولا الجهاد في سبيلِ الله؟ قال:" ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ، إلَّا رجلٌ خرجَ بنفْسِه ومالِه، ثم لم يَرجعْ مِن ذلك بشيءٍ "البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم:" إنّ أَعْظَمَ الْأيّامِ عِنْدَ الله يَوْمُ النّحْرِ ثُمّ يَوْمُ الْقَرّ "، ويومُ القَرِّ هو اليومُ الحادِي عشَر؛ لإقرارِهم في مِنى. وقال صلى الله عليه وسلم:" أفضلُ أيامِ الدُّنيا أيَّامُ العَشْرِ "، قالوا يا رسولَ الله: ولا مِثلهنَّ في سبيلِ اللهِ؟ قال: ولَا مثلهنَّ في سبيلِ الله إلا مَن عَفَّرَ وجْهَهُ في الترابِ ". وفي رواية:" ولا ليالي أفضلُ مِن لياليهنَّ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" صيامُ يومِ عَرَفة؛ أحتَسِبُ على اللهِ أن يكفرَّ السنَةَ التي قبلَه والتي بَعدَه "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" مَا مِن يومٍ أكثرَ مِن أن يُعْتِقَ اللهُ فيه عبيداً من النَّارِ مِن يومِ عَرَفَةَ "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" مَا مِن أيامٍ أعظمُ عِندَ اللهِ ولا أحبُّ إليهِ العمَلُ فِيهنَّ مِن هذه الأيامِ العشْرِ فأكثرُوا فِيهنَّ مِن التَّهْلِيلِ والتَّكبِيرِ والتَّحمِيدِ ". والحديثُ يَشملُ مُطلقَ العمَلِ الصَّالحِ، إلَّا أنه خصَّ مِنها الذِّكْرَ " التهليل والتَّكبير والتَّحميد ".

* * * * *

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ

1001- [هَلْ فِي ذَلِكَ]؛ فِيما تَقَدَّمَ ذِكْرُه، [قَسَمٌ]؛ رَادِعٌ ومُقْنِعٌ، [لِّذِي حِجْرٍ]الفجر:5. لِذِي عَقْلٍ، وسُمِّي العَقْلُ حِجْراً؛ لأنَّه يَحْجرُ صَاحِبَهُ عنِ الهوَى، والزَّلَلِ، وكُلِّ مَا هو مُشِينٍ .. فالخَطَأُ لَا يَقَعُ إلا لجَهْلٍ بالنَّقْلِ، أو لِغَفْلَةٍ وضَعْفٍ في العَقْلِ!

1002- [لِّذِي حِجْرٍ]الفجر:5. لِذِي عَقْلٍ يَعْقِلُه، ويَحْجُرُه عنِ الباطِلِ، ومَا يُعِيب، ويُشِين.

* * * * *

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ

1003- [فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ]؛ فأكْثرُوا في البلادِ الجرائمَ، والقَتْلَ، والظُّلمَ، والفسُوقَ، والفجورَ، والشُّذُوذَ .. فكانت العاقِبةُ المتوقَّعةُ والحتْميَّةُ؛ [فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ]الفجر:12-13. نوعاً من العذابِ ـ يُقَدِّرُه اللهُ ويَشاؤه ـ يَأخُذهم ويُعاقبهم به؛ كالريحِ، والمطَرِ، والجَدْبِ، والزَّلازِلِ، والطوفَانِ، والبرَاكِين، والخَسْفِ، وتَسليطِ الأدْوَاءِ والأَوبِئةِ، وغيرها .. ولَا يَعلمُ جُنودَ ربِّكَ إلَّا هو .. وقوله [سَوْطَ]؛ هو السَّوطُ الذي يُجلَدُ به، لكِن سَوْط اللهِ غَير سَوْطِ عَبدِ اللهِ .. وقولُه [فَصَبَّ]؛ فيه دلالةٌ على سرعةِ نزولِ العذابِ، وقوَّتِه، وشِدَّة أثَرِه .. فاللهُ إذَا أخَذَ فأَخْذُه أليمٌ شَدِيدٌ .. وهذه قاعِدَةٌ مُطَّردَة لا تتخَلَّفُ، تَعمُّ كلَّ زمانٍ ومكانٍ؛ الإفسَادُ في الأرضِ دائماً يعقبه العقاب .. وتأخيرُ العِقَابِ ـ لحكمةٍ يُرِيدُها اللهُ تعالى ـ لا يَعني عَدَمَ نزولِه، ولو بَعدَ حِين.

* * * * *

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ

1004- [إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ]الفجر:14. يَرصُدُ أعمالَ عِبادِه، ويَرقُبُها .. لا يَفوتُه مِنها شَيءٌ .. ولا يخْفَى عليه مِنها شَيء .. مَهمَا كانَ دَقِيقاً أو خَفِيًّا .. أعمالُ الصَّالحين والطَّالحين سَواء .. فيُجَازِي الطَّالحَ الظالمَ على ظُلمِه، بما يَستَحِق .. ويُجَازِي الصَّالحَ على صَلاحِه، وإحْسَانِه الأجْرَ الجزِيل.

* * * * *

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا

1005- [وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا]الفجر:19. تَأكلُون الميراثَ أكْلاً شَديداً، فتلمُّونَه لَمًّا، وتَسفُّونَه سَفًّا، لَا تُبقونَ منه شَيئاً لغيرِكم ممَّن لهم حقٌّ في الميراثِ .. فتأكلُون حصَّتَكم، وحصَّةَ غَيرِكم مِن الضعفاءِ ممَّن لا يَستطيعُون أن يُطالبوا بحقِّهم مِن الميراثِ .. ولا تُبالون مَا هو حَلال لكُم، ومَا هو حرامٌ عليكُم .. فتأكلُون الحَلالَ والحرَامَ .. والآيةُ فيها إغْراءٌ وترغيبٌ على الإنفاقِ في أوجهِ الخيرِ ابتغاءَ مرضَاتِ الله .. وعدَمِ كنزِ المالِ إن كان المورِّثُ يعلمُ أن ورثتَه مِن السُّفهاءِ الذين يَهدرُون المالَ في سُبُلِ الباطِلِ .. ولَا يَشكرُونَه .. وممَّن يَظلمُون، ويأكلُون التراثَ أكلاً لمًّا!

* * * * *

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا

1006- [وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا]الفجر:20. المالُ بالنسبةِ لهم غايةٌ دُونها الغَايات .. يُوالُون فيهِ، ويُعادُون فيه .. يميلُون معَه حيثمَا مالَ .. ويتواجَدُون حيثمَا وُجِد .. ويَغيبُون حيثُمَا يَغيبُ .. يَشُحُّون به على ذَوَي الحقُوقِ عليهم، مِن الرَّحِم، والفُقَراءِ، والمساكِين .. لَا يُبالُون أكانَ مِن حَلالٍ، أمْ مِن حَرامٍ .. وهؤلاء يُقالُ لهم:" تَعِسَ عبدُ الدِّرْهَمِ، تعِسَ عبدُ الدينارِ ".

* * * * *

وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ

1007- [وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ]؛ تُقادُ بسبعين ألف زِمامٍ، كما جاء ذلك في الحَدِيث، [يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ]؛ الكافرُ ما كان منهُ في الدُّنْيا مِن تَفْريطٍ، وما هو قادِمٌ عليه من وعيدٍ دائمٍ لا يَنقَطع، فتَعْلُوهُ الحسْرَةُ والنَّدامَةُ، [وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى]الفجر:23. وأنَّى يَنفعهُ التَّذَكُّر، إذْ لا سَبيلَ له للرجُوعِ إلى الدُّنيا، واستئنَافِ العَمَل من جديد!

1008- [يَقُولُ]؛ الكَافِرُ، وكُلُّ مَن غلَبَ عليه التَّقْصِير [يَا لَيْتَنِي] ؛ تُفيدُ الحسْرَةَ والنَّدَامَةَ على التَّفْرِيطِ، ومَا قَد فَاتَ، ولاتَ حِينَ مَنْدَمٍ [قَدَّمْتُ] في حيَاتي الدُّنْيا القَصِيرَةِ الفَانيَةِ؛ فآمَنْتُ، وأطَعْتُ اللهَ ورسُولَه [لِحَيَاتِي]الفجر:24. الآخِرَةِ الدَّائمَةِ التي لا تَفْنَى ولا تَبِيدُ، ولا يَنْقَطِعُ نعيمُهَا أَبَدًا!

* * * * *

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ

1009- [يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ]الفجر:27. هذه النفسُ؛ هي ثمرةُ ونتاجُ الصِّراعِ بينَ النفسِ اللَّوامَةِ، والنَّفْسِ الأَمَّارَةِ بالسُّوءِ .. فإذا غلبَت النفسُ اللوامَةُ النفسَ الأَمَّارة بالسوءِ .. وخنَسَت وضَعُفَت النفسُ الأَمَّارَة .. انتقلَت النفسُ إلى أرقَى مرَاتِبها ومقامَاتِها؛ إلى مرحلةِ النفْسِ المطمئنَّةِ الهنِيَّةِ السَّعيدَةِ .. إلى مرحَلةِ الاستقرَارِ، والثبَاتِ، والاطمئنانِ بالإيمانِ، وبطاعَةِ اللهِ، وبذِكْرِه، ومنَاجَاتِه، والقُرْبِ منه، والأُنْسِ به .. فلا يُعَكِّر صَفْوَها مُعَكِّرٌ .. ولا يُكَدِّرُها مُكَدِّرٌ .. ولا تضرُّها فتنةٌ أَبَدَاً .. وأنَّى، والنفسُ الأَمَّارةُ بالسُّوءِ قد خنَسَت ـ وخنَسَ معهَا الشيطانُ الخنَّاس ـ إلى حيثُ لا رَجْعَةَ!

* * * * *

سورة البلد

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ

1010- [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ]البلد:4. في مَشقَّةٍ، وتَعَبٍ، وشِدّة، وهو من البلاء الذي قدَّره اللهُ للإنسان في هذه الحياة .. وكل إنسان ـ كان غنيّاً أم فقيراً، حاكماً أم محكوماً، سيّداً أم مَسُوداً ـ له حظُّه المقسوم من هذا الكَبَد، رضي من رضي، وسَخِطَ مَن سَخِط!

* * * * *

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ

1011- [وَهَدَيْنَاهُ]؛ هَدَينا الإنسانَ هِدايةَ بيَانٍ وليسَ هِدايةَ تَوفيقٍ وإلزَامٍ؛ لِتَبقى فرصَةٌ للاختِيارِ، الذي عليه مَناطُ التَّكليفِ، والمحاسَبةِ، والمساءلَةِ، [النَّجْدَيْنِ]البلد:10. طريقَ الخيرِ، وطريقَ الشَّرِّ، طريقَ الحقِّ، وطريقَ الباطِلِ؛ فكلُّ خيرٍ يُقَرِّبُ الإنسَانَ إلى اللهِ تعالى، وإلى جنَّتِهِ، قد بيَّنَه اللهُ تعالى في كِتَابِه، وفي سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، وأَمَرَ به، وكُلُّ شَرٍّ يُبَعِّدُ عن اللهِ تعالى، وعن جَنَّتِه، ويُقَرِّبُ إلى نارِ جهنَّم فقد بيَّنَه اللهُ تعالى في كِتَابِه، وفي سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، ونَهى عنه .. فلَمْ يحوجْ عِبادَه إلى أن يَلتَمِسُوا الخيرَ أو الشَّرَّ، الحَقَّ أو الباطِلَ من غيرِ مَنهجِه ودِينِه .. وعليه فأيُّما خَيرٍ ليس في دينِ اللهِ، فهو ليسَ بخيرٍ، وأيُّما شَرٍّ ليس في دينِ اللهِ، فهو ليسَ بشرٍّ .. وتَوَاطُؤ أكثر النَّاسِ على خِلافِ ذَلك، لا يُحيلُ الخيرَ شَرّاً، ولا الشرَّ خَيراً.

* * * * *

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ

1012- [فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ]البلد:11. وحتى ينجحَ في اقتحام العقبة التي في النّار، لا بدّ من أن ينجَحَ في اقتحامِ العقبةِ التي في النَّفس؛ عَقبةُ التردّدِ، والشّحّ، والخوفِ من الإنفاقِ خشيةَ الفَقْرِ، والتّسويفِ .. فإن تجاوزَها، تجاوزَ تلك العقبة التي في النّار.

* * * * *

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ

1013- [أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ]البلد:14. كلما اشتدَّت الحاجَةُ للطعَامِ .. واشتدَّت المجاعَةُ .. كان الإطعامُ أفضَل، وأجرُه أعظم وأكثر .. فَلا يَستوي مَن يُنفقُ في العُسْرِ، وفي مجَاعَةٍ .. ويَتقاسَمُ معَ الجائعينَ رغيفَ خُبزه .. ومَن يُنفقُ في اليُسْرِ، والناسُ في غِنَى واكتفَاءٍ .. لا يَستويان مَثَلاً، ولا أجْرَاً!

* * * * *

سورة الشمس

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا

1014- [قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا]؛ قَد فَازَ مَن زَكَّى نفْسَهُ، ونَمَّاهَا بالعِلمِ النَّافِعِ، وطَهَّرَهَا مِن الخَطَايَا والذُّنُوبِ، وحمَلَها على طاعَةِ اللهِ، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، [وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا]الشمس:9-10. وقَد خَسِرَ مَن غمَسَ وأَقحَمَ نَفْسَه في الجَّهلِ .. وفي الآثامِ والمعاصِي!

* * * * *

سورة الليل

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى

1015- [فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى]الليل:10. مِن عَلاماتِ الرِّضَا والتَّوفِيقِ أن تجدَ فعلَ الخيرِ مُيَسَّراً ومحبَّباً لك، ونَفْسَك تَتُوقُ لِفِعْلِه، ومن عَلاماتِ السخْطِ وانتفاءِ التَّوفيقِ أن تجدَ فِعلَ الشرِّ مُيَسَّراً لك، ونَفْسَكَ مَشدودةً ونَشِيطةً لِفِعْله، وفِعْلَ الخيرِ مُعَسَّراً عليكَ، ونَفْسَكَ نافِرةً مِنه!

* * * * *

سورة الضحى

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى

1016- [وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى]الضحى:5. فيُرْضِيه اللهُ تعالى، فيأَذَن لَهُ أنْ يَشْفَعَ لِكُلِّ مَنْ مَاتَ مِن أمَّتِهِ على التَّوحِيدِ، لا يُشرِكُ باللهِ شَيئاً .. صلى الله عليه وسلم.

1017- [وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى]الضحى:5. هذا الخِطَابُ وإن كانَ المعْنِي مِنه النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم .. إلا أنَّه يَشملُ جميعَ المؤمنين الموحِّدين، فإنَّه تعالى يُعطِيهم يومَ القِيامةِ عَطاءً فيُرضِيهم جميعاً .. فلا تجدُ مِنهم مُتَسَخِّطاً .. فلتَقَرّ عَينُ أمَّةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .. ولا يَظُنُّونَ بكثِيرِ الخَيرِ إلَّا خيراً.

* * * * *

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ

1018- [فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ]الضحى:9. اليَتِيمُ يَتِيمُ الأبِ، تَبْقَى صِفَةُ اليُتْمِ مُلازِمَةً له إلى سنِّ البُلُوغِ .. وهو مُسْتَضْعَفٌ مَكسُورُ الظَّهرِ والخاطِرِ من جهةِ فقْدِه لأبِيهِ، سَنَدُه في هذه الحياةِ الدُّنْيَا .. فَلا يجوزُ أنْ يُضَافَ إلى ضَعْفِهِ وكَسْرِ خَاطِرِه وظَهْرِه قَهْرُ

مَن يتعَامَل معَه، ويتولَّى أمرَه .. أيَّاً كان دينُ اليتيمِ، وكان انتماؤه ومَنشَأُه .. فلا يُقْهَر مِن جِهَةِ التَّنَمُّر والاعتدَاءِ النَّفْسِي عليه .. أوْ مِن جهةِ الاعتداءِ الجسَدِي عليه .. أو مِن جهةِ حَقِّه في التربيةِ والتَّعليم، والعَيْشِ الكَرِيم .. أو مِن جهَةِ الاعتداءِ على مالِه؛ سواءٌ كان هذا المالُ مَتروكاً له من جِهةِ الإرثِ .. أو كانَ مخصَّصاً ومقطُوعَاً له من جِهةِ المتبرِّعِين المتطوِّعِين .. الاقترابُ مِن مالِه بالحرَامِ مِن أكبرِ الخَطَايَا والذُّنُوب التي يحَاسَب عليها المرءُ يوم القِيامَةِ .. فلا يجوزُ أن يُقهَر ويُهضَمَ حَقُّه في أيِّ جهةٍ من الجهَاتِ والجوانِبِ الآنفةِ الذِّكرِ أعْلَاه.

* * * * *

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ

1019- [وَأَمَّا السَّائِلَ]؛ الذي يَسألُ لدفعِ كَربٍ، أو هَمٍّ، أو جُوعٍ، أو حاجَةٍ، أو لقضاءِ مَنفَعةٍ، وقد تكونُ ماديَّةً، وقد تكونُ معنويَّةً، ولها علاقةٌ بالجوانبِ الفقهيَّةِ، والنفسيَّةِ، والاجتماعيَّةِ .. فالمرادُ من السائلِ في الآيةِ الكريمةِ، أعَمُّ بكثيرٍ من أن تُحصَر في السائلِ الذي يمدُّ يدَه، أو يقرَعُ الأبوابَ؛ يَسألُ لقيمات يَردُّ بها جوعَه، [فَلَا تَنْهَرْ]الضحى:10. فَلَا تَزْجُر .. إمَّا أن تجيبَهُ إلى سؤالِه بتواضعٍ، من غَير مَنٍّ ولا أذَى .. وإمَّا أن تردَّه، وتعتذِرَ له بلُطفٍ، ورفقٍ .. وليسَ وراءَ ذلك خيارٌ آخَر!

* * * * *

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

1020- [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ]الضحى:11. لا تُخْفِ نِعَمَ اللهِ عليك .. فتَظْهَر وكَأَنَّكَ تَشْكُو اللهَ إلى عِبَادِه .. وإنَّما أظْهِرْ نِعَمَ اللهِ عليك التي تُظْهِر عَظِيْمَ فَضْلِ اللهِ عليك .. والتي تَسْتَوْجِب مِنك، ومِن غَيرِك، شُكْرَ اللهِ.

1021- [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ]الضحى:11. إذَا نزَلَ بِكَ بَلاءٌ .. لَا تَتَسَخَّطْ .. ولَا تَشْكُ اللهَ إلى عِبادِهِ .. ولا تَنْسَ نِعَمَ اللهِ عليك التي لَا تُحْصَى .. فإن سلَبَك نعمةً ـ لحِكْمَةِ التَّمْحِيصِ والبَلاءِ ـ فتَذَكَّر، واذْكُرْ أنَّ اللهَ تعالى قَد أبْقَى لَكَ مِن النعَمِ الكَثِيرَ، الكثِير .. عسَى أن يحملَكَ ذلك على الصَّبْرِ، والشُّكْرِ، والرِّضَا .. وإن كنتَ شَاكِياً فاشْكُو أمْرَكَ إلى اللهِ .. ارفَعْ قضيَّتَك إلى اللهِ .. فاللهُ يَسمَعُ ويَرَى .. ويحبُّ مِنكَ أن ترفَعَ شَكْواكَ إليه .. كما أنَّه تعَالى يَغَارُ عليك إذا انصرَفْت عنه إلى غيرِه .. أو شكوتَه إلى غَيرِه .. فلَا أحَدَ أغْيَرُ مِن اللهِ!

* * * * *

سورة الشرح

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ

1022- [وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ]الشرح:4. فالذي يَرفَعُ، ويَخفضُ هو اللهُ تعالى وحدَه .. فكم مِن طَالبٍ للشهرةِ والرِّفْعةِ، والذِّكْرِ بين النّاسِ .. يُنفِقُ في سبيلِ ذلك الغَالي والنَّفيسَ .. يَضَعه اللهُ .. ويُطفِئ ذِكْرَه، واسمَه .. وكم مِن خامِلِ الذِّكْرِ، غير معرُوفٍ ولا مَشْهُورٍ، لا يأبَه إن ذُكِرَ، أو لم يُذْكَر .. يَرفَعُه اللهُ، ويُعْلِي ذِكْرَهُ، وقَدْرَه، ويُشْهِرُ اسمَه .. لا يجوزُ لك ابتدَاءً أن تَطلُبَ وتَستَشرفَ الذِّكْرَ، ومواردَ ودرُوبَ الشّهرَةِ، وصَرْفَ وجُوهِ النَّاسِ إليك .. فهذا مَدعاةٌ للرياءِ، ومِمَّا يُضعِفُ الإخلاصَ .. واللهُ تعالى أحياناً قَد يَبتلي عبدَه المؤمن بخمولِ الذِّكْرِ .. ويَصرفُ عنه مَظَانَّ الشهرَةِ .. فإن نجحَ في الاختبارِ .. رفَعَ ذِكْرَهُ، وأعْلَى قَدْرَهُ، ووضعَ له القبولَ في السماءِ والأرضِ.

* * * * *

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً

1023- [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً]الشرح:6. مَا مِن عُسْرٍ إلَّا ويُطَارِدُه يُسْرَان؛ حتَّى لو دَخَلَ جُحْراً، دَخَلَا خَلْفَه .. وأنَّى لعُسْرٍ أن يغلِبَ يُسْرَيْن أو أن يَفْلتَ مِن يُسْرَين .. قالَ ابنُ مسعود رضي الله عنه:" لو كانَ العُسْرُ في جُحرٍ لدَخَلَ عليه اليُسْرُ حتَّى يُخْرِجَه ".

* * * * *

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ

1024- [فَإِذَا فَرَغْتَ]؛ مِن عملِك، وواجِباتِك اليومِيَّة، [فَانصَبْ]الشرح:7. فاجتَهِدْ في العِبادَةِ .. فَلا أضَرَّ على الإنسانِ مِن أن يجتمعَ عليه فَراغٌ، ونُمولٌ، وكَسَلٌ .. وفي الحَدِيث:" لا تَزُولُ قَدَمَا ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ مِن عندِ ربِّه، حتى يُسْأَلَ عن خَمْسٍ: عن عُمُرِه فِيمَ أَفْنَاه ..."؟!

* * * * *

سورة العلق

اقْرَأْ

1025- [اقْرَأْ]العلق:1. أوَّلُ أمرٍ نَزلَ .. وأولُ كلمةٍ نزلَت مِن السماءِ على قلبِ سيِّدِ الخلقِ صلواتُ الله وسلامه عليه .. وعلى أمَّتِه من بَعدِه .. كلمة [اقْرَأْ]؛ لبيَانِ أهميَّةِ القِراءةِ في طَلبِ العُلومِ والمعارِفِ .. وبناءِ الأمَمِ، والشعُوبِ، ومجتمعاتِهم .. وبناءِ النَّفْسِ بناءً سَوِيَّاً .. الجسَدُ غِذاؤهُ الطَّعامُ والشَّرابُ .. والروحُ والعقلُ غذاؤهما القِراءة، وعن طريقِ القِراءةِ .. وكما أن الجسدَ لا يقْوَى على الاستمرارِ في الحياةِ من غيرِ طعامٍ ولا

شَرابٍ .. كذلك الروحُ والعقلُ لا يمكنُ أن يُكتبَ لهما الاستمرارُ، ولا أداء وظيفتهما في هذه الحياةِ بطريقةٍ صحيحةٍ مِن غيرِ القِراءةِ .. فإنْ لم تكُنْ قارِئاً، اجتهد أن تتدربَ وتكتَسبَ مهارَةَ القِراءَةِ .. وأن تحبَّ القِراءةَ .. فإن لم تَقْدِرْ، فليُقرأْ عليك .. وخَيرُ ما تَقْرأ، ويُقرأ عليك كَلامُ الله.

* * * * *

أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى

1026- [أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى]العلق:14. لِكُلِّ مَن تَحْمِلُهُ نفسه على الظُّلمِ، والبَغْي على الظلم، والفُسُوقِ، والعصيَانِ .. أَلَمْ تَعْلَم بأنَّ اللهَ تعالى يَرَاك .. لا يَخفَى عليه شيءٌ مِن حالِك .. وأنَّهُ قادِرٌ عليك .. فإن كنْتَ لا تَعْلم، فاعْلَمْ .. وإن كُنتَ تَعْلَمُ كيفَ تَتجرَّأ على الظُّلمِ، والبَغْي، والعصْيَانِ، وأنتَ تَعْلمُ أنَّ اللهَ يَرَاك؟!

* * * * *

سورة القدر

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ

1027- [لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ]القدر:3. ليسَ فيها ليلَةُ القَدْرِ .. والعَمَلُ الصَّالحُ فِيها لا يُساوي العمَلَ الصَّالحَ في ألفِ شَهرٍ، وحَسْب، كما يُصوّرُ البعضُ .. بل هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ .. بكم هي خيرٌ من ألفِ شَهرٍ .. بمائة شهرٍ زيادَة أم بمائتَي شهرٍ أم أكثر ..؟! غيرُ مَعلُوم لنا .. لا يُوجدُ رقمٌ محدَّدٌ تَقِفُ عنده الخيريَّةُ .. قد يكونُ في علمِ اللهِ تعالى، أنَّها خيرٌ مِن ذلك بكثيرٍ، واللهُ تعالى أعلم.

* * * * *

سورة البينة

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء

1028- [وَمَا أُمِرُوا]؛ لم يُؤمَرُوا بِشَيءٍ [إِلَّا]؛ أدَاةُ استِثْنَاءٍ جاءت بعدَ نَفْي؛ تُفيدُ الحصْرَ والقَصْرَ، [لِيَعْبُدُوا اللهَ]؛ عِبادَةً جامِعةً لجميع ما يُحبهُ اللهُ تعالى من الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهِرةِ والباطِنةِ، والشَّامِلةِ لجميع المساحَةِ الزَّمانيَّةِ والمكانيَّةِ التي يَعِيشُها الإنْسانُ، [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]؛ مُخلصين للهِ العِبادةِ والتَّوجُّهِ، لا يُشركُون به شَيئاً، [حُنَفَاء]؛ مُسلمين موحدين بُرآءَ من الشِّرْكِ؛ على مِلَّةِ التَّوحيدِ؛ مِلةِ إبراهيم، ومحمد، وموسى، وعيسى، وجَميع الأنبياءِ والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، [وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ]؛ خُصَّتَا من العِبادَة العَامّةِ الجامِعةِ بالذِّكْرِ؛ لبيانِ أهميَّةِ هذين الركنَينِ العظِيمَيْن في دينِ اللهِ، [وَذَلِكَ]؛ وهذا هو، وليس غيره، [دِينُ الْقَيِّمَةِ]البينة:5. الدينُ الحقُّ المستقيمُ، الذي يجبُ اتّباعُه.

* * * * *

سورة الزلزلة

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ

1029- [فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]الزلزلة:7-8. دِقَّةٌ عَالِيَةٌ في الرَّقَابَةِ، والإحصَاءِ، والمحَاسَبَةِ .. والعَدْلِ في المُحَاسَبَةِ .. لا يَفُوتُها، ولا يَخفَى عليهَا شَيءٌ .. مهْمَا كثرَ عَدَد النَّاسِ، وتعَدَّدَت أمصَارُهُم، وتنوَّعَت أجنَاسُهم ولغاتُهم .. لَا يخْفَى على اللهِ شَيءٌ مِن أعمَالِهم الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ .. حتَّى الذَّرَّة مِن أعمالِهم ـ أو أصْغَر مِن ذلك ـ فاللهُ يَعلَمُه، ويُحصيه، ويُحَاسِبُ عليه؛ إن كانَ خَيراً فخَير وإن كانَ شراً فَشَرٌّ .. وقولُه تعالى:[فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ]؛ فيه تَرغِيبٌ وإغْرَاءٌ لفعلِ الخَيرِ، وبَذلِ المعرُوفِ مهْمَا كانَ قَليلاً، أو صَغِيراً .. إذْ لَا يَنبغِي للمرءِ أن يبخَس

معروفَه، فيَسْتَقِلَّهُ، ويمتنعُ عن بذْلِه؛ فربَّ معروفٍ لَا يَزِنُ ذَرَّةً يُوافقُ القَبولَ والرِّضَا في السَّماءِ؛ فينفَعُ اللهُ به بما يَزِنُ جِبَالاً من الخير .. وقوله تعالى:[وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]؛ فيه تحذيرٌ وتَرهيبٌ مِن اقتحَامِ الذُّنُوبِ مَهمَا كانت صَغيرَةً .. فالاستهانَةُ والاستخفَافُ بصغَائِرِ الذُّنُوبِ .. والاسترْسَالِ بِها .. معَ أمْنِ العُقُوبَةِ عليها .. قَد تَرقَى بمجموعِها إلى أن تُصبحَ مِن كبَائِرِ الذُّنُوبِ .. فالعَاقِلُ لا يَنظرُ إلى صِغَرِ الذَّنْبِ .. وإنما يَنظرُ إلى مَن عَصَى بمواقَعَتِه في صغَائِرِ الذُّنُوبِ .. ولا يَأمَنُ العقوبَةَ إلا مُتَأَلٍّ على اللهِ، مَغْرُور!

1030- مِيزَانُ السَّمَاءِ تَبِيْنُ فِيهِ الذَّرَّةُ - ومَا دُونَ ذلك! - مِن الخَيرِ أو الشَّرِّ، [فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]الزلزلة:7-8.

* * * * *

سورة العاديات

إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ

1031-[إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ]العاديات:6. بَجُحُودٍ، يَذكرُ المصائِبَ على قِلّتِها، ويَنْسى النِّعَمَ على كِثْرَتِها!

* * * * *

سورة القارعة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ

1032- تأمّلُوا، من أجلِ تَفادِي الفيروس كُورُونا - وهو هو من حيث الضَّآلة والشَّأن - يفرُّ المرءُ من أخِيه، وأُمّه وأبِيه، وصاحِبَتِه وبَنِيه .. والجميعُ يقولُ للجميع: لا

لِقَاءَ، ولا مِساس .. فما يكونُ الحالُ والموقفُ يومَ الحشْرِ .. يومَ تجيء القارِعَةُ،[وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ]القارعة:3-4. ينتشرون في أرضِ المحشَرِ انتِشَارَ الجَرَادِ، لكلِّ امرئٍ شَأْنٌ يُغنِيه، ويُشْغِلُه، ويهمُّه ...؟!

* * * * *

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ

1033- [فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ]؛ فرجحَت حسنَاتُه على سيئاتِه، [فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ]؛ مَرْضِيَّةٍ هَنِيئةٍ في الجنَّةِ؛ التي فيها مِن النَّعيمِ المقيمِ مَا لَا عَينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سمعَتْ، ولَا خطَرَ على قلْبِ بَشَرٍ، [وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ]؛ فرجحَت سيئاتُه على حسَناتِه، [فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ]القارعة:6-9. يَهْوِي على رَأْسِه في نارِ جهنَّمَ؛ ومَا أدراكَ ما نَار جهنَّمَ؛ فيها مِن العذابِ المُقيمِ الأليمِ مَا لا عينٌ رَأت، ولا أُذُنٌ سمعَت، ولَا خطرَ على قلبِ بَشرٍ .. وسُميَت جهنَّمُ بأُمِّه؛ لأنه يأْوِي ويَرجعُ إليها، فلَا أُمّ ولا حاضِن، ولا مَأوَى له يومئذٍ إلا جهنَّمُ!

* * * * *

سورة التكاثر

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ

1034- [أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ]التكاثر:1. شَغَلَكُم التَّكَاثُرُ مِن متَاعِ الدُّنيا وزِينَتِها عمَّا يَنتظرُكُم يومَ القِيامةِ مِن وَعْدٍ ووعِيدٍ .. وعمَّا يجبُ أن تَعدُّوه مِن الطَّاعاتِ لليومِ الآخِرِ، يومَ تَشْتَدُّ فيهِ الحَسَراتِ على سَاعاتِ التَّفْريطِ، والتَّقْصِيرِ .. والتَّكاثُرُ مِن متَاعِ الدُّنيا وزِينَتِها لا يكونُ إلا وكانَ معه أمرَان: أولهما الانتِقَاصُ مِن الطَّاعَاتِ والعَمَلِ للآخِرَةِ .. ثانِيهمَا،

الانتِقَاصُ مِن حُريَّةِ المُكْثِر، على قَدْرِ مَا جمَعَ وأكثَرَ مِن متَاعِ الدُّنيا وزِينتِها، وفي الحديث:" فإنَّ مَا قَلَّ وكَفَى خيرٌ ممَّا كَثُرَ وألْهَى ".

* * * * *

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

1035- [ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ]التكاثر:8. عن النَّبيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِن عِندِ رَبِّهِ ...؟!

1036- [ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ]التكاثر:8. هَلْ شُكِرَ، أَمْ كُفِرَ .. فأمَّا مَن شَكَرَ النَّعِيمَ؛ فأحْسَنَ الشُّكرَ، فلا خَوفَ ولَا مَأخَذَ عليه .. وإنما المأخَذُ، كُلّ المأخَذِ على مَن كَفَرَ النَّعيمَ، ولمْ يَشْكُرْهُ!

* * * * *

سورة العصر

وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

1037- [وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ] ؛ الكِتَابُ والسُّنَّة، [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]العصر:3. على الكِتَابِ والسُّنَّةِ.

* * * * *

سورة الماعون

فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ

1038- [فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ]الماعون:4. هذا الوَعِيدُ الشَّدِيدُ لم يَنزِل في تَارِكِي الصَّلاةِ ـ فتارِكُو الصَّلاةِ شَأنُهم أعْظَمُ، ووعِيدُهم أغْلَظُ ـ وإنَّما نَزلَ في الذين يَنشغِلُونَ بمشَاغِلِ الدُّنيا ومتَاعِها ولَهوِهَا عن الصَّلاةِ؛ فيُصلُّونَها في غَيرِ وَقْتِهَا المُحَدَّد!

* * * * *

الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ

1039- [الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ]الماعون:6. الذين يُريدُون من أعمالِهم الظُّهورَ، والسُّمعَةَ، والشّهرَةَ، والثناءَ، وصَرْفَ وجُوهِ النَّاسِ إليهم .. والرِّياءُ شِركٌ خَفِي؛ وهو شِركٌ أصْغَرُ، يُفسدُ ويُبطلُ العملَ الذي حصَلَ فيه الرياءُ، وهو أشَدُّ ذَنباً وأثَراً مِن كَثيرٍ من المعَاصِي الظَّاهِرةِ التي هي دونَ الكُفْرِ .. ولا يجوزُ أن يُقالَ لعامِلٍ أنَّهُ مُراءٍ في عمَلِه؛ لأنَّ الرِّياءَ أمرٌ باطنيٌّ اعتقادِيٌّ، غَيبيٌّ، لا يَعلمُه إلَّا الله .. ما لم يأتِ بقرَائنَ لفْظيَّةٍ وعمليَّةٍ تدلُّ على الرِّياءِ .. كذلك الإخلاصُ؛ الله تعالى أعلمُ بالمخلص مِن عبادِه .. كما في الحديث:" اللَّهُ أَعْلَمُ بمَن يُكْلَمُ في سَبيلِهِ "البخاري.

وكان عبدُ اللهِ بنُ المبارك، يقول:" مَن دَخَلَ النَّارَ بالمعاصِي الظَّاهِرَةِ أخَفُّ ممَّن دَخَلَها بالرِّياءِ والسُّمْعَةِ ".

* * * * *

وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ

1040- [وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ]الماعون:7. مِنَ الذين يَمنَعُونَ الماعُون؛ الذين يَأخُذُون الماعُونَ ثُمَّ لا يَردُّونَه؛ فيكونُون بذلِك سَبَباً في مَنْعِ الماعُون!

* * * * *

سورة الكوثر

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

1041- [إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ]الكوثر:3. فكلُّ من أبغَضَ سنّةَ النبيّ صلى الله عليه وسلم، أو استخَفَّ بها، وبمرجعيتِها، وحاكميَّتِها، له حَظٌّ من هذا البَترِ، والانقطاع في الأثَرِ، والذِّكر الحسَن في الدُّنيا والآخِرة، على قَدْرِ بُغضه واستخفافِه.

مفهوم المخالفة يقضي كذلك، أنّ كل من أحبّ سنَّةَ النبي صلى الله عليه وسلم، وعظّمَها، وانقادَ لها، ولحكمِها، له حظٌّ من القبولِ، والثناءِ الحسَن في الأرضِ وفي السّماء، على قدْرِ حُبّهِ، وتعظيمِه، وانقياده .. ولقد تأملتُ حالَ كثيرين مِن المشهورِين، والمنتسبين للعلم وأهله، فما اقتربَ أحدُهم بسوءٍ من النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومن سنّته، إلا ووضع له البغض والنفور في نفوسِ الناس .. وعلى قَدْرِ إساءته!

* * * * *

سورة الفلق

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ

1042- [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ]الفلق:1. قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ العالمين، لأنَّ مَا مِن شَيء في الوجُودِ إلَّا جاءَ مِن فَلَقٍ .. فالإنسانُ كُلُّه مِن فَلَقٍ، ولولا الفَلَق لمَا عاشَ، ولمَا كان من الأحْيَاءِ، فالعَينُ، والأنْفُ، والفَمُ، والفَرْجُ، والسَّرْجُ كُلُّها فَلَق .. والعُرُوقُ في الجَسَدِ فَلَقٌ، ولو أُغْلِقَت لتَجَمَّدَ الدَّمُ في العُرُوقِ، ومَاتَ القَلْبُ وتَشَمَّع، وبموتِهِ يموتُ الإنْسانُ .. حَتَّى بِدايَة الكَونِ، والانفِجَار الأوَّل للكَونِ الذي أشارَ إليه القُرآن الكريم، وتحدَّث عنه العُلماء، وسموه بالانفِجَارِ العظيم " Big Bang "، كانَ رَتْقَاً مغلقاً متَمَاسِكَاً، فَفَلَقَه اللهُ .. وخَرَجَ مِن هَذا الانْفِجَارِ والفَلَقِ المجرَّات، والكواكِبُ، والنُّجُوم!

1043- [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ]الفلق:1. الذي فلَقَ الصُّبحَ من الليل .. وفلَقَ الحيَّ من الميتِ .. وفلَقَ الأرضَ فأخرج منها النبتَ والشجَر .. وفلَق من النبت الزهرَ .. ففلَق من الزهرِ الثَّمَر .. وفلق الصَّخرَ فأخرَج منه الماء والنَّهر .. وفَلَق الغمامَ فأنزَلَ منه المطَر .. وفلق المرأةَ، فأخرَجَ منها الإنسان .. وفلقَ الإنسان، ففلَق له عينين، وأذنين، وأنفاً، وفماً، وسرجاً، وفرجاً .. ومساماتٍ في الجلد .. ولكل فلَقٍ وظيفة رئيسية في هذه

الحياة، لا تكتمل إلا به .. ولو تأملنا كل شيء من حولنا لوجدناه فلَقاً، أو قد مرّ بمرحلة الفلَق، أو كان الفلقُ سبباً له .. إذ لولا الفلَق لما كان ولا كنا، ولما استمرت لنا ولا للوجودِ حياة .. ويوم النُّشور يفلُقُ اللهُ الأرضَ، فتشَقَّقُ فتُخرج ما في بطنها للحساب، فسبحان رب الفلَق، الذي خلَق الفلَق .. وبالتالي فإن الذي يتعوّذ برب الفلَق، فإنه يتعوَّذ بربِّ وخالق المخلوقات كلها، من شَرِّ ما خَلَقَ من هذه المخلوقات.

* * * * *

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ

1044- [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ]الفلق:2. عَامٌّ لكلِّ شرٍّ، المادّي منه والمعنَوي .. الشَّرُ الذي يطالُ الأجسَادَ، والشرُّ الذي يطالُ العقُولَ، والاعتقادَ، والفِكرَ .. وفيه أن اللهَ تعالى خالقُ الشَّرِّ، كما هو سبحانه خالقُ الخيرِ .. لغَاياتٍ وحِكَمٍ عِدَّة، منها، ليكتَمِلَ اختِبارُ ابن آدم في هذهِ الحياةِ الدُّنيا، فيُبتلَى تارةً بالخيرِ، وتارةً بالشرِّ .. ليَظْهَرَ عِلمُ الله فيه، هل سيشكُر، ويَصْبرُ، أم سيكْفُر، ويتَسَخَّطُ ويَعترِض، كما قال تعالى:[وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً]الأنبياء:35.

وفيه أنَّ المسْتَعَاذ القادِر على أن يُعيذَ مَن يَستعيذُ به، لا بدَّ أن يكونَ خَالِقاً ومالِكاً لما يُستعاذُ منه، وقادِراً عليه .. أمَّا مَن لا يخلقُ، ولا يملكُ، ولا يَقدرُ، لا يجوزُ أن يُستعاذَ به مِن شَرِّ شيءٍ، لأنَّ فاقدَ الشيءِ لا يُعطيه لنَفْسِه، فَضْلاً عن أن يُعطيَه لغيرِه .. ومِنه يُعلَمُ بُطلانُ الاستعاذَةِ والاستِعانَةِ بالأمواتِ .. وبشياطِين الإنسِ، والجنِّ!

* * * * *

القرآن الكريم

1045- القرآنُ الكريم؛ هو الكتابُ الوحيد الذي لو قرأتَه آلافَ المرّات، لما مَلَلْتَ من قراءتِه، ولَمَا اكتفيتَ، ولشَعَرْتَ أنَّك بحاجَةٍ إلى أن تقرأَهُ مِن جَدِيدٍ ..!

هو الكتابُ الوحيد الذي لا تَنْضَبُ خزائنُه ومعارِفُه، وفوائده؛ كلّما قرأتَه اكتشفتَ من العلومِ والفوائد ما لم تكتشِفْهُ مِن قَبل في قراآتك السَّابقة .. أفلا يدلُّ ذلك على أنّه كلامُ اللهِ، الخالق القَدير؟!

* * * * *

عَشْرَةُ مبادئ تُعين على تَدبّر القرآنِ الكريم

1046- عَشْرَةُ مبادئ تُعين على تَدبّر القرآنِ الكريم:

1- فهمُ الدَّلالاتِ اللغويّة للآياتِ والمفرداتِ القُرآنيّة.

2- التّغنّي بتلاوةِ القُرآنِ الكريم، وفق أحكام التَّجويد المعروفة، من غيرِ تكَلّفٍ.

3- كَثرةُ التّلاوةِ؛ فإنّ كثرةَ التّلاوةِ تَستحضرُ قلبَ صاحِبِها .. وكذلك الاستماع.

4- الوقوفُ عند التّلاوةِ على آياتِ الأسماءِ والصّفات، وما تقتضيهِ من تمجيدٍ، وتحميدٍ، وتَسبيحٍ، وتَعظيم.

5- الوقوفُ على آياتِ الوعِيد والعَذاب .. فيستعيذُ باللهِ من عذابِ جهنم، ويسأله تعالى العفوَ والعافيةَ، وأن يجيرَه منها .. فلا يمرُّ عليها من دون أن يَستشعرَ حالَ أهلِها ومصيرَهم المؤلم والمخيف، وبما وجَبَت لهم.

6- الوقوفُ على آياتِ الوَعْدِ، وما أعدَّ اللهُ تعالى للمؤمنين من نعيمٍ عظيمٍ مقيم في جنّات النّعيم .. فيَستبشِرُ خيراً، ويفرحُ أن جعله الله تعالى من عبادِه الموحدين، ويسأل اللهَ تعالى أن يجعلَه من أهلِ الجنَّة.

7- الوقوفُ على الآياتِ التي تتكلم عن أحوالِ الأمَمِ الهالِكةِ السَّابقة وقصصهم، الذين أُخِذُوا بذنوبهم، وجرأتهم على أنبيائهم .. فيستعيذ بالله تعالى من حالهم، ومآلِهم.

8- إذا مرّ القارئُ على الآياتِ التي تتكلم عن المغضوبِ عليهم، والضَّالين .. استعاذَ بالله منهم، ومن حالهم ووصفِهم .. وإذا مرّ على الآياتِ التي تتكلم عن صراطِ الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصّدِّيقين والشّهداء، والمؤمنين .. سألَ اللهَ تعالى أنْ يجعلَه منهم، وأن يحشرَهُ معهم.

9- عند التّلاوة قد يجدُ القارئُ قلبَه حاضِراً عند آيةٍ دونَ غيرها من الآيات .. فليُطِل من تأمُّلِها والوقوفِ عليها، ويُكرّرها إذا شاءَ، ما شاء.

يفعلُ ذلك سواءٌ كان في صلاةٍ، وبخاصّة إن كان يتنفّل .. أمْ في تلاوةٍ خارج الصَّلاة .. قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:" صَلَّيْتُ مع النبيّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِئَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بهَا في رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا ـ أي مُتَمَهِّلًا ومُتَأَنِّيًا ـ إذَا مَرَّ بآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وإذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وإذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ .." مسلم. وفي رواية عند أبي داود والنسائي: " لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ ".

10- اجتنابُ المعَاصي؛ فالمعصيةُ تَقتُلُ التَّدبّرَ، وتُضْعِفُه!

* * * * *

للتقوى ثمار عظيمة ترتدُّ على صاحبِها في الدنيا والآخرة

1047- للتقوى ثمار عظيمة ترتدُّ على صاحبِها في الدنيا والآخرة:

فهي مَخرجٌ لصاحبها من كل ضيقٍ، وكربٍ، وهمٍّ:[وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً]الطلاق:2. [إن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً]الأنفال:29.

وهي سبب للرزق والسّعة:[وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ]الطلاق:3. [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض]الأعراف:96.

وهي تجلبُ اليسرَ بعد العُسر:[وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً]الطلاق:4.

وهي سبب رئيسي لتحصيل العلم والعمل به:[وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ]البقرة:282.

ومَن علّمَه الله أعانه على العمل بما عَلِم.

وهي سببٌ للفوزِ والفلاح في الدنيا والآخرة:[وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] البقرة:189.

وهي كفّارة للخطايا والذنوب: [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً]الطلاق:5. [إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ]الأنفال:29.

وهي شرطٌ للنصرِ، والولاية، والمحبّة، والمعيّة:[وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ]البقرة:194. [إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ]التوبة:4. [وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ]الجاثية:19.

وهي سبب للرحمة: [وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ]الأنعام:155.

وهي خير الزّاد: [وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى]البقرة:197.

جزاؤها جناتٌ، وعيون، ونَهَر، ومقامٌ أمين:[جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ]النحل:31. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ]الحجر:45. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ]الطور:17. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ]

القمر:54. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ]المرسلات:41. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ] الدخان:51.

وهي وصيّةُ اللهِ الخالدة لعبادِه:[وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ]النساء:131.

* * * * *

أعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيم

1048- [أعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيم]؛ أَلُوذُ، وأَحْتَمِي، وأَسْتَعْصِم، وأَتَّقِي باللهِ العَظِيم، وبِقُدْرَتِه، مِن شَرِّ الشَّيطانِ الرَّجِيم؛ الملعُون، والمطرُود مِن رَحمةِ اللهِ، ومِن كُلِّ شَرٍّ يكونُ سَبَبُهُ الشّيطانُ الرَّجِيم .. ومن استعاذَ باللهِ، فقد استَعاذَ بِعَظِيمٍ، أنَّى للشيطانِ أن يَجِدَ إليه سَبيلاً؟!

* * * * *

فيروس " كورُونا " فسّر الآيات التّالية تفسيراً عمليّاً بليغاً

1049- فيروس " كورُونا " فسّر الآيات التّالية تفسيراً عمليّاً بليغاً:

[يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ]البقرة:276.

[فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ]الأنعام:44.

[فَأَتَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ]الزمر:25.

[أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ . أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ]الأعراف:97-98.

[إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً] المعارج:19-21.

[وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً]النساء:28. [وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً]الإسراء:11.

[وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ]هود:9-10.

[ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]الروم:41.

[وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]السجدة:21.

[فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ]الأنعام:42.

[وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:76.

[وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ]النحل:112.

[وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا]القصص:58.

[وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ]الحج:48.

[وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ]المدّثر:31.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ

1050-إن كُنتَ من المؤمنين ـ سواءٌ كنتَ ذَكَراً أم أُنثَى ـ فأنتَ مَعنيٌّ باسْمِكَ وشَخْصِكَ من خِطابِ ونِداءِ الخالِقِ سُبحانه وتعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ...]، وقد تَكَرَّرَ هذا النِّداءُ الخالِدُ في كِتابِ الله تسعينَ مرَّة .. وإن لم تكنْ من المؤمنين، وعلى أي مِلَّةٍ كُنْتَ ـ

سواء كُنتَ ذَكَراً أم أنْثَى ـ فأنتَ معنيٌّ باسمِكَ وشَخْصِك من خِطابِ ونِداءِ الخالقِ سُبحانه وتعالى:[يَا أَيُّهَا النَّاسُ ...] ، وقَد تكرَّرَ هذا النِّداءُ الخالِدُ في كتابِ اللهِ ثماني عشَرة مَرَّة!

* * * * *

وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ

1051-في كلّ زمانٍ قد يكره كفّارُه ومنافقوه بعض ما أنزَل الله، يختلف عمّا يكرهه أقرانهم من الكفار والمنافقين في الأزمنة السابقة واللاحقة، ولو تحرّج المسلمون في كل زمانٍ من هذا الذي يكرهه الكفارُ والمنافقون في زمانِهم ممّا أنزلَ الله، فكتموه، وحجبوه، وعطّلوا العملَ به ـ مراعاة لمشاعرِ الكفار والمنافقين، ونزولاً عند رغبتِهم ـ لما بقي من دينِ الله شيء، ولاندثرت معالِمه .. ولهذا ـ وغيره من الأسباب ـ جاء التّحذيرُ الشّديدُ، والوعيدُ الأليم من رب العالمين، لعبادِه المؤمنين، من أن يفتنهم الكفارُ والمنافقون عن بعضِ ما أنزَلَ اللهُ، أو أن يتبعوا أهواءَهم، كما قال تعالى:[وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ]المائدة:49. [كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ]الأعراف:2. [فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ]هود:12. [وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ]البقرة:145. [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]البقرة:159.

* * * * *

الطاغوت

1052- وردت كلمةُ " الطَّاغُوت " في القُرآنِ الكريم، ويُرادُ بها الفَرْدُ، والجَمْعُ، والمذكَّرُ، والمؤنَّثُ، للدَّلالَةِ على أن المعبودَ من دونِ اللهِ ـ إن كانَ رَاضِياً بذلك ـ على أيِّ صِفَةٍ أو هيئةٍ كان، يُطلَقُ عليه صِفَةُ ومُسَمَّى الطَّاغُوت.

* * * * *

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ

1053- إذا كنتَ في أرضِ خوفٍ وكَربٍ .. وقد نأى عنك الناسُ .. والأعوانُ .. وغابت أنظارُهم .. تذكر قوله تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ]. وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السَّلام: [لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى]. وقوله تعالى:[وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ]. يهونُ مُصابُك، وينجلي، ويذهب ما بك من خَوفٍ وكَربٍ، بإذن الله .. مَا مِن خَوفٍ يَقَع إلا لغَفْلَةٍ عن معيَّةِ اللهِ تعالى!

* * * * *

طَعَامُ وشَرَابُ أهْلِ النَّارِ

1054- مِن طعَامِ أهْلِ النَّارِ، الضَّرِيعُ: كما قال تعالى:[لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ . لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ]الغاشية:6-7. والضَّريعُ شجرٌ في جهنم مِن نَارٍ، له شَوكٌ مِن نَارٍ .. قال بعضُ أهلِ العِلم: لشدَّةِ ألمِه، وحرِّه، ونتَنِه، وخشونتِه، يَضْرَعُ أهلُ النَّارِ أن يتخلَّصُوا ويُعفَوا منه .. وأنَّى .. فسُمِّيَ لذلك ضَرِيعًا!

والزَّقُّومُ: كما قالَ تعالى:[إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَثِيمِ]الدخان:43-44. وقالَ تعالى:[أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ . إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي

أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ]الصافات:62-66. وقال تعالى:[ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ . فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ]الواقعة:51-53. والزَّقُوم شجرةٌ، " غُذِّيت بالنَّار، ومِنها خُلِقَت ".

والغِسْلين: كما قال تعالى:[وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ . لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ]الحاقة:37. أي الكافرون، الذين تَرقَى أخطَاؤهم إلى دَرَجَةِ الكُفْرِ .. والغِسْلِين، صَدِيدُ، وقَيحُ، ودَمُ أهلِ النَّارِ، وما يخرجُ مِن لحومِهِم ....!

ومِن شرَابِهم، الماءُ الحمِيمُ: كما قالَ تعالى:[كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ]محمد:15. والماءُ الحمِيم، ماءٌ حارٌّ في مُنتَهى الحرَارَةِ، يُقَطِّعُ أمعاءَهم مِن شِدَّةِ حَرِّه.

والماءُ المُهْل: كما قال تعالى:[وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً]الكهف:29. والماءُ المهْلِ، " كعكرِ الزَّيتِ، فإذا قرَّبَهُ إلى وجهِهِ، سَقطَت فَروَةُ وجهِهِ فيهِ " مِن شِدَّةِ حَرِّه!

والماءُ الصَّدِيدُ: كما قَالَ تعالى:[مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ . يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ]إبراهيم:16-17. والماءُ الصَّدِيدُ، عصارَةُ أهْلِ النَّارِ من قَيْحٍ ودَمٍ .. هذا طعَامُ وشَرَابُ أهلِ النَّارِ .. أمَّا عذَابَات جهنم الأُخْرَى لَا يعلمُ حقيقَتَها وشِدَّةَ آلامِها إلا خالقُهَا ... أعاذَنا اللهُ وإيَّاكُم مِن نَارِ جهنَّم، ومِن طعَامِها وشَرَابِها .. وما يُقَرِّبُ إليها مِن قَولٍ، واعتِقَادٍ، وعَمَل.

* * * * *

مَن أرادَ أن يَقرأَ في التوراةِ قَبْلَ أن يُصيبَها التَّحرِيفُ

1055- مَن أرادَ أن يَقرأَ في صُحفِ إبراهيمَ عليه السلام، وفي التَّوراةِ قبل أنْ يُصيبها التَّحريفُ، والتَّبدِيلُ، فليَقْرأْ سُورةَ الأَعْلَى، قال تعالى:[إِنَّ هَذَا]، الذي وردَ ذِكْرُهُ

مِن الآياتِ في سورةِ الأَعْلَى، [لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى]الأعلى:18-19. موجُودٌ في صُحِفِ إبرَاهِيمَ عليه السلام، وفي الصُّحِفِ " التَّورَاة "، التي أنزَلها اللهُ على عَبدِه ونبيِّه مُوسَى عليه السلام.

* * * * *

1056- .....

www.abubaseer.bizland.com

www.altartousi.net

altartousi1@gmail.com